

شهزاده خواجه سی اعیلارزن [?]

٦٨٩ ورقدر

كتاب تفسير للقاضي
البيضاوي

صح

سورة الزمر ٥٥٢	الجزء الرابع والعشرون فمن اظلم ٥٥٦	سورة غافر المؤمن ٥٦٠	سورة السجدة ٥٦٨
الجزء الخامس والعشرون اليه يرد علم الساعة ٥٧٢	سورة حم عسق ٥٧٢	سورة الزخرف ٥٧٧	سورة الدخان ٥٨٣
سورة الجاثية ٥٨٦	الجزء السادس والعشرون سورة الاحقاف ٥٨٩	سورة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ٥٩٢	سورة الفتح ٥٩٦
سورة الحجرات ٦٠٠	سورة ق ٦٠٣	سورة والذاريات ٦٠٧	الجزء السابع والعشرون قال فما خطبكم ٦٠٨
سورة والطور ٦٠٩	سورة والنجم ٦١٢	سورة القمر ٦١٥	سورة الرحمن عز وجل ٦١٧
سورة الواقعة ٦٢٠	سورة الحديد ٦٢٣	الجزء الثامن والعشرون سورة المجادلة ٦٢٧	سورة الحشر ٦٣٠
سورة الممتحنة ٦٣٢	سورة الصف ٦٣٤	سورة الجمعه ٦٣٦	سورة المنافقين مع سورة التغابن ٦٣٧

سورة الطلاق ٦٣٩	سورة التحريم ٦٤٠	الجزء التاسع والعشرون سورة الملك ٦٤٢	سورة ن والقلم ٦٤٤
سورة الحاقة ٦٤٧	سورة المعارج ٦٤٩	سورة نوح عليه السلام ٦٥١	سورة الجن ٦٥٢
سورة المزمل ٦٥٤	سورة المدثر ٦٥٦	سورة القيامة ٦٥٨	سورة الانسان ٦٦٠
سورة المرسلات ٦٦٢	الجزء الثلثون سورة النبا ٦٦٤	سورة النازعات ٦٦٦	سورة عبس ٦٦٧
سورة التكوير ٦٦٩	سورة انفطار مع المطففين ٦٧٠	سورة انشقت ٦٧١	سورة البروج ٦٧٢
سورة الطارق ٦٧٣	سورة الاعلى ٦٧٤	سورة الغاشية ٦٧٥	سورة الفجر ٦٧٦
سورة البلد ٦٧٧	سورة والشمس ٦٧٨	سورة والليل مع والضحى ٦٧٩	سورة الم نشرح مع والتين ٦٨٠

١٦٨

الحمد لله الذی هدانا لهذا وما کنا لنهتدی لولا ان هدانا الله

همایون حرم

ایا طالب القرآن حلاً موافقا
فتفسیر قاضٍ فاق حالاً وماضیا
اذا کنت مارست العلوم بدقة
تجده بجزم فی التفاسیر قاضیا

قول القاضی الامام بالمدح جدیر — للنقل وللعقل فنعم التفسیر
یا من هو طالب لحل التنزیل — لا یرفع اشتباهکم مثل خبیر

قد وقف هذه النسخة الجلیلة السلطان ابن السلطان الاعظم والخاقان المعظم مالک البرین والبحرین خادم الحرمین الشریفین السلطان ابن السلطان الغازی محمود خان ... وقفا صحیحا شرعیا لمن طالع وانا الفقیر احمد شیخ زاده المفتش باوقاف الحرمین الشریفین غفر لهما

هذا كتاب يسمى بأنوار التنزيل وأسرار
التأويل في التفسير للإمام العلامة
قاضي قضاة المسلمين جامع علوم
السابقين واللاحقين محقق مسائل
المعقول والمنقول كاشف مباحث
الفروع والأصول الملفق بين
موجبات [الشرع] المتين ومقتضيات العقل المبين

على ما هو طريق المليين المحققين الفايز
بمراتب أصحاب العرفان وأرباب اليقين
ناصر الملة وقدوة الأمة وخير الأئمة
أبي الخير عبد الله ابن الصدر العالي
إمام الملة والدين أبي القاسم عمر البيضاوي
بوأه الله بفضله في أعلى عليين مع
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

كتاب انوار التنزيل

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب
العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من
فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا
تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف
قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر
متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز
غوامض الحقايق ولطايف الدقايق ليتجلى لهم خفايا

ناصر الملة والدين عبد الله

واسرار التاويل للامام العلامة

الملك والملكوت وخبايا القدس والجبروت ليتفكروا
فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من
نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم
تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في
الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفى
نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود
ويا فايض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة
توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر
تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا

ابن ابي القاسم عمر البيضاوي

مسالك كرامتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا **وبعد** فان اعظم العلوم
مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها
ومبني قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع
في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون
الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على
صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين
وينطوي على نكت بارعة ولطايف رايعة استنبطها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين
واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراات المعزية الي الايمة الثمانية المشهورين
والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام
ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتي سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي علي
الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل
واسرار التاويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل

سورة فاتحة الكتاب مكية وهي سبع ايات

وتسمي ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمي اساسا
او لانها تشتمل علي اصول ما فيه من الثنا علي الله تعالي والتعبد بامره ونهيه وبيان
وعده ووعيده او علي جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي
سلوك الطريق المستقيم والاطلاع علي مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة
الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسالة
لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء
لقوله عليه السلام هي شفاء كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا
ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثني في الصلوة او الانزال
ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها
مكية لقوله تعالي ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي **بسم الله الرحمن الرحيم**

من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم
قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشي
فظن انها ليست من السورة عنده وسيل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام
الله ولنا احاديث كثيرة منها ما روي ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات
اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها آية براسها ام بما بعدها
والاجماع علي ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق علي اثباتها في المصاحف مع المبالغة
في تجريد القرآن حتي لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي
يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وذلك اولي من ان يضمر
ابدا لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع
كما في قوله بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل علي الاختصاص وادخل في التعظيم
واوفق للوجود فان اسمه تعالي مقدم علي القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل
لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله
فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعني متبركا باسم الله اقرا وهذا وما بعده مقول علي السنة
العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد علي نعمه ويسال من فضله وانما كسرت ومن حق
الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة
داخلة علي المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء تاكيدا والاسم عند اصحابنا البصريين
من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها علي السكون وادخل
عليها مبتدا بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا علي الساكن
ويشهد له تصريفه علي اسماء واسامي وسمي وسميت ومجي سمي كهدي لغة فيه قال
والله اسماك سمي مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه
رفعة للمسمي وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت
عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة علي ما حذف صدره في

كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى
لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد
تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر
بهذا المعنى وقوله تع تبارك اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن
النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم
كما في قول الشاعر شعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي
الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو
غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة
بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال
وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك
قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب
على المعبود بحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله
وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت
اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر
نزل عليه واله غيره اجاره اذ العابد يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل
اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط
عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في
وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر
لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب او ارتفع لانه تع محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل
شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر شعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار
وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته
ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل
لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث

لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه
وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار
امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكنه ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته
المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا ولان معنى
الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين
الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام
عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به
الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر شعر الا لا بارك الله في سهيل
اذا ما بارك الله في الرجال والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من
غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان
ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تع انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي
افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء
تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية
واخرى باعتبار الكيفية وعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم
الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم
الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي
من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان
معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض
بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيل رقة الجنسية او حب المال عن
القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية
الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من
خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم
ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الاي والاظهر انه

غير مصروف وان خطر اختصاصه بالله من ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا

له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان

يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها واجلها

جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل

سره بذكره والاستمداد به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة

او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول

حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا

قال **شعر** افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه

واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد

وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال الحمد راس

الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء

وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته

له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل

معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق

اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال

وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه

الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما

يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية وهو

تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت

من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا

يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم

والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها

وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من

الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع

لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به

الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من

الجواهر والاعراض يعلم به الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما

وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل

الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها في

مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره **مالك يوم الدين**

قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ

لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه

من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف

بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب

على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا

بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة **شعر**

ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به

على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى

اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة

لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم

بالاضافة اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من

كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا

لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه

على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم

على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يتاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على

ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث

لله لالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات ووجوب عليه
قضية لسوابق الاعمال حتي يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل
الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين
ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق
العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يامن هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة
ليكون ادل علي الاختصاص والترقي من البرهان الي العيان والانتقال من الغيبة
الي الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بني اول
الكلام علي ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في
الائه والاستدلال بصنايعه علي عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره
وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها
اللهم اجعلنا من الواصلين الي العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب
التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الي اسلوب آخر تطرية له وتنشيطا للسامع
فيعدل من الخطاب الي الغيبة ومن الغيبة الي التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتي اذا كنتم
في الفلك وجرين بهم وقوله الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ
القيس شعر تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن ابي الاسود واياضمير منصوب
منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب
والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف
اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب وهو
شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير واياعمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر
النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح
الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد
اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع

لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل
دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند اجتماعها
يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل
ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر علي المشي او تقرب الفاعل الي
الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة
في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقاري ومن معه
من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف
عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت
الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة علي الحصر ولذلك قال ابن عباس
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه علي ان العابد
ينبغي ان يكون نظره الي المعبود اولا وبالذات ومنه الي العبادة لا من حيث انها نسبة
شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في
ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتي انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها
الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين
قال لا تحزن ان الله معنا علي ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر
الضمير للتنصيص علي انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة عن الاستعانة لتوافق
روس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة علي طلب الحاجة ادعى الي الاجابة واقول
لما نسب المتكلم العبادة الي نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه
بقوله واياك نستعين ليدل علي ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه
وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما
وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها
اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا
اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير

وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها
والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه معاملة اختار في قوله تعالى
واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة
الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية
والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق
والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال
الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي
او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه
عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب
المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا
ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر
والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة
والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه
يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم
الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس
عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت
في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم
المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم**
بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة

على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه
ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل
اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم
والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت
لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي
قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر
والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من
الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات
الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال
والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد
الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك
يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** بدل من الذين على معنى ان المنعم
عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم
عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب
والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود
كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل
غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين
الحركة غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال عن الضمير المجرور والعامل انعمت او
باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة
الانتقام واذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه
نايب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال
لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب

وان امشع انا زيدا مثل ضارب وقري وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق
السوي عمدا او خطاء وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب
عليهم اليهود لقوله تع منهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تع قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين
الجاهلين بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان
المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه
لقوله تع في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق
الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمز على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها
قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا
لكن يسن ختم السورة به لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة
الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضه آمين خاتم رب العالمين
ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وايل بن حجر انه عليه السلم
كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رضه انه لا يقوله
والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يومن معه لقوله
عليه اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة يقول آمين فمن وافق تامينه
تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول
الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي
قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منها الا اعطيته وعن حذيفة
ابن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا

فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تع فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين

سورة البقرة مدنية وآيها مايتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم الم وساير الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها
الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير
اي تداول ما يختص بالاسم عليها من الالفاظ ه
والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روي ابن مسعود انه عليه السلم
قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف
لكن الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه
به عرف مجدد بل المراد المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا
وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن
الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبني
الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء
ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسايطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة
منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينطقون
منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم
عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان
النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب
فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك
ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر
اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا براسها في تسع وعشرين
سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة
وهو ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء
والصاد والسين والكاف ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة

+ اي عن جميعهم فانه اذا اعجز آخرهم فقد عجز عن جميعهم ه

التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة
وهي حروف تضطرب عند خروجها وتجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين
الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى
وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل
ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكر سيبويه
واختاره ابن جني وتجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي تجمعها
اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في
صراط وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في با
اسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد
والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء
والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والسين
والزاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء
والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة
ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والشين
والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة
مجموعة في مر بنفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة
كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية
ذكر من الزوائد العشرة التي تجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك
ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة
ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب
من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر
ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف
ص ق ن ٥/ن الكلمات المفردة
واربع ثنائيات لانها يكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي

الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلاثة
اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ
على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلث عشرة سورة
تنبيها على ان الاصول الابنية المستعملة ثلث عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال
ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد
وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع
ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف
من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق
الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم يتساقط
مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليها بانها لو لم يكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي
به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك
والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك
او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل
على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام
واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار
الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الالف
آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها حروف الرحمن وعنه ان
الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد او اشارة الى مدد آجال
اقوام بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه الصلوة والسلام لما اتاه
اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون
سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا

الالف واحد واللام ثلثون والميم اربعون

خلطت علينا فلا ندري بايتها نلخذ فان تلاوتنا اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم علي
استنباطهم دليل علي ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين
الناس حتي العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس اوداله علي
الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسايط اسماء الله ومادة خطابه
هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الي ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة
اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويودي الي اتحاد الاسم والمسمي ويستدعي تاخر الجزء
عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمي بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد
مزيدة للتنبيه والدلالة علي الانقطاع والاستيناف تلزمها وغيرها من حيث انها
فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معني في حيزها ولم تستعمل للاختصار
من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس رضي الله عنه فتنبيه
علي ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا تري
انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها
اذ لا مخصص لفظا ومعني ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز
انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الي
اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما
واحدا علي طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطايفة من اسماء حروف المعجم والمسمي هو
مجموع السورة والاسم جزءها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار
كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الي التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم
من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض
علي ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن
وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حم
عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصي الحلق وهو مبدا المخارج واللام

من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الي ان
العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثر الله
تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم رضي الله عنهم من الصحابة ما يقرب
منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ
يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها
حظ من الاعراب اما الرفع علي الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم علي طريقة
الله لافعلن بالنصب وغيره كاذكر او الجر علي اضمار حرف القسم ويتاتي الاعراب لفظا
والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليس الا فيما
عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان بقيتها علي معانيها فان
قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر علي ما مر وان
جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا علي اللغتين في الله لافعلن
ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا نازلة
منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة
ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الي ما بعدها وليس شيء منها
آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم
ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال
للقياس فيه **ذَلِكَ الْكِتَابُ** ذلك اشارة الي الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف
او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضي او وصل من المرسل الي المرسل اليه
صار متباعدا او تذكير متي اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي
هو هو او الي الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود اتيانه بنحو قوله تعالى
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة
وقيل فعال بمعني المفعول كاللباس ثم عبر عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب واصله
الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لَا رَيْبَ فِيهِ** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث

لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى في الاصل ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الدلائل والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع والمعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل

اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة والاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يتقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب فيه من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدا محذوف والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او يستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل

وفي الثانية لخانة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي
الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص
الهدي بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوي متقيا ايجازا
وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة
مقيدة له ان فسر التقوي بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية
والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيآت
لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة
والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة
لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام
او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر
اظهار لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوي او على انه مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى
فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من
الامن كان المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه
معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما
آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق
بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه الصلوة كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء
ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحققين
والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر
ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل
في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان
الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان ولم يؤمن قلوبهم ولما لم يدخل الايمان في

قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا يحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان
طايفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة
في الآية او المعدي بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب
هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني
لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم
الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب
والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او
فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل
وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا
هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به
في الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته
حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون
غايبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود رضي الله عنهما قال
والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الآية وقيل المراد
بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء
على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة
اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا
قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا انفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة
قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها
كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد

وضده تقعد عن الامر وتقاعد يؤد دونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على
القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر
والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من يراعي حدودها
الظاهرة من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه
على الله لا المصلون الذينهم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح المتقين
الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعى كالزكوة من
زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعا
وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار
هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه
وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم**
ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف
خصصه بتخصيص الشئ بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا
من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس
برزق الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق
فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد
للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلم في حديث عمرو بن قرة
لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله
وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المغتذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشئ وانفذه اخوان ولو استقريت الالفاظ
لوجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من انفاق
ما رزقهم الله صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر

افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقتها وتقديم المفعول
به للاهتمام والمحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف
عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي آتاهم
الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلم ان علما لا يقال
به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون
والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم
في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك
وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس
رضي الله عنهما او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل
الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى
الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل
جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا
طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او طايفة منهم وهم
مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة لذكر جبريل وميكائيل بعد
الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشئ من اعلى الى اسفل
وانما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية
على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح
المحفوظ وينزل به فيلقيه على الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة
عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على
ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك

الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا
من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل
احد يوجب الحرج وفساد المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** اي يوقنون ايقانا
زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم
الدنيا او غيره ودوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض
بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر
عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك
لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة
الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها
اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى موسى
وجعدة اذ اضاءهما الوقود **اولئك على هدى من ربهم** الجملة في محل الرفع
ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين
قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا
فاستيناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل
قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد
صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف
بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان
المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى
الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من
اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب
الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة

علي

على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبالغ كنهه
ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت
على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير
غنة **واولئك هم المفلحون** كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك
الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم
ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم
اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد
فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر
عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت
وجوه الظفر له وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى
يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك
انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم
تنبيه تامل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه
شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية
في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا
ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم
للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني
عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت
لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال

وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم
الاسماء، واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت
عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل
فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية
مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء
الخبرية الرفع مشروطا بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين
اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر
بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين قل
سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله
قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن
المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم
غير المصرين بما اسند اليهم وهو سواء عليهم والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر
بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع
انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما
كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه الصلوة والسلام لا
يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ
الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق
وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ
أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية
كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك

وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له
اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع
فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل هيهنا عن المصدر الى الفعل
لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده
فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حرف النداء عن الطلب
لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به
التخويف من عقاب الله تع وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب
واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع واذا لم ينفع
فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف
الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي
الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسط الف بينهما محققتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لَا يُؤْمِنُونَ جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل
لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم
والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون
وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون
فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث
ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار
بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد
باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول
فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام
سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان

اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم
الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره
نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه
بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة
وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي
واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم
عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف
استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم عليها وابصارهم لا تجتلي الآيات
المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها
غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية
او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع
بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من
اغفلنا قلبه وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان
الممكنات باسرها مستندة الى الله واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث
انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم
آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة
عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم
لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف
الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم
التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان

ذلك في الحقيقة فعل السلطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه
اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث
لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم
في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى
لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن
وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان
المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا
المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف
على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في
الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات
وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة
بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما
بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر
لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين
وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية
العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية والقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به
العقل والمعرفة كما قال ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان
الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على
تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى
وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة

بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة **ولهم عذاب عظيم**
وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقول اعذب عن الشيء ونكل
عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا
وفراتا ثم اتسع واطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن
المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية
والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم
فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر
بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم نوع غشاء ليس مما يتعارفه الناس
وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله **ومن
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر** لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب
وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم وثنى
باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته راسا ثلث بالقسم الثالث
المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم
وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك
طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزاءهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم
وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن
آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي
فحذفت الهمزة حذفها في لوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما
وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت
فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون
مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا
ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق

دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا
يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها
فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر
تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه
واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون
به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان
لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم
الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف
خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم
وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ
بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي
والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة **وما هم بمؤمنين** انكار ما
ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان
الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من
عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء
واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه
جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا
لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف
مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم **يخادعون الله والذين آمنوا** الخدع
ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب
اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب

آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة
يكون من اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم
يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة
الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان
واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث
الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين
امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع
المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان لتقول او استيناف
بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت
للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار
استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا
عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من
الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم
الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ** قراءة نافع وابن
كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك
يخدعون انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة
وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة
لا يتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون
ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء
وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم
لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث
عنها او يشبه ذاتا يأمره ويشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على

ارواحهم

ارواحهم وآرائهم **وَمَا يَشْعُرُونَ** لا يحسون ذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع
ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على ماؤف الحواس والشعور
الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **فِي قُلُوبِهِمْ**
مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال
الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاغراض النفسانية التي تخل بكمالها
كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل
الفضائل ومؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية والآية تحتملها فان قلوبهم كانت ممتلئة
تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء
شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مائلة
بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع
او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى
من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها
سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا
شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه
بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** اي مؤلم
يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقولهم تحية بينهم ضرب
وجيع على طريقة قولهم جد جده **بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** قرأها عاصم والكسائي
وحمزة والمعنى بسبب كذبهم او بيدله جزاء له وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون
من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب
الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا
جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن
الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب
عليه وما روي ان ابرهيم كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب

في صورة سمي به **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض** عطف علي يكذبون أو
يقول وما روي عن سلمان أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله أراد به أن أهله
ليس الذي كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لأن الآية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان
كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الأرض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين
وممالاة الكفار عليهم وإفشاء الأسرار إليهم فإن ذلك يؤدي إلي فساد ما في الأرض
من الناس والدواب والحرث ومنه إظهار المعاصي والإهانة بالدين فإن الإخلال
بالشرائع والإعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام ما والقائل هو الله تعالي
أو الرسول أو بعض المؤمنين **قالوا إنما نحن مصلحون** جواب لإذا ورد للناصح
علي سبيل المبالغة والمعني أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فإن شأننا ليس إلا الإصلاح
وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لأن إنما يفيد حصر ما دخله علي ما بعده مثل
إنما زيد منطلق وإنما ينطلق زيد وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة
الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا **ألا إنهم
هم المفسدون ولكن لا يشعرون** رد لما ادعوه أبلغ رد للاستئناف به وتصديره
بحرفي التأكيد ألا المنبهة علي تحقق ما بعدها فإن همزة الاستفهام التي للإنكار
إذا دخلت علي النفي أفادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد يقع
الجملة بعدها إلا مصدرة بما يتلقي به القسم وأختها أما التي هي من طلائع القسم
وإن المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط الفصل لرد ما في قولهم إنما نحن مصلحون
من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون **وإذا قيل لهم آمنوا** من تمام
النصح والإرشاد فإن كمال الإيمان بمجموع أمرين الإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود
بقوله لا تفسدوا والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا **كما آمن الناس**
في حيز النصب علي المصدر وما مصدرية أو كافة مثلها في ربما واللام في الناس
للجنس والمراد به الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل فإن اسم الجنس

كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك
يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بإنسان ومن هذا الباب قوله تعالي صم بكم عمي ونحوه
وقد جمعهما الشاعر في قوله • إذ الناس ناس والزمان زمان • أو للعهد والمراد به الرسول
ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأصحابه والمعني آمنوا إيمانا مقرونا
بالإخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لإيمانهم واستدل به علي قبول توبة
الزنديق وأن الإقرار باللسان إيمان وإلا لم يفد التقييد **قالوا أنؤمن كما آمن
السفهاء** الهمزة فيه للإنكار واللام مشار بها إلي الناس أو الجنس بأسره وهم مندرجون
فيه علي زعمهم وإنما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم أو لتحقير شأنهم فإن أكثر المؤمنين
كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم إن فسر
الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان
العقل والحلم يقابله **ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** رد ومبالغة في
تجهيلهم فإن الجاهل بجهله الجازم علي خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة
من المتوقف المعترف بجهله فإنه ربما يعذر وينفعه الآيات والنذر وإنما فصلت
الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لأنه أكثر طباقا لذكر السفه ولأن الوقوف
علي أمر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر إلي نظر وتفكر وأما النفاق وما فيه
من الفتن والفساد فإنما يدرك بأدني تفطن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت
به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي أن ابن أبي
وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم
فأخذ بيد أبي بكر رضه وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني
رسول الله صلي الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر رضه فقال
مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه
الصلوة ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم وختنه

وسيد بني هاشم ما خلد رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته
اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث
يلقى **وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ** من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من
خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت
منه وعدي بالي لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان
في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم لمشاركتهم في الكفر وكبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن
الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه
الباطل **قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ** اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية
والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث
الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة
وصدق رغبة فيما خاطبوا به المومنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان
على المومنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**
تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان
من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا
انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المومنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء
السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله
الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقة
تهزأ به اي تسرع وتخف **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** جازاهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في
القدر او يرجع وبال الاستهزاء بهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة
والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما
في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على

التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المومنين
ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يوبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ
بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا
كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض
اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كالملي له ويدل
عليه قراءة ابن كثير ويُمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا
لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم
طريق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المومنين
انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله اسناد
الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة
ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم
في الغي وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا
الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه
او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر
كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن
مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة والعمى في البصر وهو
في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين
العمه **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى** اختاروها عليه واستبدلوها به واصله
بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من
حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة

الثمن بناذله مشتري وآخذه بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير
للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت
بالجمة راسا ازعر وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى
المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا
بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي
ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح
للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه
لما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح
بالبيع والشرى والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة
وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب
الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس
المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل
الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم
راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح
فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم عقبها
بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه
يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في
كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه
غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان
وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى
والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله
وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز

وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته
وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان
لا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو
زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها
التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته
ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين
او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع
النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
فلما اضاءت ما حوله اي النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان
يكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما
موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول
للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير للذي
وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها
او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد
انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين
والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد
الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي
او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة
لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله
اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو
مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء
من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر
ذلك واكده بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم

النور عنهم راسا وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة
لا يتراءي فيها شبحان وترك في الاصل بمعني طرح وخلي وله مفعول واحد فضمن معني
صير فجري مجري افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته
جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما
منعك لانها تسد البصر وتمنع الروية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة
يوم القيمة يوم تري المومنين والمومنات يسعي نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة
الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات
متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك وكان الفعل غير متعد
والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدي فاضاعه ولم يتوصل به الي نعيم الابد
فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنه الاية الاولي ويدخل تحت عمومه هولاء
المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره
حين خلوا الي شياطينهم ومن اثر الضلالة علي الهدي المجعول له بالفطرة او ارتد
عن دينه بعد ما امن ومن صح له احوال الارادة فادعي احوال المحبة فاذهب الله
عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم
بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام
بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وانشاء
حالهم باطفاء الله تعالي اياها واذهاب نورها **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ** لما سدوا
مسامعهم عن الاصاخة الي الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات
بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا
ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشي الذي لا اريده واسمع خلق الله
حين اريد واطلاقها عليهم علي طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان
يطوي ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام علي المستعار منه لولا القرينة كقول
زهير لدي اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم تري المفلقين

السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائي ويصعد حتي
يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه
في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين علي ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان
جعلته للمستوقدين فهي علي حقيقتها والمعني انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت
قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب علي الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة
من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به
فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه
يشتمل علي هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمي عدم البصر عما من
شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** لا يعودون الي
الهدي الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون
لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والي حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء
للدلالة علي ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم **أَوْ كَصَيِّبٍ
مِنَ السَّمَاءِ** عطف علي الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون
اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي
من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالي ولا تطع منهم آثما او كفورا
فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك
قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما
سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب
فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان
صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد
وتعريف السماء للدلالة علي ان الغمام مطبق آخذ بافاق السماء كلها فان كل

افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء انه
به ما في الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد
بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** ان
اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه وتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة
الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به
وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف
وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان
سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد
والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل
ولذلك لم يجمعا **يجعلون اصابعهم في آذانهم** الضمير لاصحاب الصيب وهو
وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه
كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق
السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما
ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وربما اطلق
الاصابع موضع الانامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من
اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها
نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على
كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق
او بشدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء
كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة
وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية
او مصدر كالعافية والكاذبة **حذر الموت** نصب على العلة كقوله واغفر
عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضاده لقوله خلق

الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة **والله محيط بالكافرين**
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية
لا محل لها **يكاد البرق يخطف ابصارهم** استيناف ثان كانه جواب لمن
يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة
الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى
موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها
مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير
ان لتوكد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما
يحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف
الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة
التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين
واتباع الياء لها ويتخطف **كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا**
استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته
واجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه
او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا
منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما
اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من
المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه
وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا
منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق
اذا ركدت وقام الماء جمد **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم** اي ولو
شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد فاصمهم وابصارهم بوميض البرق لذهب
بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى

لايكاد يذكر الا في الشي المستغرب كقوله فلو شيت ان ابكي دما لبكيته ولو من
حروف الشرط وظاهرها الدلالة علي انتفا الاول لانتفا الثاني ضرورة
انتفا الملزوم عند انتفا اللازمه وقري لاذهب باسماعهم بزيادة البا
كقوله ولا تلقوا بايديكم الي التهلكة وفايدة هذه الشرطية ابدا المانع لذهاب
سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه علي ان تاثير الاسباب في مسبباتها
مشروط بمشية تعالي وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرة وقوله إنَّ
اللهَ علي كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ كالتصريح به والتقرير له والشي يختص بالموجود لانه
في الاصل مصدر شا اطلق بمعنى شا تارة وحينيذ يتناول الباري تعالي
كما قال تعالي قل اي شي اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشي اخري اي مشي وجوده
وما شا الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله علي كل شي قدير
الله خالق كل شي فهما علي عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشي ما يصح ان
يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا
لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن
من ايجاد الشي وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها
يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شا
فعل وان شا لم يفعل والقدير الفعال لما يشا علي ما يشا ولذلك قلما
يوصف به غير الباري تعالي واشتقاق القدرة من القدر لان القادر
يوقع الفعل علي مقدار قوته او علي مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل علي
ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد
مقدور الله تعالى لانه شي وكل شي مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات
المولفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاوه وتلاصقت
حتي صارت شيا واحدا باخري مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم
يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار

في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة
والشدة بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة
مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل
المفرد وهو ان ياخذ اشيا فرادي فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمي والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امري القيس كان قلوب الطير
رطبا ويابسا لدي وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه في الاول ذوات المنافقين
بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدما
وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك
عنهم علي القرب باهلاكهم وافشا حالهم وابقائهم في الخسار الدايم والعذاب السرمد
باطفا نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط
للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه
لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المومنين وما
يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت
من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالي شيا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة
الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع
خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطا يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين
لا حراك بهم وقيل شبه الايمان والقرآن وساير ما اوتي الانسان من المعارف التي
هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها من الشبه
المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد
والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من
الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم
منها وهو معني قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد
يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضو البرق كلما اضا لهم وتحيرهم وتوقفهم في

الا مرجين بعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا
بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد
الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير **يا ايها**
الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل
عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر
العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء
البعيد وقد ينادى به القريب بتنزيله منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب
ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له
وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل
وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف
فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم
رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه
اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه
من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا
لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ
والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء
منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد
لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى
قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه
يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه
بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها

والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه
من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما
ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال
بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان
الموجب للعبادة هي الربوبية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل
التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي
والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل وقدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم** متناول
كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في
خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من
خلقهم ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول
الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني
بين الاول وما اضيف اليه **لعلكم تتقون** حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا
ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين
لجوار الله نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى
الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال يدعون
ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه
على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه
وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا
وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى
والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان
العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة

فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل **الذي جعل لكم الارض فراشا** صفة ثانية او مدح
منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجي على ثلثة
اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار
مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدي الي مفعول واحد كقوله تعالي وجعل الظلمات
والنور وبمعنى صير ويتعدي الي مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون
بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها
بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة
حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي
كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابي الافتراش عليها
والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار
والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه
بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء**
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله
تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة
للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او
ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار
وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكما يجدد فيها لاولي
الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء
سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدي من السماء
الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير
الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض
بدليل قوله تعالى واخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال

وانزل من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا
الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق او
للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات
والموضع موضع الكثرة لانه اراد به جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده
قراءة من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من
جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة
رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا**
لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له
او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكهما في انها غير موجبة والمعنى ان
تتقوا لا تجعلوا لله ندا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل
مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى
من حفكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي
قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت
الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر
وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت
حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله
وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون
له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا
تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون**
حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر
الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب

الذات متعال عن مشابهة المخلوقات اومنوي وهمانها لايماثله ولايتدر على
مثل مايفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فا[لمقصود]
منه التوبيخ والتثريب لاتقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم
سيان في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك
به والاشارة الى ماهو العلة والمقتضي وبيانه ان رتب الامر بالعبادة على صفة
الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم
ومايحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة
اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لايقدر
عليها غيره وشهدت على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه
اراد من الآية الاخيرة مع مادل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل
خلق الانسان ومااضاف عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن
بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الافاضل العلمية والنظرية
المحصلة بوساطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية
بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلية والارضية المنفعلة بقدرة
الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ
مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ** لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى
العلم بها ذكر عقيبه ماهو الحجة على نبوة محمد عليه السلم وهو القرآن المعجز بفصاحته
التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء
من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المغالبة
والمعارة وعرف بما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما
نزلنا لان نزوله نجما نجما بحسب الوقايع على مايرى عليه اهل الشعر والخطابة مما
يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان
الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها

بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة
الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية
منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها
او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على مافيها او من السورة التي هي الرتبة
قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل
والمراتب يترقى فيها القاري او لهامراتب في الطول والقصر والفضل والشرف
وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطيعة
من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب
النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس
ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه
اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده
وابتهج به الى غيرها من الفوائد **مِّن مِّثْلِهِ** صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا ومن التبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة
للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن
هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا
والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير
آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لاينفك عنه ليتسق الترتيب
والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ
في التحدي من ان يقال لهم لياتي بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا
بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لاياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على
صفته ولايلايمه قوله **وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ** فانه امر بان يستعينوا
بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او

الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضرهم الامور اذ التركيب للحضور
اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه
او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه
ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب
فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في
كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا
من دون المومنين اي لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية الكافرين وقال امية
يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة
بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم
وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء
يشهدون لكم بان ما آتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت
العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او آلهة
وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم
من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهو دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا
بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من
دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما آتيتم به مثله
فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله **ان كنتم**
صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار
المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين
في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد
لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا**
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول
وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم

في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به
واجب فآمنوا واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل
الذي يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني
عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي
للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم
ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب
ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال
مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف
الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما
ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل
في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت
الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح
قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر
سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان
اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر
كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها
انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم بها
ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشا جرمهم
كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب
والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بهما وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع
من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال
للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث يتقد بما لا يتقد به غيرها
والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما فلعله

اراد به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لساير النيران ولما كانت الاية مدنية
نزلت بعدما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة
وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعدت من العتاد
بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها
وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على صحة النبوة من
وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة
بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من
سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة
لم يتصدوا للمعارضة والتجؤا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني يتضمنهما الاخبار
عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون
فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه الصلوة لو شك في امره
لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله
اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا**
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف
حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت
به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي
وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له
ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه
بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن
به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول
عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة
كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم

وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر
السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول
حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق
اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم
او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات
الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها
على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم
عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين
فان الايمان الذي هو عبارة عن التصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء
باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان
اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض
وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر
جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة
كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا
اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما
فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان
النعم كما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان
الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة
النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب
ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام يدل على استحقاقهم
اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة
فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده لا

على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلم
لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيدها هنا استغناء بها
تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تريها جارية تحت الاشجار النابتة
على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما
في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة
في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع
فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على
الاضمار او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تع واخرجت
الارض اثقالها **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا** صفة
ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات
وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس آخر فازيح بذلك وكلما
نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع
الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا
من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة
فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل
ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع
ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة
منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى
هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف
ابو حنيفة **من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا
لتميل النفس اليه اول ما رات فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره
وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا

كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة
فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون
واحد والطعم مختلف او لما روي انه عليه السلم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل
من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها
مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظة على
عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم
وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة
واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين
فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او
فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغنى والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه
هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس
رضي الله عنهما ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في
الهيئة واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية
محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف
والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي
رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا
في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم فيها ازواج مطهرة**
مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء
الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال
واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل

والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان
قيل فايدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفايدة المنكوح التوالد وحفظ
النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وساير احوالها
انما تشارك نظايرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باساميها
على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع
ما يلزمها وتفيد عين فايدتها **وهم فيها خالدون** دايمون والخلد والخلود في الاصل
الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى
من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد
في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا
او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار
كاطلاق الجسم على الانسان لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من
الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات
المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى
يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية
متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك
بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله
على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم
اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال
كانت منغصة غير صافية من شوايب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في
الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على
كمالهم في التنعم والسرور **إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً** لما كانت
الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له

والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في
العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف
المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه
الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من
الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب
الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل
العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر
بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في
كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت
الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب
وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب
واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت
وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من
كفر به ووعد من آمن بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا
يستحيي ان لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها
والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي
هي الجراءة على القبايح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن
الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن
افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتل نساه وحشاه واذا
وصف به الباري كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان
يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما
خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة
المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحيين

الماء يعرض نفسه كرعن يسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من
التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في
كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان
بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد
حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق
التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى
فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم
يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة
في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا
حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على
انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجها آخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها
كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب
بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم ضرب
الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب الله به المثل بل له ان
يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار ودينارين
والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا
النوع كالخموش **فما فوقها** عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد
عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه
لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او المعنى الذي جعلت فيه
مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره
في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي
الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما جاوز الشوكة في الالم

كالخرور

كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن
من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة **فاما الذين آمنوا فيعلمون انه
الحق من ربهم** اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط
ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها
الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط
لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين
على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره
يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر
اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج **واما الذين كفروا فيقولون** كان من حقه
واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا
دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى
الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء
منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول
والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها
الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع
الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري به ولذلك اختلف
في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى
هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه
الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر
وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهو اعم من الاختيار
فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او

الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا** جواب ماذا اي اضلالا
كثيرا واهداء كثيرا وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدي وبيان وان الجهل
بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين
بالنظر الي انفسهم لا بالقياس الي مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الي
اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة
الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا
عدوا كثير اذا اشتدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ اي الخارجين عن حد الايمان لقوله ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج
عن القصد قال روبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج
عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولي التغابي وهو ان يرتكبها احيانا
مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة
الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه
خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي والانهماك
فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمي الايمان ولقوله تعالى
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا
بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص
الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم
الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه
افكارهم عن حكمة المثل الي حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت
ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع

الذين

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ
التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد
يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل
كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الي ما هو من روادفه وهو ان العهد
حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف
منه الناس فان فيه تنبيها علي انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الي افادته والعهد
الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من
حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ
بالعقل وهو الحجة القائمة علي عباده الدالة علي توحيده ووجوب وجوده وصدق
رسوله عليه الصلوة وعليه اول قوله تعالى واشهدهم علي انفسهم اما الماخوذ بالرسل
علي الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا
امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
ونظايره وقيل عهود الله ثلاثة عهد اخذه علي جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد
اخذه علي النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه علي العلماء بان يبينوا
الحق ولا يكتموه **مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ** الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي
الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام
والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله كقطع
الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب
في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه
يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر
هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي
هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب

والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض
على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في
حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح
والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار
الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة
فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى
في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين
كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات
ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على
اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا
ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم
وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي
ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ الصور او للسؤال
في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم
للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا
فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه ترجعون قلت تمكنهم من العلم
بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية
تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم
ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه
لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك

بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك
النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد الاماتة
من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة
الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان
المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم
بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان
يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف
يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم
يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما
يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها
وفيما يختص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها
كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله
يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته يقتضي
يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها
خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستمتاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط
او غير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلايمها من لذات الآخرة
والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من
حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص

بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد
وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسماء جهة
العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ** قصد اليها بارادته
من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء
واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء
ولا يمكن حمله لانه عليه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة
المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية
او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق
الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر
قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخير دحو الارض المتقدم على
خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستانف بدحيها مقررا لنصب الارض
فعلا آخر دل عليه انتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه
خلاف الظاهر **فَسَوَّاهُنَّ** عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن
ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فبهم يفسره ما بعده
كقولهم ربه رجلا **سَبْعَ سَمَاوَاتٍ** بدلا او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد
اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزايد مع
انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف **وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** فيه تعليل
كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه
الانفع والاستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق
كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع
لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان
بعد ما تفتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما شاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن

مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان
ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات
وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع
والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات
يابى ان يزول ويتغير واما الثانيه والثالثه فانه عالم بها وبمواقعها قادر على
جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو
اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا
مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك
دليل على تناهي علمه وكمال الحكمة جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع برواية
قالون وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد **وَإِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم
فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود انعام يعم ذريته
واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة
يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها
بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما
من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد ونحوه فعلى تاويل
اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية
قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل
عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدء خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة
على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك على الاصل
كالشمايل والشمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم
وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في

حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين
الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل
كانوا يرونهم كذلك وقالت طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية
المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة
منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال
بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون
والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء
وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات
امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم
الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن
كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث
اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير والجبال وجاعل
من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال
ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره
وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلم لانه كان خليفة
الله في الارض وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل
نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه
عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم
بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى
رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا عليه الصلوة ليلة المعراج
ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد
وجعل البارى تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي

ذلك

ذلك او الخليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف
بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي
القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفايدة
قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان
ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد
بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير
الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها
او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من
الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم
كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن
في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل
عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من
الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او
قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من
الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في
الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ
يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا
محذوفا اي يسفك الدماء فيهم **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** حال مقررة
لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدايك وانا الصديق المحتاج والمعنى
اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب
والتفاخر كانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية

وغضبية تؤديان به الي الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعو الي المعرفة والطاعة
ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين
لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن
نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة
كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة علي الخير
كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوي والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد
ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج
منافع الكائنات من القوة الي الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف
واليه اشار تعالي اجمالا بقوله **قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** والتسبيح تبعيد الله
عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا
ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار
وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك علي ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا
لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الي انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك
الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك
واللام مزيدة **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء
في روعه ولا يفتقر الي سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه
العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالح واشتقاقه
من الادمة او الادمة بالفتح بمعني الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه
السلام انه تعالي قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم
فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعني الالفة تعسف كاشتقاق
ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة للشيء او دليلا يرفعه الي الذهن من الالفاظ والصفات

والافعال

والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعني سواء كان مركبا او مفردا مخبرا
عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال علي معني في نفسه غير مقترن
باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول
لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف علي العلم بالمعاني والمعني انه
خلقه من اجزاء مختلفة وقوي متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من
المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء
وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها **ثُمَّ
عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ** الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير
اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام
كقوله واشتعل الراس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا
يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء
او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقري عرضهن
وعرضها علي معني عرض مسمياتهن او مسمياتها **فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ**
تبكيت لهم وتنبيه علي عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة
بتل تحقق المعرفة والوقوف علي مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال
وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام
ولذلك يجري مجري كل واحد منهما **إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** في زعمكم انكم احقاء
بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو
وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الي الكلام باعتبار
منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار
يعتري الانشاءات **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا** اعتراف بالعجز
والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان
لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما

عرفهم وكشف لهم ما اعتقد عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان
مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري
علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير
الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني
كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم
لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف
كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ
في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده
والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة يا
وحذفها بكسر الها فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم
غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار
لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط يكون كالحجة عليه فانه تعالى
لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة
والباطنة علم ما لا تعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان
يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا
افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة
للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات
تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة
بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم
عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على
الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له

معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان
قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر
قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء
منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم
بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان
يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق
ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة
باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل
تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد
لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على
قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى
وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما خلقه
بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم
الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات
ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا
لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام
فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم
تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل

ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم
او طائفة منهم ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به
استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او
يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل
نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين** اي في علم
الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل
لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب
وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه
وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا
يرد ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا
ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضي الله عنهما روي ان من الملائكة ضربا يتوالدون
يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا
نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا
مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانهم اذا علم ان الاكابر
مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير
في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان
من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس
معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين
بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن
يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فلذلك
صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان
من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن

من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام قال خلقت الملائكة من
النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر
المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه
من فرط الاحراق والحرارة فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى
نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان
الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى
ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على
الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله
انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال
مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري **وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة** السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد
اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم
والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن
زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان
خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما
في قوله تعالى اهبطوا مصرا **وكلا منها رغدا** واسعا رافها صفة مصدر محذوف
حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر
في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر **ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي
هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها
على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو
مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حرم عليهما
مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب

المعاصي او بنقص حظها بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء يفيد
السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او
الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا يعين من غير قاطع
كما لم يعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا
بكسر التاء وهذي بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما عن الشجرة
وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان
في المعنى غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف
في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف
توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول
على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء
لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم
يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه
فازلهما والعلم عند الله تعالى **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الكرامة والنعيم **وقلنا
اهبطوا** خطاب لآدم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا
الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها
للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغنى
فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله **ولكم
في الارض مستقر** موضع استقرار او استقرار **ومتاع** تمتع **الى حين** يريد به
وقت الموت او القيمة **فتلقى آدم من ربه كلمات** استقبلها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته

وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم
تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان
تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك
باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة **فتاب عليه** رجع عليه بالرحمة
وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف
بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له
في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن **انه هو التواب**
الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع
فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى
اريد به الرجوع من العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين
الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها جميعا**
كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية
يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى
الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين
الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن
بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل
الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال
في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم
على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا **فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط
الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه

حب

معني الطلب والمعني ان ياتينكم مني هدي بانزال وارسال فمن تبعه منكم نجا
وفاز وانما جي بحرف الشك واتيان الهدي كاين لانه محتمل في نفسه غير واجب
عقلا وكرر لفظ الهدي ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهي ما اتي به
الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل
فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولاهم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا
عليه والخوف علي المتوقع والحزن علي الواقع نفي عنهم العقاب واثبت لهم الثواب
علي اكد وجه وابلغه وقري هدي علي لغة هذيل ولا خوف بالفتح **وَالَّذِينَ**
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ عطف علي فمن
تبع الي اخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات
جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الي الجاد والمجرود والاية
في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل علي وجود
الصانع وعلمه وقدرته ولكل طايفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين اياً من اي او من اوي اليه واصلها اية
او اوية كتمرة فابدلت عينها علي غير قياس او اية او اوية كرمكة فاعلت او
آيية كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها
والمعقولة تنبيه وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة علي عدم عصمة الانبياء
من وجوه الاول ان آدم كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني
انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله علي الظالمين
والثالث انه تعالي سند اليه العصيان والغي وقال وعصي آدم ربه فغوي والرابع
انه تعالي لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لولم يذنب لم يجر عليه ما جري والجواب
من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان

النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولي له واما اسناد
الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه انشاء الله تع وانما امر
بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجري عليه ما جري معاتبة له علي ترك الاولي ووفاء
بما قاله للملايكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالي فنسي ولم نجد
له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن
الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلم اشد الناس بلاء الانبياء
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادي فعله الي ما جري عليه علي طريق السببية
المقدرة دون المواخذة كتناول السم علي الجهل بشانه لا يقال انه باطل بقوله تعالي
ما نهيكما ربكما وقاسمهما الايتان لانه ليس فيهما ما يدل علي ان تناوله حين ما قاله
ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله
تعالي الي ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلم اقدم
عليه بسبب اجتهاد خطاء فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الي عين
تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الي النوع كما
روي انه عليه السلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان علي ذكور امتي
حل لاناثها وانها جري عليه ما جري تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده
وفيها دلالة علي ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان
متبع الهدي مامون العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وان غيره
لا خلد فيه بمفهوم قوله تع هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلايل التوحيد
والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث
انها حوادث محكمة تدل علي محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث
ان الاخبار بها علي ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا
منها اخبار بالغيب معجز يدل علي نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها علي خلق
الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل علي انه قادر علي الاعادة كما كان

قادوا علي الابد، خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم
ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل
عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه
ولذلك ينسب المصنوع الي صانعه فقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب
يعقوب عليه السلم ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل
بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء **اذكروا نعمتي التي**
انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان
الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الي ما انعم الله علي غيره حمله الغيرة
والحسد علي الكفران والسخط وان نظر الي ما انعم الله تعالي عليه حمله حب
النعمة علي الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم علي آبائهم من الانجاء من
فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلعم
وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو
مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة
اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الي المعاهد والمعاهد
ولعل الاول مضاف الي الفاعل والثاني الي المفعول فانه تعالي عهد اليهم
بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب علي
حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي
الشهادة ومن الله حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد
بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالي الفوز باللقاء الدائم
وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه الصلوة
اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك
الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة علي الطريق المستقيم
اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الي الوسايط وقيل كلاهما مضاف

الي المفعول والمعني اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما
عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالي ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل الي قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة **واياي**
فارهبون فيما ياتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة
التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة
علي تضمن الكلام معني الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة
خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة علي وجوب الشكر والوفاء
بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا غير الله **وآمنوا بما انزلت مصدقا**
لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود
وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب
ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الي التوحيد والامر
بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها
من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل
واحدة منها حق بالاضافة الي زمانها مراعي فيها صلاح من خوطب بها حتي
لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل علي وفقه ولذلك قال عليه السلم لو كان
موسي حيا ما وسعه الا اتباعي تنبيه علي ان اتباعها لا ينافي الايمان
به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** بان الواجب
ان يكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه
والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير
اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا
حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب
قلت المراد به التعريض لا الدلالة علي ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست
بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من

كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله أوأل من وال فابدلت همزته واوا تخفيفا عن قياس او أأول من آل فقلبت همزته وادغمت **وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا** ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الي ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة علي ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوي ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك وبالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوي الذي هو منتهاه .

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ عطف علي ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعني لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتي لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله **وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ** جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس علي من سمع الحق والاخفاء علي من لم يسمعه او نصب باضمار ان علي ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعني كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل علي ان الكفار مخاطبون بها والزكوة

من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعني الطهارة فانها يطهر المال من الخبث والنفس من البخل **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** اي في جماعاتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ** تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل بر في عبادة الله تعالي وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب **وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون **وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ** تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد علي العناد وترك البر ومخالفة القول العمل **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله علي ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية علي من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابي عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ علي تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعني استعينوا علي حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا علي الله تعالي او بالصوم الذي هو صبر عن

المنظرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجا اليها
فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الي الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح
واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن
والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتي تجابوا الي تحصيل المآرب
وجبر المصايب روي انه عليه السلم اذا حزبه امر فزع الي الصلوة ويجوز ان يراد
بها الدعا. **وَانَّهَا** اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها
لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لَكَبِيرَةٌ**
لثقيلة شاقة لقوله تعالي كبر علي المشركين ما تدعوهم اليه **اِلَّا عَلَي الخَاشِعِينَ**
اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع
اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب **اَلَّذِينَ**
يَظُنُّونَ اَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَاَنَّهُمْ اِلَيْهِ رَاجِعُونَ اي يتوقعون لقاء الله تع
ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الي الله تع فيجازيهم ويؤيده ان في
مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه
لتضمين معني التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط
ما بين الشراسيف جايف وانما لم تثقل عليهم ثقلها علي غيرهم لان نفوسهم
مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها وتستلذ
بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلم وجعلت قرة عيني في الصلوة **يَا بَنِي**
اِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ كرره للتاكيد وتذكير التفضيل
الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها
واخل بحقوقها **وَاَنِّي فَضَّلْتُكُمْ** عطف علي نعمتي **عَلَي العَالَمِينَ** اي عالمي
زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسي عليه السلم وبعده
قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا

مقسطين

مقسطين واستدل به علي تفضيل البشر علي الملك وهو ضعيف **وَاتَّقُوا يَوْمًا**
اي ما فيه من الحساب والعذاب **لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** لا تقضي عنها
شيا من الحقوق او شيا من الجزاء فيكون نصبه علي المصدر وقرئ لا تجزئ
من اجزأ عنه اذا اغني وعلي هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع
تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعايد منها محذوف
تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العايد المجرور قال اتسع فيه فحذف
عنه الجار واجري مجري المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ اي من النفس الثانية العاصية
او من الاولي وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل
فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره
والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره
وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي
الفدية لانها سويت بالمفدي **وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** يمنعون من عذاب الله والضمير لما
دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره
بمعني العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسك
المعتزلة بهذه الآية علي نفي الشفاعة لاهل الكباير واجيب بانها مخصوصة
بالكفار للآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية
نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم **وَاِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ**
فِرْعَوْنَ تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف علي نعمتي
عطف جبرئيل وميكائيل علي الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الي اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك
العمالقة ككسري وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل

اذا عتى وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون
يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعماية سنة **يسومونكم** يبغونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء **سوء**
العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه
على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او
منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم**
بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك
لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد
اجتهادهم من قدر الله شيئا **وفي ذلكم بلاء** محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة
ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة
وتارة بالنعمة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان
الشائع بينهما **من ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم
او بهما **عظيم** صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر
اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير
المختبرين **واذ فرقنا بكم البحر** فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت
فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا
الجماجم والتربا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر
بعدد الاسباط **فانجيناكم واغرقنا آل فرعون** اراد به فرعون وقومه
واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن
كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه
وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق
يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي
انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم

على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر
طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله
فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا
اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من
اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود
الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس
وحسن الاتباع عن امة محمد عليه افضل الصلوات مع ان ما تواتر من معجزاته
امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته
على ما مر تقريره **واذ واعدنا موسى اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد
هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع
وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى
المجيء للميقات الى الطور **ثم اتخذتم العجل** الها معبودا **من بعده** من
بعد موسى او مضيه **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم
والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس **من بعد ذلك** اي الاتخاذ **لعلكم تشكرون**
لكي تشكروا عفوه **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** يعني التورية
الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته
الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع
الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان
يريد يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات
واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت

ومتميزا بعضها عن بعض بصور وهيآت مختلفة واصل التركيب للخلوص الشيء عن غيره
اما على سبيل التقصي كتبري المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء
كقولهم برا الله آدم من الطين او فتوبوا **فاقتلوا انفسكم** تماما لتوبتكم بالبخع
او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل
امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان
الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشف السحابة
ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب
ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية
والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى
لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته
خطابا من الله لهم على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم
وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى
تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم
يعرف حق منعمه حقيق بان يسلب منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **انه
هو التواب الرحيم** الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في
الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** لاجل قولك او لن نقر لك
حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او
المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون
حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف
من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي **فاخذتكم
الصاعقة** لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه

الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحيان المقابلة للرائي وهي
محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد
من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل
صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة **وانتم
تنظرون** ما اصابكم بنفسه او اثره **ثم بعثناكم من بعد موتكم** بسبب الصاعقة
وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله ثم بعثناهم **لعلكم تشكرون**
نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة **وظللنا عليكم الغمام**
سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه **وانزلنا عليكم المن
والسلوى** الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من
الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون
في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **كلوا من طيبات ما رزقناكم**
على ارادة القول **وما ظلمونا** فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره
واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد
التيه **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** واسعا ونصبه على المصدر او الحال
من الواو **وادخلوا الباب** اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون
اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلم **سجدا** منحنين
مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا حطة** اي
مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل
بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل
معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها **نغفر لكم خطاياكم**
بسجودكم ودعائكم قرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا
اصله خطايي كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد

الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية يا ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين
الفتين فابدلت يا وعند الخليل قدمت الهمزة علي اليا ثم فعل بهما ما ذكر
وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسي وسبب زيادة الثواب للمحسن
واخرجه عن صورة الجواب الي الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله
فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل
لهم** بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا
فانزلنا علي الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال
عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او علي انفسهم بان تركوا ما يوجب
نجاتها الي ما يوجب هلاكها **رجزا من السماء بما كانوا يفسقون**
عذابا مقدرا من السما بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك
الرجس وقري بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة
اربعة وعشرون الفا **واذ استسقى موسى لقومه** لما عطشوا في التيه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد علي ما روي انه كان حجرا
طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين
في جدول الي سبط وكانوا ستماية الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او
حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الي شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي
فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله به عما رموه من الادرة فاشار
اليه جبرئيل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامر ان يضرب حجرا
بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الي ارض لا حجارة بها حمل حجرا في
مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك
لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة
اذرع علي طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة **فانفجرت**

منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت
او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقري عشرة بكسر الشين وبفتحها
وهما لغتان فيه **قد علم كل اناس** كل سبط **مشربهم** عينهم التي يشربون
منها **كلوا واشربوا** علي تقدير القول **من رزق الله** يريد به ما رزقهم من
المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويوكل مما ينبت به
ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان
غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله
ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه
العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله
بالله وقلة تدبره في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق
الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء
من تحت الارض او لجذب الهوا من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك
واذ قلتم يا موسى لن نصبر علي طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه
من المن والسلوى وبوحدته انها لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مايدة الامير
واحد يريدون انها لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام
اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الي عكرهم واشتهوا ما الفوه **فادع لنا
ربك** سله لنا بدعايك اياه **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع
فان دعوته سبب الاجابة **مما تنبت الارض** من الاسناد المجازي واقامة
القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثايها وفومها وعدسها
وبصلها** تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل
ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي توكل والفوم الحنطة ويقال
للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقري قثايها بالضم وهو لغة فيه **قال** اي الله
او موسى **اتستبدلون الذي هو ادنى** اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو

القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنا من الدنائة **بالذي هو خير** يريد به المن والسلوي فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الي السعي **اهبطوا مصرا** انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او علي تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود رضي الله عنهما وقيل اصله مصرائيم فعرب **فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة** احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين علي الحائط مجازاة لهم علي كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما علي الحقيقة او علي التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم **وباؤا بغضب من الله** رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الي ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق** بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوي وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيي وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم علي ذلك اتباع الهوي وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الي الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الي ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الي تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة علي ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الي الكفر والقتل

والباء بمعني مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الي شيئين فصاعدا علي تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليس علي الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعني الجمع **ان الذين آمنوا** بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلوات الله عليه المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة **والذين هادوا** تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهودا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب **والنصاري** جمع نصران كالندامي والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها **والصابئين** قوم بين النصاري والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلم وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من ساير الاديان الي دينهم او من الحق الي الباطل **من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا** من كان منهم من دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضي شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا **فلهم اجرهم عند ربهم** الذي وعدلهم علي ايمانهم وعملهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون علي تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معني الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالي ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم **واذ اخذنا ميثاقكم** باتباع موسي والعمل بالتورية **ورفعنا فوقكم الطور** حتي اعطيتم الميثاق روي ان موسي عليه السلم

لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلم بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا **خذوا** على إرادة القول **ما آتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه** ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به **لعلكم تتقون** لكي تتقوا المعاصي أو رجاء منكم أن تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف أي قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا **ثم توليتم من بعد ذلك** أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه **لكنتم من الخاسرين** المغبونين بالانهماك في المعاصي أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فإذا دخل على لا أفاد إثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت** اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا بأن يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلم واشتغلوا بالصيد وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها أيلة وإذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه وإذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله كونوا ليس بأمر إذ لا قدرة لهم عليه وإنما المراد به سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة **فجعلناها** أي المسخة أو العقوبة **نكالا** عبرة تنكل المعتبر بها

أي تمنعه ومنه النكل للقيد **لما بين يديها وما خلفها** لما قبلها وما بعدها من الأمم إذ ذكرت حالهم في زبر الأولين واشتهرت قصتهم في الآخرين أو لمعاصريهم ومن بعدهم أو لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لأهل تلك القرية وما حواليها أو لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها **وموعظة للمتقين** من قومهم أو لكل متق سمعها **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** أول هذه القصة قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وإنما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال وقصته أنه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله **قالوا أتتخذنا هزوا** أي مكان هزؤ أو أهله أو مهزوا بنا أو الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة وإسماعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا **قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** لأن الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** أي ما حالها وصفتها وكان حقه أن يقولوا أي بقرة هي أو كيف هي لأن ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما أمروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله **قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر** لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة **عوان** نصف قال نواعم بين أبكار وعون **بين ذلك** أي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف إليه بين فإنه لا يضاف إلا إلى متعدد وعود هذه الكنايات وإجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن أنكر ذلك زعم أن المراد بها

بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل
فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراي الثاني
ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا
علي انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله **فافعلوا**
ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعني تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
او امركم بمعني مأموركم **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها**
بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع
كما يقال اسود حالك وفي اسناده الي اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل
تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد
وبه فسر قوله تعالي جمالات صفر قال الاعشي تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها
كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل
تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعني لا تؤكد بالفقوع **تسر الناظرين**
اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زايد
وقوله **ان البقر تشابه علينا** اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين
والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر
والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها علي التذكير
والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا ويشبه بمعني تتشبه وتشبه بالتذكير
ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومتشبه **وانا ان شاء الله لمهتدون**
الي المراد ذبحها او الي القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد
واحتج به اصحابنا علي ان الحوادث بارادة الله تعالي وان الامر قد ينفك عن الارادة
والا لم يكن للشرط بعد الامر معني والمعتزلة والكرامية علي حدوث الارادة واجيب
بان التعليق باعتبار التعلق **قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض**

ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعني غير
ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولي والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول
مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا
جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقي **مسلمة** سلمها الله من العيوب او
اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له **لا شية فيها** لا لون
فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا آخر **قالوا الآن جئت بالحق** اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها
لنا وقرئ الآن بالمد علي الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها علي اللام
فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها **وما كادوا**
يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء
ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتي بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعكها لابني حتي يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها
اليتيم وامها حتي اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد
من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات
مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كساير الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله
فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعني انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتي انتهت سؤالاتهم وانقطعت
تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجي الي الفعل **واذ قتلتم نفسا** خطاب الجمع لوجود
القتل فيهم **فادارأتم فيها** اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا
او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الي صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء
في الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله مخرج ما كنتم تكتمون** مظهره لا محالة
واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية **فقلنا**
اضربوه عطف علي ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير علي تاويل
الشخص او القتيل **ببعضها** اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها

وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل
علي ماحذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية
ويريكم آياته دلايله علي كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا
ان من قدر علي احياء نفس قدر علي احياء الانفس كلها او تعملوا علي قضيته
ولعله تعالي انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ماشرط لما فيه من التقرب واداء الواجب
ونفع اليتيم والتنبيه علي بركة التوكل والشفقة علي الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي
انه ضحى بنجيبة بثلث مائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله والاسباب امارات
لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدي عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي
فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي
ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رايقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا
مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل اثره الي نفسه فيحيى
حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء
والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر
وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد
ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين
القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة
مثل الحجارة او زايد عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا
علي الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة علي اشتداد القسوتين
واشتمال المفضل علي زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها
شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله

تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة يتاثر وينفعل وان منها ما يتشقق فينبع
منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردي من اعلي الجبل انقيادا لما اراد الله به
وقلوب هؤلاء لا يتاثر ولا ينفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية
مجاز عن الانقياد وقرئ ان علي انها المخففة من المثقلة ويلزمها اللام الفارقة
لها عن النافية وهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد علي ذلك وقرأ
ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر وحماد بالياء ضما الي ما بعده والباقون
بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوا
لكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طايفة من اسلافهم
يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية
الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا
كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه
اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون
ومعنى الآية ان اخبار هؤلاء ومقدميهم كانوا علي هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم
وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين
آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم علي الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية
واذا خلا بعضهم الي بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين علي من نافق
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما
وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام علي الاول تقريع وعلي الثاني
انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه
وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم

في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها **افلا تعقلون** اما من تمام كلام اللاعبين
وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين
متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في
ايمانهم **اولا يعلمون** يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم
الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه
ومعانيه **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب** جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا
التورية ويتحققوا ما فيها **الا اماني** استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي
في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب
وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من
المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة
المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وهو لا
يناسب وصفهم بانهم اميون **وان هم الا يظنون** ما هم الا قوم يظنون لا علم
لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم
به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة **فويل** اي تحسر وهلك
ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل
له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ
الابتداء به نكرة لانه دعاء **للذين يكتبون الكتاب** يعني المحرف ولعله اراد به
ما كتبوه من التأويلات الزائغة **بايديهم** تأكيد كقولك كتبته بيميني **ثم يقولون**
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا
فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم **فويل لهم**
مما كتبت ايديهم يعني المحرف **وويل لهم مما يكسبون** يريد الرشى **وقالوا لن**

نصف

تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك
يقال المسه فلا اجده **الا اياما معدودة** محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب
بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة
وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما **قل اتخذتم عند الله عهدا** خبرا او وعدا
بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه **فلن يخلف**
الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال **ام تقولون على الله ما لا تعلمون** ام
معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع
احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع **بلى** اثبات لما نفوه
من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على
بطلان قولهم ويختص بجواب النفي **من كسب سيئة** قبيحة والفرق بينها وبين
الخطيئة انها تغلب فيما يقصد بالعرض لانه من الخطأ والكسب استجلاب النفع
وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم **واحاطت به خطيئته**
اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه
وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقراره
فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا
ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي
عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا
ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان
عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته
وخطياته على القلب والادغام فيهما **فاولئك اصحاب النار** ملازموها في الآخرة
كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا **هم فيها خالدون** دائمون او لابثون لبثا
طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها **والذين آمنوا**

وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه
على أن يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الإيمان
يدل على خروجه عن مسماه. وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا
الله إخبار في معنى النهي كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من صريح النهي
لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا
وعطف قولوا عليه فيكون على إرادة القول وقيل تقديره أن لا تعبدوا فيكون
بدلا عن الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه
قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء
حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لأنهم غيب. وبالوالدين إحسانا متعلق
بمضمر تقديره وتحسنون أو أحسنوا. وذي القربى واليتامى والمساكين عطف
على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون
كأن الفقر أسكنه. وقولوا للناس حسنا أي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة
وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة أهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر كبشرى
والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض
عليهم في ملتهم. ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم
في عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه. إلا
قليلا منكم يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم. وأنتم
معرضون قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الإعراض الذهاب
عن المواجهة إلى جهة العرض. وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون أنفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم
بعضا بالقتل والإجلاء عن الوطن وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله
به نسبا أو دينا أو لأنه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم
وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه القتل في

الحقيقة

الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي. ثم أقررتم
بالميثاق واعترفتم بلزومه. وأنتم تشهدون توكيد كقولك أقر فلان شاهدا على
نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم فيكون إسناد
الإقرار إليهم مجازا. ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به
والشهادة عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون
كقولك أنت ذاك الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم
باعتبار ما أسند إليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون
أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم إما حال والعامل فيها معنى الإشارة
أو بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة
صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير. تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان
حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم
والكسائي وحمزة بحذف إحدى التاءين وقرئ بإظهارهما وتظّهرون بمعنى تتظهرون.
وإن يأتوكم أسارى تفادوهم روي أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير
حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء
أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه إن يأتوكم أسارى
في أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم
كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير كجريح
وجرحى وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا جمع أسير وكأنه شبه
بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم. وهو
محرم عليكم إخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما
بينهما اعتراض والضمير للشأن أو مبهم ويفسره إخراجهم أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون
من المصدر وإخراجهم تأكيد أو بيان. أفتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء
وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والإجلاء. فما جزاء من يفعل ذلك منكم

الإثم الفعل الذي يستحق عليه اللوم والعدوان التجاوز في الظلم

الآخرة في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية
على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيي منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون
تاكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية
المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر
ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة
آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا
والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب
التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا
رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب
وآتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم
بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير
لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه
بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل
او روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك
اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث او الانجيل او اسم
الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع
القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر
هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء
وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان
يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع
الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون

كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس
فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل
محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف
مغشاة بغطية خلقية لا تصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف
الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا
تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم
الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول
الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقول له
لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم
كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون
فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب
وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق
لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب
لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان
المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب
زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل سال ذلك عن نفسه فلما
جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله
على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون
اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم
بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا
صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من
العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما

ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل أَن يُنَزِّلَ اللّٰهُ لان ينزل
اي حسدوه على ان ينزل الله مِن فَضْلِهِ يعني الوحي عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
على من اختاره للرسالة فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ للكفر والحسد على من هو
افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللّٰهُ يعم جميع الكتب المنزلة باسرها قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا
أُنزِلَ عَلَيْنَا اي بالتورية وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ حال من الضمير في قالوا ووراء
في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الي الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه
والي المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وَهُوَ الْحَقُّ الضمير
لما وراءه والمراد به القرآن مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ حال مؤكدة تتضمن ردّ مقالهم
فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّٰهِ مِن
قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية
والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون
عليه وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ يعني الآيات التسع المذكورة في قوله
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ اي الها مِن
بَعْدِهِ بعد مجيء موسى او ذهابه الي الطور وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ حال بمعنى اتخذتم العجل
ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم
ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم
مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا
اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قَالُوا سَمِعْنَا
قولك وَعَصَيْنَا امرك وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ تداخلهم حبه ورسخ
في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن

وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بِكُفْرِهِمْ
بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما [illegible] اعجب منه
فتمكن في قلوبهم ما سوّل لهم السامري قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ اي بالتورية
والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر وما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات
الثلث الزاما عليهم إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ تقرير للقدح في دعويهم الايمان بالتورية
وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح ورخص لكم ايمانكم بها او ان
كنتم فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه
لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ
عِندَ اللّٰهِ خَالِصَةً خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها
على الحال من الدار مِّن دُونِ النَّاسِ سايرهم او المسلمين واللام للعهد فَتَمَنَّوُا
الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب
التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي لا ابالي سقطت على
الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا
وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على
التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية
ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها
اكثر منافعه عبّر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب
وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر وان التمني ليس من عمل القلب ليخفى
بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي
وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما
ليس لهم ونفيه عمن هو لهم وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ من وجد

بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه بهم واحرص ثنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها
وهي الحيوة المتطاولة وقري باللام **ومن الذين اشركوا** محمول على المعنى فكانه قال
احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد
اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم
وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون الي النار
ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون
خبر مبتدا محذوف صفته **يود احدهم** على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم
قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاول بيان لزيادة حرصهم
على طريق الاستيناف **لو يعمر الف سنة** حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت
وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه
اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه
او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة
لقولهم سانهته وسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد
والله بصير بما يعملون فيجازيهم **قل من كان عدوا لجبريل** نزل في عبد
الله بن صوريا سال رسول الله عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا
عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر
فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره
بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود
يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه
صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال
وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة
فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو

احدهما فهو عدو لله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد
وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات وقري بهن اربع في المشهور
جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة
قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقين
واربع في الشواذ جبرائل وجبرايل وجبراييل ومنع صرفه للعجمة والتعريف
ومعناه عبد الله **فانه نزله** البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره
غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الي سبق ذكره
على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على
قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به **باذن الله** بامره
او بتيسيره حال من فاعل نزل **مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمؤمنين** احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من
عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته
اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب
واقيم علته مقامه او من عاداه فسبب عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف
مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال **من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين** اراد بعداوة الله
مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم
كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من
جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب
العداوة من الله وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم
وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا
نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقري ميكئيل

وميكال **ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون**
اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه
كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك **اوكلما عاهدوا عهدا**
الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا
وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ
عوهدوا وعهدوا **نبذه فريق منهم** نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما
ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض **بل اكثرهم لا يؤمنون** رد لما يتوهم
ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء **ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق لما معهم** كعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلم **نبذ
فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله** يعني التورية لان كفرهم بالرسول
المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل
المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن **وراء ظهورهم** مثل لاعراضهم
عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه **كانهم لا يعلمون**
انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون به عنادا واعلم انه تعالى دل
بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني
اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا
بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم
وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا
بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون
واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا
كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما
على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون

السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا
العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له **وما كفر سليمان** تكذيب لمن زعم ذلك
وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه **ولكن الشياطين
كفروا** باستعماله **يعلمون الناس السحر** اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد
بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك
لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام
والتعاون وبهذا يميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب
الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته
سحرا على التجوز او لما فيه من الرقة لانه في الاصل لما خفي سببه **وما انزل على
الملكين** عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع
اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتميزا
بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة
يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما
فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل
رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل
نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة **ببابل** ظرف او حال
من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة **هاروت وماروت**
عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت
بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما
اعتراض وقرئ على هما هاروت وماروت **وما يعلمان من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة فلا تكفر** فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا انما
نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان

فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير
محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى انا في ما يعلمانه حتى يقولا انما
مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من بعد ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى
وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل
بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل
غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز
عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين
بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة
من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا
يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقته ما يتبعه من
العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي
بقبح الفعل وترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم
فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا
بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب
لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب
الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل
عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من
الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما
سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب
الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول

الله راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه
به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي
راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو
انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار
اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظة الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا
ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا
واحسنوا الاستماع حتى لا يفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع
اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب
اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم
يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين
كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من
خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر
الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة
ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة
وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار
بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته
وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او
اليهود الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه
والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس
والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر
ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها
او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة

ثلاثة ارباع

على المفعولية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ اي ان نامرك او جبريل بنسخها او نجدها
منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نؤخرها من النسا، وقرئ ننسيها و
ينسها اي ينس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البنا للمفعول وننسكها
باظهار المفعولين **نات بخير منها او مثلها** اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب
او مثلها في الثواب وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا **الم تعلم ان الله على كل**
شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ او بما هو خير منه والآية دلت
على جواز النسخ او الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وعلى تاخير الانزال
وذلك لان الاحكام شرعت او الآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم
فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب
المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل
او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست
كذلك والكل ضعيف اذ يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره
والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ واحتج
المعتزلة على حدوث القرآن فان التغاير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما
من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القايم بالذات القديم **الم تعلم** الخطاب
للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم **ان الله**
له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على
قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير او على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها
على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا عن المنصور **ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى**
من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على
الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود

على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت
في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين
لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه **ومن يتبدل الكفر بالايمان**
فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى
الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد
وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل **ود كثير من اهل الكتاب**
يعني احبارهم **لو يردونكم** ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون اللفظ
من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين **حسدا** علة ود
من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم
لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل
نفوسهم **من بعد ما تبين لهم الحق** بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية
فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه **حتى ياتي**
الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة
واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر
غير مطلق **ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على الانتقام منهم **واقيموا**
الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة واللجا
الى الله بالعبادة والبر **وما تقدموا لانفسكم من خير** كصلوة او صدقة وقرئ
تقدموا من اقدم **تجدوه عند الله** اي ثوابه **ان الله بما تعملون بصير** لا يضيع
عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا **وقالوا** عطف على ود والضمير لاهل
الكتاب من اليهود والنصارى **لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى**
لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم
السامع وهود جمع هايد كعايذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار

اللفظ والمعنى **تلك أمانيهم** اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة **قل هاتوا برهانكم** على اختصاصكم بدخول الجنة **ان كنتم صادقين** في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت **بلى** اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة **من اسلم وجهه لله** اي اخلص له نفسه او قصده واصله العضو **وهو محسن** في عمله **فله اجره** الذي وعد له على عمله **عند ربه** ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** في الآخرة **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء** اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك **وهم يتلون الكتاب** الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب **كذلك** مثل ذلك **قال الذين لا يعلمون مثل قولهم** كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به **فالله يحكم بينهم** بين الفريقين **يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار **ومن اظلم ممن منع مساجد الله** عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا

اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية **ان يذكر فيها اسمه** ثاني مفعولي منع **وسعى في خرابها** بالهدم او التعطيل **اولئك** اي المانعون **ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين** ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترئوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره **لهم في الدنيا خزي** قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** بكفرهم وظلمهم **ولله المشرق والمغرب** يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا **فاينما تولوا** ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة **فثم وجه الله** اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه **ان الله واسع** باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده **عليم** بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة **وقالوا اتخذ الله ولدا** نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو **سبحانه** تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت

باقيه مادام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا
او طبعا **بل له ما في السموات والارض** رد لما قالوه واستدلال على فساده
والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه
الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولدا لان من حق الولد ان
يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب
اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز
ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة
الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء
على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك
يقتضي تنافيهما **بديع السموات والارض** مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن
ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة
وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه
مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا
والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي
هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرى
بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح **واذا قضى امرا** اي
اراده واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن
سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه
فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد
به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة
المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان
اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى مستغني عن ذلك واعلم ان

السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله
باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى
هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك
تقليدا ولذلك كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد **وقال الذين
لا يعلمون** اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب **لولا يكلمنا
الله** هلا يكلمنا كما تكلم الملايكة او يوحي الينا بانك رسوله **او تاتينا آية**
حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما آتاهم آيات استهانة
به وعناد **كذلك قال الذين من قبلهم** من الامم الماضية **مثل قولهم**
فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء **تشابهت
قلوبهم** قلوب هولاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرى بتشديد الشين
قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق
لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات
او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا **انا ارسلناك بالحق** ملتبسا
موئيدا به **بشيرا ونذيرا** فلا عليك ان اصروا او كابروا **ولا تسئل عن اصحاب
الجحيم** ما لهم لم يومنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسأل على انه
نهي للرسول عن السوال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكافر كانها لفظاعتها
لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السوال
والجحيم المتاجج من النار **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم** مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى
يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال
قل تعليما للجواب **ان هدى الله هو الهدى** اي هدى الله الذي هو
الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه **ولئن اتبعت اهواءهم** آراءهم
الزايغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا املته

والهوى رأي تتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم
صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين
آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة
اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه اولئك يؤمنون به
بكتابهم دون المحرفين وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد
بالموصول مؤمنو اهل الكتاب ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك
هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف
عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا
بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه
لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم
وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد
يطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله
التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون
الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات
وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار
والهجرة على انه تعالى عامله معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التي بعدها
وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل
هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن
كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه

اي اعطاه جميع ما دعا قال اني جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب
اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون
الكلمات ما ذكر من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته
بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان
والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته
مامورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول
وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها
الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها
من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي
الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم
لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها
البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان
الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد
نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس
مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره
وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله
حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث
ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا
لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة
محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه او الموضع
الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه
اليوم روي انه عليه الصلوة اخذ بيد عمر رضه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر

افلا تتخذه مصلى فنزل او مر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر
بركعتي الطواف لما روي جابر انه عليه السلم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم
فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في
وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها
مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ
الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة
يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان
طهرا ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان
والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين
عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ
قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن
كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات
من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص
قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق
على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف
الامامة والتقدم في الدين او مبتدا تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره
والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب لتقليله بان يجعله مقصورا
بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره
الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به
من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه
من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرا ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه
ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام
الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس

وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد
من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة
غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك
الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع
ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه
ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء
الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم شانها واسمعيل كان
يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا
يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا
وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا
ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين
من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان
او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية
من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما
خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا
بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق
على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا
الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلم ويجوز ان يكون من للتبيين
كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف
كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راي بمعنى ابصر
او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا
والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد
عن العادة وقرا ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف

(ربهما)

لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها **وَتُبْ عَلَيْنَا** استتابة لذريتهما
او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشاد الذريتهما **اِنَّكَ اَنْتَ**
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ لمن تاب **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ** في الامة المسلمة **رَسُولًا**
مِنْهُمْ ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه الصلوة فهو المجاب به دعوتهما كما قال
انا دعوة الي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي **يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ** يقرا عليهم
ويبلغهم ما يوحي اليه من دلايل التوحيد والنبوة **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**
القرآن **وَالْحِكْمَةَ** ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام **وَيُزَكِّيهِمْ** عن
الشرك والمعاصي **اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ** الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد **الْحَكِيمُ**
المحكم له **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ اِبْرٰهِيمَ** استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب
عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته **اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**
الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد
وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص
الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم
راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه
في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من
الضمير في يرغب لانه في معنى النفي **وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَاِنَّهُ فِي**
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في
الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع
لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ظرف لاصطفيناه
وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه
المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الي
الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلايله المؤدية الي المعرفة

(والدا)

الداعية الي الاسلام روي ان عبد الله بن سلام لما دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا
الي الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت **وَوَصّٰى بِهَا اِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ** التوصية
هي التقدم الي الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا
وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها
للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر
اوصى والاول ابلغ **وَيَعْقُوبُ** عطف على ابرهيم اي اوصى هو ايضا بها بنيه وقري
بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم **يَا بَنِيَّ** على اضمار القول عند البصريين
متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه نظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا
رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي
ويهوذ ويشسوخور وزبولون ودوني ونفتوني وكودا واوشير وبنيامين ويوسف
اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّينَ دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله
فَلَا تَمُوتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام
والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على غير تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات
على الاسلام كقوله لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم
لا على الاسلام موت لا خير فيه فان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر
وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان
يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت **اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ اِذْ حَضَرَ**
يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين
اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة
بمحذوف تقديره اكنتم غايبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى
ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر **اِذْ قَالَ لِبَنِيهِ** بدل
من اذ حضر **مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي** اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد

والاسلام واخذ ميثاقهم علي الثبات عليهما وما يسال به عن كل شئ مالم يعرف
واذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل
ما زيد افقيه ام طبيب **قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق**
المتفق علي وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا
للاب والجد اولانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس
رضي الله عنه هذا بقية آبائي وقري اله ابيك علي انه جمع بالواو والنون كما
قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابنياء او مفرد وابرهيم وحده عطف
بيان **الها واحدا** بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدة
التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف
علي المجرور والتاكيد او نصب علي الاختصاص **ونحن له مسلمون** حال
من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا **تلك امة قد خلت**
يعني ابرهيم ويعقوب وبنوهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة
لان الفرق تؤمها **لها ما كسبت ولكم ما كسبتم** لكل اجر عمله والمعنى ان
انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما ينتفعون بموافقتهم واتباعهم
كما قال عليه السلم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم **ولا تسالون**
عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم
وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغايب لاهل الكتاب وللتنويع
والمعنى مقالهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى **تهتدوا** جواب الامر **قل بل ملة ابرهيم** اي بل نكون ملة
ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا او
عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته **حنيفا** مايلا عن الباطل الي الحق
حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه

وهم مشركون **قولوا آمنا بالله** الخطاب للمومنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به **وما انزل الينا** القرآن وقدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان
بغيره **وما انزل الي ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** الصحف
وان نزلت الي ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلون تحت احكامها
فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد
يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق **وما**
اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما
بالاضافة الي موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما **وما اوتي النبيون**
جملة المذكورين منهم وغير المذكورين **من ربهم** منزلا عليهم من ربهم **لا نفرق**
بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق
النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين **ونحن له** اي لله **مسلمون** مذعنون
مخلصون **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** من باب التعجيز والتبكيت
كقوله تعالي فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين
الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي
الي الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد
كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل
مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل علي مثله اي عليه ويشهد له قراءة
من قرا بما آمنتم به اي بالذي آمنتم به **وان تولوا فانما هم في شقاق**
اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهي
المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر
فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمومنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة
علي من ناواهم **وهو السميع العليم** اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم
ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون

ويعلم ما يخفون وهو معاقبتهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته
وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة
حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره
وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ علي المصبوغ وتداخل في
قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصاري كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمي المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم
ونصبها علي انه مصدر موكد لقوله امنا وقيل علي الاغراء وقيل علي البدل
من ملة ابرهيم عليه السلم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من
صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف
علي امنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها علي
الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا علي الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا
امنا بدل اتبعوا حتي لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا
اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان
اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو
ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم نصيب برحمته من نشاء
من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه
الزمهم علي كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من
الله علي من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق علي المستعدين لها
بالمواظبة علي الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها
الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان
والطاعة دونكم ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصاري ام منقطعة والهمزة للانكار وعلي
قراءة ابن عامر والكسائي بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا

الجزء الثاني

بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية علي الانبياء قل
ءانتم اعلم ام الله وقد نفي الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا
نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهولاء
المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده
من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية
والمعني لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا
هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها
ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم
وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم
في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق
لهم وفي الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء
وفي الثاني اسلاف اليهود والنصاري سيقول السفهاء من الناس
الذين خف احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد
المنكرين لتغير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار
توطين النفس واعداد الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان
من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق
والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره
مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الي
صراط مستقيم وهو ما يقتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الي بيت
المقدس تارة والكعبة اخري وكذلك اشارة الي مفهوم الاية المتقدمة
اي كما جعلناكم مهديين الي الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل

جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم المكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق علي المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كساير الاسماء التي يوصف بها واستدل به علي ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالي ما بخل علي احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم السفها علي اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك علي معاصريكم وعلي الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبيا فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة علي المنكرين فيوتي بامة محمد عليه السلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالي في كتابه الناطق علي لسان نبيه الصادق فيوتي بمحمد عليه السلم فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلم كالرقيب المهيمن علي امته عدي بعلي وقدمت الصلة للدلالة علي اختصاص بكون الرسول عليه السلم شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الي الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به علي الاول الجعل الناسخ وعلي الثاني المنسوخ والمعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس

الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب علي عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبايه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلي الاول معناه ما رددناك الي التي كنت عليها الا لنعلم الثابت علي الاسلام ممن ينكص علي عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالي غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعني ليتعلق علمنا به موجودا او قيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الي نفسه لانهم خواصه او لتميز الثابت عن المتزلزل لقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم علي البناء للمفعول والعلم اما بمعني المعرفة او معلق لما في من من معني الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي النافية واللام بمعني الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زايدة الا علي الذين هدي الله الي حكمة الاحكام الثابتين علي الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم علي الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها كما روي انه عليه السلم لما وجه الي الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة علي الفواصل قد نري ربما نري تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الي الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعي للعرب الي الايمان وللمخالفة

اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل **فلنولينك قبلة** فلنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها
ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته **فول**
وجهك اصرف وجهك **شطر المسجد الحرام** نحوه وقيل الشطر في الاصل
لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اي منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او
ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلم
كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه
بخلاف القريب روي انه عليه السلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة
عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين
وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة
واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد
القبلتين **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** خص الرسول بالخطاب
تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا
للامة على المتابعة **وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم**
جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن
كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه **وما الله بغافل**
عما تعملون وعد ووعيد للفريقين **ولئن اتيت الذين اوتوا**
الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم
ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب
الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة
وعنادا **وما انت بتابع قبلتهم** قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على
قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه

وقبلتهم

وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق **وما بعضهم بتابع**
قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه **ولئن اتبعت اهواءهم**
من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم
مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي **انك اذا لمن الظالمين** واكد
تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه
وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء **الذين**
آتيناهم الكتاب يعني علماءهم **يعرفونه** الضمير لرسول الله وان لم يسبق ذكره
لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل **كما يعرفون ابناءهم**
يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم
عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به مني بابني قال
ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي صلى الله عليه وسلم فاما ولدي فلعل
والدته خانت **وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** تخصيص لمن
عاند واستثناء لمن آمن **الحق من ربك** كلام مستأنف والحق اما مبتدأ
خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي
يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم
يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق من
ربك حال وخبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون
فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين
به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد
واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب
المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ **ولكل وجهة** ولكل امة قبلة او لكل
قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة **هو**

مُوَلِّيهَا احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه
وقرئ لكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام
مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك
الجهة قد وليها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ من امر القبلة وغيره مما تنال به سعادة
الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة
أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع
الاجزاء او مفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض
وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات
بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ومن اي مكان
خرجت للسفر فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اذا صليت وَإِنَّهُ وان هذا
الامر لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وقرا ابو عمرو بالياء وَمِنْ
حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ
فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث
علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل
اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين
على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله
تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة
فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ
حُجَّةٌ علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج
اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا
في قبلتنا واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة

الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده
او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة داحضة
لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في
نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه
فَلَا تَخْشَوْهُمْ فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم وَاخْشَوْنِي فلا تخالفوا
ما امرتكم وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ علة محذوف اي وامرتكم
لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني
لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول
الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا
مِنْكُمْ متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها
بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يَتْلُو عَلَيْكُمْ
آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره
في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ
مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل
ليدل على انه جنس آخر فَاذْكُرُونِي بالطاعة أَذْكُرْكُمْ بالثواب وَاشْكُرُوا لِي ما
انعمت به عليكم وَلَا تَكْفُرُونِ بجحد النعم وعصيان الامر يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ عن المعاصي وحظوظ النفس وَالصَّلَاةِ التي هي ام العبادات
ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بالنصر واجابة
الدعوة وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ اي هم اموات بَلْ أَحْيَاءٌ
اي هم احياء وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد
ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن
الحسن ان الشهداء احياء عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح

والفرح كما يعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزل في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قايمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ** ولنصيبنكم اصابة من تختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء **بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ** اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم **وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملايكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تع ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** الخطاب للرسول او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلم كل شيء يوذي المومن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** للحق والصواب حيث استرجعوا واسلموا لقضاء الله **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ** هما علما جبلين بمكة **مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ** من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة **فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ** الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا** كان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي ركن لقوله عليه السلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي **وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا** اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسايي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف **فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** مثيب على الطاعة لا يخفى عليه **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ** كاحبار اليهود **مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ** كالآيات الشاهدة على امر محمد صلوات الله عليه **وَالْهُدَى** وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به **مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ** لخصناه **فِي الْكِتَابِ** في التورية **أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملايكة والثقلين **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا** عن الكتمان وساير ما يجب ان يتاب عنه **وَأَصْلَحُوا** ما افسدوا

بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم ليتم توبتهم وقيل ما احدثوه من
التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب
عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة
الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين
حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم
لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم
امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا علي محل اسم الله لانه فاعل
في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم
الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما
لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر
رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك
له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان
يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة
عليها فانه لما كان مولي النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة
او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا
محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت باية
نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض انما جمع
السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة
بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل
والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي
ينفعهم والقصد به الي الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر
لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه علي ذكر المطر

والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة
علي الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله
من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل
الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيى به الارض بعد موتها بالنبات
وبث فيها من كل دابة عطف علي انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون
النبات به وبث الحيوانات في الارض او علي احيى فان الدواب ينمون
بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في
مهابها واحوالها وقرا حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين
السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي
امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من
السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها
اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات علي وجود الاله ووحدته
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد
كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز
مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث
يصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا وعلى هذا
الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها علي
ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان
معه اله يقدر علي ما يقدر عليه وان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان
لهما لزم اجتماع مؤثرين علي اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح
الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع
والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية

تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس
من يتخذ من دون الله من الاصنام وقيل من الرؤسا الذين كانوا
يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن
الله انداداً يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته
اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب
استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة
العبد لله ارادة طاعته والاعتنا بتحصيل مراضيه ومحبة الله العبد
ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا
اشد حباً لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض
فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الصنم
الى الله عند الشدايد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى
الذين ظلموا ولو يعلم هولاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب
اذا عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى
اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف
اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم
وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين
ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا
ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي اي ولو ترى ذلك
لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البنا للمفعول ويعقوب ان بالكسر
وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ
تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون
من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤسا ورأوا العذاب
اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب

يحتمل

يحتمل العطف على تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم
من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل
الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا
لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء
اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم
الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من
رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون
فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص وعن
الرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم
حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر
محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يوكل كل ما في الارض طيبا
يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا
الحرام وقرا نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء حيث وقع وهما لغتان في جمع
خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها
عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه
وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته
ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها
لرايهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع
والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه
اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل
الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون

كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من
اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادي اليه ظن مستند الي مدرك
شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية **واذا**
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للندا
على ضلالهم كانه التفت الي العقلاء وقال لهم انظروا الي هولاء الحمقى ماذا
يجيبون **قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا** ما وجدناهم عليه نزلت في
المشركين امروا باتباع القرآن وساير ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا
الي التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الي الاسلام
فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم
ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعوا الي الاسلام **اولو كان آباؤهم لا يعقلون**
شيئا ولا يهتدون الواو للحال او للعطف والهمزة للرد والتعجب وجواب
لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلاء لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون
الي الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد
واما اتباع الغير في الدين ما لم يعلم بدليل انه محق كالانبياء والمجتهدين في
الاحكام وهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله **ومثل الذين**
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف
تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا
كمثل بهايم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون
اذهانهم الي ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهايم
التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه بالبهايم التي تسمع الصوت
ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعايهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو
التصويت على البهايم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعا
ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب

صم بكم عمي رفع على الذم **فهم لا يعقلون** اي بالفعل للاخلال
بالنظر **يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** لما وسع
الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المومنين
منهم ان يتحروا الطيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال **واشكروا لله** على
ما رزقكم واحل لكم **ان كنتم اياه تعبدون** ان صح لكم تخصونه بالعبادة
وتقرون انه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة
هو الامر بالشكر لا تمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق فيعبد غيري وارزق ويشكر
غيري **انما حرم عليكم الميتة** اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير
ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها
او استثنى الشرع عنها والحرمة المضافة الي العين تفيد عرفا حرمة التصرف
فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ **والدم ولحم الخنزير**
انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزائه كالتابع
له **وما اهل به لغير الله** اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال
اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان
يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان
لغيره **فمن اضطر غير باغ** بالاستيثار على مضطر آخر **ولا عاد** سد الرمق
او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح
للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد **فلا اثم عليه**
في تناوله **ان الله غفور** لما فعل **رحيم** بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد
قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما
استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم
هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها **ان الذين يكتمون ما انزل الله من**

الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا كثيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليها فكانه
اكل النار لقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوي القرط طيبة النشر
يعني الدية او في المآل اي لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعني في بطونهم
مل بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم
تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم
حال مقابليهم في الكرامة والزلفي من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم
عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي في الدنيا
والعذاب بالمغفرة في الآخرة لكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية
فما اصبرهم علي النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار
من غير مبالاة ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب
ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين
اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب
الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الي التورية واختلفوا بمعني
تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي
حرفوا ما فيها واما الي القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر
واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب
لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعي كل
طايفة ان البر هو التوجه الي قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه
فانه منسوخ ولكن البر ما بيّنه واتبعه المومنون وقيل عام لهم وللمسلمين
اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا
بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من آمن

بالله واليوم الآخر والملايكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي
ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار
والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرا نافع وابن
عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتي المال علي حبه اي علي حب المال
كما قال عليه السلم لما سيل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل
العيش وتخشي الفقر وقيل الضمير لله او المصدر والجار والمجرور في موضع الحال
ذوي القربي واليتامي يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم
ذوي القربي لان ايتاءهم كما قال عليه السلم اثنتان صدقة وصلة والمساكين
جمع المسكين وهو الذي اسكنه الخلة واصله دايم السكون كالمسكير الدايم
السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع
ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسايلين الذين الجاهم
الحاجة الي السوال وقال عليه السلم للسايل حق وان جاء علي فرسه وفي
الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاساري او ابتياع
الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتي الزكوة يحتمل ان يكون المقصود
منه ومن قوله وآتي المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان
مصارفها وبالثاني اداوها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول
نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوي الزكوة وفي الحديث نسخت
الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف علي من آمن
والصابرين في الباساء والضراء نصبه علي المدح ولم يعطف لفضل
الصبر علي ساير الاعمال وعن الازهري الباساء في الاموال كالفقر والضراء
في الانفس كالمرض وحين الباس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين
صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر
وساير الرذايل والآية كما تري جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها

صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشيا صحة الاعتقاد وحسن
المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى
الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة
الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه
من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى
كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول
على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام
تحاكموا الى رسول الله فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا يدل على ان لا يقتل الحر
بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص
غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي
قتل الحر بالعبد سوى كان عبده او عبد غيره لما روي علي رضي الله عنه ان رجلا
قتل عبده فجلده الرسول ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة
ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا
لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف
ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية
ما في التورية فلا ينسخ ما في القرآن ما احتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد
القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب
ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء
للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في القرآن فَمَنْ عُفِيَ لَهُ
مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ اي شيء من العفو لان عفا لازم وفايدته الاشعار بان بعض
العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به

وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفا. وعفي يعدى بعن الى
الجاني والى الذنب قال تعالى عفى الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا عدي به الى
الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن
جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من
الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان
يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا
يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب
الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعي رضي الله عنه في المسئلة قولان ذَلِكَ
اي الحكم المذكور في العفو والدية تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ لما فيه من التسهيل
والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا
وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب
مراتبهم فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ قتل بعد العفو واخذ الدية فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ
في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله صلى الله عليه وسلم لا اعافي
احدا قتل بعد اخذ الدية وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ كلام في غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل
على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به
يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون
غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل
سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني
تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في
الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان
يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في

القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب
يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل في حكمة القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة
على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فيكفوا عن القتل
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك
خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي
وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن
عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف
فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء
يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير
فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله
فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا
خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء
الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق
حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده
من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي
الامة لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية
بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء
المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني
ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا
فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق
عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل

الا على مبدليه لانهم الذين خانوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم
وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف
ان ترسل السماء جنفا ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للجنف
فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا
التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد
للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها
الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبيا
والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس
والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن
المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان
الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم
له وجاء او الاخلال باداءه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم
او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام
لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان
او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر
او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب على السعة وقيل معناه
صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في
برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا
ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر
معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر
فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان
افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم
عدة وعلى هذا سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية

وبه قال ابو هريرة **وعلى الذين يطيقونه** وعلى المطيقين للصيام ان افطروا
فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق
ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد
عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع
المسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يتقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة
او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام
ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل
بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن
يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون
ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم **فمن**
تطوع خيرا فزاد في الفدية **فهو** فالتطوع او الخير **خير له وان تصوموا**
ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار
ليندرج تحته المريض والمسافر **خير لكم** من الفدية وتطوع الخير
او منهما ومن التاخير للقضاء **ان كنتم تعلمون** ما في الصوم من الفضيلة
وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه
ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك **شهر**
رمضان مبتدا خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلك شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر
رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا
وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا
احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف
والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للتعريف والتانيث وقوله
عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما

سمي

سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه
ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة **الذي انزل**
فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة
الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب
عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من
رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن
لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء
لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب
اختصاصه بوجوب الصوم فيه **هدى للناس وبينات من الهدى**
والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات
واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم
والاحكام **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** فمن حضر في الشهر ولم يكن
مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع
المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني
على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك
شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون **ومن كان مريضا او على سفر**
فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل
تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينه **يريد الله بكم اليسر ولا يريد**
بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل الفعل
محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر
والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى
آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا

الله على الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا
ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون
ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى
وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر
اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد وحفص باسكان
الكاف وتخفيف الميم مع كسرها **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**
اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه
على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت **أجيب دعوة الداع إذا**
دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة **فليستجيبوا لي** اذا دعوتهم للايمان
والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم **وليؤمنوا بي** امر بالثبات والمداومة
عليه **لعلهم يرشدون** راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ
بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه
خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا
عليهم ثم بين احكام الصوم فقال **أحل لكم ليلة الصيام الرفث**
إلى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع
الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضه باشر بعد العشاء فندم واتى
النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء
فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع
لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى
لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ

الرفوث **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** استئناف يبين سبب الاحلال
وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة
ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه
باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور **علم الله أنكم كنتم**
تختانون أنفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من
الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب **فتاب عليكم** لما
تبتم مما اقترفتموه **وعفا عنكم** ومحا عنكم اثره **فالآن باشروهن** لما نسخ عنكم
التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة
بالبشرة كني به عن الجماع **وابتغوا ما كتب الله لكم** واطلبوا ما قدره لكم واثبته
في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من
خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير
المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم **وكلوا واشربوا حتى يتبين**
لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر شبه اول ما يبدو من
الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود
واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته
عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض
فان اول ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال
الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت
ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة
جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم
وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم
المصبح جنبا **ثم أتموا الصيام إلى الليل** بيان آخر وقته واخراج الليل

عنه ينبغي صوم الوصال **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد** معتكفون
فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطي
وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الي امراته فباشرها ثم يرجع فنهوا عن
ذلك وفيه دليل علي ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون
مسجد وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد
تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت **فلا تقربوها** نهي ان يقرب الحد
الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلم
ان لكل ملك حمى فان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه
كذلك مثل ذلك التبيين **يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون**
مخالفة الاوامر والنواهي **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** اي
ولا ياكل بعضكم مال البعض علي الوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب علي الظرف
او الحال من الاموال **وتدلوا بها الى الحكام** عطف علي المنهي او نصب باضمار
ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الي الحكام **لتأكلوا** بالتحاكم
فريقا طايفة **من أموال الناس بالإثم** بما يوجب اثما كشهادة الزور
واليمين الكاذبة او متلبسين بالاثم **وأنتم تعلمون** انكم مبطلون
فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي
ادعي علي امري القيس الكندي قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امري القيس فهم به فقرا عليه السلم ان
الذين يشترون بعهد الله ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض
الي عبدان فنزلت وهي دليل علي ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده
قوله عليه السلم للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون
الحن بحجته من بعض واقضي له علي نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من

حقوق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار **يسألونك عن الأهلة** سأله معاذ بن
جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا **قل هي مواقيت للناس والحج** فانهم
سالوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب
بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم الناس يوقتون بها امورهم ومعالم
للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعي فيه
اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة
والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الي منتهاها
والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر **وليس البر بأن
تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى** كان الانصار اذا احرموا
لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا الا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب و
فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من
اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه
لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم
لما سالوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بهم بعلم النبوة عقبه بذكره جواب ما سالوه
تنبيها علي ان اللايق بهم ان يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان
المراد به التنبيه علي تعكيسهم السوال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل
من وراءه وليس البر ان تعكسوا في مسايلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم
يجسر علي مثله **وأتوا البيوت من أبوابها** اذ ليس في العدول بر او باشروا
الامور من وجوهها **واتقوا الله** في تغيير احكامه والاعتراض علي افعاله **لعلكم
تفلحون** لكي تظفروا بالهدي والبر **وقاتلوا في سبيل الله** جاهدوا لاعلاء
كلمته واعزاز دينه **الذين يقاتلونكم** قيل كان ذلك قبل ان امروا
بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم

القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت **وَلَا تَعْتَدُوا** بابتداء القتال وبقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** لا يريد بهم الخير **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا وهو يتضمن الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود

وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه **وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ** لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام **فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ** فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد **كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا **فَإِنِ انْتَهَوْا** عن القتال والكفر **فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** يغفر لهم ما قد سلف **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** شرك **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب **فَإِنِ انْتَهَوْا** عن الشرك **فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان تظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى

٨٠

عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ** قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به **وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ** احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** وهو فذلكة التقرير **وَاتَّقُوا اللَّهَ** في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** فيحرسهم ويصلح شانهم **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ولا تمسكوا كل الامساك **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول **وَأَحْسِنُوا** اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روي جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل

الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا
يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما لجواز ان يكون الوجوب
بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال علي الوجدان وذلك يدل علي انه سبب
الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان
تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان يكون
النفقة حلالا **فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ** منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه
ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي
لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما
لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة
لما روي عنه عليه السلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف
مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلم لضباعة بنت الزبير حجي
واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني **فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**
فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى
ان احصر المحرم اراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي يسير عليه من بدنة او
بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلم ذبح عام الحديبية بها
وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امانا
فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله **وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم
بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله
علي ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره علي الهدي
دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق علي
المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع

هدية كمطي ومطية **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا** مرضا يحوجه الي الحلق **أَوْ بِهِ أَذًى
مِنْ رَأْسِهِ** كجراحة وقمل **فَفِدْيَةٌ** فعليه فدية ان حلق **مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ
أَوْ نُسُكٍ** بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلم قال لكعب
بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة
ايام او تصدق بفرق علي ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع
فَإِذَا أَمِنْتُمْ الاحصار او كنتم في حال امن وسعة **فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى
الْحَجِّ** فمن استمتع وانتفع بالتقرب الي الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات
الاحرام الي ان يحرم بالحج **فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** فعليه دم استيسره
بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة
انه دم نسك فهو كالاضحية **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ** اي الهدي **فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
فِي الْحَجِّ** في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في
اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه
ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر **وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ** الي اهليكم
وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي
حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا علي محل ثلاثة ايام **تِلْكَ عَشَرَةٌ** فذلكة الحساب
وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان
لا يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب فان
المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما **كَامِلَةٌ** صفة مؤكدة
تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل
اذ به ينتهي الآحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي **ذَلِكَ**
اشارة الي الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران
لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية **لِمَنْ لَمْ يَكُنْ**

اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا
فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات
عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة
على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك
البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي
الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك
وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه
او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية
ذي الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما
سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا
للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه
بالاحرام فيهن عندنا وبالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو
دليل على ما ذهب الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث
فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع
بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة
في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على
انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج
اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى
الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع
على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء
الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر
الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من

خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد
وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل
على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه
حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء
سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب
بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا
فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم
منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم
منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف
المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما
نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين
التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير
عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء
المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث
او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث
انها كالبدل لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانها
نعتت لابرهيم عليه السلم فلما ابصرها عرفها او لان جبرئيل كان يدور به
في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا
او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء
المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان

الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا ومقدمة الذكر المامور
به واجبة وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله
بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر
الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة
ووادي محسر ويؤيد الاول ما روي جابر انه عليه السلم لما صلى الفجر يعني
بمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل و لم
يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام
لحرمته ومعنى عند المشعر مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا
حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان
والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى
الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس
اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر
الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت
ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام
وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان
الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم
في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم
عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم
منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره بالغوا فيه كما تفعلون بذكر
آباكم في المفاخر وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد

والجبل

والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف
على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم
او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد
منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او
كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد
ذكرا لله منكم لآباءكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر
الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين اريد به الحث على الاكثار والارشاد
اليه من يقول ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له
في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب
خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف
وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار
بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي
الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا
العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من
الشهوات والذنوب المودية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق
الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من
اجله لقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء
كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة
اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا
الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات
كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق
فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن
نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا قبل طلوع الفجر عنده فلا اثم

عليه باستعجاله ومن تأخر فلا إثم عليه فمن تأخر في النفر حتى رمى اليوم
الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى
نفي الاثم بالتعجل والتأخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم
من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او
من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر
بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس
من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله
بسبب المتعجب منه في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور
الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار
الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في
الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد
الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه
وهو ألد الخصام شديد الجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز
ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت
في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى
ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق
زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف
او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه

لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته
جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل
معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم
به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه
يبيعها يبذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل
ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان
الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت
معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبل منه
واتى المدينة والله رءوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم
بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في
السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في
الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم
للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانه تؤنث كالحرب
قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى
استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا
في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم
بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها
بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام
واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم
عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة
على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا
بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان

يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا
او يأتيهم الله بأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز في
ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من
الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة
فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم
الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر
عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي تم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع
فعل الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر
عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث
غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل
بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم
آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على
الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها
النصب على المفعولية والرفع بالابتداء على حذف العائد الى المبتدا وآية
مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آياته فانها سبب الهدى
الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف
والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من
معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها
ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب
اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت
محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة

الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل
من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهية والاشياء
الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال
وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم
على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في
مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال
والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم
للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع
في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين
على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة
والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي
علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة
وثلاثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم
الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم
لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب
اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او
كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم
وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة
الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا
فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف

من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد
مجي الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع
ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي
مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا
وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرا
نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر
الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول
اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى
ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة
الشدائد والرياضات كما قال عليه السلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنه ان عمرو بن
الجموح الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من
اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان
المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو
وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما
انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي
ان تفعلوا خيرا فالله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض
الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه

طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على
انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه
لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم
وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه
فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي به الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا
ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك
وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها يسألونك
عن الشهر الحرام روي انه عليه السلم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية
في جمادي الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي
وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان
ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادي فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام
شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام
والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية
قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال
فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
خلافا لعطاء وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى
الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد
المسجد الحرام كقول ابي داود اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا
ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا
يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الها في به فان العطف

على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار وإخراج أهله منه اهل المسجد وهم
النبي والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وهو
خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من مما يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة أكبر من القتل اي ما ارتكبوه
من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوا من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم فانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة
إن استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت
بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال
كما هو مذهب الشافعي رضه والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح
وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوايد
الدنيوية والآخرة لسقوط الثواب وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
كسائر الكفرة إن الذين آمنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان
سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء أولئك
يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع
في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط
رحيم باجزال الثواب والاجر يسألونك عن الخمر والميسر روي انه
نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون
يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في
الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم
دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام احدهم فقرأ اعبد

ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا
عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى
رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر
الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر
خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل
كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند
اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه
ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار
لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما قل
فيهما اي في تعاطيهما إثم كبير حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور
وارتكاب المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ
ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة
وتقوية الطبيعة وإثمهما أكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما
اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة
اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر
ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا
عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض
الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه
الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى النبي عم
ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض
عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه
لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما

الصدقة عن ظهر غنى **كذلك يبين الله لكم الآيات** اي مثل ما بين ان
العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة
لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين فانما وحد العلامة والمخاطب
جمع على تأويل القبيل والجمع **لعلكم تتفكرون** في الدلايل والاحكام **في الدنيا
والآخرة** في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما
يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم **ويسئلونك عن اليتامى** لما نزلت
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام
بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **قل اصلاح
لهم خير** اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم **وان تخالطوهم فاخوانكم**
حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ
وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة **والله يعلم المفسد من المصلح** وعيد ووعد
لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه **ولو شاء الله لاعنتكم**
اي ولو شاء اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة
ولم يجوز لكم مداخلتهم **ان الله عزيز** غالب يقدر على الاعنات **حكيم** يحكم
ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** اي
ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم
الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون لكن خصت عنها
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلم بعث مرثدا
الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها
في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستامره فنزلت **ولامة مؤمنة خير من مشركة** اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت
او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه **ولو اعجبتكم** بحسنها وشمايلها والواو

للحال ولو بمعنى ان وهو كثير **ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا** ولا تزوجوا منهم المؤمنات
حتى يؤمنوا وهو على عمومه **ولعبد مؤمن خير من مشرك** تعليل للنهي عن مواصلتهم
وترغيب في مواصلة المؤمنين **ولو اعجبكم اولئك** اشارة الى المذكورين
من المشركين والمشركات **يدعون الى النار** اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق
موالاتهم ومصاهرتهم **والله يدعوا** اي اولياءه يعني المؤمنين حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم **الى الجنة والمغفرة** اي الاعتقاد والعمل
الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة **باذنه** بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه
وارادته **ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون** لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث
يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى **ويسئلونك
عن المحيض** روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة
عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك
بغير واو ثلثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة
كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع **قل هو اذى** اي الحيض مستقذر
مؤذي من يقربه نفرة منه **فاعتزلوا النساء في المحيض** فاجتنبوا مجامعتهن
لقوله عليه السلم انما امرتم ان تعتزلوا النساء بجماعهن اذا حضن فلم يامركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود
وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه
بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة **ولا تقربوهن حتى
يطهرن** تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل
عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن
بمعنى يغتسلن والتزاما قوله **فاذا تطهرن فأتوهن** فانه يقتضي تأخر جواز
الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل

الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان
العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة
لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب
جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلايل والاحكام في الدنيا
والآخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما
يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام
بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح
لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم
حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ
وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد
لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم
اي ولو شاء اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة
ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم
ما يقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي
ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم
الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون لكن خصت عنها
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلم بعث مرثدا
الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهويها
في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامراة مؤمنة حرة كانت
او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمايلها والواو

للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات
حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك تعليل للنهي عن مواصلتهم
وترغيب في مواصلة المؤمنين ولو اعجبكم اولئك اشارة الى المذكورين
من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق
موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل
الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه
وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث
يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك
عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة
عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك
بغير واو ثلثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة
كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر
مؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن
لقوله عليه السلم انما امرتم ان تعتزلوا النساء بجامعهن اذا حضن فلم يامركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود
وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه
بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى
يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل
عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن
بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تاخر جواز
الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل

الفسل من حيث امركم الله اي المأتي الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب
التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار
كمجامعة الحايض والاتيان في غير المأتي نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم
شبهن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم
اي فاتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فاتوهن من حيث امركم
الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقدموا لانفسكم ما تدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية
على الوطي واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدايم
امر الرسول صلوات الله عليه ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله
عنها او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح
بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون
الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه
من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلم
لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر
عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض
ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله
عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني لا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة
النهي اي انهيكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف

مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات
البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق
به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا
قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها
قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى
لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها
والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد
تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء
الحلف والتعدية بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص
اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص
الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه
المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من
اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم
للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة وبخو بالفيئة التي هي
كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم
بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولي ان
فاء في المدة بالوطي ان قدر او الوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا بانت
بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق
عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات
والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة
للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد

ان يتلقى الامر بتحريره عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد **بانفسهن** تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرت ان يقمعنها ويحملنها على التربص **ثلاثة قروء** نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل من حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء الى ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك **ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر** ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل **وبعولتهن** اي ازواج المطلقات **احق بردهن** الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف

اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل **في ذلك** اي في زمان التربص **ان ارادوا اصلاحا** بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس **وللرجال عليهن درجة** زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركوهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق **والله عزيز** يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام **حكيم** يشرعها لحكم ومصالح **الطلاق مرتان** اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلم سئل اين الثالثة فقال عليه السلم او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة **فامساك بمعروف** بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول **او تسريح باحسان** بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقيب تعليمهم كيفية التطليق **ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا** اي من الصدقات روي ان جميلة بنت اخت عبد الله ابن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتب في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت واختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بها عند الترافع وقيل انه خطاب الازواج

وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة إلا أن يخافا
أي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ألا يقيما حدود الله
بترك إقامة أحكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على
البناء للمفعول وإبدال أن بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا
وتقيما بتاء الخطاب فإن خفتم أيها الحكام ألا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما على الرجل فيما افتدت به في أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت
وعلى المرأة في إعطائه تلك حدود الله إشارة إلى ما حد من الأحكام فلا
تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فأولئك هم
الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم أن ظاهر
الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج
إليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام أيما امرأة سألت زوجها
طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي أنه عليه السلام قال لجميلة
أتردين عليه حديقته فقالت أردها وأزيد عليها فقال عليه السلام أما الزائد
فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فإن المنع عن العقد لا يدل على فساده
وأنه يصح بلفظ المفاداة فإنه سماه افتداء واختلف في أنه إذا جرى بغير
لفظ الطلاق فسخ أو طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فإن طلقها
فإن تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي أن يكون طلقة رابعة لو كان
الخلع طلاقا والأظهر أنه طلاق لأنه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق
بالعوض وقوله فإن طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله
أو تسريح بإحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق يقع مجانا
تارة وبعوض أخرى والمعنى فإن طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد
من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح
يسند إلى كل واحد منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد

كابن

كابن المسيب واتفق الجمهور على أنه لا بد من الإصابة لما روي أن امرأة رفاعة
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن
عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإنما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول
الله تريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل أن يفسر النكاح بالإصابة ويكون
العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل
فاسد عند الأكثر وجوزه أبو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله المحلل
والمحلل له فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما أن يتراجعا أن
يرجع كل من المرأة والزوج الأول إلى الآخر بالزواج إن ظنا أن يقيما
حدود الله إن كان في ظنهما أنهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية
وتفسير الظن بالعلم هاهنا غير سديد لأن عواقب الأمور غيب تظن ولا تعلم
ولأنه لا يقال علمت أن يقوم زيد لأن أن الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم
وتلك حدود الله أي الأحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون
ويعملون بمقتضى العلم وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أي آخر
عدتهن والأجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الإنسان وللموت
الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أجله والبلوغ
الوصول إلى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح
أن يرتب عليه فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف إذ لا إمساك
بعد انقضاء الأجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار أو خلوهن حتى تنقضي
عدتهن من غير تطويل وهو إعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا
تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن كان المطلق يترك
المعتدة حتى تشارف الأجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهي عنه بعد

ثلثة ارباع

الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين
لتعتدوا ليظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب
ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من
قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء واراد به الامر
بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب
فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح
والعتق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد
عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به
بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي
رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل
بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف
فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل
الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على
اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا
يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء
وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم
هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل
الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج
اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا يعضلوهن

بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزويج من غير كفو غير
منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او كل
واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين
المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان
حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله
واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى انفع
لكم واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا
تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد
له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص
بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن
اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة
او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل
على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى
المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير
العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه
رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه
ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي
به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف
ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما
الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب

لا يضارّ بالرفع بدلا عن قوله لا يكلّف واصله على القراءتين يضارر بالكسر على البناء
للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى
يضرّ والباء من صلته اي لا يضرّ الوالدات بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما
ينبغي له وقرئ لا يضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف
على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما
عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان
يضرّا به او يتضارا بسببه **وعلى الوارث مثل ذلك** عطف على قوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو
الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من
قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة
عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه
المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة
الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة **فان ارادا فصالا عن تراض منهما**
وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور
بينهما والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الرأي من شوب العسل اذا استخرجه
فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا
ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض **وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم**
اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه
كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء
عنه **فلا جناح عليكم** فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة
من الارضاع **اذا سلمتم** الى المراضع **ما آتيتم** ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم
الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي
ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة **بالمعروف** صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف

المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم
لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل **واتقوا الله** مبالغة
في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع **واعلموا ان الله بما تعملون**
بصير حث وتهديد **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن**
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او الذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون
بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور
والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون
صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل
المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان
ذكرا او لاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا
اذ ربما يضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي
المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل
وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه
لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس
رضي الله عنهم انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن**
اي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** ايها الائمة او المسلمون جميعا **فيما**
فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وساير ما حرم عليها للعدة
بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره
فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح **والله بما تعملون خبير**
فيجازيكم عليه **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء**
التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول
السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه

كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة
غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء
المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضي
ان اتزوج ونحو ذلك **او اكننتم في انفسكم** او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا
ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** ولا تصبرون على السكوت عنهن
وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن
محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا
او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه
لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن
الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان يعرضوا ولا يصرحوا والمستثنى منه محذوف
اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف
وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز
تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر
جوازه **ولا تعزموا عقدة النكاح** ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد
اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان
اصل العزم القطع **حتى يبلغ الكتاب اجله** حتى ينتهي ما كتب من العدة
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز **فاحذروه**
ولا تعزموه **واعلموا ان الله غفور** لمن عزم ولم يفعل خشية من الله **حليم**
لا يعاجلكم بالعقوبة **لا جناح عليكم** لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه
لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر
النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي **ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن**
اي تجامعوهن **او تفرضوا لهن فريضة** الى ان تفرضوا او حتى تفرضوا

او تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول
والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا
تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها
مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن
سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى
ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخريين **ومتعوهن** عطف على
مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق
وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله **على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره** اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه
ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان
يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب
الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية
يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها
الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على
المفهوم **متاعا** تمتيعا **بالمعروف** بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة
حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **على المحسنين** الذين
يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع
وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا **فان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم** لما ذكر
حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن
وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه
قسيمها **الا ان يعفون** اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة
يحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة

الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا
ونصب المعطوف عليه أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ اي الزوج المالك
لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كملا وهو مشعر بان الطلاق
قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية
وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول
قديم للشافعي وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج
علي وجه التخيير ظاهر وعلي الوجه الاول عبارة عن الزيادة علي الحق وتسميتها
عفوا اما علي المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الي اليسار عند الزوج فمن
طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفي عنه وعن
جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال
انا احق بالعفو وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم
علي بعض إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يضيع تفضلكم واحسانكم حَافِظُوا
عَلَى الصَّلَوَاتِ بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف
احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى
اي الوسطي منها او الفضلي منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلم
يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطي صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها
لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها
في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلم
افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة
في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد
ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن
عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلوة والسلام كان يقرا والصلوة الوسطي
وصلوة العصر فيكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما

بالفضل

بالفضل وقرئ بالنصب علي الاختصاص وَقُومُوا لِلَّهِ في الصلوة قَانِتِينَ
ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب
المراد به القنوت في الصبح فَإِنْ خِفْتُمْ من عدو او غيره فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا
فصلوا راجلين وراكبين ورجال جمع راجل ورجل بمعناه كقائم وقيام وفيه
دليل علي وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي رضي وقال
ابو حنيفة لا تصلي حال المشي والمسايفة ما لم يكن الوقوف فَإِذَا أَمِنْتُمْ وزال
خوفكم فَاذْكُرُوا اللَّهَ صلوا صلوة الامن او اشكروه علي الامن كَمَا عَلَّمَكُمْ ذكرا
مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه
وما مصدرية او موصولة مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مفعول علمكم وَالَّذِينَ
يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ قراها بالنصب
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم علي تقدير والذين يتوفون
منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين
يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الي
الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع علي تقدير وصية الذين يتوفون او وحكمهم
وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية
وقرئ متاع بدلها مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية
وبمتاع علي قراءة من قراه لانه بمعنى التمتيع غَيْرَ إِخْرَاجٍ بدل منه او مصدر
مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات
والمعنى انه يجب علي الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم
بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر
في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة
عندنا خلافا لابي حنيفة فَإِنْ خَرَجْنَ عن منزل الازواج فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

ايها الايمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف
مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج
والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج
وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعي مصالحهم وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد
ما اوجبها لواحدة منهن وافاد بعض العالم الحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا
تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره
بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة لجواز
ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القضية كذلك اشارة الى
ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين
لعباده من الدلايل والاحكام ما يحتاجون معاشا ومعادا لعلكم تعقلون
لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع لقصتهم من
اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا
في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل
واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين واماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرايل دعاهم
ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم
الوف اي الوف كثيرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع
الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال
لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة
رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى
الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان
وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناديهم ان قوموا

باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة
القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام
للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم
حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز
ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار
عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل
الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم
بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة بالابتداء
وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا
طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له
فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب
الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا
ابن كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها
الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب
او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم
المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما
اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لئلا يبدل حالكم واليه ترجعون
فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرايل الملا جماعة يجتمعون
للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن
للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا
نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن
رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال

ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا **قال هل عسيتم
ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا** فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى
اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما
عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا **قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا** اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد
عرض لنا ما يوجبه ويحث من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد
وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين
مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا
من ابناء الملوك اربعماية واربعين **فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا
منهم** ثلثماية وثلثة عشر بعدد اهل بدر **والله عليم بالظالمين** وعيد لهم على
ظلمهم في ترك الجهاد **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا** طالوت
علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع الصرف روي انه
لما دعى الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل **ونحن
احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال** والحال انا احق منه بالملك
وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان
فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك
وانما كانت النبوة في اولاد لاوي ابن يعقوب والملك في اولاد يهودا وكان
فيهم من السبطين خلق **قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في
العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم** لما استبعدوا
تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد
اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به
من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب

وانوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان
الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق
فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم
بمن يليق بالملك من النسيب وغيره **وقال لهم نبيهم** لما طلبوا منه حجة على انه
سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم **ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت**
الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلة نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد
مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين **فيه سكينة من ربكم** الضمير
للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون
اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلم اذا قاتل قدمه فيسكن نفوس بني اسرائيل
ولا يفرون صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة
وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليه السلم وقيل
التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه تصيير
قلبه كل العلم والوقار بعد ان لم يكن **وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون**
رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما
والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما **تحمله الملائكة**
قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع
انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت
الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا
بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهم الملائكة الى طالوت **ان في ذلك
لاية لكم ان كنتم مؤمنين** يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون

ابتداء خطاب من الله **فلما فصل طالوت بالجنود** انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة
واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه
قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون
الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا **قال
ان الله مبتليكم بنهر** معاملكم معاملة المختبر لما اقترحتموه **فمن شرب منه
فليس مني** فليس من اشياعي اذ ليس بمتحد معي **ومن لم يطعمه فانه مني**
اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي
الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه
الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا
والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير **فشربوا منه الا
قليلا منهم** اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم
الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا
على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلاثة
عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته
لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا
الدنيا لقاصد الآخرة **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه** اي القليل الذين
لم يخالفوه **قالوا** اي بعضهم لبعض **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** لكثرتهم
وقوتهم **قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله** اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا
لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم
القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف
وتخذيرا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما **كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله** بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة او

او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فاوت راسه اذا شققته او من فاء اذا
رجع فوزنها فعة او فلة **والله مع الصابرين** بالنصر والاثابة **ولما برزوا لجالوت
وجنوده** اي ظهروا لهم ودنوا منهم **قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين** التجاوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ
اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في
مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا **فهزموهم
باذن الله** فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم **وقتل داود
جالوت** قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل
جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته **وآتاه الله
الملك** اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك **والحكمة** النبوة
وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير **ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين** اي ولولا
انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم
فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم **تلك آيات
الله** اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت
وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت **نتلوها عليك بالحق** اي بالوجه المطابق
الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ **وانك لمن المرسلين** لما اخبرت
بها من غير تعرف واستماع **تلك الرسل** اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها
في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق **فضلنا
بعضهم على بعض** بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره **منهم من كلم الله** تفصيل
له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلم كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور

الجزء الثالث

ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم
الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه
ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة
وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات
المستمرة والآيات المترقية المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى
عن التعيين وقيل ابرهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس
لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى
ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود
والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات
واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما
اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات
المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه
بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد
فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء
متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار
الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان او شرا
ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجب عليكم انفاقه
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي
يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه
فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم
او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا

على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في
تقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين
ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون
موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة
من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا
هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل
يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر
وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا
نوم السنة فتور يتقدم النوم وقال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ
من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس
راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة
نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف
الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي
بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده
في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا
فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه فانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان
يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل
المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه

وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان
فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملايكة والانبيا. **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ**
مِنْ عِلْمِهِ من معلوماته **إِلَّا بِمَا شَاءَ** ان يعلموا وعطفه علي ما قبله لان مجموعهما
يدل علي تفرده بالعلم الذاتي التام الدال علي وحدانيته **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ**
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق
قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي
في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي
العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات
السبع لقوله عليه السلم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا
كحلقة في فلاة وفضل العرش علي الكرسي كفضل تلك الفلاة علي تلك الحلقة
ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل لما يقعد عليه ولا ينفصل
عن مقعد القاعد وكانه منسوب الي الكرس وهو الملبد **وَلَا يَئُودُهُ** ولا
يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج **حِفْظُهُمَا** اي حفظه السموات والارض
فحذف الفاعل واضاف المصدر الي المفعول **وَهُوَ الْعَلِيُّ** اي المتعالي
عن الانداد والاشباه **الْعَظِيمُ** المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه. وهذه الاية مشتملة
علي امهات المسايل الالهية فانها دالة علي انه تعالي موجود واحد في الالهية
متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القايم بنفسه
المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح
ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع
ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشيا كلها
جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك
ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط
به فهم ولذلك قال عليه السلم ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها

بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سياته الي الغد من تلك الساعة وقال
من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الي الموت
ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ من مضجعه امنه الله علي
نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** اذ الاكراه في الحقيقة
الزام الغير فعلا لا يري فيه خيرا ولكن **قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** تميز الايمان
من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل علي ان الايمان رشد يوصل الي السعادة
الابدية والكفر غي يؤدي الي الشقاوة السرمدية والعاقل متي تبين له ذلك بادرت
نفسه الي الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الي الالجاء والاكراه وقيل
اخبار في معني النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له
ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتي
تسلما فابيا فاختصموا الي رسول الله فنزلت **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**
بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت
من الطغيان قلب عينه ولامه **وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ** بالتوحيد وتصديق الرسل **فَقَدِ**
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقي من الحبل الوثيق
وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم **لَا انْفِصَامَ لَهَا**
لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته **وَاللَّهُ سَمِيعٌ** بالاقوال **عَلِيمٌ** بالنيات
ولعله تهديد علي النفاق **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من
اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن **يُخْرِجُهُمْ** بهدايته وتوفيقه **مِنَ الظُّلُمَاتِ** ظلمات
الجهل واتباع الهوي وقبول الوساوس والشبه المؤدية الي الكفر **إِلَى النُّورِ** الي
الهدي الموصل الي الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من
الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ**
اي الشياطين او المضلات من الهوي والشيطان وغيرهما **يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ**

إلى الظلمات من النور الذي منحوا بالفطرة إلى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات إلى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج إلى الطاغوت باعتبار السبب لا يابى تعلق قدرة تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر إلى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة إلى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحيا كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام

الم تر إلى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريقة الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القايل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القايل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بالبعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان فقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه

علي حمار وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه
بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الي منزله كان شابا واولاده شيوخا
فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث ماية سنة **وانظر الي العظام** يعني عظام
الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم **كيف ننشزها** كيف نحييها او
نرفع بعضها علي بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام
اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من
انشر الله الموتي وقري ننشرها من نشر بمعني انشرهم **ثم نكسوها لحما فلما
تبين له** فاعل تبين مضمر يفسره مابعده تقديره فلما تبين له ان الله علي كل
شي قدير **قال اعلم ان الله علي كل شي قدير** فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال
اعلم علي الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به علي طريقة التبكيت **واذ
قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتي** انما سال ذلك ليصير علمه
عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال ان احياء الله برد الروح الي
بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الي تقرير آخر
ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه علي الجواب ان سيل عنه مرة اخري **قال
اولم تؤمن** باني قادر علي الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد
علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه
قال بلي ولكن ليطمئن قلبي اي بلي آمنت ولكن سالت لازيد بصيرة
وسكون قلب بمضامة العيان الي الوحي والاستدلال **قال فخذ
اربعة من الطير** قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل
الحمامة وفيه ايماء الي ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتي باماتة حب
الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك
وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الي

الهوي الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الي الانسان واجمع
لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب **فصرهن اليك** فاملهن
واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء
وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها
وقال فرع تصير الجيد وحف كانه علي الليت قنوان الكروم الدوالح وقري فصرهن
بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية
وهي الجمع ايضا **ثم اجعل علي كل جبل منهن جزءا** اي ثم جزيهن وفرق
اجزائهن علي الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة **ثم ادعهن**
قل لهن تعالين باذن الله **ياتينك سعيا** ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا
روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط
سائر اجزائها ويوزعها علي الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير
الي الآخر حتي صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الي رؤسهن وفيه اشارة الي
ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل علي القوي البدنية
فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتي تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متي
دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفي لك شاهدا علي فضل ابرهيم ويمن الضراعة
في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالي اراه ما اراد ان يريه في الحال
علي ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته ماية عام **واعلم ان الله عزيز** لا يعجز
عما يريد **حكيم** ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره **مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة** اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل
باذر حبة علي حذف مضاف **انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية
حبة** اسند الانبات الي الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الي الارض
والماء والمنبت علي الحقيقة هو الله والمعني انه يخرج منها ساق يتشعب منها
سبع شعب لكل منها سنبلة فيها ماية حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه

وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله
تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما تفضل به
من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رضي الله عنه
فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف
فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد
باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم
للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند
اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا
قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل مغفرة
من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من
صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة
والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي
بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا
تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضى
الله عنه ولا ثواب الآخرة او مماثلين للذي ينفق رياء فالكاف في محل
النصب على المصدر او الحال ورياء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا
او المصدر اي انفاقا رياء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان
كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا
املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا

رياء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس
او الجمع كما في قوله ان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين
الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من
صفة الكفار ولا بد للمؤمن من ان يجتنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان
فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدا من اصل انفسهم
وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب
المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان
بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم
بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم
القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف
ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد
بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه
على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي
يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها
وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال
وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل
لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في
زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في
الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل
واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل
الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعها

ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل علي احتوايها علي ساير انواع الاشجار ويجوز ان
يكون المراد بالثمرات بالمنافع وَاَصَابَهُ الْكِبَرُ اي كبر السن فان الفاقة والعالة
في الشيخوخة اصعب والواو للحال او العطف حملا علي المعنى فكانه قيل ايود
احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ صغار لا قدرة لهم علي
الكسب فَاَصَابَهَا اِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ عطف علي اصابه او يكون
باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الي السما مستديرة
كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كريا
وايذا في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها
محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من حال البشر في عالم الملكوت وترقى
بفكره الي جناب الجبروت ثم نكص علي عقبه الي عالم الزور والتفت الي ما
سوي الحق وجعل سعيه هبا منثورا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا
اَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ من حلاله او جياده وَمِمَّا اَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ
الْاَرْضِ اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف
المضاف لتقدم ذكره وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ ولا تقصدوا الردي منه
اي المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقري ولا
تاَمموا بضم التا تُنْفِقُونَ حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق
منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ اي وحالكم انكم
لا تاخذونه في حقوقكم لرداته اِلَّا اَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ الا ان تتسامحوا فيه مجاز
من غمض بصره اذا غضه وقري تغمضوا اي تحملوا علي الاغماض او توجدوا
مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه
وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حَمِيدٌ بقبوله
واثابته اَلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ في الانفاق والوعد في الاصل

شايع في الخير والشر وقري الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين وَيَاْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ
ويغريكم علي البخل والعرب يسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي وَاللّٰهُ يَعِدُكُمْ
مَغْفِرَةً مِنْهُ اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وَفَضْلًا خلفا افضل مما
انفقتم في الدنيا او في الآخرة وَاللّٰهُ وَاسِعٌ اي واسع الفضل لمن انفق عَلِيمٌ بانفاقه
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ تحقيق العلم واتقان العمل مَنْ يَشَاءُ مفعول اول اخر للاهتمام
بالمفعول الثاني وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ بنا للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر
اي ومن يؤته الله فَقَدْ اُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وَمَا يَذَّكَّرُ
وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر بما اودع الله في
قلبه من العلوم بالقوة اِلَّا اُولُو الْاَلْبَابِ ذوو العقول الخالصة عن شوايب
الوهم والركون الي متابعة الهوي وَمَا اَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ قليلة او كثيرة سرا
وعلانية في حق او باطل اَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ بشرط او غير شرط في طاعة او معصية
فَاِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُهُ فيجازيكم عليه وَمَا لِلظَّالِمِينَ الذين ينفقون في المعاصي وينذرون
فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور مِنْ اَنْصَارٍ من ينصرهم من الله
ويمنعهم من عقابه اِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ فنعم شيا ابداؤها
وقرا ابن عامر وحمزة والكسايي بفتح النون وكسر العين علي الاصل وَاِنْ
تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ اي تعطوها مع الاخفا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فالاخفا
خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابدا الفرض لغيره افضل لنفي
التهمة عن ابن عباس رضي صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ
مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ قراه ابن عامر وعاصم في رواية حفص اي والله يكفر او
الاخفا وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون
مرفوعا علي انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة علي ما بعد الفا اي ونحن
نكفر وقرا نافع وحمزة والكسايي به مجزوما علي محل الفا وما بعده وقري بالتا

مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس
عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث
عن المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذي وانفاق الخبيث ولكن الله
يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيته وانها تخص بقوم
دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع
غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله
حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله
وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا ابتغاء وجهه فما لكم
تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير
يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف
المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا
روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون
عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء
او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة
كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلعم
يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال
تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل
احد لا يسئلون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤل حتى يعطيه
من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم

لا يسألون وان سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لا حب لا يهتدى
بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق خصوصا على هؤلاء الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات
والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة
بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي لم يملك الا اربعة دراهم
فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل
في سبيل الله والانفاق عليه فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر
محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون
الربوا اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا
شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد
بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب
بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط
الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس
اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل
جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم
بسبب اكل الربوا او بيقوم او يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا ذلك
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا
والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوا استحلاله وكان الاصل

انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع
والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي
درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن
واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضة
النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي
عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا
يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء
ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره
الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية
وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ
الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به
يمحق الله الربوا يذهب بركته ويذهب ويهلك المال الذي يدخل فيه
ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلم
ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت زكوة من
مال قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار
مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله
ورسله بما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا
ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله
امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف على مال بعض قريش فطالبوهم
عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله

اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في رواية ابن عياش
فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير
حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر
الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا
بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم
لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه
انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على
التحليل مرتد وماله في وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ
ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة
او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظرة
بمعنى منتظرة او صاحب نظرة على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه
بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان
كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء خير لكم اكثر ثوابا
من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله عليه السلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا
ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت
من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن
عباس رضه انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين
والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين
يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها

الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا
عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفايدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين
المجازاة ويعلم تنوعه الي الموجل والحال وانه الباعث علي الكتبة ويكون
مرجع ضمير فاكتبوه الي اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد
وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور علي انه استحباب
وعن ابن عباس رضي ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف
وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص
وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه
موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب
كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثايق والآيات ان ينفع الناس بكتابته
كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك
الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يعلق الكاف
بالامر فيكون النهي عن الامتناع عنها مطلقة ثم الامر بها مقيدة
وليملل الذي عليه الحق وليكن المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود
عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب
ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما امل عليه فان كان
الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او
شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس
او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه
من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع
وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او
الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان
من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه

ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة يسمع شهادة الكفار بعضهم علي بعض فان لم
يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد
او فالمستشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا
الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعد
التهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد
اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيها ذكرتها الاخرى والعلة
في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت
السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل اراده ان يذكر احديهما الاخرى ان
ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرا حمزة ان تضل
علي الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء
تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا
تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسام
عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المومن كسلت
صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا
الي اجله الي وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الي ان
يكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون علي
اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام علي غير قياس او من قاسط
بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب
لجموده وادني ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله
والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس
عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة
تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا

ان يتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا يكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب
عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة **واشهدوا
اذا تبايعتم** هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه
الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في
احكامها ونسخها **ولا يضار كاتب ولا شهيد** يحتمل البنائين ويدل عليه
انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير
في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا
الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان
وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه **فانه فسوق بكم** خروج عن الطاعة لاحق
بكم **واتقوا الله** في مخالفة امره ونهيه **ويعلمكم الله** احكامه المتضمنة
لمصالحكم **والله بكل شيء عليم** كرر لفظه الله في الجمل الثلث لاستقلالها
فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه
ولانه ادخل في التعظيم من الكناية **وان كنتم على سفر** اي مسافرين **ولم
تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة** فالذي يستوثق به رهان او فعليكم
رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان
كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي
بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام
التوثيق بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار
القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما
جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف **فان امن
بعضكم بعضا** اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن

الارتهان **فليؤد الذي اؤتمن امانته** اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان
به وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطاء لان
المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا يدغم **وليتق الله ربه** في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات
ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم **ومن
يكتمها فانه آثم قلبه** اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب
لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء
وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر
ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه **والله بما تعملون عليم** تهديد **لله ما في
السموات وما في الارض** خلقا وملكا **وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه**
يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه **يحاسبكم به الله**
يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض **فيغفر لمن يشاء**
مغفرته **ويعذب من يشاء** تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد
رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب
الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى
تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن اذ
الراء لا يدغم الا في مثله **والله على كل شيء قدير** فيقدر على الاحياء والمحاسبة
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه
والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه **والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله** لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي
ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدا فيكون الضمير
للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم
اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا
حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان

الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله
اي يقولون لا نفرق باليا، على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله
وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله وما منكم من
احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب
وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب
غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الا ما يسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها
بحيث يتسع فيه طوقها وتتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم
وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها
ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها وغيرها وتخصيص الكسب
بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب
اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطانا اي لا تؤخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا من تفريط وقلة مبالاة
او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها
يؤدي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب
وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان
به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلم رفع عن امتي
الخطا والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبأ ثقيلا ياصر صاحبه اي يحبسه
في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته
على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم
فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع
النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم
من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من

التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا
لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا
وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف
بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من
حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلم لما دعا
بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه
عن قيام الليل وعنه عليه السلم من قرأ الآيتين من آخر السورة البقرة في ليلة
كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة
التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو
انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها
ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في
حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب
الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلم
قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي
آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل
عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج
المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل

التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما
تفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة
وهو ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على
العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان
يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب
الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور
او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا للفضل من حيث انه يشاركهما
في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين
كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم
والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة
عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد
والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه
ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم
كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما
وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف
فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم
باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه
وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله
العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من
زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن
شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها

بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات
فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها
فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف
عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق
بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه
انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه
يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف
لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف
ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ
عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او
بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه
ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب
والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب
ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن
وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام
الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد
ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال
منهم او خبر ان جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم
من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن
النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن
غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته

وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو
قوله وكلمته القاها الي مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين
ان يكون هو اباه بانه مصورا لاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها
وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال
الراسخين وقيل استيناف والمعني لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الي اتباع المتشا
بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شاء اقامه علي الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها
قلوبنا بعد اذ هديتنا الي الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب علي
الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعني ان وهب لنا من
لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات علي الحق او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل سول وفيه دليل علي ان الهدي والضلال
من الله وانه متفضل بما ينعم علي عباده لا يجب عليه شي ربنا انك جامع
الناس ليوم لحساب يوم او لجزاء لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه
من الحشر والجزاء نبهوا به علي ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة
فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه والاشعار
به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد
الفساق مشروط بعدم العفو لدلايل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة
وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا
العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته
او طاعته علي معني البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقري
بالضم بمعني اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم
كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره
داب هولاء كدابهم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه

فنقل الي معني الشان والذين من قبلهم عطف علي آل فرعون وقيل استيناف
كذبوا باياتنا حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبران ابتدأت
بالذين من قبلهم فاخذهم الله بذنوبهم تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة
والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الي
جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلم
جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا
لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس
فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية
علي من عداهم وهو من دلايل النبوة وقرا حمزة والكسايي بالياء فيهما علي ان الامر
بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او
استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم
آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمومنين في فئتين التقتا يوم بدر
فئة تقاتل في سبيل الله واخري كافرة يرونهم مثليهم يري المشركون
المومنين مثلي عدد المشركين وكان قريب الف او مثلي عدد المومنين وكانوا
ثلثمائة وبضعة عشر وكان ذلك بعد ما قللهم في اعينهم حتي اجترءوا عليهم وتوجهوا
اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتي غلبوا مددا من الله للمومنين او يري المومنون
المشركين مثلي المومنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي
وعدهم الله تعالي به في قوله وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويويده قراءة
نافع ويعقوب بالتاء وقري بهما علي البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك
بقدرته وقري فئة بالجر علي البدل من فئتين والنصب علي الاختصاص او الحال
من فاعل التقتا راي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يويد بنصره علي
من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة
القليل عديم العدة علي الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما

ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي
البصاير وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات
سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله
احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله
زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه
الله ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في
معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك
ثور واختلفوا في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم
بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة
وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا
اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على
استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية
قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات
الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات
على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما
يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم بضم الراء وهما لغتان
والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال
الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآيات على نعم فادناها
متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة
ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب

النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وترتب السؤال على مجرد
الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين
والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات
السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل
اما بالنفس وهو منعها من الرذايل وحبسها على الفضايل والصبر يشملهما
واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة
الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار
لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على
استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص
الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس
اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون
بالاسحار ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلايل
الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم
بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد
قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما
جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة او من هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قايما او احقه لانها حال
مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود
به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ القايم بالقسط على البدل من هو او
الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد
والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز ليتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير
او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلم قال يجاء بصاحبها

يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفي بالعهد
ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم الاصول الدين وشرف اهله إِنَّ
الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ جملة مستانفة موكدة للاولي اي لا دين مرضي
عند الله سوي الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد
عليه الصلوة والسلم وقرا الكسائي بالفتح علي انه بدل من انه بدل الكل ان فسر
الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه
بالكسر وان بالفتح علي وقوع الفعل علي الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء
شهد مجري قال تارة وعلم اخري لتضمنه معناهما وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ من اليهود والنصاري او من ارباب الكتب المتقدمة في دين
الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون
مطلقا او في التوحيد فثلث النصاري وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل
هم قوم موسي اختلفوا بعده وقيل هم النصاري اختلفوا في امر عيسي إِلَّا مِن
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ اي بعد ما علموا حقيقة الآية او تمكنوا من العلم بها
بالآيات والحجج بَغْيًا بَيْنَهُمْ حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء
في الامر وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وعيد لمن كفر منهم
فَإِنْ حَاجُّوكَ في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي
قامت عليه الحجج ودعي اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه
اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوي والحواس وَمَنِ اتَّبَعَنِ عطف على التا
وحسن للفصل او مفعول معه وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ الذين
لا كتاب لهم كمشركي العرب أَأَسْلَمْتُمْ كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد
على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعييرهم بالبلادة او المعاندة
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وَإِن

نفسر

١٧١

تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ وعد ووعيد إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا
قتل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة
وقرا حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل
ولذلك قيل الخبر أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كقولك زيد
فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ يدفع
عنهم العذاب أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ اي التورية او جنس
الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ الداعي محمد صلوات الله عليه وكتاب الله القرآن
او التورية لما روي انه عليه السلم دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد
على اي دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا
الي التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على
البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية
حجة في الاصول ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه
واجب وَهُم مُّعْرِضُونَ وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما
ساغ لتخصيصه بالصفة ذَٰلِكَ اشارة الي التولي والاعراض بِأَنَّهُمْ قَالُوا
لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم
لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ من ان
النار لن تمسهم الا اياما قلايل او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالي
وعد يعقوب عليه السلم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا

النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم
الله علي رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الي النار **ووفيت كل نفس ما كسبت** جزاء
ما كسبت وفيه دليل علي ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية
ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها **وهم لا
يظلمون** الضمير لكل نفس علي المعني لانه في معني كل انسان **قل اللهم** الميم
عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم كدخولها عليه مع
لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف
حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته **مالك الملك** تتصرف فيما يمكن التصرف
فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده يمنع الوصفية **تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء** تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد
فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها
من قوم الي قوم **وتعز من تشاء وتذل من تشاء** في الدنيا او في الآخرة
او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان **بيدك الخير انك علي كل شيء قدير**
ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم
يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه
عليه الصلوة والسلم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا
يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم يخبره فجاء واخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها
برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه
المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية
فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت
لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة علي كلها فابشروا فقال
المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور

الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه علي ان
الشر ايضا بيده بقوله انك علي كل شيء قدير **تولج الليل في النهار وتولج النهار
في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب** عقب بذلك ببيان قدرته علي معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة
وسعة فضله دلالة علي ان من قدر علي ذلك قدر علي معاقبة الذل والعز وايتاء
الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما
في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء
الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه
وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن **لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء** نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم
وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور الدينية **من
دون المؤمنين** اشارة الي انهم الحقيق بالموالات وان في موالاتهم مندوحة
عن موالاة الكفرة **ومن يفعل ذلك** اي اتخاذهم اوليا **فليس من الله في شيء**
من ولايته في شيء يصح ان يسمي ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان
قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب **الا ان تتقوا
منهم تقاة** الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدي
بمن لانه في معني تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا
وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما
قال عيسي عليه السلم كن وسطا وامش جانبا **ويحذركم الله نفسه والي الله المصير**
فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي
المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه
بما يحذر من الكفرة **قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله** اي انه
يعلم ضمايركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها **ويعلم ما في**

السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلانيتكم والله على كل شيء قدير فيقدر
على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه كانه
قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة
ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو
مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود
اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة
لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير
في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل على الخبر
اوقع معنى لانه حكاية كاين واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره
للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم
رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى
عقابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال
ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا
لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله
وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة
الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن
قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن
ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن يتحبب اليه
بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه
وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا

على عهده عليه السلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل ولا يحبهم
لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان
محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران
على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم
يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك
ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملايكة وآل ابرهيم
اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عليه السلم وآل عمران موسى وهرون
ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران
بن ماثان بن ايعازار بن ابي يود بن زرب بابل بن شاليان بن يوحنا بن اوشا بن
امون بن ميشكن بن حازقيا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن
ايشا بن ايبا بن راجيعم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبد بن سلمون بن
ياعز بن عمينون بن عميا ذب بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب
وكان بين العمرانين الف وثمانماية سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل
من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض في الدين
والذرية الولد تقع على الواحد والجمع فعلية من الذرا او فعولة من الذرء ابدلت
همزتها ياء ثم قلبت الواو وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم
فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها
اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب
به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن انه المراد وزوجته وبيده
كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى

وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة اذ رأت
طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني
ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران
وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير
او طلبت ذكرا **محررا** معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه
على الحال **فتقبل مني** ما نذرته **انك انت السميع العليم** لقولي ونيتي **فلما
وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى** الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان
انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها
بالذات واحد او على تاويل مونث كالنفس والجملة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى
ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره **والله اعلم بما وضعت**
اي بالشيء الذي وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها
وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انها من كلامها تسلية
لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب
الله لها **وليس الذكر كالانثى** بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت
كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس
الذكر كالانثى سيين فيما نذرت فيكون اللام للجنس **واني سميتها مريم** عطف
على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا
لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم
بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة **واني
اعيذها بك** اجيرها بحفظك **وذريتها من الشيطان الرجيم** المطرود واصل
الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في
اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه

الاستعاذة **فتقبلها ربها** فرضي بها في النذر مكان الذكر **بقبول حسن** بوجه
حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان
تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم
فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها
ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون
تقبل بمعنى استقبل كتقضي وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت
بقبول حسن **وانبتها نباتا حسنا** مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع
احوالها **وكفلها زكريا** شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا
غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا
لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا **كلما دخل عليها
زكريا المحراب** اي الغرفة التي بني لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها
سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت
المقدس **وجد عندها رزقا** جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها
غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وبالعكس **قال يا مريم انى لك هذا** من اين لك هذا الرزق الاتي
في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل
ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه **قالت هو من عند الله** فلا تستبعد
قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق
تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان

فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلي الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم
فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما
فقال لها اني لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن
والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت علي جيرانها **هنالك**
دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان
لما راي كرامة مريم ومنزلتها من الله **قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة**
كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راي الفواكه في غير اوانها انتبه علي
جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال الله وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن علي
الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة **انك سميع الدعاء** مجيبه **فنادته**
الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان
جبرئيل وحده وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير **وهو قائم**
يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال
اخر او حال عن الضمير في قائم **ان الله يبشرك بيحيي** اي بان الله وقرا نافع وابن
عامر بالكسر علي ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي يبشرك
ويحيي اسم عجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل **مصدقا**
بكلمة من الله اي بعيسي سمي بذلك لانه وجد بامره تعالي دون اب فشابه
البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته **وسيدا** يسود قومه ويفوقهم وكان فايقا الناس كلهم في انه
ما هم بمعصية **وحصورا** مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي
روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الي اللعب فقال ما للعب خلقت **ونبيا**
من الصالحين ناشيا منهم او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة **قال**
رب اني يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجبا

او استفهاما عن كيفية حدوثه **وقد بلغني الكبر** ادركني كبر السن واثر في
وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون **وامراتي عاقر** لا تلد
من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد **قال كذلك الله يفعل ما يشاء**
اي يفعل ما يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان
وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد
او كذلك الله مبتدا وخبر اي الله علي مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له
او كذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان **قال رب**
اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح
مشقة الانتظار **قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام** ان لا تقدر علي
تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله
وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن
الجواب ما اشتق من السوال **الا رمزا** اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك
ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل علي
الضمير وقري رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز علي انه حال منه ومن
الناس بمعني مترامزين كقوله متي ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا
واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد
الامر بالكثرة يدل علي انه لا يفيد التكرار **وسبح بالعشي** من الزوال الي الغروب
وقيل من العصر او الغروب الي ذهاب صدر الليل **والابكار** من طلوع
الفجر الي الضحي وقري بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار **واذ قالت الملائكة**
يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك علي نساء العالمين
كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كان معجزة زكريا
او ارهاصا لنبوة عيسي عليه السلم فان الاجماع علي انه تعالي لم يستنبئ امراة
لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها

منا تها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناءها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها تطهيرها عما استقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين **يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات **ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك** اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي **وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم** اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل **ايهم يكفل مريم** متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم **وما كنت لديهم اذ يختصمون** تنافسا في كفالتها **اذ قالت الملائكة** بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا **يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم** المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل او من العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته وابن

مريم لما كان صفة تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه تولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب **وجيها في الدنيا والآخرة** حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة **ومن المقربين** من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة **ويكلم الناس في المهد وكهلا** اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية **ومن الصالحين** حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم **قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر** تعجب او استبعاد عادي او استفهام على انه يكون بتزوج او غيره **قال كذلك الله يخلق ما يشاء** القايل جبريل او الله وجبريل حكى لها قوله تعالى **اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك **ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل** كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما **ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم** منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم **اني اخلق**

لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل لأني قد جئتكم او جر بدل آية او رفع على هي
اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف
اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان
احياءه من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين
روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم
الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات
او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف
على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم
مصدقا ولاحل لكم مقدر باضمار او مردود على قوله باني قد جئتكم باية او معطوف
على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم
اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت
وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية
كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة
بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون
ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي وجئتكم باية
اخرى الهمنيها ربكم وهي قوله ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما
بين الرسل الفارق بين النبي والساحر وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله
فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي
جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة

والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة
واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية
بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة
العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي
ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره
قوله عليه السلم قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق
كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله
او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري متضمنا معنى الاضافة
اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او
اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه
الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونظافتهن سمي به اصحاب عيسى لخلوص
نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى
من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله
اي انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة
حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين
يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه الصلوة فانهم شهداء على الناس ومكروا
اي الذين احس عيسى منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر
الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث
انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تع الا على سبيل المقابلة
والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر
من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع
ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى

بلغ مقابلة

عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نايما اذ
روي انه رفع نايما او مميتك عن الشهوات العايقة عن العروج الي عالم الملكوت
وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الي السماء واليه ذهب النصاري ورافعك
اليّ الي محل كرامتي ومقر ملايكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الي يوم القيمة يعلونهم
بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصاري
والي الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم اليّ مرجعكم
الضمير لعيسي ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطب علي الغايبين فاحكم بينكم
فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا
شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له والله لا يحب
الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الي ما سبق من نبا عيسي وغيره وهو
مبتدا خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون
الخبر ونتلوه حالا علي ان العامل معني الاشارة او يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر
يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل علي الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق
الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسي عند الله كمثل آدم
ان شانه الغريب كشان آدم عليه السلم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل
مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام
شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعني خلق قالبه
من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر
او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون
حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق
مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب

النبي صلي الله عليه وسلم علي طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك
من النصاري فيه في عيسي من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات
الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة
اهله والصقهم بقلبه الي المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم علي النفس لان
الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن
الكاذب منا والبهلة بالضمة والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم ابهلت
الناقة اذا تركت بلا صرار فنجعل لعنة الله علي الكاذبين عطف فيه بيان روي
انهم لما دعوا الي المباهلة قالوا حتي ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا
رايهم ما تري فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
فاتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم
يا معشر النصاري اني لاري وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله
فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين
درعا من حديد فقال عليه السلم والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتي الطير علي الشجر
وهو دليل علي نبوته وفضل من اتي بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من
نبا عيسي ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكر
في شان عيسي ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخلته لانه اقرب
الي المبتدا من الخبر واصلها ان يدخل المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه
بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد علي النصاري في تثليثهم وان الله لهو
العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة

يشارکه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع
المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد
للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل
الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب
وتفسيرها ما بعدها ألا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا
نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا
لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن
الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لان
كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا
يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاک فان تولوا عن
التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا
مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه
الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد
وحسن التدريج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار
المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم
ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا
بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلک طريقا اسهل والزم بان دعاهم
الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلک
ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلک وقال اشهدوا
بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل فريق

انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية
حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم قبل موسى بالف
سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما أفلا تعقلون فتدعون المحال ها
انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف
تنبيه نبهوا بها عن حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم
جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم
فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه
فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء
بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب
من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم
جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من
البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا
لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترک الالزام وما كان من
المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين
انهم على ملة ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من
الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا
لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ بالنصب عطفا على الهاء
في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم
الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في
اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون
الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به
عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم
يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت من التورية والانجيل

ودلت على نبوة محمد عليه السلم وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم
تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير
في الميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح البا اي تلبسون
الحق مع الباطل كقوله عليه السلم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد
ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان
بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم
يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة
الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم
منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا
في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد
محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا
ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل
ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى
احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم
بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا
يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى
الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبران على ان هدى الله
بدل من الهدى وقراءة ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه

الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته
من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام
استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل
المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود
اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه
مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك
الاداء المدلول عليه بقوله لم يؤده بسبب قولهم بانهم قالوا ليس علينا في الاميين
سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا
عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم
كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة
وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم
حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع
من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء
الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون

بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا
اولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشئ اصلا وان
الملائكة يسالونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية
عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره استهان
به واعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر
النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه
قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد عليه السلم وحكم
الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث
بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم
لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ
يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه
بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من
عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع
عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده
وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان
لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا
عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع
القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال

معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت
وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك
قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة
الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم
دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من
التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون
القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب
عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان
لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين
اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه
اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل
الحال ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا
حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين
واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة
الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل
المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما

لانهم كانوا يقولون نحن اولي بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا
واللام في لما موطية للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر علي
ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق
اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه
وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم علي
ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدي الميمات الثلث استثقالا قال
ءاقررتم واخذتم علي ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ
بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال
فاشهدوا اي فليشهد بعضكم علي بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة
وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا علي اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو
توكيد وتحذير عظيم فمن تولي بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار
والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله
يبغون عطف علي الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او علي
محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود
بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب
وبالتاء عند الباقين علي تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف
ومعاينة ما يلجئ الي الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف علي الموت
او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان
يمتنعوا عما قضي عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء علي ان الضمير لمن قل آمنا
بالله وما انزل علينا وما انزل علي ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسي وعيسي والنبيون من ربهم امر الرسول

عليه الصلوة والسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه
منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الي واحد من الجمع قد ينسب اليهم
او بان يتكلم عن نفسه علي طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدي بالي لانه
ينتهي الي الرسل يعدي بعلي لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه علي المنزل علي
ساير الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق
والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ
غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في
الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام
والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر
الناس عليها واستدل به علي ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل
والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا
للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق
وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحايد عن الحق بعد ما وضح
له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا
يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف علي ما في ايمانهم من معني الفعل ونظيره فاصدق
واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو علي الوجهين دليل علي ان الاقرار باللسان
خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض
عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه
علي جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون علي
الكفر ممنوعون عن الهدي مايوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد
بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن
لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما

لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا
من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوزان لا يقدر
لمفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل
عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه
ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة
فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن اوكفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد
والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق اوكقوم ارتدوا ولحقوا
بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون اونرجع اليه وننافقه
باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون اولا يتوبون الا اذا اشرفوا
على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها اولان توبتهم لا تكون الا
نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلكم لم يدخل الفاء فيه واولئك هم
الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا في شانهم واتجارالهم
وابرازهم في صورة حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا
لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملاه
وذهبا نصب على التميز وقرئ بالرفع على البدل من ملء اوالخبر لمحذوف
ولوافتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولوافتدى
بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء
الارض ذهبا لوتقرب به في الدنيا ولوافتدى به من العذاب في الآخرة او
المراد ولوافتدى بمثله كقوله ولوان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم

عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى
عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن
تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير اولن تنالوا برالله الذي هو
الرحمة والرضا والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه
في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها نزلت جاء
ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراد الله فقال
بخ بخ ذلك مال رابح اورايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة
بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليه رسول الله اسامة فقال زيد انما
اردت ان اتصدق به فقال عليه السلم ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على
ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا
من شيء من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه
كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو
مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر قال تعالى لاهن حل لهم
الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به
عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه
وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد
وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية
اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا
وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتان
بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن
بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ

الجزء الرابع

والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقة ابرهيم بتحليله لحوم الابل
والبانها قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم
وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلم
لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى
على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية
على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك
هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح
قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم
او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة
لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم ومن تبعه
وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك
اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم
والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت
الذي ببكة وهي لغة مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم
وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها
تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلم سئل عن اول بيت وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل
اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل
هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في
موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان
يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات

وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد به اول بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير
والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف
وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات
بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري
السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر
كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدا
محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل
عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها
فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر
آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد
وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع
الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية
معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن
من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما
من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما لقوله عليه السلم حبب الي من دنياكم
ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين
بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلم من مات
في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة
او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس
حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي وعاصم
في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل
من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد
والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على

الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب علي من قدر
علي المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفه انها بمجموع الامرين والضمير في
اليه للبيت او الحج وكل ما ياتي الي الشي فهو سبيله **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنِ الْعَالَمِينَ** وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا علي تاركه
ولذلك قال عليه السلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدالة علي وجوبه بصيغة الخبر وابرازه
في الصورة الاسمية وايراده علي وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس
وتعميم الحكم اولا وتخصيصه فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية
ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما
يدل علي المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عن عنه لما فيه من مبالغة
التعميم والدلالة علي الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه
تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد
عن الشهوات والاقبال علي الله روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلعم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة
وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ** اي باياته السمعية والعقلية الدالة علي صدق محمد فيما يدعيه من
وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل علي ان كفرهم
اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بها
وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ والحال انه شهيد مطلع علي اعمالكم فيجازيكم
عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ** كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع
ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه
مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام

قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتي اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم
في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه
تَبْغُونَهَا عِوَجًا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا علي
الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما
او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم **وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ**
انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون
باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** وعيد لهم
ولما كان المنكر في الآية الاولي كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما
كان هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال
وما الله بغافل عما تعملون **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ** نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا
جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر
شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل
فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم
الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع
الرسول صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب
اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله
ويكلمهم **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ** انكار
وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الي الايمان الصارفة عن
الكفر **وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ** ومن يتمسك بدينه او يلتجي اليه في مجامع اموره

فقد هدي الي صراط مستقيم فقداهتدي لامحالة يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام
بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود
رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصي ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسي وقيل هو ان
ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد
للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما
في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن حال
سوي حال الاسلام اذا ادركم الموت فان النهي عن المقيد بحال وغيرها قد يتوجه
بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخري وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي
واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل
الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردي
كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام
ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او ولا تذكروا
ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها
الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الي التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية
متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين
علي الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما
العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتي اطفاها الله بالاسلام والف
بينهم برسوله عليه السلم وكنتم علي شفا حفرة من النار مشفين علي الوقوع
في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه
او لانه بمعني الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله

شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم علي الهدي
وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الي الخير ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة
كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام
بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل علي انه واجب علي الكل حتي لو تركوه
راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او
للتبيين بمعني وكونوا امة يامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف
والدعاء الي الخير يعم الدعاء الي ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص علي العام للايذان بفضله واولئك
هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلم سئل من خير
الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم
والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا علي حسب ما يامر به والنهي عن المنكر
واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهي
عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصاري اختلفوا في
التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة علي ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات
الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه
مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلم اختلاف امتي
رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك
لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد علي التشبه بهم يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معني الفعل او باضمار اذكر

وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل
يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه
وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك **فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم**
بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب
من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله بعد ايمانهم به قبل
مبعثه او جميع الكفار كفروا بعدما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا
من الايمان بالنظر في الدلايل والآيات **فذوقوا العذاب** امر اهانة **بما**
كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم **واما الذين ابيضت وجوههم**
ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان
المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله
وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمن وثوابهم **هم فيها خالدون** اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد
كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون **تلك آيات الله** الواردة
في وعده ووعيده **نتلوها عليك بالحق** ملتبسة بالحق لا شبهة فيها **وما**
الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم
بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال
ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما
وعده واوعد **كنتم خير امة** دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع
طرء كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين
الامم المتقدمين **اخرجت للناس** اظهرت لهم **تامرون بالمعروف وتنهون**
عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم **وتؤمنون بالله**
يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به
اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه

قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به
واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين
بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل
كان امرهم على خلاف ذلك **ولو آمن اهل الكتاب** ايمانا كما ينبغي **لكان**
خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه **منهم المؤمنون** كعبد الله بن سلام واصحابه
واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان
على سبيل الاستطراد **لن يضروكم الا اذى** ضررا يسيرا كطعن وتهديد **وان**
يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر **ثم لا ينصرون** ثم
لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول
وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم
العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة
فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع
اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر **ضربت عليهم**
الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية **اينما**
ثقفوا وجدوا **الا بحبل من الله وحبل من الناس** استثناء من اعم عام الاحوال
اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة
الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين
وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين **وضربت عليهم المسكنة** فهي
محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين
ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم**
كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم
بالآيات وقتلهم الانبياء **ذلك** اي الكفر والقتل **بما عصوا وكانوا**
يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغاير

يفضي الى الكباير والاصرار عليها يودي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب
عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا **ليسوا سواء** في
المساوي والضمير لاهل الكتاب **من اهل الكتاب امة قائمة** استيناف لبيان
نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين
اسلموا منهم **يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** يتلون القرآن
في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ
في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي
انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه
ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم **يومنون بالله واليوم
الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات**
صفات اخر لامة وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن
الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم
الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات
واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم
عند الله واستحقوا رضاه وثناه. **وما تفعلوا من خير فلن تكفروه** فلن
يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعدية
الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حمزة وحفص والكسائي وما يفعلوا
من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء **والله عليم بالمتقين** بشارة
لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفايز عند الله هو اهل
التقوى **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا** من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا **واولئك اصحاب النار**
ملازموها **هم فيها خالدون مثل ما ينفقون** اي ما ينفق الكفرة

قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا **في هذه الحيوة الدنيا كمثل
ريح فيها صر** برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل
مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقوله برد بارد **اصابت حرث
قوم ظلموا انفسهم** بالكفر والمعاصي **فاهلكته** عقوبة لهم لان الاهلاك عن
سخطه اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصله
ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك
لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك
ريح وهو الحرث **وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون**
اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث
يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب
ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان
يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك
يعشق **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة** وليجة وهو الذي يعرفه الرجل
اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار
شعار والناس دثار **من دونكم** من دون المسلمين وهو متعلق بلا
تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اي بطانة كاينة من دونكم **لا يالونكم
خبالا** لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف
وعدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص
ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية **قد
بدت البغضاء من افواههم** اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم
لفرط بغضهم **وما تخفي صدورهم اكبر** مما بدا لان بدوه ليس عن روية
واختيار **قد بينا لكم الآيات** الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة
المومنين ومعاداة الكافرين **ان كنتم تعقلون** ما بين لكم والجمل

الاربع جارت مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول
صفات لبطانة **هاانتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم** اي انتم هولاء الخاطئون
في موالاة الكفار تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان
او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها
معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا
وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى
انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم **واذا**
لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا **واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من**
الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا **قل موتوا**
بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام
واهله حتى يهلكوا به **ان الله عليم بذات الصدور** فيعلم ما في صدورهم
من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله
عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه
بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى
من ضمائرهم **ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة**
يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة **وان تصبروا**
على عداوتهم او على مشاق التكاليف **وتتقوا** موالاتهم او ما حرم الله عليكم
لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين
ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا
على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
لا يضركم من ضاره يضيره **ان الله بما تعملون** من الصبر والتقوى وغيرهما

محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في
عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه **واذ غدوت** اي واذكر اذ غدوت **من اهلك** من
حجرة عايشة **تبوئ المؤمنين** تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام
مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان
على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك **والله**
سميع لاقوالكم **عليم** بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني
عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله
بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها
علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس
وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا
رجعوا خايبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت في منامي
بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة
ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان
تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك
ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان
يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد
يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم
وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا
اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت **طائفتان منكم**
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر **ان تفشلا**
ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم

النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلاثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله **والله وليهما** اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر **ولقد نصركم الله ببدر** تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا **وانتم اذلة** حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح **فاتقوا الله** في الثبات **لعلكم تشكرون** ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه **اذ تقول للمؤمنين** ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قولهم يوم احد كان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول عليه الصلوة والسلام لم تنزل الملائكة **الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين** انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج **بلى** ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال **ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم** اي المشركون **من فورهم هذا** من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة** في حال اتيانهم

بلا تراخ وتاخير **مسومين** معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو **وما جعله الله** وما جعل امدادكم بالملائكة **الا بشرى لكم** الا بشارة لكم بالنصر **ولتطمئن قلوبكم به** ولتسكن اليه من الخوف **وما النصر الا من عند الله** لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم **العزيز** الذي لا يغالب في اقضيته **الحكيم** الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة **ليقطع طرفا من الذين كفروا** متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين من صناديدهم **او يكبتهم** او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد **فينقلبوا خائبين** فينهزموا منقطعي الآمال **ليس لك من الامر شيء** اعتراض **او يتوب عليهم او يعذبهم** عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان تكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن **فانهم ظالمون** قد استحقوا التعذيب بظلمهم **ولله ما في السموات وما في الارض** خلقا وملكا فله الامر كله **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد

بالتوبة وعد بهما كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات
مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه
زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح
واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم
وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا
في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له
وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام
والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات
والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على
طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة
مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او
مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالي الرخاء والشدة او الاحوال
كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا
عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين
عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي
عليه الصلوة والسلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا
وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن
النبي عليه السلام ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا في الامم
التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد

فيكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا
او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله
تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن
يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه
تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة
ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا
اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة
مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد
الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار
للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم
دون ما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك
فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك
لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء
بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت
على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء
بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك
يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة
كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين
الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار

هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى
قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة
وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت
اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية
لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا
على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق
وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم
في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون
في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي
اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي
وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف
والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد
فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا
فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين
نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس
نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما
نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام
يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة
وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت
وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح
ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان
من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات

علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم
علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا
منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم
من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون
خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين
على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله
الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق
الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل على انه فرض على الكفاية والفرق بين لما
ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن
فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ
بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما يجاهد بعضكم وانتم صابرون ولقد
كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله مشهدا لينالوا
ما نال الشهداء ببدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من
قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا
الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها
تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما
خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار
لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو
الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا

خلوا الرسل قبله سببا لانقلابهم علي اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمي عبد
الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلي الله عليه وسلم سببا لانقلابهم علي اعقابهم بعد
وفاته روي انه لما رمي بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير
وكان صاحب الراية حتي قتله ابن قمئة وهو يري انه قتل النبي عليه السلم فقال
قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل
الرسول عليه الصلوة والسلم يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه
وحموه حتي كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ابن ابي ياخذ
لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا الي اخوانكم ودينكم فقال انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان
رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا علي ما قاتل عليه
ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتي
قتل فنزلت ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ بارتداده بل يضر
نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ علي نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس
واضرابه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الا بمشية الله او باذنه
لملك الموت في قبض روحه والمعني ان لكل نفس اجلا مسمي في علمه تعالي وقضائه
لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه
وفيه تحريض وتشجيع علي القتال ووعد للرسول عليه السلم بالحفظ وتاخير
الاجل ﴿كِتَابًا﴾ مصدر مؤكد اذ المعني كتب الموت كتابا ﴿مُؤَجَّلًا﴾ صفة له اي
موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ تعريض بمن شغلتهم
الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا علي المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون
فلما رأي الرماة ذلك اقبلوا علي النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم
من ورائهم فهزموهم ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ اي من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِي
الشَّاكِرِينَ﴾ الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد ﴿وَكَأَيِّنْ﴾

اصله

اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعني كم والنون تنوين اثبت في الخط
علي غير قياس وقرأ ابن كثير كائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة
كقولهم رعملي في لعمري فصار كيان ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت
الياء الاخري الفا كما ابدلت من طائي ﴿مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ ربانيون
علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الي الربة
وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده
الي ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قري بالتشديد
وقري ربيون بالفتح علي الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب كالكسر ﴿فَمَا
وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل
النبي او بعضهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن العدو او في الدين ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ وما خضعوا
للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع سكن لصاحبه ليفعل به
ما يريد والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه
ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلوة
والسلم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فينصرهم ويعظم قدرهم ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ
إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم
في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الي
انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الي سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب
التثبيت في مواطن الحرب والنصر علي العدو ليكون عن خضوع وطهارة
فيكون اقرب الي الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته
علي جهة النسبة وزمان الحدث ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ
الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الي
الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة

وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين
آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم علي اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الي دينكم واخوانكم
ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم
يردوكم الي دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول علي حكمهم فانه يستجر
الي موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب علي تقدير بل اطيعوا الله
مولاكم وهو خير الناصرين فاستعينوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في
قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم
احد حتي تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادي ابو سفيان يا محمد موعدنا
موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلم ان شاء الله وقيل لما رجعوا
وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقي
الله الرعب في قلوبهم وقرا ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم علي الاصل
في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا
اي آلهة ليس علي اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا تري
الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة
لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوي الظالمين اي مثواهم
فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده
اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوي والصبر وكان كذلك حتي خالف الرماة
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف
حتي انهزموا والمسلمون علي آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من
حسه اذا ابطل حسه حتي اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم او ملتم الي الغنيمة
فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة
حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف

امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني
بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو
وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز
للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة علي امر الرسول
ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتي حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم علي
المصائب ويمتحن ثباتكم علي الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما
علم من ندمهم علي المخالفة والله ذو فضل علي المؤمنين يتفضل عليهم
بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد
الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الي المدينة ولا تلوون
علي احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي
عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم
الاخري فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا علي ما فاتكم ولا ما اصابكم
عطف علي صرفكم والمعني فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من
الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم
غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا علي الصبر في الشدائد
فلا تحزنوا فيما بعد علي نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعني لتاسفوا علي
ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلي ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل
الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم
بما نزل عليه ولم يثربكم علي عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا علي ما فاتكم من
النصر ولا علي ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما
تقصدون بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن
حتي اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتي كان

السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب
علي المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له
او حال من المخاطبين بمعني ذوي امنة او علي انه جمع امن كبار وبررة وقرئ
امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس
وقرا حمزة والكسائي بالتاء ردا علي الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة
هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما بهم
الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة
اخري لطائفة او حال او استئناف علي وجه البيان لما قبله وغير الحق
نصب علي المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن
الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي
لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما
امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني
الخزرج فقال ذلك والمعني انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم
يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل
ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه وان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب
كله بالرفع علي الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من
ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين
الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الي بعض
وهو بدل من يخفون او استئناف علي وجه البيان له لو كان لنا من
الامر شيء كما وعد محمد عليه السلام وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا
اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راي ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا
ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب

عليهم القتل الي مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في
اللوح المحفوظ الي مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور
ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن
ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي
وفعل ذلك ليبتلي او عطف علي محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة
وللابتلاء او علي قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه
من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد
ووعيد وتنبيه علي انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال
المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان
الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص علي الغنيمة
والحياة لمخالفة النبي فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم
وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل
استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من
المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم
لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعني اخوتهم اتفاقهم
في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او
غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء علي حكاية الحال الماضية او كانوا غزى
جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل
علي ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق
بقالوا علي ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة

الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر
فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون
بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه
وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله
وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير
مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء مما يجلب
الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة
بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اى
وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم
مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرا نافع
وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة
للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه
للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ
القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم
فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب
اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا
لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا
عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه
احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم
الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد

فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا
ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير
عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا
ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم
فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا
اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت
يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله عليه السلام اخذها او ظن به الرماة
يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي
انه بعث طلائع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون
تسميته حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن
عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان
يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات
بالذي غل يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى
كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال
ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه
اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون
فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله
بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي وماويه جهنم وبئس المصير
الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع
هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب
والعقاب او هم ذووا درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم
ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم

علي من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم
بها وقري لمن من الله علي انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا
واقفين علي حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقري من انفسهم اي من اشرفهم
لانه عليه السلم كان من اشرف قبايل العرب وبطونهم يتلوا عليهم آياته اي القرآن
بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء
العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من
قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعني وان الشان
كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد
اصبتم مثليها قلتم اني هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة علي
ما سبق من قصة احد او علي محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف
الي اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال
انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا
وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من
مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او من اختيار
الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله علي
كل شي قدير فيقدر علي النصر ومنعه وعلي ان يصيب بكم ويصيب منكم وما
اصابكم يوم التقي الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد
فباذن الله فهو كاين بقضايه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه
وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون
فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف علي نافقوا داخل في الصلة
او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير
بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا

نصف

الكثرة

الكثرة او ادفعوا بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمي قتالا لاتبعناكم فيه لكن
ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الي التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم
وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب
نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا
للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون
لا يواطي قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الي الافواه تاكيد وتصوير والله
اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الي بعض فانه يعلمه مفصلا
بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون
او نصب علي الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم
او قلوبهم كقوله علي جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل
يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا مقدر بقد اي قالوا قاعدين
عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن
انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون
علي دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه اجري
بكم والمعني ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون
سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء
بدر والخطاب لرسول الله او لكل احد وقري بالياء علي اسناده الي ضمير الرسول
او من يحسب او الي الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا
جاز حذفه عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل
احياء بل هم احياء وقري بالنصب علي بل احسبهم احياء عند ربهم ذووا

زلفى منه **يرزقون** من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء **فرحين بما آتاهم الله**
من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله
والتمتع بنعيم الجنة **ويستبشرون** يسرّون بالبشارة **بالذين لم يلحقوا**
بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم **من خلفهم** اي
الذين من خلفهم زمانا او رتبة **الا خوف عليهم ولا هم يحزنون** بدل من
الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبيّن لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم
من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدّرها خوف وقوع
محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس
بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه
ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن
عباس رضي الله عنه عليه السلم قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر
ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا في الحال
لتحققه ودنوّه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في
الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه
وبشرى للمؤمنين بالفلاح **يستبشرون** كرّره للتوكيد وليعلّق به ما هو بيان
لقوله ان لا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم **بنعمة**
من الله ثوابا لاعمالهم **وفضل** زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وتنكيرهما للتعظيم **وان الله لا يضيع اجر المؤمنين** من جملة المستبشر به
عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال
على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره
مضيعة **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح** صفة
للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره **للذين احسنوا منهم واتقوا**

اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل
لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفين واصحابه
لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهمّوا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس
فخرج رسول الله مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من
المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله
الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت **الذين قال لهم الناس** يعني
الركب الذي استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه
الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه
انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه **ان الناس قد جمعوا لكم**
فاخشوهم يعني ابا سفين واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلم ان شاء الله فلما كان القابل
خرج في اهل مكة حتى نزل مرّ الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع
فمرّ به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب
ان ثبّطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك
والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم
اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد
جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي
احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله **فزادهم ايمانا** الضمير
المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز
للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد
ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان
يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص

قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا
ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد
بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا
من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا
في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا
من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل
ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم
سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز
بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم
بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين
واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان
الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم
نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان
والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز
ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان
يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم
اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على
الاول والى الاولياء على الثاني وخافون من مخالفة امري فجاهدوا مع
رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف
الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا
عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك
خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن
يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل

المفعول والمصدر يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب
في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار
بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته
وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم
عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد
تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا تحسبن الذين
كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين
كفروا مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل
على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب
ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
وما مصدرية فكان حقها ان تنفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في
الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على
ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح السين في جميع القرآن
ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم
من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا
اثما استئناف بما هو علة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند
المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح ههنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على
معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول
في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا
وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون
حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر

المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين
والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم
حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة
التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس
في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان
الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه
يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل
عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على
الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم
روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت
وعن السدي انه عليه السلم قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن
يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه
ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم
لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله من فضله هو خيرا
لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل
الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول
محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو
اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه
عليه السلم ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه
يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء

يبخلون عليه بماله اما انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم
الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيهم وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من
ذا الذي يقرض الله وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضه الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص
بن عازوراء ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر رضه وقال لولا ما بيننا من
العهد لضربت عنقك فشكاه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت
والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء
بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة
اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه
على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه
امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول
بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب
المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل
لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم
الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجات الناس اليه لتحصيل المطاعم
ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة
الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم
عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف
على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي
اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي
وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا بالتورية واوصانا ان لا نؤمن

رسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة
الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل
نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم
لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع في ذلك
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم
صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة
للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم
وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على
قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب
المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور
على الحكم من زبرت الشيء اذا حبسته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر
من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة
للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة
الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم
تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور
ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلم القبر
روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة
في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل
المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عليه السلم من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها
بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة

فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله
لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وبما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد
والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول
والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا
انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا
على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والاحتمال ويستعدوا
للقائها حتى لا يرهقهم نزولها والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور
التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات
الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين
اوتوا الكتاب يريد العلماء به لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب
القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد
وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاء بين عينيه واشتروا به
واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون
يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار
وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم
ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء
جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا
تحسبنهم تاكيدا والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان
الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار

بالصدق بمفازة بنجاة من العذاب اي فايزين بالنجاة منه وقرا ابن كثير وابو عمرو
باليا، وفتح البا في الاول وضمها في الثاني علي ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن
محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا
فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تاكيد للفعل
وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلم
سال اليهود عن شي مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه
وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا
المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بنفاقهم
ويستحمدون الي المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوا علي الحقيقة ولله ملك السموات
والارض فهو يملك امرهم والله علي كل شي قدير فيقدر علي عقابهم وقيل
هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب لدلايل واضحة علي وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوايب الحس والوهم كما
سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار علي هذه الثلاثة في هذه الاية لان
مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات
الشي كتغير الليل والنهار او جزءه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه
كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلعم ويل لمن قراها ولم يتفكر الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم اي يذكرونه دايما علي الحالات
كلها قايمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلم من احب ان يرتع في
رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون علي الهيات الثلاث حسب
طاقتهم لقوله عليه السلم لعمران بن حصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان
لم تستطع فعلي جنب تومي ايما فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض
يصلي مضطجعا علي جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق

السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلم
لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلم بينما
رجل مستلق علي فراشه اذ رفع راسه فنظر الي السما والنجوم فقال اشهد ان لك ربا
وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح علي شرف علم الاصول
وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا علي ارادة القول اي يتفكرون قايلين
ذلك وهذا اشارة الي المتفكر فيه او الخلق علي انه اريد به المخلوق من السموات
والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير
حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا
لمعاشه ودليلا يدله علي معرفتك ويحثه علي طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة
السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض
فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفايدة الفاء
هي الدلالة علي ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم علي الاستعاذة
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره
قولهم من ادرك مرعي الضمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها علي
شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما
للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر للدلالة علي ان ظلمهم
تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي
النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي
للايمان اوقع الفعل علي المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة
ليست في ايقاعه علي نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم
لشانه والمراد به الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما تعدي بالي واللام
لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا بربكم فامنا اي بان
امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا

سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير وتوفنا مع
الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه علي انهم يحبون
لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا وآتنا ما وعدتنا علي رسلك اي ما وعدتنا علي تصديق رسلك
من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف
الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او تصور في الامتثال
او تعبدا واستكانة ويجوز ان يعلق علي بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا علي
رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه علي السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة
بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المومن واجابة
الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في
الابتهال والدلالة علي استقلال المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه
امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الي طلبتهم
وهو اخص من اجاب ويعدي بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم
اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر علي ارادة القول من ذكر او انثي بيان عامل بعضكم
من بعض لان الذكر من الانثي والانثي من الذكر او لانهما من اصل واحد
او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول
الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الي
آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب علي سبيل المدح والتعظيم
والمعني فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من
ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار
وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا
والثاني افضل ولان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد

ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك
اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن الثواب
علي الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب
للنبي والمراد امته او تثبيته علي ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد
والنهي في المعني للمخاطبين وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب
للمبالغة والمعني لا تنظر الي ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما
تري من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المومنين
كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نري من
الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف
اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله للمومنين قال عليه السلام
ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما يرجع ثم
ماويهم جهنم وبئس المهاد ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله
النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه
علي الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل انه مصدر موكد والتقدير
انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار
لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت في ابن
سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية
من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلي عليه فقال المنافقون انظروا الي هذا
يصلي علي علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام علي الاسم للفصل بينه وبين

ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من التورية والانجيل
خاشعين لله حال من فاعل يومن وجمعه باعتبار المعني لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم
عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله اولئك يوتون اجرهم
مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء
واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان
سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا علي مشاق
الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر علي
شدائد الحرب واعدي عدوكم في الصبر علي مخالفة الهوي وتخصيصه بعد
الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين
للغزو وانفسكم علي الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة
بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام
شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوة الا لحاجة واتقوا الله لعلكم
تفلحون واتقوه بالتبرء عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح
لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المترتبة التي هي الصبر علي مضض الطاعات
ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر علي جناب الحق لترصد
الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي عليه السلام من قرا
سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا علي جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرا السورة
التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلي الله عليه وملائكته حتي تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس
خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم

ثلث الرابع

وخلق منها زوجها عطف علي خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها
امكم حواء من ضلع من اضلاعها او علي محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها
وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعني ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة
منها بنين وبنات كثيرة واكتفي بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها
اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا علي الجمع وترتب الامر بالتقوي
علي هذه القصة لما فيها من الدلالة علي القدرة الباهرة التي من حقها ان
تخشي والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر
بالتقوي فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه علي ما دل عليه الآيات التي
بعدها وقرئ خالق وباث علي حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث
واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسئلك بالله
واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرا عاصم وحمزة والكسائي
بطرحها والارحام بالنصب عطف علي محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد
وعمرو او علي الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا
حمزة بالجر عطفا علي الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ
بالرفع علي انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقي او يتساءل
به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه علي ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام
الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامي اموالهم
اي اذا بلغوا واليتامي جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة اما علي انه لما جري مجري الاسماء كفارس وصاحب جمع يتايم ثم قلب
فقيل يتامي او علي انه جمع علي يتمي كاسري لانه من باب الآفات ثم جمع يتمي
علي يتامي كاسري واساري والاشتقاق يقتضي وقوعه علي الصغار والكبار

لكن الورع خصصه بمن لم يبلغ وورود. في الآية اما للبلغ على الاصل والاتساع
لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول
عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير
البلغ والحكم مقيد كانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا
من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه
فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير **وَلَا
تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ** ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من
اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها
وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبدل
وليس بتبدل **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ** ولا تاكلوها مضمومة الى
اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو
فيما زاد على قدر اجره لقوله فليأكل بالمعروف **إِنَّهُ** الضمير للاكل **كَانَ حُوبًا
كَبِيرًا** ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا كقال قولا وقالا
**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ
النِّسَاءِ** اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا
ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا
بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم
ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين
النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي
ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه لما عظم امر اليتامى تحرجوا من
ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا
يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا
في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لهم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة

او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ
تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا **مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**
معدولة من اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة وهي غير
منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها
وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال
من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع في ان ينكح ما شاء من العدد
المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو
ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا** بين هذه
الاعداد ايضا **فَوَاحِدَةً** فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع
على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة **أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ** سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنهن وعدم
وجوب القسم بينهن واباحة العزل **ذَلِكَ** اي التقليل منهن او اختيار
الواحدة او التسري **أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا** اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان
اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر
بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله
ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد
بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع
وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال
على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة **نِحْلَةً** عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا
اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها

نظرا الى مفهوم الآية لا الى موضع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء
او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة
وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل
ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات
اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون
مهور موليا تهم **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا** الضمير للصداق حملا على
المعنى او يجري مجرى الاسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق
اردت كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تميز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى
فان وهبن لكم من الصداق من طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس
للمبالغة وعدا بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن
على تقليل الموهوب **فكلوه هنيئا مريئا** فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة
والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيما
مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء
ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا يتأثمون ان يقبل
احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم**
نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف
المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة
والمتاخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته
واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا
لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله **التي جعل الله لكم قياما** اي تقومون
بها وتنتعشون وعلى الاول يأول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما
وسمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما
وهو ما يقام به **وارزقوهم فيها واكسوهم** واجعلوها مكانا لرزقهم

وكسوتهم

وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه **وقولوا لهم قولا
معروفا** عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن
والمنكر ما انكره احدهما لقبحه **وابتلوا اليتامى** اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم
في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات
العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه **حتى اذا بلغوا النكاح**
حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه السلم
اذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ماله وعليه واقيمت عليه الحدود وثمانية
عشر عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده
فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم **فادفعوا
اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب
اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم
وهو دليل على انه لا تدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت
على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز
بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد **ولا تاكلوها
اسرافا وبدارا ان يكبروا** مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم
ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها **ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف**
بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي
له حق في مال الصبي وعنه عليه السلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما آفآكل
من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم
بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم
اموال اليتامى **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم** بانهم قبضوها
فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم

لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك رضه خلافا
لابي حنيفة **وكفى بالله حسيبا** محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا
ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب**
مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة **مما قل منه او**
كثر بدل مما ترك باعادة العامل **نصيبا مفروضا** نصب على انه مصدر مؤكد
كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص
بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه
لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث
بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة
الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ
فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال
اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى
ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان
عن وقت الخطاب **واذا حضر القسمة اولوا القربى** ممن لا يرث **واليتامى**
والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا
عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير
لما ترك او ما دل عليه القسمة **وقولوا لهم قولا معروفا** وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا
ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا**
عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون
ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم
فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من

ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا
خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا
يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين
حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع
وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم
وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده **فليتقوا**
الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما امرهم
بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا
لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده
عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري
القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة **ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما** ظالمين
او على وجه الظلم **انما ياكلون في بطونهم** ملء بطونهم **نارا** ما يجر الى النار
ويؤول اليها وعن ابي بردة رضه انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم
تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا **وسيصلون سعيرا** سيدخلون نارا
واي نار وقرا ابن عامر وابن عباس عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا
يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها **يوصيكم الله** يامركم ويعهد اليكم
في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله **للذكر مثل حظ الانثيين**
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص
الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان
التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى

للذكر منهم فحذف للعلم به **فان كن نساء** اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس
معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او علي تاويل المولودات **فوق اثنتين**
خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زايدات علي اثنتين **فلهن ثلثا ما ترك**
المتوفي منكم ويدل عليه المعني **وان كانت واحدة فلها النصف** اي وان
كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع علي كان التامة واختلف في البنتين
فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالي جعل الثلثين
لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالي لما بين ان حظ الذكر
مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثي وهو الثلثان اقتضي ذلك ان فرضهما
الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان
كن نساء فوق اثنتين يؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث
مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من
الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك **ولابويه**
ولابوي الميت **لكل واحد منهما** بدل منه بتكرير العامل وفايدته التنصيص علي
استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا **السدس مما ترك**
ان كان له للميت **ولد** ذكرا وانثي غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثي
بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة **فان لم يكن له ولد وورثه**
ابواه فحسب **فلامه الثلث** مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض
ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال
فلهما ما ترك اثلاثا وعلي هذا ينبغي ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين
ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
فانه يفضي الي تفضيل الانثي علي الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو
خلاف وضع الشرع **فان كان له اخوة فلامه السدس** باطلاقه يدل
علي ان الاخوة يردونها من الثلث الي السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور
علي ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من
الاخوة والاخوات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون
الثلثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه السدس
بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها **من بعد وصية يوصي بها او دين** متعلق
بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان
من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة علي انهما
متساويان في الوجوب مقدمان علي القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية
علي الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة علي الورثة مندوب
اليها الجميع والدين انما كان علي الندور **اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم**
اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في
عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الي تفضيل بعض وحرمانه
روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سال ان يرفع
اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم أمن اوصي منهم فعرضكم للثواب بامضاء
وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ
الوصية **فريضة من الله** مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معني يامركم
ويفرض عليكم **ان الله كان عليما** بالمصالح والرتب **حكيما** فيما قضي وقدر **ولكم**
نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم
الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان
سفل ذكرا كان او انثي منكم او من غيركم **من بعد وصية يوصين بها او دين**
ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن
الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق
الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا

في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي
الواحد والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث
اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة
حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها
قرابة ليست من جهة الولد والوالد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من
اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث ويورث على البناء للفاعل
والرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني السكنة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني
مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال
الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفي حتى الاقي محمدا فاستعيرت
لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث
والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل
وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه
اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت
من الام وانه ذكر في آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو
لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها
فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في
الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم
الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن
فخصص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي
غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة
والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول
عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش
عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به

ويؤيده ان قرئ غير مضار على المفعول وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله
وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار
الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة
الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه
التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص
الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد
الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين
حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين
لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين
الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها
اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن
اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين يشهد عليهن فان
شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها
سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن
ملائكة الموت قيل ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان
يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى
بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني
او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن
السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني فآذوهما بالتوبيخ
والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا
عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما
علة للامر بالاعراض وترك المذمة وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا

وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه
في اللواطين والزانية والزاني في الزناة **انما التوبة على الله** اي ان قبول
التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته **للذين يعملون**
السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك
قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته **ثم يتوبون من قريب** من زمان
قريب اي قبل حضور الموت لقوله حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان
الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تعالى متاع
الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع
ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل
ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء **فاولئك يتوب الله عليهم** وعد
بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله **وكان الله عليما**
فهو يعلم باخلاصهم في التوبة **حكيما** والحكيم لا يعاقب التائب **وليست**
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور
الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة
في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء
سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون
السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار
اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب
اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة
وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء **يا ايها الذين آمنوا لا يحل**
لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته
وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره

واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل
لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم
المشقة وبالفتح ما يكره عليه **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن**
عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا تمنعوهن من التزوج واصل العضل
التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون
النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام
بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل **الا ان ياتين بفاحشة مبينة**
كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول
له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن
لعلة الا لان ياتين بفاحشة وقرا ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي
الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن **وعاشروهن بالمعروف**
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول **فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا**
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره
ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين
وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا
عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم **وان اردتم استبدال زوج مكان**
زوج تطليق امراة وتزوج اخرى **وآتيتم احديهن** اي احدى الزوجات جمع الضمير
لانه اراد بالزوج الجنس **قنطارا** مالا كثيرا **فلا تاخذوا منه شيئا** اي من القنطار
اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين
وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب
بهتانهم واقترافهم الماثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي
تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى

تزوج الجديين فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد
يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسرههنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد
افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة
ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والممازجة وما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون
من لانه اريد به الصفة وقيل مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النسا
بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثنا من المعنى اللازم للنهي
فكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ
للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتايب والمعنى ولا تنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم
ان تنكحوا وقيل الاستثنا منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مواخذة
عليه لانه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان
فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك
سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم
وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن
لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله
حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من
ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت
من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات
والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى

ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم
اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب
حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة
ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه الصلوة والسلم يحرم من الرضاعة
ما يحرم من النسب واستثنا اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل
ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا
محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة
فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة
من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما
لحقه التا لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع
قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب
كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا
لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا
جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات
النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما
فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج
ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي
كرم الله وجهه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة
للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها
والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده
قوي الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد
الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه انه جعله شرطا

والامهات والربايب يتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم
معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ماليس بزنا كوطي بشبهة او ملك يمين
وعند ابي حنيفة رضه لمس المنكوحة ونحوها كالدخول فان لم تكونوا دخلتم
بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم
زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم
احتراز عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع
الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات
المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان
وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت
ايمانكم فرجح علي كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضي الله عنه التحليل وقول
علي اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه الصلوة والسلم
ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم
المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا
رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج
او الازواج وقرا الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما
ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن
ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد
رضي الله عنه اصبنا سبيا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن
فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق
وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة
لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابي واطلاق الآية والحديث
حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء
كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ

الجزء الخامس

الفعل

الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرا حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء
ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى
المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان
تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء
ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال
كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل
ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل
الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان
العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح
وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من
المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن
اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور
بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى
او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او من مقام او فراق وقيل
نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روي
انه عليه الصلوة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم
بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح
المؤقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتعها
بما تعطى وجوزها ابن عباس رضي الله عنهما ثم رجع عنه ان الله كان عليما
بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى
واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات

في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحراير لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات يعني الاماء المومنات
نظاهر الآية حجة للشافعي رضه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رضه طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المومنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المومنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المومنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويويده بعضكم من بعض انتم وارقاكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفيه وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يودي اليه وقال مالك رضه المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج وقرا حمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضمها وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحراير من العذاب

من الحد لقوله وليشهد عذابهما طايفة من المومنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبايح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلوة والسلم الحراير صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقتهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيآتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة غير مستحل له يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما

ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه
الثلاث ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم
مثقال ذرة ومن يعمل سوء ما يفعل الله بعذابكم **يا ايها الذين آمنوا لا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل** بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون
تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة
اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي
بها يحل تناول مال الغير لانه اغلب واوفق لذوي الالباب ويجوز ان يراد بها
الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله
وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة
واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة **ولا تقتلوا انفسكم**
بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي
ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم
او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل
الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين
كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها
من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي
فضايلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله **ان الله كان بكم رحيما**
اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد
رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه **ومن يفعل ذلك**
اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات **عدوانا وظلما** افراطا
في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي
على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب **فسوف نصليه نارا**

ندخله اياها وقري بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة
مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي **وكان ذلك
على الله يسيرا** لا عسر فيه ولا صارف عنه **ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه**
كباير الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقري كبير على ارادة الجنس **نكفر عنكم
سيئاتكم** نغفر لكم صغايركم ونمحها عنكم واختلف في الكباير والاقرب ان
الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته
بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله
وقذف المحصنة واكل مال اليتيم واكل الربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكباير الى سبعماية اقرب منها الى سبع وقيل اراد
به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل
صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكباير واصغر
الصغاير حديث النفس وبينهما وسايط يصدق عليها الامران فمن عن له
امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فان كفها عن اكبرهما كفر عنه ما
ارتكبه من اصغرهما لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما
يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير
من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها **وندخلكم
مدخلا كريما** الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا نافع بفتح الميم
وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض** من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه
ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهى
لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة
القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع
ومحال **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** بيان

لذلك اي ولكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله
فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلوة والسلم ليس
الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على
بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة
والنقص كالمكتسب **واسئلوا الله من فضله** اي لا تتمنوا ما للناس واسئلوا
الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا
واسئلوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم **ان الله بكل شيء عليما** فهو يعلم
ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة رضي الله
عنها قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا
كنا رجالا فنزلت **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون** اي ولكل
تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او
ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث
وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد
فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي
حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه
محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر **والذين عاقدت ايمانكم**
موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رضي لو اسلم رجل على يد رجل
وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد
النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره **فآتوهم نصيبهم** او منصوب بمضمر
يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة
مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت
بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه

ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى **ان الله كان على كل شيء شهيدا** تهديد
على منع نصيبهم **الرجال قوامون على النساء** قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك
بامرين موهبي وكسبي فقال **بما فضل الله بعضهم على بعض** بسبب تفضيله
الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات
ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع
القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث
والاستبداد بالفراق **وبما انفقوا من اموالهم** في نكاحهن كالمهر والنفقة روي
ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال عليه الصلوة
والسلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير
فالصالحات قانتات مطيعات لله قايمات بحقوق الازواج **حافظات
للغيب** لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس
والمال وعنه عليه الصلوة والسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان
امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلى الآية وقيل لاسرارهم
بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن
والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية
لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة
على الرجال **واللاتي تخافون نشوزهن** عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة
الازواج من النشز **فعظوهن واهجروهن في المضاجع** في المراقد و لا
تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع
المبايت اي لا تبايتوهن **واضربوهن** يعني ضربا غير مبرح ولا شاين والامور
الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها **فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**

بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له **ان الله كان عليا كبيرا** فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سياتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه متعالي ومتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه **وان خفتم شقاق بينهما** خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقولك يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صايم **فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها** فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح فهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك رضي لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه **ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما** الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله لتتفق بينهما كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه **ان الله كان عليما خبيرا** بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا **وبالوالدين احسانا** واحسنوا بهما احسانا **وبذي القربى** وبصاحب القرابة **واليتامى والمساكين**

والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص **والجار الجنب** البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب **والصاحب بالجنب** الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة **وابن السبيل** المسافر او الضيف **وما ملكت ايمانكم** العبيد والاماء **ان الله لا يحب من كان مختالا** متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم **فخورا** يتفاخر عليهم **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل** بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرا حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة **ويكتمون ما آتاهم الله من فضله** الغنى والعلم احقا بكل ملامة **واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمته فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار نصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم **والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس** عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان **ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون **ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا** تنبيه على ان الشيطان قرنهم

فحملهم علي ذلك وزينه لهم كمقلدات المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد
ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم
الشيطان في النار **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا**
مما رزقهم الله اي وماذا الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق
في سبيل الله وهو توبيخ لهم علي الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشئ
علي خلاف ما هو عليه وتحريض علي الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الي
العلم بما فيه من الفوايد الجليلة والعوايد الجميلة وتنبيه علي ان المدعو الي امر
لاضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم
الايمان ههنا واخره في الآية الاخري لان القصد بذكره الي التخصيص ههنا
والتعليل ثمه **وكان الله بهم عليما** وعيد لهم **ان الله لا يظلم مثقال**
ذرة لاينقص من الاجر ولايزيد في العقاب اصغر شئ كالذرة
وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من
الثقل وفي ذكره ايماء الي انه وان صغر قدره عظم جزاؤه **وان تك حسنة**
وان تك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال
الي مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن
كثير ونافع حسنة بالرفع علي كان التامة **يضاعفها** بمعني يضاعف ثوابها
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعني **ويؤت من لدنه**
ويعط صاحبها من عنده علي سبيل التفضل زايدا علي ما وعد في مقابلة
العمل **اجرا عظيما** عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه **فكيف**
اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى
وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد علي فساد عقايدهم
وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم
الشان **وجئنا بك** يا محمد **علي هؤلاء شهيدا** تشهد علي صدق هؤلاء

الشهداء بعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة
الي الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الي المومنين لقوله تعالي لتكونوا شهداء علي الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول**
لو تسوي بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر
وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوي بهم الارض
كالموتي او لم يبعثوا او يخلقوا او كانوا هم والارض سواء **ولا يكتمون الله حديثا**
ولا يقدرون علي كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون
ان تسوي بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه
بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله علي افواههم
فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوي بهم الارض
وقرا نافع وابن عامر تسوي علي ان اصله تتسوي فادغم التاء في السين
وحمزة والكسائي تسوي علي حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوي **يا ايها**
الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكاري حتي تعلموا ما تقولون
اي لا تقوموا اليها وانتم سكاري من نحو نوم او خمر حتي تنتبهوا وتعلموا ما
تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف رضع صنع مادبة ودعا نفرا
من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتي ثملوا وجاء وقت
صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل
اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن
قربان الصلوة وانما المراد منه النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر
وهو السد وقرئ سكاري بالفتح وسكري علي انه جمع كهلكي او مفرد بمعني
وانتم قوم سكري وسكري كحبلي علي انه صفة الجماعة **ولا جنبا** عطف علي قوله
وانتم سكاري اذ الجملة في موضع النصب علي الحال والجنب الذي اصابته الجنابة
يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجري المصدر **الا عابري**

جنبا

سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثنا من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة
في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر
التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم
لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها
وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رضه وقال ابو حنيفة لا يجوز له
المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي
عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما
يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى
مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه
عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط
فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من
الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل
الشافعي رضه على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة
والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا
ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع منه كالمفقود ووجه هذا التقسيم
ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر
مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر
ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل
احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى
او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا
من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر
صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب

لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف
اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه عليه الصلوة
والسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم
الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر
الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى
الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود
يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله
بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون
ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم
وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم
وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتاكيد
الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا
نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي
ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن
مواضعه اي ومن الذين قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله
فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونها على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله
فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت
او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان
اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا
بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون
به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من
الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به

ومحرفة ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان
ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف
الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم
ولكن خذلهم وابعدهم من الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اي الا ايمانا
قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة
العدم كقوله شعر: قليل التشكي للمهم يصيبه ، او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون
يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان
نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها
على هيئة ادبارها يعني الاقفاء ، او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة ،
واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة
ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها
واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات
الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال المراد بالوجوه الرؤساء او من
قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء
الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة . او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان
داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به
الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة
في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان
وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او
وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة مما اوعدتم به ان
لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه
لا يمحى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون

الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا علقه والمعتزلة بالفعلين
على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من
تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض
لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها
فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين ظلموا ان كل ذنب شرك وان
صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر
دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق
على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل
الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ، وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا
كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم
من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد
به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى
المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون
بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط
الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا
لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام
ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع
من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل

ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت
يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء
اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة
او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم
نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مما يوازي نقيرا وهو
النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم
ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار
انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا
وقع بعد الواو والفاء لا للتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا
لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد
الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما
الرذايل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم
الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم
ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم فمن اليهود من آمن به
بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض
عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك
توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون
بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين
كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت

جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى
كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما
قال ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب
في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان
عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر
المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب
فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة
مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات
وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى
ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي
كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين
فلما خرج ساله العباس رضه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فامر الله ان يرده اليه فامر عليا رضه بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه
ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم
او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به
اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به
او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات
والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون
في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم
الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها
علي ان وجوب طاعتهم ما داموا علي الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالي ولو ردوه
الي الرسول والي اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم
واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان
ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر علي طريقة
الالتفات فردوه فراجعوا فيه الي الله الي كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه
والمراجعة الي سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالي اوجب رد
المختلف الي الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الي المنصوص
عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر
بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل علي ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب
ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما علي وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا
عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الي الذين يزعمون انهم
آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الي الطاغوت
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الي النبي
صلي الله عليه وسلم ودعاه المنافق الي كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الي رسول الله
صلعم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الي عمر فقال اليهودي لعمر قضي لي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضي الله عنه للمنافق
اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتي اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب
به عنق المنافق حتي برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت
وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق رضي الله عنه والطاغوت
علي هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك

لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الي الشيطان من
حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان
يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها علي ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الي ما انزل الله والي الرسول
وقرئ تعالوا بضم اللام علي انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير
رايت المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو
الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في
موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او
النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الي غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم
جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف علي اصابتهم وقيل علي يصدون وما بينهما
اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك
الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء
اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الي عمر الا ان يحسن الي
صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض
عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم
بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معني انفسهم او خاليا
بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ المراد منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي
عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضي شفقة
الانبياء وتعليق الظرف ببليغا علي معني بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف
لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق
مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب
اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك علي ان الذي

لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال
الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته
ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم ظلموا انفسهم بالنفاق
او التحاكم الي الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك
حتي انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان
من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه
ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا
عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا
من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله
لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالي لا اقسم بهذا البلد حتي
يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك
او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك
انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او
مفسرة لان كتبنا بمعني امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا
من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون علي اصل التحريك
او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا
عاصم وحمزة بكسرهما علي الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجري الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان
ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه علي قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير
للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب علي

الاستثناء او علي الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة
الرسول صلعم ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم
وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا
لثواب اعمالهم ونصبه علي التمييز والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج
من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الي جارك
فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلوة والسلم اسق يا زبير ثم احبس
الماء الي الجدر واستوف حقك ثم ارسله الي جارك واذا لآتيناهم من لدنا
اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال
واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما
يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه الصلوة والسلم
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق
واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان
للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل
وحث كافة الناس علي ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم
والعمل المتجاوزون حد الكمال الي درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم
تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخري بمعارج التصفية والرياضات الي اوج
العرفان حتي اطلعوا علي الاشياء واخبروا عنها علي ما هي عليها ثم الشهداء الذين
ادي بهم الحرص علي الطاعة والجد في اظهار الحق حتي بذلوا مهجهم في اعلاء
كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك
ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان
او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان

القرب بحيث يكونون كمن يري النبي قريبا وهم الانبياء اولا فيكونون كمن يري
النبي من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما يكون عرفانهم بالبراهين
القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون
بامارات واقناعات يطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون **وَحَسُنَ أُولٰئِكَ**
رَفِيقًا في معني التعجب ورفيقا نصب علي التميز او الحال ولم يجمع لانه يقال
للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان
مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله
عن حاله فقال يا بي من وجع غير اني اذا لم اركا اشتقت عليك ما ستوحشت وحشة
شديدة حتي القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت
انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم
ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت **ذٰلِكَ** اشارة الي ما للمطيعين من
الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الي فضل هؤلاء المنعم عليهم **الْفَضْلُ**
صفته **مِنَ اللّٰهِ** خبر او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معني الاشارة
وَكَفىٰ بِاللّٰهِ عَلِيمًا بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله **يَا**
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر
كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح **فَانْفِرُوا** فاخرجوا الي الجهاد
ثُبَاتٍ جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت علي فلان تثبيتة اذا ذكرت
متفرق محاسنه وتجمع ايضا علي ثبين جبرا لما حذف من عجزه **أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا**
مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها
وجوب المبادرة الي الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات **وَإِنَّ مِنْكُمْ**
لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ الخطاب لعسكر رسول الله صلي الله عليه وسلم المؤمنين منهم
والمنافقون والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطاء
بمعني ابطاء وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطاء

متقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولي للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر
والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن
في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن **فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ**
كقتل وهزيمة **قَالَ** اي المبطئ **قَدْ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا**
حاضرا فيصيبني ما اصابهم **وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللّٰهِ** كفتح وغنيمة **لَيَقُولَنَّ**
اكده تنبيها علي فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير علي معني من **كَأَنْ لَمْ تَكُنْ**
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو **يَا لَيْتَنِي كُنْتُ**
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا للتنبيه علي ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا
مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن
او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن تثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين
تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما
فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولي وهو ضعيف اذ لا يفصل
ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعني وكان مخفف من الثقيلة واسمه ضمير الشان
وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء
لتانيث لفظ المودة والمنادي في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه
علي الاتساع فافوز نصب علي جواب التمني وقرئ بالرفع علي تقدير فانا افوز في ذلك
الوقت او العطف علي كنت **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيٰوةَ**
الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ اي الذين يبيعونها بها والمعني ان بطاء هؤلاء عن القتال فليقاتل
المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها علي
الآخرة وهم المبطئون والمعني حثهم علي ترك ما حكي عنهم **وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ**
اللّٰهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وعد له الاجر العظيم غلب
او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها علي ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتي

يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل
بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل
الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف
على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو
او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على
الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من
ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان من بيان للمستضعفين
وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين
وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ
اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا
في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع
وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم
بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة
على نبيه صلوات الله عليه فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم
ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند
اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث
على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان
فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء
الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده
للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه
فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم

اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب
عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار
ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم باسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق
مبتدا منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول
وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل
خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا
فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم
الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية
ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله
او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا
اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت
ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوا في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا
قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون
ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ
بالرفع على حذف الفاء كانه قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه
كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور
او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة
اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة
من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة
والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب
نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما

قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من
عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من
الله او حديثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض
هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل
ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال
عليه الصلوة والسلم ما يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا
وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها
بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان
الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله
عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع
شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة
وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل
والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس
ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا
على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة
مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه الصلوة والسلم قال من احبني فقد احب الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه
ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى
عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها
انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم
طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيّت طائفة منهم غير الذي

تقول زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت
اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه
يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله
يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او جملة ما يوحى اليك لتطلع على
اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور
كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم فينتقم لك منهم
افلا يتدبرون القرآن يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر
النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا
وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض
اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون
بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا
للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل
لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول عليه الصلوة والسلم بما اوحي اليه من
وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة
والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه لو ردوا ذلك الخبر الى
الرسول والى اولي الامر منهم الى رايه وراي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء
لعلمه لعلم على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره
بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود
وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا
انه هل يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي

يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من
البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال
الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا منكم تفضل الله عليه
بعقل راجح اهتدي به الي الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد
بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل
في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا
فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الي الجهاد وان لم يساعدك
احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه الصلوة والسلم دعا الناس في بدر
الصغري الي الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد
وقري لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على البناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل
نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال
اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا
يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد
باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه
من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب
اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلوة والسلم من دعا
لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب
منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الي الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة
سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في
القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال
وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حافظا
واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب

اما باحسن منه وهو ان يزيد ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد
مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل
نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك
مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها
ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا
الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي
الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار
من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلبت في السلام وقيل
المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي
ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو
مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من
قبوركم الي يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام
والقيمة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه
في اليوم او الجمع فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا
انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الي خبره بوجه لانه نقص وهو
على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين
فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين
مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت
في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق
الي الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك

نصف

مالكم قايما في المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم ام من الضمير اي فالكم
تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين **والله اركسهم بما كسبوا**
ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا
اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين **ومن يضلل**
الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى **ودوا لو تكفرون كما كفروا** تمنوا ان تكفروا
ككفرهم **فتكونون سواء** فيكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على
تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز **فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا**
في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا او يحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله
لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه **فان تولوا** عن الايمان الظاهر
بالهجرة او عن اظهار الايمان **فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم** كسائر
الكفرة **ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** اي جانبوهم راسا لا تقبلوا
منهم ولاية ونصرة **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق**
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم
عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه
الصلوة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا
يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن
زيد بن مناة **او جاؤكم** عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم
وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين
او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين
يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان
ليصلون او استيناف **حصرت صدورهم** حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ
حصرت صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم

قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين
والحصر الضيق والانقباض **ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم** اي عن ان
او لان او كراهة ان يقاتلوكم **ولو شاء الله لسلطهم عليكم** بان قوى قلوبهم
وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم **فلقاتلوكم** ولم يكفوا عنكم **فان اعتزلوكم**
فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم **والقوا اليكم السلم** الاستسلام والانقياد
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم **ستجدون**
آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو
عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا **كلما**
ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين **اركسوا فيها** عادوا اليها
وقلبوا فيها اقبح قلب **فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم** وينبذوا
اليكم العهد **ويكفوا ايديهم** عن قتالكم **فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم**
حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض **واولئكم جعلنا لكم**
عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور
عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم **وما**
كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه **ان يقتل مؤمنا** بغير حق **الا خطا**
فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال
الا حال الخطا او لا يقتله لعلة الا للخطا او على انه صفة مصدر محذوف اي الا
قتلا خطا وجزاؤه ما يذكر والخطا ما لا يصاحبه القصد الى الفعل والشخص
او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي المسلم في صف
الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا
بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي
حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر عياش فقتله **ومن قتل**
مؤمنا خطا فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق

والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم
في الاحرار واللؤم في العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها
وان كانت صغيرة ودية مسلمة الي اهله مؤداة الي ورثته يقتسمونها كسائر
المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي علي العاقلة
فان لم يكن فعلي بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا
عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها علي فضله وعن النبي صلعم
كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها
الي اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب علي الحال من
القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في
تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلي قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة
بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية
مسلمة الي اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين
او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان
المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا
ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه اي فالواجب عليه صيام
شهرين توبة نصب علي المفعول له اي شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل
توبته او علي المصدر اي وتاب الله عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه
صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله
عنهما لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه

والجمهور علي انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما
مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد
اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل علي مسلم فقتله ورجع الي مكة مرتدا او
المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة علي ان عصاة المسلمين لا يدوم
عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو
فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن القي اليكم
السلم لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف
اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت
ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة
الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام الدنيا سريع النفاد وهو حال من الضمير في
تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم علي العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة
تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام
تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم
السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا
وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الي قتلهم ظنا بانهم
دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم
وتكريره تاكيدا لتعظيم الامر وترتيب الحكم علي ما ذكر من حالهم ان الله كان بما
تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي
ان سرية لرسول الله صلي الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه
فلما راي الخيل الجا غنمه الي عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر
ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه
فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله

فقتله وقال رد لونو باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد
يخطي وان خطاء مغتفر **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ** عن الحرب **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**
في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** بالرفع صفة
للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه
وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم
وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على
فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر **وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ**
اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما
من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته
فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً جملة
موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع
الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة
منه او الحال بمعنى ذوي درجة **وَكُلًّا** من القاعدين والمجاهدين **وَعَدَ اللَّهُ
الْحُسْنَى** المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت
في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب **وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا** نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه
معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما **دَرَجَاتٍ
مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً** كل واحدة منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على
المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة
ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا
وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة

والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم
عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاولهم الاضراء والقاعدون
الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد
الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلوة والسلم رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر **وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا** لما عسى يفرط منهم **رَحِيمًا** بما وعد لهم
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على
مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها
فيستوفونها **ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها
نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة **قَالُوا** اي
الملائكة توبيخا لهم **فِيمَ كُنْتُمْ** في اي شيء كنتم من امر دينكم **قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ
فِي الْأَرْضِ** اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين
واعلاء كلمته **قَالُوا** اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً
فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة **فَأُولَئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ** لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن
الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر وقالوا والعائد
محذوف اي قالوا لهم وهي جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها **وَسَاءَتْ
مَصِيرًا** مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل
فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان
كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد **إِلَّا
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ** استثناء منقطع لعدم
دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر
وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة
فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا

بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان
اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك
الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها
قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي
يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار
الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ
يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق
بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع
والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت
في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف
على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على
جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلوة والسلم اتم في السفر وان عائشة
رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت
واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول
عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة
رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر
وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مأول بانه كالتام في
الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم

الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمى
الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر
فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن
الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة
من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا
لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها
كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان
يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة
الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول
صلى الله عليه وسلم كيفيتها لياتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم
كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك
يصلون ويقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي
المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم
فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم
يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى
لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي
مرتين لكل طائفة مرة كما فعله عليه الصلوة والسلام ببطن النخل وان اريد
ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة
وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي
الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم
بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي

بالاولي ركعة ثم يذهب هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخري فتصلي معه
ركعة وتتم صلوتها ثم تعود الي وجه العدو وتاتي الاولي فتؤدي الركعة
الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها **وليأخذوا حذرهم واسلحتهم** جعل الحذر
آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله
والذين تبوؤا الدار والايمان **ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم**
وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في
صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذي من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا
اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض
وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب **وخذوا حذركم**
امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو **ان الله اعد للكافرين عذابا**
مهينا وعد للمؤمنين بالنصر علي الكفار بعد الامر بالحزم ليتقوي قلوبهم وليعلموا
ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور
علي مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا علي الله **فاذا قضيتم الصلوة** اديتم وفرغتم
منها **فاذكروا الله قياما وقعودا وعلي جنوبكم** فدوموا علي الذكر في جميع الاحوال
او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين
ومقارعين وقعودا رامين وعلي جنوبكم مثخنين **فاذا اطمأننتم** سكنت قلوبكم
من الخوف **فاقيموا الصلوة** فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة
ان الصلوة كانت علي المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز
اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل علي ان المراد بالذكر الصلوة
وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر
بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتي يطمئن **ولا**
تهنوا ولا تضعفوا **في ابتغاء القوم** في طلب الكفار بالقتال **ان تكونوا**

تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع
علي التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون
من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي
ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا
لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة النهي عن الوهن لاجله والآية
نزلت في بدر الصغري **وكان الله عليما** باعمالكم وضمايركم **حكيما** فيما يامر وينهى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق
من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى
انتهى الي منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود
فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلعم
ان يفعل **بما اريك الله** بما عرفك الله واوحي به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم
والا لاستدعي ثلاثة مفاعيل **ولا تكن للخائنين** اي لاجلهم والذب
عنهم **خصيما** للبراء **واستغفر الله** مما هممت به **ان الله كان غفورا رحيما**
لمن يستغفره **ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم** يخونونها فان وبال
خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير
لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا علي براءته وخاصموا
عنه **ان الله لا يحب من كان خوانا** مبالغا في الخيانة مصرا عليها **اثيما**
منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الي مكة وارتد ونقب حايطا بها ليسرق اهله
فسقط الحايط عليه فقتله **يستخفون من الناس** يستترون منهم خوفا وحياء
ولا يستخفون من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف منه **وهو معهم** لا يخفى

عليه شرهم فلا طريق معه الا ترك ما استحقبه ويواخذ عليه اذ يبيتون يدبرون
ويزورون ما لا يرضي من القول من رمي البري والحلف الكاذب وشهادة
الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هولاء مبتدا وخبر
جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولا خبرا او صلته عند من يجعله
موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا
يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به
ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة
والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه
وفيه بعث لطعمة وقومه علي التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه
علي نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما
فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه
او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريا كما رمي طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان
او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البري وشره النفس الخاطية
ولذلك سوي بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل
الله عليك ورحمته باعلام ما هممت عليه بالوحي والضمير للرسول
لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم
الحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الي نفي همهم بل الي نفي تاثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليه وما يضرونك
من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك علي ظاهر الامر
لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب علي المصدر اي شيا من الضرر
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات
الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل
اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم كقوله وان هم

نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف علي حذف مضاف اي
الا نجوى من امر او علي الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف
كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وينديج فيه القرض واغاثة الملهوف
وصدقة التطوع وساير ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين ومن
يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما بني الكلام علي
الامر ورتب الجزاء علي الفعل ليدل علي انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان
الفاعل ادخل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث
انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات
وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم
تنبيها علي حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا ومن يشاقق الرسول
يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد
ما تبين له الهدي ظهر له الحق بالوقوف علي المعجزات ويتبع غير سبيل
المومنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولي نجعله واليا
لما تولي من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها
وقري بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل علي حرمة
مخالفة الاجماع لانه تع رتب الوعيد الشديد علي المشاقة واتباع غير سبيل
المومنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل
اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث
لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان
اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع
غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام في مرصاد الافهام الي مبادي الاحكام
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد
او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ

منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من
دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني
لنادم تايب فما ترى حالي عند الله فنزلت وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب
والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانه متصلة بقصة اهل
الكتاب ومنشا شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله إِنْ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم
يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمايها كما قال
وما ذكر وان يسمن فانثى شديدا لازم ليس لها ضرس فانه عنى القراد وهو
ما كان صغيرا اسمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات
تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تع ذكرها بهذا الاسم
تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود
ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم
وقيل المراد الملايكة لقولهم الملايكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى
وقرئ انثى على التوحيد وانثى على انه جمع انيث كجنب وخبيث ووثنا بالتخفيف
والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة
وَإِنْ يَدْعُونَ وان يعبدون بعبادتها إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لانه الذي امرهم
بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد
الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة
مرداء للتي تناثر ورقها لَعَنَهُ اللّٰهُ صفة ثانية للشيطان وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة
الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان
الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل لا يفعل

فعلا اختياريا وذلك في الالوهية غاية المنافاة فان الله تعالى ينبغي ان يكون
فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلثة
اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يتعلق بشيء من الخير والهدى فيكون
طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب
مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في
اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض
المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء وَلَأُضِلَّنَّهُمْ
عن الحق وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب
وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ ليشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة
عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل ما احل الله ونقص
كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّٰهِ عن وجهه
صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقاء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم
والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله
التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب
لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في
خصاء البهايم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا
وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللّٰهِ بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله
به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا اي ضيع راس
ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار يَعِدُهُمْ ما لا ينجز وَيُمَنِّيهِمْ ما لا
ينجز وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا وهو اظهار النفع فيما فيه الضر وهذا
الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليايه أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا
يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال
منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سيدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعد وعدا وحق ذلك حقا
فالاول موكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني موكد
لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله
قيلا جملة موكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة
لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيل
ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب
ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان
والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل
روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل
نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم
نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب
مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا
جنة ولا نار ولا قولهم ان كان الامر كما يزعم هولاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا
ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به
عاجلا وآجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله
قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز
موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او
انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي

كاينة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء
الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا
يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا
يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب
الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف
لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان
ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات
واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر
الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه
وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره تفخيما له وتنصيصا
على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من
الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق
في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان
في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه
نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عليه الصلوة والسلم بعث
الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم
يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز
غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ساره الخبر
غلبته عيناه فنامت وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حواري واختبزت
فاستيقظ ابرهيم عليه السلم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت
من عند خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منها من يشاء وما
يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض

وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال **وكان الله بكل شيء محيطا** احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها **ويستفتونك في النساء** في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصن اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانا كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلوة والسلام كذلك امرت **قل الله يفتيكم فيهن** يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم **وما يتلى عليكم في الكتاب** عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى **في يتامى النساء** صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انها ايامى فقلبت همزته ياء **اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن** اي فرض لهن من الميراث **وترغبون ان تنكحوهن** في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن والا كانوا يعضلوهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحهن جريان العقد في صغرهن **والمستضعفين من الولدان** عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء **وان تقوموا لليتامى بالقسط** ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما

يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبها عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي يامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم وان يستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم **وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما** وعد لمن آثر الخير في ذلك **وان امراة خافت من بعلها** توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر **نشوزا** تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعها حقوقها **او اعراضا** بان يقل الزوج مجالستها ومحادثتها **فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا** ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح **والصلح خير** من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله **واحضرت الانفس الشح** ولذلك اغتفر عدم تجانسهما فالاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها **وان تحسنوا** في العشرة **وتتقوا** النشوز والاعراض ونقص الحق **فان الله كان بما تعملون** من الاحسان والخصومة **خبيرا** عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء** لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك

ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور
على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست
ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان يميل مع
احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن
وتتقوا فيما يستقبل من الزمان فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى
من ميلكم وان يتفرقا وقرئ ان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن
الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله
واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في
الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة
بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين
ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى
القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول
اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان
الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات
وما في الارض كرره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات
يدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصايص والكمالات
على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل
بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشا يذهبكم ايها الناس يفنكم
ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد قوما آخرين
مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام
والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته

وتهديد لمن كفر وخالف امره وقيل هذا خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما
نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا
من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله ثم تخطيه الغنيمة
وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما
يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا
عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون
شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة
على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على
غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن المشهود عليه
او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة
او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم
يكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه
والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا
لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن
شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة
او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها
الذين آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي
ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية

وعزيز ونكز بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا
به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان
بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس ومن يكفر بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشي من ذلك فقد ضل
ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لايكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني
اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم
كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوم تكرر منهم الارتداد
ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الكفر لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر
وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر
كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل ولم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر
المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا
في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافسا
الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكم بهم الذين يتخذون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين اوهم
الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا
يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرئ
غير عاصم نزل والقايم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى
انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزء بها حالان من الآيات جي بهما لتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي
هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازيا معاندا غير مرجي ويؤيده القا

وهذا انذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا الآية
والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بيكفر بها ويستهزء بها انكم اذا مثلهم
في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك
او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل
عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين
والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها
الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح
على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم
ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين او الكافرين
او ذم مرفوع او منصوب او مبتدا خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا
الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم فان كان للكافرين
نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم
ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان
يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين
بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا
فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه
مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل
الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة
بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي
العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في
اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره
على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم

مومنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى من
يرائيه عمله وهو يريه استحسانه **ولا يذكرون الله الا قليلا** اذ المرائي لا يفعل
الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة
الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها
غير التكبير والتسليم **مذبذبين بين ذلك** حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون
اي يرائونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى
مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشئ مضطربا واصله الذب
بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون
كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالذال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة
في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة **لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء** لا منسوبين
الى المومنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية **ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا** الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم
يجعل الله له نورا فما له من نور **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المومنين** فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم
اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه **ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار** هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث
الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلوة
والسلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا
حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ
وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق
بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه
لانه يجمع على ادراك **ولن تجد لهم نصيرا** يخرجهم منه **الا الذين تابوا** عن النفاق

واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق **واعتصموا بالله** وثقوا به
او تمسكوا بدينه **واخلصوا دينهم لله** لا يريدون بطاعتهم الا وجهه **فاولئك
مع المومنين** ومن عدادهم في الدارين **وسوف يؤت الله المومنين اجرا عظيما**
فيساهمونهم فيه **ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم** ايتشفى به غيظا او
يدفع ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعال عن النفع والضر وانما يعاقب المصر
بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر
ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا
فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به **وكان الله شاكرا**
مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل **عليما** بحق شكركم وايمانكم **لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه
روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على
البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله
وكان الله سميعا لكلام المظلوم **عليما** بالظالم **ان تبدوا خيرا** طاعة وبرا **او تخفوه** او
تفعلوه سرا **او تعفوا عن سوء** لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه
تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله **فان الله كان عفوا قديرا** اي يكثر العفو عن العصاة
مع كمال القدرة على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له
في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق **ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله** بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله **ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض** نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم **ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا** طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان
الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر
ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا **حقا** مصدر مؤكد

الجزء السادس

لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا **واعتدنا**
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم
ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في
سياق النفي **اولئك سوف نؤتيهم اجورهم** الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد
الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرا حفص عن عاصم وقالون عن
يعقوب بالياء على تلوين الخطاب **وكان الله غفورا** لما فرط منهم **رحيما** عليهم
بتضعيف حسناتهم **يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء**
نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى
به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الالواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين
ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول **فقد سالوا موسى اكبر من ذلك** جواب
شرط مقدر اي ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر منه وهذا السؤال
وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم
والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم
فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له **فاخذتهم**
الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم **بظلمهم** بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم
لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها
ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تاتهم بعد
فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين
امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم**
بسبب ميثاقهم ليقبلوه **وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا** على لسان موسى
والطور مظل عليهم **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت** على لسان داود ويحتمل ان
يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان

الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرا ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا
تعتدوا فادغمت التاء في الدال **واخذنا منهم ميثاقا غليظا** على ذلك وهو قولهم
سمعنا واطعنا **فبما نقضهم ميثاقهم** اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا
بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق
بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله
فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف
فيكون من صلته وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره **وكفرهم بآيات**
الله بالقرآن او بما في كتابهم **وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف**
اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه **بل طبع الله عليها بكفرهم** فجعلها محجوبة
عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ
فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا اذ لا عبرة به لنقصانه
وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله
فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون
تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة
والسلم **وقولهم على مريم بهتانا عظيما** يعني نسبتها الى الزنا **وقولهم انا قتلنا**
المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه
او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**
روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت
اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى
عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه
فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه
فاخذ وصلب وقيل دخل طيطايوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى

الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي
لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله
وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب
حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين
عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله
فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه ثم مقتول وان
الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس
فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم
ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء رفع الى السماء وقال
قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق
على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك
اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس
جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم
انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقول الشاعر كذاك تخبر
عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما
ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات
لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى لا ببعث
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير
الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى
عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد

ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد
لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير
ان لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا وروي انه ينزل من السماء
حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة
واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم
يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا
فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين
هادوا اي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا
كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل
على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر
الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن
الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين
والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين
الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل
اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا
على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون
الزكوة رفعه لاحد الوجوه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه
الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية
اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب
عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كامر

الانبياء وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى
وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم
تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشرف الانبيا
ومشاهيرهم وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا قرا حمزة زبورا بالضم وهي جمع زبر بمعنى مزبور
وَرُسُلًا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ اي من قبل هذه السورة او اليوم وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى تَكْلِيمًا وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى عليه الصلوة والسلام من بينهم
وقد فضل الله محمدا صلوات الله وسلامه بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم
رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال
ويكون رسلا موطيا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا
ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل
عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا
او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال
ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا لا يغلب
فيما يريده حَكِيمًا فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز
لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ استدراك عن مفهوم ما قبله فكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب
ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون
ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ من القرآن
المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت
أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه
كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي
يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من

الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالمفسر لما قبلها وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة
على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان
الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا
نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا اي كفى
بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان
المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَظَلَمُوا محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم
وخلاصهم او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم
الجامعون بين الكفر والظلم لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا
طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان
من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ
مِنْ رَبِّكُمْ لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها
خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد
فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره
يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه
ولانه يودي الى حذف الشرط وجوابه وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه
على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا
منه وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا باحوالهم حَكِيمًا فيما دبر يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ
الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى عليه السلم حتى رموه بانه ولد لغير

لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه
اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد
انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها
اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى
الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم
يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات
وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه
بما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه
ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل
ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شئ
من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه
ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قايم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن
يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته
باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته
شرف يباهي به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واي شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله
قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة
المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه
لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف
عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة

المسيح

المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة
باعتبار التكثير لا باعتبار التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان
اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش
او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد
الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث
لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا
فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها
من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او
لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا
ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان
المعجزات وبالنور القرآن اي جاءكم دلايل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم
عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القرآن فاما الذين آمنوا
بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة
منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زايد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل
الموعود صراطا مستقيما وهو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في
يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن
عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف
اصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة
سبق تفسيرها في اوايل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها
نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة او حال من المستكن

في هلك ما لوا وفي ولد يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف **وهو يرثها** اي والمرء يرث الاخت ان كان الامر بالعكس **ان لم يكن لها ولد** ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت **وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك** الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما **وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين** اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر **يبين الله لكم ان تضلوا** اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين **والله بكل شيء عليم** فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم والله اعلم بالصواب

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال

ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب **احلت لكم بهيمة الانعام** تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه **الا ما يتلى عليكم** الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه **غير محلي الصيد** حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول **وانتم حرم** حال عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم **ان الله يحكم ما يريد** من تحليل وتحريم **يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله** يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده **ولا الشهر الحرام** بالقتال فيه او بالنسيء **ولا الهدي** ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج **ولا القلائد** اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له **ولا آمين البيت الحرام** قاصدين لزيارته **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا** ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا

شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا
بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان
يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح
المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين **وإذا
حللتم فاصطادوا** اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة
الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ
بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال
حل المحرم واحل **ولا يجرمنكم** لا يحملنكم او لا يكسبنكم **شنآن قوم** شدة
بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر
واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر
كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر **ان صدوكم عن
المسجد الحرام** لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة
على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم **ان تعتدوا** بالانتقام
ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم
بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين **وتعاونوا
على البر والتقوى** على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومخالفة الهوى **ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان** للتشفي والانتقام **واتقوا الله ان الله شديد
العقاب** فانتقامه اشد **حرمت عليكم الميتة** بيان ما يتلى عليكم والميتة
ما فارقه الروح من غير تذكية **والدم** اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا
وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها **ولحم الخنزير وما
اهل لغير الله به** اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه
والمنخنقة التي ماتت بالخنق **والموقوذة** المضروبة بنحو خشب او حجر حتى
يموت من وقذته اذا ضربته **والمتردية** التي تردت من علو او في بئر فماتت **والنطيحة**

التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل **وما اكل السبع** فمات وهو يدل
على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل **الا ما ذكيتم** الا ما ادركتم
ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة
في الشرع قطع الحلقوم والمرئ بمحدد **وما ذبح على النصب** النصب واحد
الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك
قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح على الاصنام
وقيل هو جمع والواحد نصاب **وان تستقسموا بالازلام** اي وحرم عليكم الاستقسام
بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني
ربي وعلى الاخرى نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان
خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور
بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد **ذلكم فسق**
اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد
ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي وجهالة وشرك ان اريد به الصنم
او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم **اليوم** لم يرد به يوما بعينه وانما اراد
الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر
يوم الجمعة عرفة حجة الوداع **يئس الذين كفروا من دينكم** اي من ابطاله
ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه **فلا تخشوهم**
ان يظهروا عليكم **واخشون** اخلصوا الخشية لي **اليوم اكملت لكم دينكم**
بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف
على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد **واتممت عليكم نعمتي** بالهداية والتوفيق
او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية **ورضيت لكم الاسلام**
اخترته لكم **دينا** من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير **فمن اضطر** متصل

بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهوان تناولها فسوق
وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن
اضطر الي تناول شي من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف
لاثم غير مايل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير
باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه باكله يسئلونك ماذا احل لهم
لما تضمن السوال معني القول اوقع علي الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال
لهم ولم يقل لنا علي الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سايغ
في امثاله والمسؤل ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سالوا
عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم ينفر عنه
ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس علي حرمته
وما علمتم من الجوارح عطف علي الطيبات ان جعل ما موصولة علي تقدير وصيد
ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد
علي اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب
مودب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون
اكثر فيه واثر او لان كل سبع يسمي كلبا لقوله صلي الله عليه وسلم سلط عليه كلبا
من كلابك وانتصابه علي الحال من علمتم وفايدة المبالغة في التعليم تعلمونهن
حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم
به الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه
من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه
الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه الصلوة
والسلم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك علي نفسه واليه ذهب
اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الي هذا
الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما

علمتم والمعني سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعني سموا عليه اذا ادركتم ذكوته
واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق اليوم
احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح
وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصاري واستثني علي رضي الله عنه
نصاري بني تغلب وقال ليسوا علي النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا
يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير علي الجزية لقوله عليه الصلوة والسلم
سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم ولا آكلي ذبايحهم وطعامكم حل
لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من
المؤمنات الحراير او العفايف وتخصيصهن بعث علي ما هو الاولي والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات قال ابن عباس لا تحل الحربيات
اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث
علي الاولي وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير
مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق
يقع علي الذكر والانثي ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة
من الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه
يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الي الصلوة اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرات
القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه
علي ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة
او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الي الشي والقيام اليه قصد له وظاهر الآية
يوجب الوضوء علي كل قايم الي الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع خلافه لما روي
انه عليه الصلوة والسلم صلي الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت
شيا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعني اذا
قمتم الي الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ

وهو ضعيف لقوله عليه الصلوة والسلم المايدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليه ولا حاجة الي الدلك خلافا
لمالك وايديكم الي المرافق الجمهور علي دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل
الي بمعني مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الي قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم
مضافة الي المرافق ولو كان كذلك لم يبق معني التحديد ولا لذكره مزيد فايدة
لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الي تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم
او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان
الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الي من حيث انها تفيد الغا
يقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الي ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام
الي الليل لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا
وامسحوا برؤوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل علي تضمين الفعل معني الالصاق
فكانه قيل والصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل
وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب
فاوجب الشافعي رضه اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضه مسح
ربع الراس لانه عليه السلم مسح علي ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضه مسح
كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الي الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي
ويعقوب عطفا علي وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر
الايمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون علي الجوار ونظيره كثير في القرآن
والشعر كقوله عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم
جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفايدته التنبيه علي انه ينبغي ان يقتصد
في صب الماء عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين
اخوته ايماء علي وجوب الترتيب وقرئ بالرفع علي وارجلكم مغسولة وان كنتم

جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او علي سفر او جاء احد منكم من
الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان
انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة
للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم
عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير
بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعني
ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم
وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو
مطهر لابدانكم ومكفر لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم
بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة علي سبعة امور كلها مثنى
طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب
باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما
مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الي البدل مرض او
سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم
بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم
سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه علي المسلمين حين بايعهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم علي السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق
ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان
الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات
اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا
يجرمنكم شنآن قوم علي ان لا تعدلوا عداه بعلي لتضمنه معني الحمل والمعني
لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين علي ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب

ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم **اعدلوا**
هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان
من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل
مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون**
فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين
وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف
ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة
في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تع ان
يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب
لقلوبهم **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم** روي ان المشركين
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا
ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم
بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه
عليه الصلوة والسلم اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين
قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى
نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة
يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل
سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه الرسول
صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فنزلت **اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم** بالقتل والاهلاك

يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه **فكف ايديهم عنكم**
منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم **واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون**
فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا**
منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها
او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون
واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم
وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق
واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا
وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن النون من سبط افرائيم
بن يوسف **وقال الله اني معكم** بالنصرة **لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة**
وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الله الخير وقرضا يحتمل
المصدر والمفعول **لاكفرن عنكم سيئاتكم** جواب القسم المدلول عليه باللام
في لئن ساد مسد جواب الشرط **ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار**
فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم **منكم فقد**
ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك
اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم**
طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية **وجعلنا قلوبهم**
قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي
اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو
ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف

للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة
اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا
من القلوب اذ لا ضمير فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به
من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا
حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء
منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن
والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم
لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء
من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او
عاهدوا او التزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين
تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان
فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين
قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا
انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا
من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين
فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب
يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم
في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر
به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذ بجرمه قد جاءكم من الله

نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب
الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير
لان المراد بهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم
سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات
الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى
صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به
احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا الله واحد لزمهم ان يكون هو المسيح
فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله
شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور
مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية
ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير
ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من
غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل
ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده
كحوا او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل
لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق
لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح
ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب
تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار
اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم

من آمن بالله ورسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر
الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه
خلقا وملكا واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف
لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم البيان والجملة في موضع
الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم
اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بمبين حال من
الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا
به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم
والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى اذ
كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة
انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي
الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا
احوج ما يكون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ
جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني
اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم
الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى عليهما السلام
وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم
سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل
الغمام وانزال المن والسلوى ونحوهما مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت
قرار الانبياء والمسلمين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين

وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح
انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة
عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما
سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا
ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا
خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على
الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم
والجبار فعال من جبر على الامر بمعنى اجبر وهو الذي يجبر الناس على ما يريد وانا
لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا
بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه
وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني
اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافون بالضم اي
المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله
بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة
ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم
وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها
ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته
تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه بموسى في قهر اعدائه وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل
من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت

وترك بعينك **قال رب اني لا املك الا نفسي واخي** قاله شكوى بثه وحزنه
الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليهما
السلم والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون
قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه
عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان
واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي **فافرق بيننا وبين**
القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد
بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم **قال فانها** فان الارض المقدسة **محرمة**
عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم **اربعين سنة يتيهون في**
الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف
ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد بمن بقي
من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض
في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة
فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون
اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل
لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها ابدا بل هلكوا في التيه
وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون
من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس
وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم
من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان
ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى
بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير
كالب ويوشع **فلا تاس على القوم الفاسقين** خاطب به موسى لما ندم على

الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم **واتل عليهم نبأ ابني آدم** قابيل وهابيل
اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توامة الآخر فسخط منه قابيل لان توامته
كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما تقبل تزوجها فتقبل قربان هابيل
بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم
لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل **بالحق**
صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ
اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين **اذ قربا قربانا** ظرف النبأ او
حال منه او بدل على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأ نبأ ذلك الوقت والقربان
اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يعطى
وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا
قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع
وقرب جملا سمينا **فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر** لانه سخط حكم الله
ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده **قال لاقتلنك** توعده بالقتل
لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك **قال انما يتقبل الله من المتقين** في جوابه
اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى
ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار
المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا
تقبل الا من مؤمن متق **لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط**
يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه
ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو
الافضل قال عليه الصلوة والسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما
قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا
والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء **اني اريد ان تبوء**

بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثالث
للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي
لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحو المستبان ما قالا فعلى البادي
ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله
قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد
معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا
فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز
ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل
أخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل
بمعنى فعل وعلى ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط
كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فأصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة
عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه
كيف يواري سوأة أخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان
اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر بمنقاره
ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري
والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى
قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي
احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة أعجزت أن أكون مثل هذا
الغراب فأواري سوأة أخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف
على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ان عجزت لواريت وقرئ بالسكون
على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فأصبح من النادمين على قتله
لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب

واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه
فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث
بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من أجل ذلك كتبنا على
بني إسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه
استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته
ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء
الكتب وانشاؤه من اجل ذلك أنه من قتل نفسا بغير نفس اي بغير قتل نفس
يوجب الاقتصاص أو فساد في الأرض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق
فكأنما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ
الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب
العظيم ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ومن تسبب لبقاء حياتها
بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك
بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحياءها في القلوب
ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد
العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة
تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل
ولا يبالون به وبهذا اتصلت الآية بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال
في الامر إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون
جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق
وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الأرض فسادا
اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه
قيل ويفسدون في الارض فسادا أن يقتلوا اي من غير صلب ان افردوا القتل

او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه
يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم
يقتلوا او ينفوا من الارض او ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من
القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في
الآية على هذا التفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع
طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم
لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص
بما هو حق الله ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا
فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة
يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في
قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرا عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا
ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى
ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب
اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه
الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان
الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف
يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور
شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو
في مثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل
للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود
منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم

عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير
فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية
دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب
وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ
مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار
او ما يساويه لقوله عليه الصلوة والسلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء
خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح
المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ
وضع الجمع موضع المثنى كما في فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه
واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور
على انه الرسغ لانه عليه الصلوة والسلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء
بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما
فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح
امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه
ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط
بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن
يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق
او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها
الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في
الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو

يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون
للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون
ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام
في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون
كما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا
عليك فيها سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا
مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون
لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام
بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين
يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله
فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير
مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف
لا موضع له او في موضع الرفع خبر المحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان
اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه
بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من يهود خيبر
زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني
قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم
وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور
وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه
الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا
العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد
ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن

تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية
والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار
والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون
للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله
لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما
لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا
اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم الكتابيان الى القاضي لم يجب
عليه الحكم وهو قول للشافعي رض والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما
ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند
ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك
لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم
وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا
يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون
عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها
بالظرف وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة
المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك يعرضون
عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في
حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه
ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق ونور

يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى
ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به
الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين
وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا
متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين
انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة
انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم
بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين
وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى
منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا
غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا
بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه
ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون
لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون
فكفرهم لانكاره وفسقهم بالخروج عنه وظلمهم بالحكم على خلافه ويجوز ان يكون
كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم
ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه للمسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون
في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها
اي في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها
الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى فكانه قيل
وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان
على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين

والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على
ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل
مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات
قصاص وقراه الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه
اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق اي ذات قصاص من المستحقين
به بالقصاص اي فمن عفى عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق فيكفر
الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارة له اي فالمتصدق
كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله
من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم
على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون بعيسى بن
مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية
وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب
بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى
وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا
به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى
الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان
موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا
به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة
عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله
فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب
بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب
المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر

الكتب يحفظه عن التغير ويشهد له بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى والحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلنا بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد

قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر المعتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي

ثلثة ارباع

القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المومنين بموالاة
اعدايهم فتري الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم
اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشي ان تصيبنا دايرة يعتذرون
بانهم يخافون ان يصيبهم دايرة من الدواير بان ينقلب الامر ويكون الدولة
للكفار روي ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله ان لي موالي من اليهود
كثيرا عددهم واني ابرا الي الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن
ابي اني رجل اخاف الدواير لا ابرا من ولاية موالي فنزلت فعسي الله ان
ياتي بالفتح لرسول الله صلي الله عليه وسلم علي اعدايه واظهار المسلمين او امر
من عنده يقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار
المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هولاء المنافقون علي ما اسروا في
انفسهم نادمين علي ما استبطنوه من الكفر والشك في امر رسول الله صلعم
فضلا عما اظهروه مما اشعر علي نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة
عاصم وحمزة والكسايي علي انه كلام مبتداء ويويده قراءة ابن كثير ونافع
وابن عامر مرفوعا بغير واو علي انه جواب قايل يقول فماذا يقول المومنون
حينئذ وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا علي ان ياتي باعتبار
المعني فكانه قال عسي ان ياتي الله بالفتح وان يقول الذين آمنوا او يجعله
بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسي مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او علي
الفتح بمعني عسي الله ان ياتي بالفتح وبقول المومنين فان الاتيان بما يوجبه
كالاتيان به اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم
يقوله المومنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله
عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة
كما حكي الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل
مصدر ونصبه علي الحال علي تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم

فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او علي المصدر لانه بمعني
اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة
لهم بحبوط اعمالهم وفيه معني التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا
ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرا علي الاصل نافع وابن عامر وهو
كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكاينات التي اخبر الله عنها قبل
وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلث فرق
بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبا باليمن واستولي علي بلاده
ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم من غدها واخبر
الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتي الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة
اصحاب مسيلمة تنبا وكتب الي رسول الله صلي الله عليه وسلم من مسيلمة رسول
الله الي محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد
رسول الله الي مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من
عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رض بجند المسلمين وقتله الوحشي
قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلعم
خالدا فهرب بعد القتال الي الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر
سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد ياليل وبني يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح
بنت المنذر المتنبية زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن
وايل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفي الله امرهم علي يده وفي امرة عمر غسان
قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الي الشام فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه قيل هم اليمن لما روي انه صلي الله عليه وسلم اشار الي ابي موسي وقال
قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه الصلوة والسلم سيل عنهم فضرب يده
علي عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية

الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس
والراجع الي من محذوف تقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد
ارادة الهدي والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد
له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عاطفين عليهم متذللين
لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو
او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة
أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة وَلَا يَخَافُونَ
لَوْمَةَ لَائِمٍ عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله
والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم
يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا
يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان
ذَلِكَ اشارة الي ما تقدم من الاوصاف فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ يمنحه
ويوفق له وَاللَّهُ وَاسِعٌ كثير الفضل عَلِيمٌ بمن هو اهله إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل
اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل
منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وَهُمْ رَاكِعُونَ متخشعون في صلوتهم وزكوتهم
وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا
على الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت في علي كرم الله وجهه حين ساله سائل
وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد
بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع
على الواحد خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس

في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة
لا يبطلها وان صدقة التطوع يسمى زكوة وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
ومن يتخذهم اولياء فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ اي فانهم الغالبون ولكن وضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب
الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا
الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون
لامر حزبهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن
الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب
النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان
من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب
والكفار على قراءة من جر وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل
الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصب عطفه على الذين
اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين
تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين وَاتَّقُوا اللَّهَ
بترك المناهي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم
مؤمنين بوعده ووعيده وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا
اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان
نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله
الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرره في البيت
فاحرقه واهله ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق
والهزؤ به والعقل يمنع منه قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا هل تنكرون
منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافا وقرئ تنقمون بفتح

الثاف وبولغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب
المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستقى لاتم الامرين
من المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في الايمان وانتم خارجون
منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي
وما تنقمون منا الا الايمان بالله وما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير
هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه
هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية
خطاب ليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما
انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من
دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا
عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة تحية
بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل
منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك
من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود
ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات
ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى
وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخ خنازير
وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول
ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم
ومن قرا وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت
على انه جمع كخدم اوان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن
قرا عبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة

وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل
قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل
الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا
آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا
منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا
وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها
من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم
يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى
كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب
لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما
يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر
للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا
دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون
ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه
وتروٍ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية
لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا
بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد
وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك
يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه
ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله

لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا
دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغللون
اساري في الدنيا ومسحبين الي النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ
وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ثني اليد
مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله
ان يعطيه بيديه وتنبيها علي منح الدنيا والآخرة وعلي ما يعطي للاستدراج
وما يعطي للاكرام يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع
تارة ويضيق اخري علي حسب مشيته ومقتضي حكمته لا علي تعاقب سعة
وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف
اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص
بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشوم
تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وَلَيَزِيدَنَّ
كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا اي هم طاغون كافرون ويزدادون
طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح
للاصحاء وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فلا تتوافق قلوبهم
ولا تتطابق اقوالهم كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ كلما ارادوا حرب
الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف
بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط
الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط
عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة
الحروب والفتن وهتك المحارم وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ فلا يجازيهم الا شرا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وَاتَّقَوْا ما عددنا

من معاصيهم ونحوه لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه علي عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم
وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم وَلَوْ أَنَّهُمْ
أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ باذاعة ما فيهما من القيام باحكامهما وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ
رَبِّهِمْ يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل
اليهم او القرآن لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ لوسع عليهم ارزاقهم بان
يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم
الجنان اليانعة الثمار يجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط علي الارض
بين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا
واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ عادلة
غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة
في عداوته وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي
ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا
خائف مكروها وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ فما
اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس
جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي
وازاحة لمعاذيره إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ لا يمكنهم مما يريدون بك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم
تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد

عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما
يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية
ما يحرم افشاؤه. قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى
شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة
بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها
وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك
عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره
في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير
عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا
والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم
بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع
ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل
الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن
خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطفت
عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير
في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل
ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب
بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل
صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة

خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي من آمن منهم او النصب على البدل من
اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة
ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى
اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا
تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول
منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون
موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها
على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي وحسبوا
ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل
الانبياء وتكذيبهم وقرأ حمزة وابو عمرو والكسائي ويعقوب ان لا يكون
بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا يكون وادخال فعل الحسبان
عليها مع انها للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في
حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن
استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب
الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ اخرى بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم
اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل
من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ
محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف
لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم

انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم
الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه المحرم فانها دار الموحدين
ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد
ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا
عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام
الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم
فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد
ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة
وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد
وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات
الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق
وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه
موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على
الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد
والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم
يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول
كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى
العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد
خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن
الصدق او يصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار

الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية
لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية
ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية
لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر
انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين
اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله
ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه
من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة
وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها
على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل
عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع
العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا
اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى
ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى
خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم
الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا اشياعهم
على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي
هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن
مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا
من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله في الزبور
والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود
فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير
فكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن

الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل
منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن
الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم
مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون
المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم
اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب
هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب
او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين فالمراد
نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم
فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم
وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على
تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين
قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم
بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم
لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه
دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة
وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من
الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم
الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع
الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها مما عرفوا

الجزء السابع

من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض
الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او
بمحمد صلعم فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم
شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان
مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب
سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي
اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله
فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف
والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم
الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر
والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت
في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن
ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان
يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين
او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلعم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على
الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين
بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم اي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث
على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله
بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به

ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الي ما حرم عليكم فيكون الآية ناهية عن تحريم
ما احل وتحليل ما حرم داعية الي القصد بينهما روي ان رسول الله صلعم وصف
القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون
واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا علي الفرش ولا ياكلوا
اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا
في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر
بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
فنزلت **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** اي وكلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله
فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون
من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول
او العايد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلي الوجوه لو لم يقع الرزق على
الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة **واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم** وهو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى
والله واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وقيل الحلف علي ما يظن انه كذلك
ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رضه وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر
او حال منه **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** بما وثقتم الايمان عليه بالقصد
والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف
للعلم به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية
ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل **فكفارته** فكفارة نكثه اي الفعلة
التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره علي جواز التكفير بالمال قبل الحنث
وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلوة والسلام من حلف علي يمين ورأى
غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير **اطعام عشرة مساكين**

من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين
عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره
ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام
واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء علي لغة من يسكنها في الاحوال
الثلث كالاتي وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل
جمع اهلاة **او كسوتهم** عطف علي اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب يغطي
العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة
في قدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم
وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او طعامهم كاسوتهم
او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي رضه فيه الايمان قياسا على كفارة
القتل ومعنى او ايجاب احدي الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين
فمن لم يجد اي واحدا منها **فصيام ثلاثة ايام** فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط
ابو حنيفة التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا
اذ لم يثبت كتابا ولم ترو سنة **ذلك** اي المذكور **كفارة ايمانكم اذا حلفتم** وحنثتم
واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم
ولم يفت بها خير او بان يكفروها اذا حنثتم **كذلك** مثل ذلك البيان **يبين الله
لكم آياته** اعلام شرايعه **لعلكم تشكرون** نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان
مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه **يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب** اي الاصنام التي نصبت للعبادة **والازلام** سبق تفسيرها في اول
السورة **رجس** قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات
محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر **من عمل الشيطان**
لانه مسبب من تسويله وتزيينه **فاجتنبوه** الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي
لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في

هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من
عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد
الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال **انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم**
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان
وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة كقوله عليه السلم شارب
الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد
عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد
الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال
فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد
انقطعت **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** فيما امرا به **واحذروا** عما نهيا عنه
او مخالفتهما **فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** اي فاعلموا
انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله
اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال
الصالحات **ثم اتقوا** ما حرم عليهم بعد كالخمر **وآمنوا** بتحريمه **ثم اتقوا** ثم استمروا
وثبتوا على اتقاء المعاصي **واحسنوا** وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي
انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم
يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات
الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين
نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة
الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلوة والسلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث

المبدا

المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العذاب
والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا
لها عن دنس الطبيعة **والله يحب المحسنين** فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار
محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا **يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من**
الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش
تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم
محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام
كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه **ليعلم**
الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا
يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم
فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء بالصيد **فله عذاب اليم** فالوعيد لاحق به فان من
لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه
واحرص عليه **يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** اي محرمون جمع حرام
كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل
لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلم خمس يقتلن في الحل والحرم
الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية الحية بدل العقرب
مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي
حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة
اذا ذبحها الغاصب **ومن قتله منكم متعمدا** ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل
ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد
والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت
فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه
فقتله فنزلت **فجزاء مثل ما قتل من النعم** برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين

ويعقوب بجعل فعليه وفواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار
بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها
وانما يكون صفة وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول وافخام مثل كما في قولهم
مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه
المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة قال
يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته وبين
ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان
يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول
اوفق **يحكم به ذوا عدل منكم** صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره
او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر
واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ
ذو عدل على ارادة الجنس والامام **هديا** حال من الهاء في به او من جزاء وان نون
لتخصصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه **بالغ الكعبة**
وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة قال
ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء **او كفارة** عطف على جزاء ان رفعته
وان نصبته فخبر محذوف **طعام مساكين** عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي
طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى
عند الشافعي رضي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت
البلد فيعطي كل مسكين مدا **او عدل ذلك صياما** او ما ساواه من الصوم فيصوم عن
اطعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل
بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل
ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق

ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل
الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل **عفا الله عما سلف** من قتل الصيد محرما في الجاهلية
او قبل التحريم او في هذه المرة **ومن عاد** الى مثل هذا **فينتقم الله منه** فهو ينتقم الله منه
وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح **والله عزيز ذو انتقام**
ممن اصر على عصيانه **احل لكم صيد البحر** ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال
كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة رض لا يحل منه الا السمك
وما هو كل نظيره في البر **وطعامه** ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله **متاعا
لكم** تمتيعا لكم نصب على الغرض **وللسيارة** اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا **وحرم عليكم
صيد البر** اي ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال
وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه
او يصد لكم **ما دمتم حرما** اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام **واتقوا الله الذي
اليه تحشرون جعل الله الكعبة** صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه **البيت الحرام**
عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني **قياما للناس** انتعاشا لهم اي سبب
انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار
ويتوجه اليه الحجاج والعمار او مقام يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه
مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال **والشهر
الحرام والهدي والقلائد** سبق تفسيرها والمراد بالشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة
لانه المناسب لقرانه وقيل الجنس **ذلك** اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ
حرمة الاحرام وغيره **لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض** فان شرع الاحكام
لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه
وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق **اعلموا ان الله شديد
العقاب وان الله غفور رحيم** وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او
لمن اصر عليه ولمن انقطع عنه **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد في ايجاب القيام بما امر

اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون من تكذيب وتصديق وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب
حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها
رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة
والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب
لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث
وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي
انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا
مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان
تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان
لاشياء والمعنى لا تسئلوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسئلوا
عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين ينتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما
يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت
لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيئ كهين او شيء كصديق
فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا
الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت
ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلعم حتى
اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما
تركتكم فنزلت او استيناف اي عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها
والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه عليه الصلوة والسلم كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسئلون
عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسئل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين انا فقال في النار
وقال آخر من ابي قال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسئلة

التي دل عليها تسئلوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها
وليس بصفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها
ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم ياتمروا بما سألوا جحودا ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا
نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا
تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة
في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل
عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل
ما شرع وما وضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين
كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال
من الحرام والمبيح من المحرم او الآمر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف
بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا
بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على
هذه الحال اي حسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان
الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد
يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا صلاحها والجار
والمجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء
ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلوة والسلم من رأى منكم منكرا واستطاع
ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية

نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا
سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم
والجزم على الجواب او النهي ولكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من
الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره
يضيره ويضوره **الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون** وعد ووعيد للفريقين
وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره **يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم** اي فيما
امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف على
الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم **اذا حضر احدكم الموت** اذا شارفه
وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة **حين الوصية** بدل منه وفي ابداله منه تنبيه
على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر **اثنان** فاعل شهادة ويجوز
ان يكون خبرها على حذف المضاف **ذوا عدل منكم** اي من اقاربكم او من المسلمين
وهما صفتان لاثنان **او آخران من غيركم** عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة
جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا **ان انتم ضربتم في الارض**
اي سافرتم فيها **فاصابتكم مصيبة الموت** اي قاربتم الاجل **تحبسونهما** تقفونهما
وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم
اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن
غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما **من
بعد الصلوة** صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة
النهار وقيل اي صلوة **فيقسمان بالله ان ارتبتم** ان ارتاب الوارث منكم **لا
نشتري به ثمنا** مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب
والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا بالطمع
ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري **ولا نكتم
شهادة الله** الشهادة التي امر باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله

بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وادغام النون فيها **فان عثر** فان اطلع **على انهما استحقا اثما** اي فعلا ما اوجب
اثما كتحريف **فآخران** فشاهدان آخران **يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم**
من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان
الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان
او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة
ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الاولين الذين استحق
عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان
فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل
وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق **انا اذا لمن الظالمين** الواضعين الباطل
موضع الحق والظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية
ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا
فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتيابا اقسما على
صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف
آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف
الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين
الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغير
الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا
حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام
مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى
اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه
ثلاثماية مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما

بالانا، فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين الآية
فحلفهما رسول الله صلعم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الانا
في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه
بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلعم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن
العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص
الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا
ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي ان لم يتقوا
ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم
الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من
مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا
خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي
اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار
وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان السؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا
لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم
مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر
الى علمه بما كابدوا منهم وقيل لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا
وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي
انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء اذ
قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو
على طريقة نادى اصحاب الجنة والمعنى انه يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن

اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم
آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك
بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة طيبة وتطهر من
الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى
تكلمهم في الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية
في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني
فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني
سبق تفسيرها في آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ
كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف
لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به
الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عم واذ اوحيت الى الحواريين
اي امرتهم على لسان رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون
مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى
ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص
مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق
واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما
تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع
كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله
ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك
او من ماده اذا اعطاه كأنها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا
الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في
ادعاء الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو

ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الي علم الاستدلال بكمال قدرته
ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين
اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم
لما راي ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا ينقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا
نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب
الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي
انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منه اولنا وآخرنا وقرئ
لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اي آية
كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير
الرازقين اي خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها
عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان
يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به
على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم
مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين
غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ
وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس
ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى
الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد وقال شمعون يا روح الله امن
طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله تع بقدرته كلوا ما سألتم
واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية

اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم
طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها
الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في
ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برأ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تع الى عيسى
عم ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك
فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا
لا نريدها فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة
ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا
فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصل لكم
الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا
فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تع ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة
فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا
بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني
ومعنى دون اما المغايرة فيكون تنبيها على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبدهما
مع عبادته كأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق
العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تع وكأنه قيل اتخذوني وامي الهين
متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي
ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد
علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم
ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس
الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا
ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم

عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم
منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به
فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الي الله وهو لا يقول
اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكي بعده الا ان يأول القول بالامر كان
مثل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله **وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم** اي
رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان **فلما
توفيتني** بالرفع الي السماء لقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت
نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **كنت انت
الرقيب عليهم** المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الي الدلائل
والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات **وانت علي كل شيء شهيد** مطلع عليه
مراقب له **ان تعذبهم فانهم عبادك** اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض
علي المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه علي انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك
وقد عبدوا غيرك **وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم** فلا عجز ولا استقباح فانك
القادر القوي علي الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان
المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران
الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان **قال الله هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم** وقرأ نافع يوم بالنصب علي انه ظرف لقال وخبر هذا
محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع
وقيل انه خبر ولكن بني علي الفتح لاضافته الي الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب
والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف **لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز
العظيم** بيان النفع **لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو علي كل شيء قدير**
تنبيه علي كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا

للعقلاء

للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية
والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها علي المجانسة المنافية للالوهية ولان
ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولي بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع
له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلث من قوله قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض
اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه علي انه المستحق له علي هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون
حجة علي الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها
مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها
وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان
الخلق فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها علي انهما
لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة
لها ولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد
وتقديمها لتقدم الاعدام علي الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه
الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل **ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون** عطف علي قوله الحمد لله علي معنى ان الله حقيق بالحمد علي ما خلقه
نعمة علي العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكفرون بربهم تنبيها علي
انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر
او علي خلق علي معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر علي شيء
منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء علي الاول متعلقة بكفروا وصلة
يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار علي نفس الفعل وعلي الثاني متعلقة

يعدلون والمعني ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم
من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولي وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه
او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضي اجلا اجل الموت واجل مسمي عنده اجل القيمة
وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما
يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضي
والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغني عن تقديم الخبر
والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمي اي مثبت معين لا يقبل
التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه
ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم
الي آجالهم فان من قدر علي خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء
كان اقدر علي جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولي دليل التوحيد والثانية دليل
البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله
والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعني هو المستحق للعبادة فيهما
لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة
خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد
في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعني انه تع لكمال
علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا يتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد
بالسر والجهر ما يخفي وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تاتيهم
من آية من آيات ربهم من الاولي مزيد للاستغراق ومن الثانية للتبعيض اي
ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
يعني بالقرآن وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها

كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه علي معني انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم
الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف ياتيهم انباء
ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام
وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة
اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق
في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها
مكانا وقررناهم او اعطيناهم من القوي والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها
ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة
والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر
او السحاب او المظلة فان مبدا المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار
تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم
بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشانا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا
منهم والمعني انه تع كما قدر علي ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشي مكانهم آخرين يعمر بهم
بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق
فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان
يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي
لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان
هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه
ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي
الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعني ان الملك لو انزل
بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون
بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون

لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى جعلنا قرينا لك ملكا
يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان القوة
البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم
القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم
ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام وللبسنا
بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم على ما
يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذي
كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا
في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب
الاستيصال كي يعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا
ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها
وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا
وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق
بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا
والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب
الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم
للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة
فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض
فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا
انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين
نصب على الذم او رفع على الخبر اي انتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون
والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع
الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر اداهم الى الاصرار على الكفر والامتناع

عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما
في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن
فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل
معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل أغير
الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة
والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما
وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ
بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام
لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى
كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل
على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله
يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي صلعم سابق امته في
الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم
بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه
محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول محذوف
او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف
او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه
الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا
على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق
عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد

وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سالنا عنك
اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك
لرسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي
الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد
هو الجواب لانه اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن
لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين
اي لانذركم به يا اهل مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر والثقلين او لانذركم ايها
ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين
وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله
آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو
اله واحد تقرير لهم اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة في التورية
والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين
فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم
الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كأن كذبوا القرآن والمعجزات
وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ
غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عما لا احد
اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين
شركاؤكم اي آلهتكم الذي جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين
كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله
يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل
انهم يشاهدونهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب

اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن
كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو
وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك
والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم
بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود
وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم
اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على
النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك
حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل
واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلعم يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها
بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا
على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول سورة البقرة وان
يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاءوك
يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم اذا جاءوك يجادلونك وحتى هي التي تقع
بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا
اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الحال واذا جاءوك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول
تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله
السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول
والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلعم وينأون
عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون

ان ضروا لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي ولو تراهم
حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي وانا لا
اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمني وقوله
وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على
الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف
ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عن ارادة
الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح اعمالهم
فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف والظهور
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم
وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما
قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال او التوبيخ وقيل معناه وقفوا
على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب
قائل قال ماذا قال ربهم ح والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد لانجلاء الامر غاية
الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث
وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة
فجاءة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالي
فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها

للعلم بها او في الساعة في شأنها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل
لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا
لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص
منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن
عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء
على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ نافع
ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرئ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا
وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات
الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم
على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا
لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم
وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا
على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين
ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد
جاءك من نبأ المرسلين من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق
اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما
في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد
الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا
متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل
والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من
تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي
ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك
عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل

من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان
المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فيرسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان
كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاذبا باللام وهو متعد بنفسه
لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله إِنَّ الشَّيْطَانَ
لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحوا فلا يالو جهدا في تسويلهم
واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وَكَذَٰلِكَ وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا
الدالة على شرف وعز وكمال نفس يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ للنبوة والملك او لامور عظام
والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك وَيُعَلِّمُكَ كلام مبتدا خارج عن
التشبيه كانه قيل وهو يعلمك مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ من تعبير الرؤيا لانها احاديث
الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل
غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل
اسم جمع للباطل وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ يريد به ساير بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب
او نسله كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار
وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم مِن قَبْلُ من قبلك او من
قبل هذا الوقت إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ عطف بيان لابويك إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ لمن يستحق
الاجتباء حَكِيمٌ يفعل الاشياء على ما ينبغي لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ
اي في قصتهم آيَاتٌ دلايل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك لِّلسَّائِلِينَ
لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت
تزوج اختها راحيل وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون
دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ
بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا
مِنَّا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف

اخوة فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف وَنَحْنُ عُصْبَةٌ والحال انا جماعة اقويا
احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان
الامور تعصب بهم إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ لتفضيله المفضول او لترك التعديل في
المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى
الرؤيا ضاعف اقْتُلُوا يُوسُفَ من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا
من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون ودان ورضي به الآخرون أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا
منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصب كالظروف
المبهمة يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته
عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وَتَكُونُوا جزم بالعطف
على يخل او نصب باضمار ان مِن بَعْدِهِ بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه
قَوْمًا صَالِحِينَ تايبين الى الله عما جنيتم او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم
بعده بخلو وجه ابيكم قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل
لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ فان القتل عظيم وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ في قعره سمي بها لغيبوبته
عن اعين الناظرين وقرا نافع في غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات
وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يَلْتَقِطْهُ ياخذه بَعْضُ السَّيَّارَةِ بعض الذين
يسيرون في الارض إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ مشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه
وبين ابيه قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ لم تخافنا عليه وَإِنَّا لَهُ
لَنَاصِحُونَ ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه
منهم لما تنسم من حسدهم والمشهورة تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام
ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا الى
الصحراء يَرْتَعْ نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب وَيَلْعَبْ بالاستباق
والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر واليا
فيه وفي يلعب وقرا الكوفيون ويعقوب باليا والسكون على اسناد الفعل الى
يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدا
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ان يناله مكروه قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ لشدة مفارقته

ذلك لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص علي ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك
من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القي
السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتي الذين لا يسمعون والموتي يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم
الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه
او آية اخري سوي ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله
قادر علي ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الي الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها
هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر علي انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء
وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعني واحد وما من
دابة في الارض تدب علي وجهها ولا طائر وقرئ ولا طائر بالرفع علي المحل يطير بجناحيه
في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة
ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة علي كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون
كالدليل علي انه قادر علي ان ينزل آية وجمع الامم للحمل علي المعني ما فرطنا في الكتاب من
شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل علي ما يجري في العالم من جليله ودقيقه لم يهمل فيه
امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او
مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدي بنفسه وقد
عدي بفي الي الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الي ربهم يحشرون يعني الامم كلها
فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها
والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة علي ربوبيته وكمال علمه
وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثان اي
خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان
يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو
دليل واضح لنا علي المعتزلة ومن يشأ يجعله علي صراط مستقيم بان يرشده الي الهدي
ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف الخطاب اكد به الضمير للتأكيد
ولا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله
الكوفيون لعديت الفعل الي ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل

معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتي
من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم
صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء
كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه
الي كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون
آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول علي انه القادر علي كشف الضر دون غيره او وتنسون من
شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الي امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكذبوا
وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما
صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا
اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك علي المعني وبيان للصارف لهم عن
التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا
ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم
مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء والزاما للحجة وازاحة
للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه الصلوة والسلم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر
فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف
حتي اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا علي البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم
والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم
الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب
العالمين علي اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من
شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اصمكم واعماكم وختم علي قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله
يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف
الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة
بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض

بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة
يتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك الا اي ما يهلك
به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ
يهلك بفتح اليا وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمؤمنين بالجنة ومنذرين للكا
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع
لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا
يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن
التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم
ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر
على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرى عن دعوى الالوهية والملكية وادعى
النبوة التي هي من كمالات البشر رد الاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه. قل هل
يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل والعالم ومدعي المستحيل
كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء
الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل والمجوزون للحشر
مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين
باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو
الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام هؤلاء وتقريبهم وان
لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين
كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال عم وما انا بطارد
المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروي ان عمر رضه قال له لو فعلت حتى ننظر
الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام
وقيل صلوتا الصبح والعصر وقرا ابن عامر بالغدوة ههنا وفي الكهف يريدون وجهه

حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر
ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم
من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم اخلاصهم
لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم
فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من
حساب رزقهم من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك
حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي
فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه
نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في
امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على
اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من
انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤسا وهم المساكين
والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله
باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه ومن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون
هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على
العبادة وامره بان يبدا بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله
بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي
ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان
قوما جاؤا الى النبي صلعم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت
انه من عمل منكم سوءا استيناف بتفسير الرحمة وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح
على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار
والمفاسد كعمر رضه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر

من اعمال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم
على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي
فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات ايات
القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل
المجرمين قرا نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل
كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب وحفص
عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل
فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الايات ليظهر الحق ولتستبين
قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر
التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله
او ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة
الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدا ضلالهم وان
ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت
اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى
حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه
بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل
المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمهما من ربي من معرفته وانه لا معبود
سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به
غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه
بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل
العذاب وتاخيره يقض الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع
اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم
المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو
خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به
من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم

وهو اعلم بالظالمين في معنى استدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ ومن ينبغي
ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به
الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ
مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في
تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه
يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات
على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة
علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله
الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال
ان اريد به اللوح المحفوظ وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعها على الابتداء والخبر الا في كتاب
مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما
من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار
كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث
ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا
ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة
والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه سبحانه مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم
وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد
كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه
من خدمه المتطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة
توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل
الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع

الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول
وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق
في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين
او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين
على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه
وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل
كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون
موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله تع فكانه لم يعبده راسا قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من
تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن
تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى
فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق
بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم
يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق
قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر
والله الحفيظ لكل نبا خبر يريد انباء العذاب والايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع
وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا
بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان
يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى
بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا
بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما
يلزم المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم
واقوالهم ولكن ذكرى ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه

ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة
لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم
روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف
فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود
عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه
لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى
اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا
ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا
حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك
وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه
والباسل للشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا
شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها
تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى
ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى
العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم
قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا
ونرجع الى الشرك بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين
كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرا
حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته
او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب
لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اي يهدونه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم
وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو
الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول
عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي

زايدة وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الي عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ يوم القيمة وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ قايما بالحق والحكمة وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكاينات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات اي والهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضايه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشيا ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحيارها وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوَرِ كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ اي هو عالم الغيب وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ كالفذلكة للآية وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً تفسير وتقرير ويدل عليه ان قرئ ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ عن الحق مُبِينٍ ظاهر الضلالة وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰهِيمَ ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ نري بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل الربوبية مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ربوبيتها وملكها وقيل عجايبها وبدايعها والملكوت اعظم من الملك والتاء فيه للمبالغة وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ اي ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الي الحق من طريق النظر والاستدلال

وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة والمشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اوان بلوغه فَلَمَّا أَفَلَ اي غاب قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا مبتديا في الطلوع قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هٰذَا أَكْبَرُ كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ من الاجرام المحدثة المحتاجة الي محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به ثم لما تبرا عنها توجه الي موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ وخاصموه في التوحيد قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ في وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بتخفيف النون وَقَدْ هَدَانِ الي توحيده وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديدهم بعذاب الله وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ولا يتعلق به ضر وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما يحق ان يخاف منه الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ استيناف منه

او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الآية لما نزلت شق
ذلك على الصحابة فقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلوة والسلم ليس ما تظنون انما
هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان به ان يصدق
بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة
الى ما احتج به ابرهيم عليه السلم على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله
اتحاجوني اليه حجتنا آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق
بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي آتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع
درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك
حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على
ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام
فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم
اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف
على نوحا داود وسليمان وايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى
وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم
برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره
دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس وقيل هو ادريس جد نوح فيكون
البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من
الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل
واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي
ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء
الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو هاران ابن اخي ابرهيم وكلا
فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن
آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء
وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم

عطف

عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك
هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون
لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس
والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي
بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي صلعم او كل من آمن به او
الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده
فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون
الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس
فيه دليل على انه عليه الصلوة والسلم متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن
اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف
واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسالكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا
جعلا من جهتكم كما لم يسال من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو
اي التبليغ او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق
قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط
على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا
ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون
كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك
توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة
واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قال لما اغضبه الرسول صلعم انشدك
بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل
هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا

يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا
آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم
ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب
لمن آمن من قريش قل الله ثم ذرهم اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا
بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب
ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال
من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او منهم
الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفايدة والنفع مصدق
الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل
عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما
سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا
وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر
عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف الآخرة ولا
يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ
على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن
لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان
يكتب لرسول الله صلعم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله
ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان
فقال عليه السلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي
كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه
اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدايده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا
ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم

اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا
اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية تجزون عذاب الهون
اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم
تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته
تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين
عن الاموال والاولاد وساير ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلث وفردى كسكرى كما
خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز
التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة
مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم
به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم
اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هذا
الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي
وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله
لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم
او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق
الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من
الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات
ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم
المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق
عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه
والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع
وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه
من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل

يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا
اباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم
ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب
لمن آمن من قريش قل الله ثم ذرهم اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا
بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب
ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال
من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او منهم
الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق
الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل
عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما
سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا
وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر
عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف الآخرة ولا
يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ
على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن
لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان
يكتب لرسول الله صلعم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله
ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان
فقال عليه السلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي
كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه
اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا
ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المتسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم

اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا
اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية تجزون عذاب الهون
اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم
تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته
تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين
عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادى كرخال وفراد كثلاث وفردى ككسرى كما
خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز
التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة
مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم
به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم
اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هذا
الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي
وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله
لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم
او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق
الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي من الميت يريد ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من
الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات
ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم
المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق
عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه
والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع
وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه
من سكن اليه اذا اطمان اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل

دل عليه جاعل لانه فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى
المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في
الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له
قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدر وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان
حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علما للحسبان وهو مصدر حسب
بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك
اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما
على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل
لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البحر والبر
واضافتها اليهما للملابسة او مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد
لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع
اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع
استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول
اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات
لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون
لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال
فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا
على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة
في انبات الانواع المفننة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في
الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور
وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل
من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها
قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع
النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان

وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة
فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم
جنات او ومن الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون
والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه
في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي
بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر
ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو
في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه
ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان
حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا
باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله
ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء
الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم
او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا
الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله
شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع
كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد
علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن
اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا
له فتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات
فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم
من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة

الصفة المشبهة الي فاعلها او الي الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعني انه عديم النظر فيهما وقيل معناه
المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه علي الخبر والمبتدا محذوف وعلي الابتدا وخبره انّي يكون له
ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ باليا للفصل
او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفي عليه خافية
وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الي الاول وفي الاية استدلال علي نفي الولد من وجوه الاول
ان من مبدعاته السموات والارضين وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها
لاستمرارها وطول مدتها فهو اولي بان يتعالي عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من
ذكر وانثي متجانسين والله تعالي منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين
الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره
بالاجماع ذلكم اشارة الي الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا
هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه
حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو علي كل شيء وكيل
اي وهو مع تلك الصفات متولي امورکم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الي انجاح ماربكم ورقيب
علي اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال
للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة علي امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك
مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص
فانه في قوة قولنا لا كل بصر تدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه
بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل
الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع البصيرة
وهي للنفس كالبصر للبدن سميت به الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر
الحق وامن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما
انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا
كلام ورد علي لسان الرسول صلعم وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو
اجلا المعني الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الي حال وليقولوا

درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرا ابن كثير وابو
عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس
اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الرا مبالغة في
درست ودُرست علي البنا للمفعول بمعني قريت او عفيت ودارست بمعني درست ودارست
اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد
ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام علي اصله لان
التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعني او القران وان لم يذكر لكونه معلوما
او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به
لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعني منفردا في الالوهية
واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الي ارائهم ومن جعله منسوخا باية
السيف حمل الاعراض علي ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا
وهو دليل علي انه تعالي لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا
رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
اي لا تذكروا الهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق
الي الباطل بغير علم علي جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب عدوا يقال عدا
فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا وروي انه علم كان يطعن في الهتهم فقالوا لتنتهين
عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون
سبهم سببا لسب الله وفيه دليل علي ان الطاعة اذا ادت الي معصية راجحة وجب تركها
فان ما يؤدي الي شر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه
ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم
والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الي ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة
والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الي هذا
القسم والتاكيد فيه التحكم علي الرسول صلعم في طلب الايات واستحقار ما راوا منها لئن
جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشا
وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي ان الاية المقترحة

الجزء الثامن

إذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تع انما لم يبرزها العلم بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرى لعلها وقرا ابن كثير وابو عمرو بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب انها بالكسرة كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجي الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرا ابن عامر وحمزة لا يؤمنون بالتاء وقرى وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم يكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون به ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرى ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا بآبائنا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله تع ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل على اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او لكن اكثر المؤمنين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا وجعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء

ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله ابتغي حكما على ارادة القول قل لهم يا محمد أفغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن ساير الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تايد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه الصلوة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التميز والحال والمفعول معه لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذايعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن

سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال ان
يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراءهم الفاسدة فان
الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه
كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون
انهم على شيء وحقيقته على ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل
دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في ذلك مثل او استفهامية مرفوعة بالابتدا
والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من
منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله
او من اضللته اذا وجدته ضالا وافعل التفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي
يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن
انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على
ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها
يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه
واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم
يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول
ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم
فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأه
الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل
يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في
الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون
يكسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا
واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عم ذبيحة المسلم حلال
وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوّله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله

عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي
دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار
ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل
بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة
غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي
او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله
وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل
والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ
خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء
في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين
ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر
او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا
في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم
المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر
الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر
مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا
بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى
نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني
عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى الا ان
يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة
ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته
من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم وعظمهم عند الله يوم القيامة
وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على
مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الجنة ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام

فيتسع له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه الصلوة والسلم حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله **ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا** بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر **كانما يصعد في السماء** شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد **كذلك** اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق **يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل **وهذا** اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان **صراط ربك** الطريق الذي ارتضاه الله او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته **مستقيما** لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة **قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون** فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وقدره وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم **لهم دار السلام** دار الله واضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام **عند ربهم** في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره **وهو وليهم** مواليهم او ناصرهم **بما كانوا يعملون** بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم **ويوم يحشرهم جميعا** نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء **يا معشر الجن** يعني الشياطين **قد استكثرتم من الانس** من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود **وقال اولياؤهم من الانس** الذين اطاعوهم **ربنا استمتع بعضنا ببعض** اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس

بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم **وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا** اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم **قال النار مثواكم** منزلكم او ذات مثواكم **خالدين فيها** حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا **الا ما شاء الله** الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم **ان ربك حكيم** في افعاله **عليم** باعمال الثقلين واحوالهم **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا** نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا **بما كانوا يكسبون** من الكفر والمعاصي **يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم** الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين **يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا** يعني يوم القيمة **قالوا** جوابا **شهدنا على انفسنا** بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب **وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين** ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم **ذلك** اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك **ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون** تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك **ولكل** من المكلفين **درجات** مراتب **مما عملوا** من اعمالهم او من جزائها او من اجلها **وما ربك بغافل عما يعملون** فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة **وربك الغني** عن العباد والعبادة **ذو الرحمة** يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله **ان يشاء يذهبكم** اي ما به اليكم حاجة ان يشاء يذهبكم ايها العصاة **ويستخلف**

من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم
ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكاين لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم
به قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ
التمكن او علي ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا
ابوبكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعني اثبتوا علي كفركم وعداوتكم
اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات علي الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في
الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر علي ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد
لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتفصي عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة
الدار ان جعل من استفهامية بمعني اينا يكون له العاقبة الحسني التي خلق الله لها هذه الدار
فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون
الذي يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه علي وثوق
المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه
لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركوا
العرب لله مما ذرا خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الي الله وما كان لله فهو يصل الي شركائهم روي
انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الي الضيفان والمساكين وشيئا منهما
لآلهتهم وينفقون علي سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكي بدلوه بما لآلهتهم
وان راوا ما لآلهتهم ازكي تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه علي فرط جهالتهم
فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر علي شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي
قوله بزعمهم تنبيه علي ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين
وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك
التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لآلهتهم
شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين علي البناء للمفعول الذي
هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في
العربية معدودة من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء

للمفعول

للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء
وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل او ما وجب عليهم
ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من
السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان
جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الي
ما جعل للآلهة انعام وحرث حجر حرام فعل بمعني مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد
والكثير والذكر والانثي وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون
خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها
يعني البحاير والسوايب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون
اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون علي ظهورها افتراء عليه نصب علي المصدر لان ما قالوه
تقول علي الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او علي الحال او المفعول له والجار
متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون
هذه الانعام يعنون اجنة البحاير والسوايب خالصة لذكورنا ومحرم علي ازواجنا حلال
للذكور خاصة دون الاناث لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه
سواء وتانيث الخالصة للمعني فان ما في الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر
ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة
كما في راوية الشعر وهو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب علي انه مصدر
مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور
لانها لا تتقدم علي العامل المعنوي وعلي صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه
بالرفع والاضافة الي الضمير علي انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير
في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثي فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم
الكذب علي الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر
وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعني التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان
الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه علي الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير

ونحوها افتراء على الله بحمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق
والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها
وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه
وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يوكل
في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه
معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن
كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما
في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان
لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا
حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به حال الحصاد لا الزكوة المقررة فانها فرضت
بالمدينة والآية مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم حينئذ
حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع
وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها
كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرضى بعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على
جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج
من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل او الصغار الدانية من الارض مثل الفرش
المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل
من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دال عليه او حال مما بمعنى
مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد
الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين كالكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان
على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ
بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى
قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم

أما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم
اي بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما يحمل
اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف كانت
تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله
بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا
المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد
كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه
تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه
الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء لتأنيث
الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا
عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق
لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة
او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله
به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون
فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن
في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر
مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على
انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا
يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل
ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت

ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء
كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو
او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم
ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك
فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا
يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد
للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه
لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره
يدل على اعجازه ولو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف
ذلك مشية ارتضاء كقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على
الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبايح بارادة الله اياها منهم
حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويويد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل
هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل
وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا
عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا
تظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه
قاطع اذ الاية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة
على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات
الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل ولكن شاء هداية قوم وضلال
آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث
ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون
في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد
لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون
ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم او

لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا
فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الايات
متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة
الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله
من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرا ما حرم ربكم منصوب باتل
وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه
بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح
عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع
الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او البدل مما او من عائده
المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان
تشركوا شيا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهم احسانا وضعه
موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف
غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق نحن
نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كباير
الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا
وصيكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ
اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا
الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا
يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان
المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل
وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما

الاشارة فيه الي ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان ذلك الشريعة
وقرا حمزة والكسايي ان بالكسر علي الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون
به مشددة بتقدير اللام علي انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي بفتح اليا وقري وهذا صراطي
وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة
للهوي فان مقتضي الحجة واحد ومقتضي الهوي متعدد لاختلاف الطبايع والعادات فتفرق
بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع
وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسي الكتاب عطف علي وصاكم
وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من
ذلك انا آتينا موسي الكتاب تماما للكرامة والنعمة علي الذي احسن علي من احسن القيام به
ويويده ان قري علي الذين احسنوا او علي الذين احسنوا او علي الذي احسن تبليغه وهو موسي
او تماما علي ما احسنه اي اجاده من العلم والشرايع اي زيادة علي علمه اتماما له وقري بالرفع علي انه
خبر محذوف اي علي الذي هو احسن او علي الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا
لكل شي وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف علي تماما ونصبهما يحتمل العلة
والحال والمصدر وهدي ورحمة لعلهم لعل بني اسرايل بلقاء ربهم يومنون اي بلقايه
للجزا وهذا كتاب يعني القران انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل
الكتاب علي طايفتين من قبلنا اليهود والنصاري ولعل الاختصاص في انما لان الباقي
المشهور حينيذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام
الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين ما ندري ما هي او لا نعرف
مثلها او تقولوا عطف علي الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدي منهم لحدة
اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب
علي انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدي ورحمة لمن تامل
فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف
اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني

اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين
الا ان تاتيهم الملايكة ملايكة الموت او العذاب وقرا حمزة والكسايي بالياء هنا وفي النحل
او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيمة والهلاك الكلي لقوله او ياتي
بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة
اذ اشرف علينا رسول الله صلعم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم الساعة
حتي تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا
بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسي ونارا تخرج
من عدن يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا
والايمان برهاني وقري تنفع بالتاء لاضافة الايمان الي ضمير المونث لم تكن آمنت من
قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطفا علي آمنت والمعني انه لا ينفع الايمان
نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر
الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد علي اشتراط النفع
باحد الامرين علي معني لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف علي لم تكن بمعني لا ينفع نفسا
ايمانها الذي احدثته حينيذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم
اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون وحينيذ لنا الفوز وعليكم الويل ان
الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلوة
والسلم افترقت اليهود علي احدي وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وافترقت النصاري
علي اثنين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي علي ثلاث وسبعين كلها
في الهاوية الا واحدة وقرا حمزة والكسايي هنا وفي الروم فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا
فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شي اي من السوال عنهم وعن تفرقهم اي من عقابهم
او انت بري منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الي الله يتولي
جزاءهم ثم ينبيهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي
عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع علي الوصف
وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعماية وبغير حساب ولذلك
قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيية فلا يجزي الا مثلها قضية للعدل

وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم
بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى فهداني صراطا
كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام
كسيد من ساد وهو ابلغ من القايم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن
عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل
لاعلال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم وما كان من
المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي
ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات
المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرا نافع محياي باسكان
اليا اجرا للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها
غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم
على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعايهم له الى عبادة
آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب
مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما
انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق
من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله
في ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب للمومنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت
قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه
ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها
على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح
فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها
سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر
له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثماني ايات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا محكمة كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وهي ماتان وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في
مثله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل
اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق
قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجه النهي اليه للمبالغة كقولهم
لا ارينك ههنا والفا يحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج
صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار
وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمومنين يحتمل النصب باضمار
فعلها اي لتنذر به وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع
عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن
والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ
ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله
وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون
وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التا وابن عامر يتذكرون على ان
الخطاب بعد مع النبي وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها
بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بايتين كقوم لوط مصدر وقع موقع
الحال او هم قايلون عطف عليه اي قايلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذف
واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفا
بالضمير فانه غير صحيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين
ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اي دعاؤهم
او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم
عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا

السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة **فلنقصن**
عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل
اليهم ما كانوا عليه **بعلم** عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم **وما كنا غائبين**
عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم **والوزن** اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء
والجمهور على ان صحايف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا
للمعدلة وقطعا للمعذرة كما هو يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم
ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل
مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في
كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه
ليؤتى العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة **يومئذ** خبر المبتدا الذي
هو الوزن **الحق** صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي **فمن ثقلت موازينه**
حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن
فهو جمع موزون او ميزان **فاولئك هم المفلحون** الفايزون بالنجاة والثواب **ومن**
خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت
عليها واقتراف ما عرضها للعذاب **بما كانوا باياتنا يظلمون** فيكذبون بدل التصديق
ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها **وجعلنا**
لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همز تشبيها بما الياء
فيه زايدة كصحايف **قليلا ما تشكرون** فيما صنعت اليكم **ولقد خلقناكم ثم صورناكم**
اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره
او ابتداء خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه **ثم قلنا للملائكة اسجدوا**
لآدم وقيل ثم لتاخير الاخبار **فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين** ممن سجد
لآدم **قال ما منعك ان لا تسجد** اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى
الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء
مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد **اذ امرتك** دليل على ان مطلق

الامر للوجوب والفور **قال انا خير منه** جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون
مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف
يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا **خلقتني من**
نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار
العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص
ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كاينة ولعل اضافة خلق
الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب **قال فاهبط منها** من
السماء **فما يكون لك** فما يصح **ان تتكبر فيها** وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه
تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه
فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه الله
قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي **قال انك**
من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم
الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلمه الله اشهادا اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء
العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته **قال فبما اغويتني** اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في
اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا
بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام يصد عنه
وقيل الباء للقسم **لاقعدن لهم** ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة **صراطك المستقيم**
طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك
كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن **ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن**
ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال
من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه
يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم

وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون
ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما
عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة
فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه **ولا تجد اكثرهم**
شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ
الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة **قال اخرج منها مذؤما** مذموما
من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما
مدحورا مطرودا **لمن تبعك منهم** اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه **لاملان جهنم منكم**
اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى
لمن تبعك هذا الوعيد وعلة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم
فغلب المخاطب **ويا آدم** اي وقلنا يا آدم **اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث**
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من
الياء **فتكونا من الظالمين** فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف
والنصب على الجواب **فوسوس لهما الشيطان** اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل
الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية
وسوسته **ليبدي لهما** ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته
ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة
في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع **ما ووري عنهما من سوآتهما**
ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو
المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ
سوآتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا **ملكين او تكونا**
من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على
الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل

لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم
مطلقا **وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين** اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة
المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما
فجعل ذلك مقاسمة **فدلاهما** فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة
عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل **بغرور**
بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور **فلما ذاقا**
الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة
وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت
السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا **وطفقا يخصفان**
اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة **عليهما من ورق الجنة** قيل كان ورق التين
وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان
واصله يختصفان **وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان**
لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل
على ان مطلق النهي للتحريم **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** اضررناها بالمعصية والتعريض
للاخراج عن الجنة **وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** دليل على ان الصغائر
معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك
قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم
من الحسنات **قال اهبطوا** الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا
ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا **بعضكم لبعض عدو** في موضع الحال اي
متعادين **ولكم في الارض مستقر** استقرار او موضع استقرار **ومتاع** تمتع **الى**
حين الى تقضي آجالكم **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** للجزاء وقرأ حمزة
والكسائي وابن ذكوان ومنها تخرجون وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء **يا بني آدم**
قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله
وانزلنا الحديد **يواري سوآتكم** التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها

قرئت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان
من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم **وريشا** ولباسا تتجملون به والريش
الجمال وقيل مالا ومنه ترّيش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب
ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب
ورفعه بالابتداء وخبره **ذلك خير** او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار
اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا **ذلك**
اي انزال اللباس **من آيات الله** الدالة على فضله ورحمته **لعلهم يذكرون** فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان** لا يمتحننكم
بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم **كما اخرج ابويكم من الجنة** كما محن ابويكم بان اخرجهما
منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به **ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما** حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه
للتسبب **انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من
فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم
وتمثلهم لنا **انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون** بما اوجدنا بينهم
من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية
مقصود القصة وفذلكة الحكاية **واذا فعلوا فاحشة** فعلة متناهية في القبح كعبادة
الصنم وكشف العورة في الطواف **قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها** اعتذروا
واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده
ورد الثاني بقوله **قل ان الله لا يأمر بالفحشاء** لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي
فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما
جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا
فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل
على خلافه مطلقا **اتقولون على الله ما لا تعلمون** انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله
قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط **واقيموا

وجوهكم** وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة **عند كل
مسجد** في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها
حتى تعودوا الى مساجدكم **وادعوه** واعبدوه **مخلصين له الدين** اي الطاعة فان اليه
مصيركم **كما بداكم** كما انشاكم ابتداء **تعودون** باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة
بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل كما
بداكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم **فريقا هدى** بان
وفقهم للايمان **وفريقا حق عليهم الضلالة** بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده اي وخذل فريقا **انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله** تعليل لخذلانهم
او تحقيق لضلالتهم **ويحسبون انهم مهتدون** يدل على ان الكافر المخطي والمعاند سواء
في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر **يا بني آدم خذوا زينتكم** ثيابكم
لمواراة عورتكم **عند كل مسجد** لطواف وصلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة
للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة **وكلوا واشربوا** ما طاب لكم روي
ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فهم المسلمون به فنزلت **ولا تسرفوا** بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط
الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية
فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا **انه لا يحب المسرفين** اي لا يرتضي فعلهم **قل من حرم
زينة الله** من الثياب وسائر ما يتجمل به **التي اخرج لعباده** من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع **والطيبات من الرزق** المستلذات
من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام في من للانكار **قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا** بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع **خالصة يوم القيمة** لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها
على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر **كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**
اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم **قل انما حرم ربي الفواحش** ما تزايد
قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج **ما ظهر منها وما بطن** جهرها وسرها **والاثم** وما يوجب الاثم

تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق
متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين
وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في
صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب
بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقضت مدتهم او جاء وقتهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر
والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكر
بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها
ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال
الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله وكذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من
الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا
جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي
التي يبتدا بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اين الآلهة الذين
كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا
عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما
كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم
اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين
في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او
منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا
سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا

تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم برواية ابي بكر بالياء على الانفصال وقالت اولاهم
لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد
ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم
كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد
لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل
مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على
ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل
في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا
ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل
كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط
وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين
لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال
عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه
الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها
على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعد
بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب النعيم
المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من
غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي
كرم الله وجهه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار
زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل

عليه ما تبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق
فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم
عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى
له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم فهو حال من الجنة
والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة
او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة
باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود
لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ
الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين
ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد
والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن
سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا
عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة
كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله فضرب
بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي
وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس
وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين
قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت
درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال
يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه
وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه
وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي
اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو وعلى الوجه الاول من
الاصحاب على الوجه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا

لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم
تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة أهؤلاء الذين اقسمتم
لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين
كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجه الاخير
او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين
وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة أهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على
الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما
رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان
يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم
ننساهم نفعل بهم فعل الناسين نتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه
ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة
على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه عالم بعلم او مشتملا
على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين انه حقيق بذلك
هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله
الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله
يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد
تبين انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى
الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد

الامرين وعلي الثاني ان يكون لهم شفعا اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد **فنعمل غير الذي كنا نعمل** جواب لاستفهام الثاني وقري بالرفع اي فنحن نعمل **قد خسروا انفسهم** بصرف اعمارهم في الكفر **وضل عنهم ما كانوا يفترون** بطل عنهم فلم ينفعهم **ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره اوفي مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الي غروبها ولم تكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة علي ايجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث علي التاني في الامور **ثم استوي علي العرش** استوي امره او استولي وعن اصحابنا ان الاستواء علي العرش صفة لله بلا كيف والمعني ان له تعالي استواء علي العرش علي الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك **يغشي الليل النهار** يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قري يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسايي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة علي التكرير **يطلبه حثيثا** يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شي والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعني حاثا او المفعول بمعني محثوثا **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره** بقضايه وتصريفه ونصبها بالعطف علي السموات ونصب مسخرات علي الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع علي الابتداء والخبر **الا له الخلق والامر** فانه الموجد والمتصرف **تبارك الله رب العالمين** تعالي بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالي لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالي خلق العالم علي ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الي ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة

ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الي تدبيره كالملك الجالس علي عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الي الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص **انه لا يحب المعتدين** المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به علي ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الي السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلي الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسيلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين **ولا تفسدوا في الارض** بالكفر والمعاصي **بعد اصلاحها** ببعث الانبياء وشرع الاحكام **وادعوه خوفا وطمعا** ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته **ان رحمة الله قريب من المحسنين** ترجيح للطمع وتنبيه علي ما يتوسل به الي الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعني الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او علي تشبيهه بفعيل الذي بمعني مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره **وهو الذي يرسل الرياح** وقرا ابن كثير وحمزة والكسايي الريح علي الوحدة **نشرا** جمع نشور بمعني ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسايي نشرا بفتح النون حيث وقع علي انه مصدر في موضع الحال بمعني ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قري به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعني باشرات او للبشارة وبشري **بين يدي رحمته** قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه **حتي اذا اقلت** اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشي يستقله **سحابا ثقالا** بالماء جمعه لان السحاب بمعني السحايب **سقناه** اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ **لبلد ميت** لاجله او لاحيايه او لسقيه وقري ميت **فانزلنا به الماء** بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك **فاخرجنا به** ويحتمل فيه عود الضمير الي الماء

واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية
من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الي اخراج الثمرات او الي
احياء البلد الميت كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات
نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الي مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها
بالقوي والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر علي هذا والبلد الطيب
الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات
وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج الا
نكدا قليلا عديم النفع ونصبه علي الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته
الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي
يخرجه البلد فيكون نكدا مفعولا ونكدا علي المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف
كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون
بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها لقد
ارسلنا نوحا الي قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة
التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس
اول نبي بعد بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه
وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر علي اللفظ حيث وقع اذا كان
قبل الاله من التي تخفض وقرئ بالنصب علي الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الي عبادته واليوم يوم القيمة او يوم
نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا
لنراك في ضلال مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في
النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك
باعتبار ما يلزمه وهو كونه علي هدي كانه قال ولكني علي هدي في الغاية لاني رسول من الله
ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف
ومساقها علي الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات
لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي

اليه والي الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة علي امحاض النصح لهم
وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته
بالوحي اشياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف علي محذوف اي
اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة علي رجل علي لسان
رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو
شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي
ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوي وفائدة حرف الترجي التنبيه علي ان
التقوي غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد علي تقواه ولا يامن
من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين
امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه
او بانجينا او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين
والاول ابلغ لدلالته علي الثبات والي عاد اخاهم عطف علي نوحا الي قومه هودا
عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن
رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد
بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استانف به ولم يعطف كانه جواب سؤال سائل
قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب
من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به
كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت
دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول
من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن
كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس
وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه علي انهم عرفوه

بالاثر وقرا ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا
فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الي بحر عمان خوفهم من عقاب الله
ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص
لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الي شكرها المودي الي الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد
الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما
اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعني المجي في اجئتنا اما المجي من
مكان اعتزل به عن قومه او من السماء علي التهكم او القصد علي المجاز كقولهم ذهب يسبني
فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين
قال قد وقع عليكم قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم علي ان المتوقع كالواقع
من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني
في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها
آلهة وليس فيها معني الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت
كان استحقاقها بجعله تعالي اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان
الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل علي تحقق المسمى واسناد الاطلاق الي من لا يؤبه بقوله
اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به علي ان الاسم هو المسمى وان اللغات
توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا
وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون علي العناد نزول العذاب اني معكم
من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر
الذين كذبوا بآياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه علي
ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث
الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم
وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الي البيت الحرام وطلبوا
من الله الفرج فجهزوا اليه قيل ابن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ
ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه

وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه
مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا
غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال
مرثد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الي الله سقيتم فقالوا لمعاوية
احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال
قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم
ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء
فخرجت السحابة علي عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم
منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا
والي ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل
سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الي وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن
اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة علي صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم
آية استئناف لبيانها وآية نصب علي الحال والعامل فيها معني الاشارة ولكم بيان لمن
هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب
معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي
عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة
للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
وبواكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من
سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح
وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا علي الحال المقدرة او المفعول علي ان التقدير بيوتا من
الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال
الملأ الذين استكبروا من قومه عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم

واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض
ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه
على الاستهزاء قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها
على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن
آمن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة
ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها
اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن أمر ربهم واستكبروا
عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت
من المرسلين فأخذتهم الرجفة الزلزلة فأصبحوا في دارهم جاثمين خامدين
ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها
الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض
وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية
تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع
فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة
يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت
صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا
ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا
وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين
من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم
فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب
كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف
بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق
ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها
فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم

غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا
ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة
ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلعم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا
لوطا إذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه أتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع
على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من أحد من العالمين ما فعلها قبلكم
احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة
استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ إنكم
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار
والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع
الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون
الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل أنتم قوم مسرفون اضراب عن
الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل
شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل
انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤوا
بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من
قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا إنهم أناس يتطهرون اي من الفواحش فأنجيناه وأهله
اي من آمن به إلا امرأته واهلة فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين
بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وأمطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا
وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي
ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل
سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم
الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وإلى مدين أخاهم

شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من
محاربة عصى موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له
من اولادها ووقوع عصى آدم على يده في المرات السبع متأخر عن هذه المقاولة ويحتمل
ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق
الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا الكيل
والميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير
والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او
اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في
الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق
من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد
فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا
يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع
المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله
من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان
مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في
تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس
بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله

بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من
قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم
قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه
بخطابهم وعلى ذلك اجري الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها
ونحن كارهون لها او أتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا
عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا
وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال
اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين
لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا
وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا
وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون
وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا
في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم
بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم
ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين
وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون
لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد
مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة
الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في
مدينتهم الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين
وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم

الجزء التاسع

لشدة حزنهم عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل
حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم
والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم
تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية
من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون
كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل
ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا
كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحية وقالوا قد مس
آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر
يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم
بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى
المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا
واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا
عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر
لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر
والمعاصي افأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما
اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن
اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم
بأسنا ضحى ضحوة النهار وفي الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون
يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله تقرير لقوله افأمن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم
يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون

ديارهم وانما عدي يهدي باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو
نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله
مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه او لم نهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع
عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق
جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك
القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا
ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض
اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل
الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين
جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد
النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على
قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما
وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء
عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب
الحجج او ما وعدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ
لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في الابتداء والجمل والافعال الداخلة
عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير
للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه
فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى
وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس
وقيل الوليد بن مصعب ابن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال
موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة

قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرا . نافع فقلب لامن الالتباس
كقوله وتشقي الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف
بالصدق والمعني انه حق واجب علي القول الحق ان اكون انا قايله لا يرضي الا بمثله ناطقا
به او ضمن حقيق معني حريص او وضع علي مكان البا لافادة التمكن كقولهم رميت علي
القوس وجئت علي حال حسنة ويويده قراءة ابي بالبا وقري حقيق ان لا اقول
قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتي يرجعوا معي الي الارض
المقدسة التي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان
كنت جئت باية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك
ان كنت من الصادقين في الدعوي فالقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر
امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا
اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل علي الارض والاعلي علي
سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات
منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسي انشدك بالذي ارسلك خذه وانا
اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت
ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه
النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد
الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب
شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله
هو واشراف قومه علي سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا
يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه
واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه
آراؤهم فاشاروا به الي فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو
وابو بكر ويعقوب من ارجات وكذلك ارجيهو علي قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر
علي الاصل في الضمير او ارجه من ارجيت كما قرا نافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي
واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف اليا فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة

وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان
وسطه واما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة
فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او يا ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب
يا اجريت مجراها وقرا حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويويد انفاقهم عليه في
الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين استانف به كانه جواب سايل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرا ابن
كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا علي الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لابد لنا من
اجر والتنكير للتعظيم قال نعم انكم لمن المقربين عطف علي ما سد مسده نعم
زيادة علي الجواب لتحريضهم قالوا يا موسي اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
خيروا موسي مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الي ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا علي شانه فلما القوا
سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا
شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا واخشابا
وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الي موسي
ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشي عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل
بمعني المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت علي الحاضرين
فهربوا وازدحموا حتي هلك جمع عظيم ثم اخذها موسي فصارت عصا كما كانت فقالت
السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرا حفص تلقف هنا وفي طه والشعراء
فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك
وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء منهزمين او رجعوا الي المدينة اذلاء مقهورين والضمير
لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين علي وجوههم تنبيها علي ان الحق
بهرهم واضطرهم الي السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتي
ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسي وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته

قالوا آمنا برب العالمين رب موسي وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم
ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله او بموسي والاستفهام فيه للانكار وقرا
حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين علي الاصل وقرا
وقرا حفص آمنتم به علي الاخبار وقرا قنبل قال فرعون وآمنتم يبدل في حال الوصل
من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير الفين وقرا في طه علي
الخبر بهمزة والف وقرا في الشعراء علي الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير الفين
وقرا الباقون بتحقيق الهمزة الاولي وتليين الثانية قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر
مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسي في المدينة في مصر قبل
ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه
اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن
علي التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الي ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك
او انا المنقلبون الي ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا علي لقاء الله
او مصيرنا ومصيرك الي ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتي لنا العدول عنه طلبا
لمرضاتك ثم فزعوا الي الله تعالي فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ
الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر علي وعيد فرعون وتوفنا مسلمين
ثابتين علي الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن
اتبعكما الغالبون وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسي وقومه ليفسدوا في
الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الي مخالفتك ويذرك عطف علي يفسدوا او
جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة
والاخاء علي معني ايكون منك ترك موسي ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع علي انه عطف
علي اتذر موسي او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله
فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه

اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلي وقرئ آلهتك اي عبادتك قال
فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا علي ما كنا عليه من
القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا علي يده وقرا
ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا
قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله
والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط
وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا علي اسم ان واللام في الارض
يحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء
ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريحا بما كني عنه اولا لما راي انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتي بفعل الطمع لعدم جزمه
بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه
فينظر كيف تعملون فيري ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم علي حسب
ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه
والسنة غلبت علي عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم
اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا علي ان
ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الي الله ويرغبوا فيما
عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها
وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسي ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون
ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق
القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل
زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة
وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتي بها مع حرف الشك لندورها
وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو
حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت

اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما
يصيبهم من الله او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة
للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف
وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي ايما شئ تحضرنا
تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا
لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به
وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم
الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل
الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل
نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد
من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة
ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك
عليهم سبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نومن بك فدعا فكشف عنهم فنبت
لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يومنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم
وثمارهم ثم اخذ ياكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحرا
واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يومنوا فسلط
الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم
فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب
الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود
ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى
كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص
الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فمه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال
مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات
لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان

موسى لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان
وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله
عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او
بالذي عهده اليك ان تدعو به فيجيبك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع
الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا
الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن
ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه
فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم
ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجئوا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا
منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم
فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم
مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين
وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد
بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من
القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان
كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون
وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة
بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان
موسى عليه الصلوة والسلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا

على قوم فمرّوا عليهم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر
وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ
حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما نعبده كما لهم آلهة
يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم
بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبّر مكسّر مدمّر ما هم
فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل
ما كانوا يعملون عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام
بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبر
في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط
الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا
وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء
مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا
ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه
معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان
ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتّلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بدل منه مبين وقرأ نافع يقتلون بفتح الياء واسكان القاف وضم التاء مخففا
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم في الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة
فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه الصلوة والسلم وعد بني
اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون
فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة
كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره
بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال
موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح
من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع

من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص
مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلم كان
يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين
قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك
واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال
وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك
ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه
بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت
الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا
الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب
على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا
وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة
او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار
ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما
تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية
حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة
والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي
قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق
قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن
وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال
يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون
وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني
اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك ما
اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان

يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شي مما يحتاجون اليه من امر
الدين موعظة وتفصيلا لكل شي بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شي من المواعظ وتفصيل
الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او
ياقوت احمر او صخرة صما لينها الله لموسي فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها
التورية او غيرها فخذها علي اضمار القول عطفا علي كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك
والها للالواح او لكل شي فانه بمعني الاشيا او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر
قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الي الانتصار
والاقتصاص علي طريقة الندب والحث علي الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل
اليكم او بالواجبات فانها احسن من غيرها ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن
مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتا سأريكم دار
الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية علي عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم
لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقري ساوريكم وسنورثكم بدليل قوله
واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون
في الارض بالطبع علي قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم
عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق
صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا
كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوي
والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقري الرشاد
بفتحتين فثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك علي المصدر اي سأصرف
ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار
الآخرة او ما وعد الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما
كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسي من بعده من بعد ذهابه للميقات

يعني سابين الكلم من امين الزند رسادريكم م

من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها
كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي
بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب علي الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من
الذهب خاليا من الروح ونصبه علي البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري
لما صاغ العجل القي في فمه من تراب اثر فرس جبرئيل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من
الحيل فيدخل الريح في جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به
او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقري جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا تقريع علي فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعني الم يروا حين اتخذوه الها
انه لا يقدر علي كلام ولا علي ارشاد سبيل كآحاد البشر حتي حسبوا انه خالق الاجسام
والقوي والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشيا
في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتد
ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها وقري سقط علي
البناء للفاعل بمعني وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا
وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التورية ويغفر لنا
بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا
علي النداء ولما رجع موسي الي قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا
قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة
او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة
تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم ومعني من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من
التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه
ضمن عجل معني سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين
وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقي الالواح طرحها من شدة
الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح
فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شي وبقي سبع كان

فيه المواعظ والاحكام وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بانه قصر في كفهم
وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل
قال ابن أم ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء
بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى ياء المتكلم والباقون بالفتح زيادة في التخفيف
لطوله او تشبيها بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة
لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا
قتلي فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني
مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب
اغفر لي ما صنعت باخي ولأخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية
له ودفعا للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين
فانت ارحم بنا منا على انفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم
وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم
واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات
من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان
وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم
وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد
قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة
من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن
سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه والذين
تابوا أخذ الألواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول
كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى
الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او
حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه

اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
روي انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة
فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام
وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا
منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان
يرى ما رأى او بسبب آخر وعنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على
اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم
مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد
والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء
عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة
قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم
موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك
حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء
ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها
ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين
تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر
من هاد يهيد اذا امال ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا
املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض
قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن
والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة او فسأكتبها كتبة خاصة
منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر
لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها

فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم
وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الي بني اسرائيل
قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء
بالكسرة تخفيفا كالمنادي المضاف الي ياء المتكلم والباقون بالفتح زيادة في التخفيف
لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة
لتوهم التقصير في حقه والمعني بذلت وسعي في كفهم حتي قهروني واستضعفوني وقاربوا
قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني
مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب
اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية
له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين
فارحم بنا منا علي انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم
وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين علي الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم
واله موسي ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات
من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان
وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم
وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد
قرئ به عن موسي الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة
من حيث انه جعل الغضب الحامل له علي ما فعل كالامر به والمغري عليه حتي عبر عن
سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت علي ان المسكت هو الله او اخوه والذين
تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعني مفعول
كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدي بيان للحق ورحمة ارشاد الي
الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او
حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسي قو

مه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
روي انه تعالي امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة
فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسي بهم الغمام
وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسي يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن
نومن لك حتي نري الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا
منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمني هلاكهم وهلاكه قبل ان
يري ما راي او بسبب اخر او عني به انك قدرت علي اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون علي
اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فرحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم
مرة اخري لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد
والتجاسر علي طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء
عبادة العجل والسبعون اختارهم موسي لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة
قلقوا منها ورجفوا حتي كادت تبين مفاصلهم واشرفوا علي الهلاك فخاف عليهم
موسي فبكي ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك
حتي طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء
ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوي بها
ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين
تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر
من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعني املنا انفسنا
املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه علي لغة من يقول عود المريض
قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المومن
والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها في الاخرة او فساكتبها كتبة خاصة
منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويوتون الزكوة خصها بالذكر
لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يومنون فلا يكفرون بشيء منها

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي مبتدأ خبره يأمرهم أو خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل
من الذين يتقون بدل البعض أو الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلوات الله عليه وإنما سماه
رسولا بالإضافة إلى الله ونبيا بالإضافة إلى العباد الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها
على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية
والإنجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير وكالربوا والرشوة
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا من التكاليف
الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع
الخاطئة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن
عامر آصارهم فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله
المنع ومنه التعزير ونصروه لي واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته يعني
القرآن وإنما سماه نورا لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها
ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون
إشارة إلى اتباع الكتاب والسنة أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الأبدية
ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم الخطاب
عام وكان رسول الله مبعوثا إلى كافة الثقلين وسائر الرسل إلى أقوامهم جميعا حال
من إليكم الذي له ملك السموات والأرض صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف
إليه لأنه كالمتقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره لا إله إلا هو وهو
على الوجه الأول بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وفي يحيي ويميت
مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن
بالله وكلماته ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على
إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه
وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له
واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيها على أن من
صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني

من بني إسرائيل أمة يهدون بالحق يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق وبه وبالحق
يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الإيمان القائمون بالحق من أهل
زمانه أتبع ذكرهم ذكر أضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على أن تعارض الخير والشر
وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
رآهم رسول الله صلعم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض
اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فإنه متضمن معنى صير أو حال وتأنيثه للحمل على الأمة
أو القطعة أسباطا بدل منه ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحدة من اثنتي عشرة أسباطا
وكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين وإسكانها أمما على الأول بدل
بعد بدل أو نعت أسباطا وعلى الثاني بدل من أسباطا وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه
قومه في التيه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست أي فضرب فانبجست وحذفه للإيماء
على أن موسى لم يتوقف في الامتثال وأن ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في
ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم
الغمام ليقيهم حر الشمس وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا أي وقلنا لهم كلوا من
طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة
وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بإضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم
وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير أن قوله فكلوا فيها
بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره أو بدلالة
الحال عليه وأما تقديم قولوا على وادخلوا فلا أثر له في المعنى لأنه لا يوجب الترتيب وكذا
الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة
عليه بالإثابة وإنما أخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على أنه تفضل محض ليس في
مقابلة ما أمروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم
بالجمع والرفع غير ابن عامر فإنه وحده وقرأ أبو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم
قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره
فيها واسألهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والإعلام بما هو من علومهم التي
لا تعلم إلا بتعليم أو وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع بأهلها

التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل
مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت
واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم
حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون
من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير
العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول
ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت
ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان
ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل
بما قبله ثم استانف نبلوهم اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلقة
بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني
صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان
قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول
بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة
اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي
موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص
معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة
ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به
ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ
ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس
كحذر كما قرئ مخففا عنه بنقل حركتها الى الباء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة

ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم
ادغامها وبئس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه
تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما
قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب
شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي
ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب
مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم
قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية
حولهم ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل
من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري
مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم
القيمة والمعنى واذا وجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال
وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى
نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا
صلعم ففعل ما فعل بهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب
عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها
بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال
منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك
تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من
بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع
وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عهد رسول الله صلعم
ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا
الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذون
من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا

الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب
عايدين الى مثله غير تايبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان
لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم
على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افترا على الله وخروج من ميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار
الآخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك ولا تستبدلوا الادنى
الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرا نافع وابن عامر وحفص عن يعقوب بالتاء
على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على للذين يتقون
وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدا خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم
او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون
بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على ساير انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم
اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك
وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا
يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يتقبلوا احكام التورية
لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على
اضمار القول اي وقلنا خذوا او قايلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي
لعلكم تتقون قبايح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني
آدم بدل البعض وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم اي ونصب لهم دلايل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا
بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد
والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة
اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل قوله او تقولوا عطف على

ان تقولوا وقرا ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم
به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتاسيس الشرك
وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق
والهمهم ذلك الحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود
من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق
المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر
والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع
الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبا الذي آتيناه آياتنا وهو احد علماء بني اسرائيل
او امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك
الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا من
الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه
الشيطان حتى لحقه وادركه قرينا له وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من
الضالين روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه
الملايكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شينا لرفعناه الى منازل الابرار
من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا
او الى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات
وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب
لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان
السبب الحقيقي هو المشية فان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول
المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها
فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا
راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله
وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دايما سواء حمل عليه بالزجر والطرد
او ترك ولم يتعرض له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس

التشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع
لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى
خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي
بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف
المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا
يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب
الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله
لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم
الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون
بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ
والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في
الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال
جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان
لها ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه
لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين
لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها
الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار
والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة
عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في
جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على
النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة
على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه
بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين
يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه اولا

تبالوهم بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم فيها بالطلاقها
على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه
او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي فصلت
يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه
يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه
خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه
ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلوة والسلم لا يزال من امتي طائفة على الحق
الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول صلى الله عليه وسلم او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه
معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا
واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون
ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا
وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم
ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روي انه عليه الصلوة والسلم
على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات
يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر
اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء
مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة
مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان
يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها
ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا
الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجأة الموت ونزول العذاب فباي حديث
بعده اي بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم
بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله
عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن

وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يومنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يومنوا
به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم
بالرفع علي الاستيناف وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء كقوله من يضلل الله
وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا علي محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره
ويذرهم يعمهون حال من هم يسئلونك عن الساعة اي عن القيمة وهي من الاسما
الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها علي طولها عند
الله كساعة ايان مرسيها متي ارساوها اي اثباتها ورسو الشي ثباته واستقراره
ومنه رسا الجبل وارسي السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت
وهو من اويت لان البعض آو الي الكل قل انما علمها عند ربي استاثر به لم يطلع
عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعني
ان الخفاء بها مستمر علي غيره الي وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله اقم الصلوة
لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت علي اهلها من الملايكة والثقلين
لهولها وكانه اشارة الي الحكمة في اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاة علي غفلة كما
قال عليه الصلوة والسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي
ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسالونك
كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشي اذا سال عنه فان من بالغ في السوال
عن الشي والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هو صلة يسالونك وقيل
هو من الحفاوة بمعني الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متي
الساعة والمعني يسالونك عنها كانك حفي تتحفي بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها
وقيل معناه كانك حفي من حفي بالشي اذا فرح بالسوال عنها تحبه اي لا تكره لانه من
الغيب الذي استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسالونك لما نيط به
من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يوتها
من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية
والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو
كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي

ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتي لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما
انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يومنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون
متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم
وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم
ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليانس بها ويطمين اليها اطمينان الشي الي جزئه
او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الي المعني ليناسب فلما تغشيها اي جامعها حملت حملا
خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقي منه الحوامل غالبا من الاذي او محمولا خفيفا وهو
النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت
من المور وهو المجي والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت
ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ علي البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما
لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك علي هذه النعمة
المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما
آتي اولادهما فسموه عبد العزي وعبد مناف علي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويدل عليه قوله فتعالي الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني
الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك
لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها
وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه
عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملايكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك
لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا
من قصي وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين
فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما
ولاعقابهما المقتدين بهما وقرا نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك
وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جي به علي تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا
اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي
المشركين الي الهدي الي الاسلام لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف بفتح الباء وقيل الخطاب

للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الي ان يهدوكم لا يتبعوكم الي مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله
سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة
الدعاء من حيث انه مسوي بالثبات علي الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه
قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم علي الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون
من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور
الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون
عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان
يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا علي انها نافية عملت عمل
ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل
ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من
مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون ولا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي علي ولاية الله
وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن
عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من
دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم
وان تدعوهم الي الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون
في الناظرين الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الي من يواجهه خذ العفو
اي خذ ما عفي لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو هو ضد
الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب
الزكوة وامر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا
تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة
تحملك علي خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه
وسوسته للناس اغراءهم علي المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله

انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من
آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها
طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان يؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ
ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف علي انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد
بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون
بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية
تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم
يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم
كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن
الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الي الجاهلين
فيكون الخبر جاريا علي ما هو له واذا لم تأتهم باية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها
هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأ او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى
الي من ربي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن
بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره
واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا
يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما
حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء علي استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى
القراءة علي المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء
وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي
تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر
ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات
وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من
الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن

عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره

وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلعم اذا قرا ابن

آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة

وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلوة والسلم من قرا سورة الاعراف

جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سجده

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال

اي الغنايم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرط

الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص

بهما يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يامر الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين

في غنايم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول

الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا

سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند

الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلعم بينهم على السوا

ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه وعن سعد بن ابي

وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه

فاتيت به رسول الله صلعم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض

فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى

نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلعم سالتني السيف وليس لي وانه قد صار

لي فاذهب وخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام

وادغام نون عن فيها ويسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا

الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة

والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه

ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان

بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل

والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت

قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية

فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت

اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان

النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان

يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون

يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة

ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان

ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن

افعال الجوارح التي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف

او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة

وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم

في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا

محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم

له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول

مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجرة

ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع

الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها

تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن

نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها

لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة

يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد لم

تفلحوا بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا

نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه

شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبئوا
حتى تتنبأ نساءهم فخرج ابو جهل باهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب
تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلعم بوادي ذفران فنزل عليه
جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه
فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم
وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله
عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلعم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا
مقالتهما ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما
احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلعم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين
بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته
الا على عدوهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال
اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق اللقاء ولعل الله يريك منا
ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان
الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عم
لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له
لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله
يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه
بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول **كانما يساقون الى**
الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو

٢٦٠

يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان
فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم **واذ يعدكم الله احدى**
الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها **انها لكم** بدل
الاشتمال **وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم** يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون
فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعُددهم والشوكة الحدة مستعارة
من واحدة الشوك **ويريد الله ان يحق الحق** ان يثبته ويعليه **بكلماته** الموحى بها في هذه
الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته **ويقطع دابر الكافرين** ويستأصلهم والمعنى
انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل
لكم فوز الدارين **ليحق الحق ويبطل الباطل** اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول
لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول
على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها **ولو كره المجرمون** ذلك **اذ تستغيثون ربكم** بدل
من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص
من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن
عمر رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في
الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه وقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه
سينجز لك ما وعدك **فاستجاب لكم اني ممدكم** باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل
وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول
بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من ردفته اذا جئت بعده
او متبعين بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين
او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي
متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء
وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت
الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالالف ليوافق ما في سورة آل عمران
ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة

او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد رويت اخبار تدل عليها
وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول
ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد
الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا
تياسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة
او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع
يغشيكم النعاس بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين
هو الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له
باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة
فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة
فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف
فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى
عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته
وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير
ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال
كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء
الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض
على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى
تثبت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت
به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة
اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم
وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين
آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او محاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع

ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل
بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق
الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي جزوا
رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل
احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه
من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على
طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه
او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف
على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع
الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب للعذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ
وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا
بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا
قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا
ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين
الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين
يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون
منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى
فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ابن عمر
انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو
لا عمل له والاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير

هذا اذا لم يزد العدو علي الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل
بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم
عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلوة والسلم
هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسئلك ما وعدتني
فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من
الحصا فرمي بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا
وردفهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل
قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الي اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي
اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمي اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الي اعينهم جميعا
حتي انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق علي المسمى وعلي ما هو كمال
المقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمي بالرعب
في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل
يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق
علي فراشه والجمهور علي الاول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع
ما بعده في الموضعين وليبلي المومنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر
والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم
واحوالهم ذلكم اشارة الي البلاء الحسن او القتل والرمي ومحله الرفع اي المقصود
والامر ذلكم قوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المومنين
وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهّن بالتشديد
وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب
لاهل مكة علي سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا
اللهم انصر اعلي الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة
الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد
لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت

فئتكم وان الله مع المومنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على
ولان الله مع المومنين كان ذلك وقيل الآية خطاب المومنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان
تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم
بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله
ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن
الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول
لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة
وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم
لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب علي الارض او شر البهائم الصم عن
الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا
به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم
سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق
والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا
فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها
الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان
دعوة الله تسمع من الرسول صلعم وروي انه عليه الصلوة والسلم مر علي ابي سعيد الخدري
وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال
الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا يقطع
الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي
ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية
فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن
او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه
سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم

واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها
او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت
او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه
وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد
فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف
وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب
الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم بل تعمكم وفيه ان جواب الشرط متردد
فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي في
غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل
رايت الذيب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى
ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم
خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخرين للتبيين
وفائدة التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش
والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون
ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم
فآواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار
او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم
لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل
الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه
عليه الصلوة والسلم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم

بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم
سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في
ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح
قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية
في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة
ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله
لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان
من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول
او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن
من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او
محنة من الله ليبلوكم فيه فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم
لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين
آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل
كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر
لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعدهم
على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده
انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر
نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك
بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ
ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك

من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين
فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان
احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا
منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي يأتيكم
من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه
من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم به فقال ابو جهل
انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلنا. فقال
صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على رايه فاتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره
الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه
الى الغار **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ** برد مكرهم عليه او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين
معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا **وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ** اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذه انما يحسن للمزاوجة ولا
يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا
لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا** هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله
رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ايتمروا في امره عليه الصلوة والسلام وهذا غاية
مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم
بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم
ان يغلبوا خصوصا في باب البيان **إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ما سطره الاولون من
القصص **وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ
السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه
لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلعم ويلك انه كلام الله فقال ذلك
والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ايتنا بعذاب
اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق
بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه

حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلعم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا
للواقع غير منزل كاساطير الاولين **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ
مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم
واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي صلعم بين اظهرهم خارج
عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين
او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون **وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ** وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى
زال ذلك وكيف لا يعذبون **وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** وحالهم ذلك ومن صدهم عنه
الجاء الرسول صلعم والمؤمنون الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية **وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ** مستحقين
ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء
وندخل من نشاء **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ** من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل
الضمير لله **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم
ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ** اي دعاؤهم
او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها **إِلَّا مُكَاءً** صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر
وقرئ بالقصر كالبكا **وَتَصْدِيَةً** تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال
احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق
الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته
روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلعم ان يصلي يخلطون عليه ويرون
انهم يصلون ايضا **فَذُوقُوا الْعَذَابَ** يعني القتل يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام
يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ايتنا بعذاب **بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** اعتقادا وعملا **إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا
اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر
ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية
او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا

تدرك منه تارة تفعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها وقيل
الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما
يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان عرض
الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة
ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة
ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي
الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث
من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او
يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلعم مما انفقه المسلمون في نصرته
واللام متعلقة بقوله ثم يكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز
وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم
بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه
كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق
الخبيث اوالى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم
واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن
معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم
وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير
كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم
شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان
الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء
على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم
للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب فان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله
مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب

الجزء العاشر

من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم
الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ
فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين
به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلوات الله عليه يصرف الى ما كان يصرفه اليه
من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى
الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم
وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى
الكعبة لما روي انه عليه الصلوة والسلم كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة
ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول
وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه الصلوة والسلم قسم سهم
ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلوة والسلم لم يفارقونا في جاهلية
ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل هو بنو هاشم وحدهم وقيل جميع
قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل
وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم
والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع
بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان
كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا
انه جعل الخمس هؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم
العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو
العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا

بضمتين اي الرسول والمؤمنين **يوم الفرقان** يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل
يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار **والله على كل شيء قدير** فيقدر على نصر
القليل على الكثير والامداد بالملائكة **اذ انتم بالعدوة الدنيا** بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب **وهم بالعدوة القصوى** البعدى من المدينة
تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الصفة والاسم
فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا **والركب** اي العير او قوادها
اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف
قبله وفايدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على
المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم
وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر
مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى
الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله **ولو تواعدتم لاختلفتم**
في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم
في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم ليس الا
صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا **ولكن** جمع بينكم على هذه
الحالة من غير ميعاد **ليقضي الله امرا كان مفعولا** حقيقا بان يفعل وهو نصر
اوليائه وقهر اعدائه وقوله **ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة**
بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش
من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من
الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على
استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن
كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل **وان الله لسميع عليم**

بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول
والاعتقاد **اذ يريكهم الله في منامك قليلا** مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق
بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم
وتشجيعا على عدوهم **ولو اراكهم كثيرا لفشلتم** لجبنتم **ولتنازعتم في الامر** امر القتال وتفرقت
آراؤكم بين الثبات والفرار **ولكن الله سلم** انعم بالسلامة من الفشل والتنازع **انه عليم**
بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها **واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم**
قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال
ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول
صلى الله عليه وسلم **ويقللكم في اعينهم** حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم
قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم
الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظايم تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى
الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله
الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط **ليقضي الله امرا كان مفعولا**
كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وهنا
اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه **والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا**
لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب
في القتال **فاثبتوا** للقائهم **واذكروا الله كثيرا** في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين
لنصره **لعلكم تفلحون** تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا
يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدايد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا
بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال **واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا** باختلاف الآراء
كما فعلتم ببدر او احد **فتفشلوا** جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ **وتذهب ريحكم**
بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها
ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا يكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور **واصبروا ان الله مع الصابرين** بالكلاءة والنصر **ولا**
تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير **بطرا** فخرا

واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم
رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب
بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا
كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المومنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم
بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن
سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن
على تاويل المصدر والله بما تعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر
باذكر اعمالهم في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجيرهم حتى قالوا
اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه
رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء
منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم
لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم
وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني
وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في
يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون
ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا
يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني
ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن واختاره
ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم
شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون

المومنين دينهم حين تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن
يتوكل على الله جوابهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به حكيم يفعل بحكمته البالغة
ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا
عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى
الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان
يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين
كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله
على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل
منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون
ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت
النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب او العذاب بما قدمت
ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد
عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم
بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا
عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب ال
فرعون اي داب هؤلاء مثل داب ال فرعون وهو عملهم وطريقتهم الذي دابوا فيه اي
داموا عليه والذين من قبلهم من قبل ال فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم
الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك
اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم لا يبدلها
اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء كتغير قريش
حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه
منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه
بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم
له وهو جري عادته على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم
ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون للتشبيه بالحروف اللينة تخفيفا فان الله سميع

لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة
على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر
والاخذ به والثاني لتشبيه التغير في النعمة بسبب تغيرهم ما بانفسهم وكل من
الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون
فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء
للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض
للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلعم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا
المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب
كعب بن اشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة
مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه
او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب
فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من
وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه
مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في
الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين
خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء
على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على
سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول
اي ثابتا على طريق سوي منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب
الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال
على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا
سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم

او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان
المصدرية كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن
عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي
اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن
ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية
ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين
واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او للكفار ما استطعتم من قوة من كل
ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته صلعم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي
قالها ثلثا ولعله عليه الصلوة والسلم خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل
التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا
ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون
به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم
يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون
وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في
سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل ونقص الثواب وان
جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ
ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم
وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه
هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم
وقيل عامة نسخها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك
الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية
والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان

حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلوات الله عليه وبيانه لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهي عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات
بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم
بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة
لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس
والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف
بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن
اتبعك من المومنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند
او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمومنون
والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلعم ثلاثة وثلاثون رجلا وست
نسوة ثم اسلم عمر رضه فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي
حرض المومنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض
حتى يشفي على الموت وقرئ حرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد
للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا
يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المومنين رجاء
الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله على الواحد
بمقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين
وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد
المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل
ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة
والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان

لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرا البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر
القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض
اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها
باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع
اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد بالليل
نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان
ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال
وصارت الغلبة للمومنين روي انه عليه الصلوة والسلم اتي يوم بدر بسبعين اسيرا
فيهم العباس وعقيل ابن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك
استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضه اضرب اعناقهم
فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة
من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلعم وقال ان الله ليلين قلوب رجال
حتى تكون الين من اللين وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك
يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر
مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل
عمر رضي الله عنه على رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان
اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي
عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم السلم يجتهدون
وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق
اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطي في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما
بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم
من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه الصلوة والسلم قال لو نزل العذاب لما نجا منه
غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية
فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف
تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة

حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم
منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في
مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في
ايديكم من الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا
يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلعم ان
يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني
اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله
وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال فاشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد
الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك
نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل فامكن
منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم
حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله
وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم
في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين
الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون
والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها
لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم
وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير

والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث
او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم
وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة
في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في
الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا
ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين
في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل
المال ونصر الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا
منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من
بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب
الله في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل
شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار
القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا له شفيع يوم القيمة
وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون
له ايام حيوته

سورة براءة مدنية

وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزل ولها اسماء اخر التوبة
والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم
ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون
وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلعم
اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها
تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها

وقيل لما اختلف الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطول او سورتان
تركت بينهما فرجة ولم تكتب بينهما بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة
ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة
مبتداء لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ
بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به
المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه
يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول
فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة
وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر
ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة
وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم
وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي
انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه راكب
العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم
فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع
ابو بكر رضي الله عنهما الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه
قال امير او مامور قال علي مامور فلما كان يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه
وحدثهم عن مناسكهم وقام علي كرم الله وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقراء عليهم ثلثين او
اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا
يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي
عهد عهده ولعل قوله صلعم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه
بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة
العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل على انه في بعض
الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي

الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا
والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى
الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم
العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه الصلوة
والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل
يوم عرفة لقوله عليه الصلوة والسلم الحج عرفة وقوله ووصف الحج بالاكبر لان
العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر
من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده
اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان
الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على
محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا
على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت
البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين
فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم
على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا
ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين
عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد
ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا
من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا
من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى
الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من
باب التقوى فاذا انسلخ الاشهر الحرم انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء
مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل
رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي
بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين

حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير فاحصروهم
واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا
يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم
ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى
سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم
ما قد سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض
لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله
ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع
بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما
يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام
بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان
يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين
او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين
حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع
على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا
على الوفاء كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية
والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق تفسيره كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على
العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبر
تماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا
عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا
وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل

ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل
اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ
ايلا كجبرال وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف
لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز
جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظفرهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم
المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة
بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالة تنافيه وتابى قلوبهم ما يتفوهون به واكثرهم
فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة
من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقرآن
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل
اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد
انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا وما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو
تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او
الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا
عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم
وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من
احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا
ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح
الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم
صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء
المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل
والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا
ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به

الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان
لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم
يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين
او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة
ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض
على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا
ايمانهم التي حلفوها مع الرسول صلعم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على
خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله
واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه من
المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلوة والسلم بداهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم
ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله
احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى
الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والوعيد عليه يعذبهم الله
بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم
ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج
قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات
ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب
لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم
الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي
المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا

عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك
متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله
ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد
الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب
الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت
الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له
علي رضي الله عنهما في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون
بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين
للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة
والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلعم قال الله تعالى ان
بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في
بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول قرينته وتمامه الايمان به
ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين
فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع
باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم
دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار
تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرا سقاة
الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم

المبتنة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي
القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلعم منهمكون في الضلالة
فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين
يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يجتمع هذه الصفات
او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند
الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات
نعيم مقيم وقرا حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف
خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده
اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا
آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن
موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان
ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من
العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرا ابو بكر وعشيراتكم وقرئ
وعشايركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت
نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا
حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله
لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقفها ويوم حنين وموطن يوم
حنين ويجوز ان يقدر ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال
قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف

اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف
حارب فيه رسول الله صلعم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان
انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلعم
او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا
فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلعم
في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك
بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد
الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت
الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلوة والسلم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ
كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم شيا اي الكثرة
شيا من الغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي
سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا يثبتون فيها كمن
لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف
خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى
المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين
ثبتوا مع الرسول صلعم ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة
آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر
والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم
روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلعم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس
وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ
من الابل والغنم ما لا يحصى فقال صلعم اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا
نعدل بالاحساب شيا فقام رسول الله صلعم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم
بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه
ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه قالوا

رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم
قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب
عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون
لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر
ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة
او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه
ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان
الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة
حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم
من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه
آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ
عائلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشية لتنقطع الآمال الى الله
ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي
عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم
كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة
وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا
وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من
الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان
يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية
بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك
منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم
بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من

الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية
من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده
ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه الصلوة والسلم
اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب
فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ
منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه الصلوة والسلم صالح عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة
دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى
المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا على شيء فقير غير كسوب وقالت اليهود
عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق
فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية
حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان
فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب
عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما
لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان
الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب
وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما
قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم
ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في
الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم
قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم
والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله
او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم
ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله

دعا عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف
يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم
في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله
وما امروا اي وما امر المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا
ليطيعوا الها واحدا وهو الله واما طاعة الرسل وساير من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة
طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون
تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته
وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلعم بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويابى الله
لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم
ابطال نبوة محمد صلعم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق
يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان
يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غيرانه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة
على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول
واللام في الدين للجنس اي ساير الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها
الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل
ياخذونها بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون
عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم
بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا
يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه
لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلعم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب
بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه الصلوة والسلم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه
فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء

نصف

اربعا

او بيضاء كوي بها ونحو فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلوة والسلم فيما اورده الشيخان
مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة
صفحت له صفايح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو
الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها
واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار
والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال
عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي كرم الله وجهه
اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما
للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة
وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم
بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السايل واعرضوا عنه وولوه
ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة
التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقادم
البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان
عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه
وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة
لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا
عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب
ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة
منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ذلك
الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما
السلم والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها
والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه
اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا

٢٩

في الحرم والاشهر الحرم الاان يقاتلوا ويويد الاول ماروي انه عليه الصلوة والسلم حاصر
الطايف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشي فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع
موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم
انما النسي اي تاخير حرمة الشهر الي شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع
انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقري النسي بحذفها والنسا والنسا
وثلثتها مصادر نساه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه
فهو كفر آخر ضموه الي كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زايدا وقرا حمزة والكسايي
وحفص يضل علي البناء للمفعول وعن يعقوب يضل علي ان الفعل لله يحلونه
عاما يحلون المنسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما
فيتركونه علي حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم
علي جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في
القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال
ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه
اوبما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقري علي البناء للفاعل وهو الله تع والمعنى خذلهم
واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية
موصلة الي الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم تباطاتم وقري تثاقلتم علي الاصل وااثاقلتم علي الاستفهام للتوبيخ الي
الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالي وكان ذلك في غزوة
تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطايف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة
وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة
ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة بدل الآخرة ونعيمها الا قليل
مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الي ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك

بسبب قطيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيا
فانه الغني عن كل شي وفي كل امر وقيل الضمير للرسول صلعم اي ولا تضروه فان الله
وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله علي كل شي قدير فيقدر علي التبديل
وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم
تنصروه فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن
معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه
فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد
الاخراج الي الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقري
ثاني اثنين بالسكون علي لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب
ونصبه علي الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع
والغار نقب في اعلي ثور وهو جبل في يمنى مكة علي مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ
يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي لا تحزن ان الله معنا
بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر علي رسول الله صلعم
فقال عليه الصلوة والسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا
يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت
فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي يسكن عندها القلوب عليه علي
النبي صلعم او علي صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها
يعني الملايكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه علي العدو يوم بدر والاحزاب
وحنين فيكون الجملة معطوفة علي قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى
وجعل ذلك بتخليص الرسول صلعم عن ايدي الكفار الي المدينة فانه المبدا له او
بتاييده اياه بالملايكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب
كلمة الله بالنصب عطفا علي كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار فان كلمة الله
عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا اثبات للتفوق ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل

والله عزيز حكيم في أمره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالها ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلعم أعلى ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر الشين والعين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر

في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله لو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول صلعم لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا او شرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول صلعم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلعم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلعم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس

قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات اصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني
الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف او ظهور
النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الان
لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط
حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رايهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك
وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه
من النصرة والشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ
هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه من بنات الواو لقولهم صاب
السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشي فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا
ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل
تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما
حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوئيين ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على
الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته
المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا
هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين
ان لا يوخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل
الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم
كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي ان يقبل
بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ نقبل على ان الفعل لله ولا ياتون
الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون
بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج
ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها

وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدايد والمصايب وتزهق انفسهم وهم كافرون
فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع من النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق
الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم
قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية
لو يجدون ملجا حصنا يلجاون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه
مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم
ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يردهم شي كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب
يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم
يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى
صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة
راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة
بتوفير الغنايم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا
للمفاجاة نايب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم
الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول صلعم
كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة
اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية
باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات
تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلعم فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين
اي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللام انهم في قسم الزكوات
دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب
فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه
قوله تع اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه الصلوة والسلم يسال المسكنة ويتعوذ من الفقر
وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها
وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم او اشراف

يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن
حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يتألفون علي ان
يسلموا فانه عليه الصلوة والسلم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي
كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها علي قتال الكفار ومانعي الزكوة
وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط وفي الرقاب
وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها علي اداء النجوم وقيل بان يبتاع
الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدي الاساري والعدول عن اللام الي
في للدلالة علي ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين
المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات بين وان كانوا
اغنياء لقوله عليه الصلوة والسلم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او
لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق علي المسكين فاهدى
المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق علي
المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطير والمصانع وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة
او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع علي تلك فريضة والله عليم حكيم
يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف
الثمانية ووجوب الصرف الي كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك
واليه ذهب الشافعي رضه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين
رضوان الله عليهم جواز صرفها الي صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره بعض
اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي علي ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم
لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال
له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي
الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي
انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل هو اذن خير
لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا علي الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير

ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم
لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان
الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف
سره وفيه تنبيه علي انه ليس يقبل قولكم لجهله بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة
ورحمة بالجر عطفا علي خير وقرئت بالنصب علي انها علة فعل دل عليه اذن خير اي يأذن
لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير علي ان خير صفة له او خبر ثان والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم علي معاذيرهم فيما قالوا
او عملوا ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان
يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين ولان الكلام
في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول
كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله
يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها علي حذف الخبر اي فحق ان له او
علي تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا علي انه ويكون الجواب محذوفا تقديره
من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم علي المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك
عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم
من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل علي ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا علي
بت في امر الرسول صلعم بشئ وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم
استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه
من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقالوا انظروا الي هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات
هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شئ من
امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا علي بعض السفر قل
ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا علي استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به

والزاما للحجة عليهم ولايبالي باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
فانه معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلعم والطعن فيه بعد ايمانكم
بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن
الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين
على الايذاء والاستهزاء وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله
وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن
الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله
وماهم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله
يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الطاعة والايمان ويقبضون
ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته
فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد
والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها
ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه
او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل
فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم
بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه
من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية
والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا
لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا
كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون
الذين خسروا الدنيا والاخرة الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان

وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك
اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات
قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من
سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى
الشر اتتهم رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه
ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر
والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله
لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده
حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة يستطيبها النفس او يطيب فيها
العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات
عدن اقامة وخلود وعنه عليه الصلوة والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين
ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى
طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد
او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى
الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين
لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر
لانه المبدا لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلوة
والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شئ افضل من
ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم

هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأويهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه الصلوة والسلم اقام في
غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان
ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف
بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول صلعم
وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الي
الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان
يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلعم وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا
ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا
محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلعم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس
مولي فامر رسول الله صلعم بديته اثني عشر الف درهم فاستغني والاستثناء مفرغ عن
اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس علي التوبة والضمير
في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار علي النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت
في ثعلبة بن حاطب اتي النبي صلعم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلوة والسلم
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق
لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود
حتي ضاقت به المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلعم
فقيل كثر ماله حتي لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه

الصدقة

الصدقة واقرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية
فارجعا حتي اري رايي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك
فجعل التراب يحثو علي راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلعم
فجاء بها الي ابي بكر رضه فلم يقبلها ثم جاء بها الي عمر رضه في خلافته فلم يقبلها وهلك في
زمان عثمان رضه فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله
عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعني فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الي يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي
جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق
والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب
مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي
المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء علي الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه
في انفسهم من النفاق او العزم علي الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم
من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفي عليه ذلك الذين
يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين
اي المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه الصلوة والسلم حث
علي الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف
فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك
الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتي صولحت احدي امراتيه عن نصف الثمن
علي ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري
بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير علي صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع
فامره رسول الله صلعم ان ينثره علي الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطي عبد الرحمن
وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر
بنفسه ليعطي من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ
بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ في الامر فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم

سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر
لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه
بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله
بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له
ففعل فنزلت فقال عليه الصلوة والسلم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلوة والسلم فهم من
السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه
فبين ان المراد به التكثير دون التحديد وقد ساغ استعمال السبع والسبعين والسبعمائة
ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك
بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله
لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق
فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع
عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول صلعم في استغفاره وهو عدم
ياسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعين على الضلالة والممنوع هو الاستغفار
بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة
فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا
عليها تحصيل رضاه ببذل المال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض
او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا
يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم
في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون

الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله
الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم
فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا
فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن
تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول
مرة تعليل لهم وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول
مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم
للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل
على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت
وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهي عن الصلوة
عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه
العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار
له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر
فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف
عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل
للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في
فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا
بالله بان آمنوا بالله ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا
للعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة
للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول

من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه
جاهدوا بأموالهم وأنفسهم اي ان تخلف هولا ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو
خير منهم وأولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة
في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة
وأولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون
من الأعراب ليؤذن لهم يعني أسد وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين
بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت
طي على أهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا
ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الدال ونقل حركتها الى العين
ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب
معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال على
انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في
انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم
الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب أليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم
كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان
والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا
يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس
عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على
انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء
فكيف المحسن ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين
وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن

كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد
فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت
لا أجد ما أحملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا وأعينهم تفيض
من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض
دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر
لفعل دل عليه ما قبله ألا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغازيهم
انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم أغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا
مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة
والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة
فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا
تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا
بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله
أتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه فكأنه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم
لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم
ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على
الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم
جهنم من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا
والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا
يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا
عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اي فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد
عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل

الجزء الحادي عشر

الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض
وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم
وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان
لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها
والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا
وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما
غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله لا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص
بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة
السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم
والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وقد سمي بها عقبة الزمان والسوء
بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق
عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات
عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات
الرسول وسبب صلواته لانه عليه الصلوة والسلام كان يدعو للمصدقين ويستغفر ولذلك
سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال
عليه الصلوة والسلام اللهم صل على آل ابي اوفي لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره
الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف
مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم
باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى
في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين
اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة
الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة ومصعب بن عمير
وقرئ بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين
من القبيلين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول

طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري
تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في ساير المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز
العظيم وممن حولكم ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة
ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن
حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني وعلى الاول صفة للمنافقين
فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق
لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى
حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم
ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل
او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب
النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من
المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا
ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب
بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء
شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم
ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب
ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا
التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم
عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهر بمعنى طهر وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل
عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله

سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في
قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التخصيص عليهما ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات
يقبلها قبول من ياخذ شيا ليودي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة
التايبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا
كان او شرا ورسوله والمومنون فانه لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم وستردون الى
عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون
من المتخلفين مرجون موخرون اي موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرا
نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم
ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين
بارادة الله والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقري والله غفور رحيم والمراد بهم هلال
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان
لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم
والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن وصفنا
الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة
للمومنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يومهم
فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلعم فقالوا انا قد بنينا
مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى
فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن
والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل
واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المومنين
يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله
من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلعم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك
معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر

بجنود يحارب بهم رسول الله صلعم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب
فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل
ان ينافق هولاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلعم ان ياتيه
فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزل وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة
والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة
لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلعم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من
الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلعم لقول ابي سعيد رضه سالت رسول الله صلعم
فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله
لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه بان تصلي فيه فيه رجال
يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة
فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل
لما نزلت مشى رسول الله صلعم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار
جلوس فقال امومنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضه انهم مومنون وانا معهم فقال
عليه الصلوة والسلم اترضون بالقضا فقالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال
اتشكرون في الرخا قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلم مومنون ورب الكعبة فجلس ثم
قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضو وعند
الغايط فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال
يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير
على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على
شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم
فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه
الوادي الهاير في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس
ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذاك
على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله تعالى ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس

هذا على انهم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة
وقرا نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة
واسس واساس بالكسر وثلثها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث
كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناءهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي
شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك
ثم لما هدمه الرسول صلعم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا
ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة
والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كاين بالقتل او في القبر او في النار
وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع
وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم
على خطاب الرسول صلعم او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله
عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون
في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه
الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن
ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظايم المطالب كما قال وذلك هو الفوز
العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز
ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا
وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه
الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله

مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلوة
والسلم سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل
بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر
عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة
كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه
من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل وهذا مجملها وقيل انه
للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء
تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين
بتلك الفضايل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى
ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين روي انه عليه الصلوة والسلم قال لابي طالب لما حضره الوفات قل كلمة
احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل
لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا مستغفرا فقال اني استاذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي
وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب
توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان
استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله
لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه
قراءة من قرا اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو
لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره ان
ابرهيم لاواه يكثر التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى
والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما

اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون
حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر
لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر
ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم
في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك
وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا
يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤوا مما عداه حتى لا يبقى
لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
من اذن المنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب لقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى
التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تع وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد
الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار
لفضلها بانه مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة
في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير
واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من
بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي
كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ
بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني
المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا
من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلثة وتاب
على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن
الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها
لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط
الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه

الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا اما لقبول توبتهم
ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليه بالنعم
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم
او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اوفي توبتهم وانابتهم فيكون المراد
به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا
انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة
بلغ بستانه وكان له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه
الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول
الله صلعم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد
رسول الله صلعم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة
الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظماء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤون
لا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطاؤه ولا ينالون من عدو نيلا
كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما
يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه
على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي
للمجنون اما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رض في جيش العسرة ولا يقطعون
واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع
بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت ذلك لهم ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون
جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام
لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش

فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة
قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد
القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس
والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به
على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية
طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبار لم يتواتر لم يفد
ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر
وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا
ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه
الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون
الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا
للطوائف اي ولينذر البواقي فرقهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم
من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلعم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون
الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح
الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا
ما انزلت سورة فمنهم من المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه
السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها
الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما
الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ

بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلعم فيعاينون
ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون
من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض
تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد
اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول صلعم فان لم يرهم احد قاموا وان
يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم
تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم
اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص
عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم
الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن
الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه
عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او
الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن
ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية
وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر
فخمها ابن كثير ونافع وحفص واما لها الباقون اجراء لالف الرا مجرى المنقلبة من اليا
تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته
لم ينسخ شيء منها أكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه
ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل
من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحو انكارهم واستهزائهم

الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله
لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم
على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلوة والسلم
لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا
الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا
كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة
فيكون في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس
فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به
ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان
السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه
على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب
وما جاء به الرسول صلعم لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة
الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول صلعم امورا خارقة للعادة
معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر
الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك
اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من
شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع
لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك
الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك
فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه
المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور
لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم
وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده
بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله

٢٩١

او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو
الاوجه لمقابلته قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان
معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في
استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة
والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه
واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل
لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على
اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرا انه يبدا بالفتح اي لانه ويجوز
ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء
اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو
وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا
اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض
نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس
والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا
منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به
ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام
في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة
البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان
وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات
والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا
لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا
من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها
او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها
لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين

الذهول عن الآيات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا ولما
لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه
حب العاجل عن التامل في الآجل والاعداد له اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون
بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقايق
كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب
وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على
استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار
استينافا وخبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر
او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعويهم فيها اي دعاؤهم فيها سبحانك
اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم
فيها سلام وآخر دعويهم وآخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا
ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه
واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد
ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير
اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم بالخير وبان المراد شر
استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي
عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل
وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف
على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا يعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم
واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه ملحا لجنبه اي مضطجعا
او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال ولاصناف المضار فلما كشفنا عنه
ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا

تخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف
ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين
ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا
وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم
واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم
عليه بحيث تحقق بانه لا فايدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل قوم مجرم او
نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم
خلايف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف
من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول
تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفايدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء
جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت
بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرأه ليس فيه ما يستبعدونه من البعث والثواب والعقاب
بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على
ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي
ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب
عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى
الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض
بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه
ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي
اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن
ابن كثير ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري

والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادرأكم
ولا ادرأكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء
بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله
لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر
اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن
معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد
عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته كل منطيق وعلا كل
منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون اي فلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
تفادى مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك
وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون
مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث
وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار
النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع
لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم
بهم او هؤلاء شفعاؤهم عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما
في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون
من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم
لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم
به وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك
في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من
الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت

اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم
القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل
وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها
فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف
عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم
ما نزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة
من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال
في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا
يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل
ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا
الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف
على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي
يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن
وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم ليتعجب
من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب لاذا
والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب
وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت
عليهم مسالك الخلاص كمن احاطت به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير
اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال
لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة
القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون
في الارض فاجأوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه
وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد
بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء

جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه
خبر بغيكم او على انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم
خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول
البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة
الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم
في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها
العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا
مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان
الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل
وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت
كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها
اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها
حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف
في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل في الوقت
القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما
بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات
لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون بها والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة من
التنغص والافة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله
والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط
مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده
للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله

ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعماية ضعف واكثر
وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل
النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار
زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازي سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان
الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض
فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء
او تقديره مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد
يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه
اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل
في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون
وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر
ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم
جميعا يعني الفريقين ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل
بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله شركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على
المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال
شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم انهم انما عبدوا
في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل
الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم

لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل
نفس ما اسلفت اي تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي
تتلو من التلاوة اي تقرا ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الي الجنة او الي
النار وقري نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعني نختبرها اي نفعل بها فعل
المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز
ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون
ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الي الله الي جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق
ربهم ومتولي امرهم علي الحقيقة لا ما اتخذوه مولي وقري الحق بالنصب علي المدح
او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او
ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان
من علي حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع
خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادني شيء
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ
الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد
تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون علي المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه
فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم
الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته
لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام
انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطي الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال
فانى تصرفون عن الحق الي الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية
لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه علي الذين
فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة
او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدا الخلق
ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها

ولذلك امر الرسول صلعم بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدا الخلق ثم يعيده
لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل
من شركائكم من يهدي الي الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر
وهدي كما يعدي بالي لتضمنه معني الانتهاء يعدي باللام للدلالة علي ان المنتهي غاية
الهداية وانها لم تتوجه نحوه علي سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الي الله
قل الله يهدي للحق افمن يهدي الي الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان
يهدي ام من لا يهتدي الا ان يهدي من قولهم هدي بنفسه اذا اهتدي او لا يهدي
غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير
وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر
والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين
وروي ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء
الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقري الا ان يهدي علي المبالغة
فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا
ظنا مستندا الي خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب علي الشاهد
والخالق علي المخلوق بادني مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الي
تمييز ونظر ولا يرضي بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد
الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل علي
ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله
عليم بما يفعلون وعيد علي اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن
ان يفتري من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما
تقدمه من الكتب الالهية المشهود علي صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا
دونها عيار عليها شاهد علي صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقري بالرفع علي تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل
الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه
الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه

فانه مفعول في المعني وان يكون استينافا من رب العالمين خبرا آخر تقديره كاينا
من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولاريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل
بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن
اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه أم يقولون بل ايقولون افتراه
محمد صلعم ومعني الهمزة فيه الانكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم
وقوة المعني علي وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم
والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان يستعينوا منه
من دون الله سوي الله تع فانه وحده قادر علي ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل
كذبوا بل سارعوا الي التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان
يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء
وساير ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد علي تاويله ولم يبلغ اذهانهم
معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتي يتبين لهم انه صدق
ام كذب والمعني ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعني ثم انهم فاجئوا تكذيبه قبل
ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه. ومعني التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه
لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا
وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك
كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد
لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به
في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا
يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت علي الكفر وربك
اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا علي تكذيبك
بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعني لي جزاء
عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
لا تؤاخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم
قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع

ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر علي اسماعهم ولو
كانوا لا يعقلون ولو انضم الي صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه علي ان حقيقة استماع
الكلام فهم المعني المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهايم وهو لا يتاتي الا باستعمال
العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف
والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعارف الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم
غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلايل نبوتك
ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر علي هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون
وان انضم الي عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه
البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس
شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويتها
منافعها عليهم وفيه دليل علي ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية
كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعني ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب
عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم نحشرهم كأن لم
يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون
والجملة التشبيهية في موقع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة
ليوم والعايد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كأن لم
يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا
اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخري مقدرة او بيان
لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير ويتعارفون يوم نحشرهم قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة علي خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا في
يتعارفون علي ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون
في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الي الردي والعذاب الدايم
واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك

وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة
واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم
القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث عليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء
رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي
الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول
ينسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء
المومن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى
هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلعم
والمومنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب
اليكم الا ما شاء الله ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب
لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون
ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتيكم عذابه
الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين
بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله
مكروه لا يلايم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع
موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون
الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله
اثم اذا ما وقع امنتم به يعني ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير الآن على
ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به وعن نافع آلان
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل
تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق
هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن

اخطب

اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده
انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او
خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما
ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل
واوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب
ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها
لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما
راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا
وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من
حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وقضي
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني
مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة
الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا
ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا
يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في
الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات
للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين اي قد جاءكم كتاب
جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة
عن القبايح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمومنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى
نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير
فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله
فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص

الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئهما
فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة
على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله
واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى
الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما
تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر
في السماء محصل باسباب منه وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني
ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا
مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
قل آلله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة
ذلك اليه ويجوز ان المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة احسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب
بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم
ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في
امر واصله الهمزة من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا منه له لان
تلاوة القرآن معظم شان الرسول صلعم او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير
من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن
واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه
بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير
الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاء من
مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود

والامكان فان العامة لا يعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان
الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا
اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها
وقرا حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل
الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد
بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مامول والآية كمجمل فسره قوله
الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه لهم
البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلعم وما يريهم
في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة
بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين
آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصفا لاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل
لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في
الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه
وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم
وتهديدهم وقرا نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف
بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة
لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم
فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين
واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل
منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء
مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون
يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع
وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي شيء يتبع الذين يدعونهم

شركا من الملايكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم
فيه كقوله اوليك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما
بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون يكذبون
فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركا تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما
ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين
الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار
قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد
وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا
نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم
وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل
على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد
فيها غير سايغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك
لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا
محذوف اي افتراهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم
متاع او مبتدا خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون
الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم
واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم
وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة
مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به
فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا
على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف
المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم

وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي
في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم
غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا
اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا ادوا الي ذلك الامر الذي
تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا من افضى اذا خرج الى
الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم من اجر
يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي
على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون
من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على
تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم
كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف
من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلعم وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من
بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات
الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في
الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم
عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال
واتباع المالوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد
وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هولاء الرسل موسى وهرون الى
فرعون وملايه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين
معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق
من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان
هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فايق في فنه واضح فيما بين اخواته قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف محكي القول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر
هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه

للتقرير والمحكي منهم قولهم ويجوز ان يكون معني اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف
القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام
موسي للدلالة علي انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم
بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا
بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت
والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء
في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء او التكبر علي الناس باستتباعهم
وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل سحار وقرا حمزة
والكسائي بكل ساحر عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسي القوا ما انتم
ملقون فلما القوا قال موسي ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه سحرا وقرا ابو عمرو السحر علي ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها
والسحر بدل منه او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف اي السحر
هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله
سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه
دليل علي ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسي في مبدا امره الا ذرية من
قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل
فرعون وامراته آسية وخازنه وزوجته وماشطته علي خوف من فرعون وملائهم
اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه علي ما هو المعتاد في ضمير العظماء او علي ان المراد
بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو
بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة علي ان الخوف من الملا كان بسببه
وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى
ادعي الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسي لما رأي تخوف المؤمنين به يا
قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين

مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان
وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط و
نظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا علي الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين
ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا
تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم
مشاهدتهم وفي تقديم التوكل علي الدعاء تنبيه علي ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا
ليجاب دعوته واوحينا الي موسي واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة
مصلي وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسي يصلي اليها واقيموا
الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم
وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبي وانما ثني الضمير اولا لان التبوء
للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد
والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب
الشريعة وقال موسي ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من اللباس
والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك
دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس
وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم
علي الكفر استدراج وتثبيت علي الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم
اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها علي ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس علي اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ
واطمس بالضم واشدد علي قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان
فلا يؤمنوا حتي يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف علي
ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسي وهرون لانه كان
يؤمن فاستقيما فاثبتا علي ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما
طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان

سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان
بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم
في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعّل المرادف لفاعل
كضعّف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده
بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوّا حتى اذا ادركه الغرق
لحقه قال آمنت انه بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين
وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت
فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن أتؤمن الآن وقد
ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت
من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل
وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك
في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى
باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك
علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى
كذبوا موسى عليه السلم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على ممرهم من
الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة
ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية
كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف
تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا
الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق

منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا احكامها
او في امر محمد صلعم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك فان
كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا
اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق
لما فيه او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول صلعم
وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلعم لا اشك ولا اسئل وقيل الخطا
للنبي صلعم والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على
لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع
الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية
فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم
واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا
من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان
الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في
العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب
الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ
لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي
اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس
لما آمنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض
معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن
اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل

ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه بعث الى نينوي من الموصل
فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد
اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا
يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان
يوم عاشورا يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ
منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى
لم يشا ايمانهم اجمعين وان من شا ايمانه يومن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء
خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشا الله منهم حتى يكونوا مومنين
وترتيب الاكراه على المشية بالفا وايلاوها حرف الاستفهام للانكار وتقديم
الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه
عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد
الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تومن بالله الا باذن الله الا
بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس
العذاب او الخذلان فانه سببه وقري بالزا وقرا ابو بكر ونجعل بالنون على
الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلايله
واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويويد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا
في السموات والارض من عجايب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان
جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم
لا يومنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا
يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من
المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي
رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك

الام

الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المومنين
كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه
بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم
في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد
الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا
فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم
الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المومنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان
وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين
عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان
المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك
سوا الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستداد فيه باداء
الفرايض والانتهاء عن القبايح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من
الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا
يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين
جزاء للشرط وجواب لسوال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به
فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله
الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على
ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير
للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد
الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا
لرحمته بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما
يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال
الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ بالامتثال والتبليغ وَاصْبِرْ على دعوتهم وتحمل اذيتهم حَتَّى يَحْكُمَ
اللّٰهُ بالنصرة او بالامر بالقتال وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه
على السراير اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون اية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الٓرٰ كِتَابٌ
مبتدا وخبر او كتاب خبر محذوف أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال
من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس
فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلايل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا
صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثُمَّ فُصِّلَتْ بالفوايد من
العقايد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل
فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت
آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار
مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت
وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللّٰهَ لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه
قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموا او اتركوها تركا إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ من الله نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ
بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ عطف على ان لا تعبدوا
ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له
من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت
ما بين الامرين يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا يعيشكم في امن ودعة إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى هو آخر
اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت
معلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ

ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين
وان تولوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ يوم القيمة وقيل يوم الشدة
وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي إِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ رجوعكم في
ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب
فكانه تقرير لكبر اليوم أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها
على الكفر وعداوة النبي صلعم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنونى بناء
بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للتثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمز لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ
من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طايفة من المشركين
قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف
يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة
أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يَعْلَمُ
مَا يُسِرُّونَ في قلوبهم وَمَا يُعْلِنُونَ بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف
يخفى عليه ما عسى يظهرونه إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب
واحوالها وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا غذاؤها ومعاشها لتكفله
اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه وَيَعْلَمُ
مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كُلٌّ
اي كل واحد من الدواب واحوالها فِي كِتَابٍ مُبِينٍ مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد
بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها
تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع
السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وَكَانَ
عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ قبل خلقهما لم يكن حايل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل
به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء

الجزء الثاني عشر

علي متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق
من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد
لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون بها وتستنبطون
منها وانما جاز تعليق فعل البلوي لما فيه من معني العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر
والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار
الحسن والقبح للتحريض علي احاسن المحاسن والتحضيض علي الترقي دايما في مراتب
العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلعم ايكم
احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعني ايكم اكمل علما وعملا
ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا
سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة
او البطلان وقرا حمزة والكسائي الا ساحر علي ان الاشارة الي القايل وقري انكم
بالفتح علي تضمن قلت معني ذكرت او ان يكون ان بمعني علي اي ولين قلت علكم
مبعوثون بمعني توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة
في انكاره ولين اخرنا عنهم العذاب الموعود الي امة معدودة الي جماعة
من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم
كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم
عليه وهو دليل جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل
تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا به
يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولين
اذقنا الانسان منا رحمة ولين اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه
ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم
ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولين اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته كصحة بعد سقم وغني بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفي ليقولن
ذهب السيئات عني اي المصايب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور
علي الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه علي ان

ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران
والبطر بادني شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا علي
الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها
ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان
لان المراد به الجنس فاذا كان محلي باللام افاد الاستغراق ومن حمله علي الكافر لسبق
ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك ترك تبليغ
بعض ما يوحي اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا
يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة
الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ مانعا وضايق به صدرك وعارض
لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه
في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان
يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا
فما بالك يضيق به صدرك والله علي كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل
بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحي قل فاتوا
بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها
سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات
من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون
علي مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم
وادعوا من استطعتم من دون الله المعاونة علي المعارضة ان كنتم صادقين انه
مفتري فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلعم
او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول صلعم متناولا لهم من حيث انه
يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه علي ان التحدي مما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل
بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان
لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم وللتنصيص

هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله
آلهتهم **فهل انتم مسلمون** ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم
اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم
اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة
فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد
حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام
ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر **من كان**
يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره **نوف اليهم اعمالهم** فيها نوصل اليهم
جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف
بالياء اي يوف الله ونوف على البناء للمفعول ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط
ماض كقوله شعر وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم **وهم فيها**
لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين
وقيل في الكفرة وبرهم **اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار** مطلقا في مقابلة
ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم
السيئة **وحبط ما صنعوا فيها** لانه لم يبق له ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا
به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا
على ان الضمير للدنيا **وباطل** في نفسه **ما كانوا يعملون** لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان
كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا فيه على انه مفعول يعملون وما
ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل
افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره
والهمزة لانكار ان تعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على
الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر تقديره افمن كان
على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به
النبي صلعم وقيل مؤمنو اهل الكتاب **ويتلوه** ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل
العقل **شاهد منه** من الله يشهد بصحته وهو القرآن **ومن قبله** ومن قبل القرآن

كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه
من التلاوة والشاهد جبرئيل او لسان الرسول صلعم على ان الضمير له او من التلو والشاهد
ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة
مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن
كان على بينة دالة على انه حق لقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل
القرآن التورية **اماما** مؤتما به في الدين **ورحمة** على المنزل عليهم لانه الوصلة الى
الفوز بخير الدارين **اولئك** اشارة الى من كان على بينة **يؤمنون به** بالقرآن **ومن**
يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلعم **فالنار موعده**
يردها لا محالة **فلا تك في مرية منه** من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما
الشك **انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** لقلة نظرهم واختلال
فكرهم **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم **ويقول الاشهاد**
من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم
حينئذ لظلمهم بالكذب على الله **الذين يصدون عن سبيل الله** عن دينه **ويبغونها**
عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة
وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم
به **اولئك لم يكونوا معجزين في الارض** اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم **وما**
كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا
اليوم ليكون اشد وادوم **يضاعف لهم العذاب** استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعف بالتشديد **ما كانوا يستطيعون السمع** لتصامهم عن الحق وبغضهم له
وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان
ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا
يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض **اولئك الذين خسروا انفسهم**
باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله **وضل عنهم ما كانوا يفترون** من الآلهة وشفاعتها

او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصّلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم
انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض
المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر
والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى
لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامّه عن استماع كلام الله وتابّيه عن تدبر معانيه وتشبيه
المؤمن بالسميع وبالبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار
وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما
والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب
اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا
افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى
لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين
ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم
او مفعول مبين ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب
وزمانه على طريقة جد جده ونهارك صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من
قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار
مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو
او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو
بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل
فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا
من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين انت في دعوى
النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم

اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من
عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير
لان البينة في نفسها هي الحجة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت
بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص
فعمّيت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على
الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران
وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم
لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري
الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم
انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف
اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او بانهم خير منكم او في التماس طردهم
او تسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه
ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم
وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه
واموا له حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول
انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي
من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى
يقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شأن من
استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم
في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك
والازدراء افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده
الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا
من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد
جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا
من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا

قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم تقديرالكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك يقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم يطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل ودليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوي الفصيل غوي اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم ما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد من السخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلم اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولك آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهو اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس

بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وانه ح فلعل ذلك قبل التطبق
ونادى نوح ابنه كنعان وقرا علي ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته
وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده لقوله فخانتاهما وهو خطا اذ الانبيا عصمت
من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقري ابناه على الندبة ولكونها حكاية
سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان
من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا اليا لتدل
على يا الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمن
في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا
اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من يا الاضافة واختلف الرواية عنه في سائر
المواضع وقد ادغم البا في الميم ابو عمرو والكسايي وحفص لتقاربهما ولا تكن
مع الكافرين في الدين او الانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء
ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تع
او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه
يعصم اللايذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله
عيشة راضية وقيل الاستثنا منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما
الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين
بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم
وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع
الذي يامر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم
عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر
وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة
على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة
عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم
الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى
عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها

وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار
على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب
الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى
نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء
وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان
تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم
الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة
كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر
واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل
فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا
ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدلت الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين
وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسايي ويعقوب انه
عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام
ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجاز في شان
ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني
اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله
قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه
وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان
اصله تسالنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم
حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان
اسالك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم
تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين
اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره
من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او وزيادات في نسلك
حتى يصير آدم ثانيا وقري اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك

وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن
معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا
ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل
هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة
نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك
خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق
او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة
عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف
في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم
وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية
القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين
عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف
بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور
وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء
يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به
قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا
تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطاء
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم
توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة
فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم
ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع
وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
هود عليه السلم على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل
ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم

بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن
قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق
ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه
بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات
والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم
الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له
وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار
حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه
لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما وهذا
من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة
دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك
عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم
لم تضروني فاني متوكل على الله وواثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده
ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها
اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك
ان ربي على صراط مستقيم انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم
فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ
والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي
قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم
واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كانه قيل وان
تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف
اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل
عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا
او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا عذابنا وكانوا اربعة آلاف

ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف
الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض
بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ
وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الي قبورهم وآثارهم
جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصي رسولا فكانما
عصي الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغي والمعني عصوا من دعاهم الي الايمان
وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الي الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا
كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم
بالهلاك والمراد به الدلالة علي انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم
وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا علي الاعتبار بحالهم قوم هود عطف
بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الي ان استحقاقهم للبعد
بما جري بينهم وبين هود والي ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف
التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او
اقدركم علي عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمري بمعني اعمركم فيها دياركم ويرثها
منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نري فيك من مخايل الرشد والسداد ان
تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا
القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا علي حكاية الحال
الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب
موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة علي الاسناد المجازي من اراب في الامر قال
يا قوم ارأيتم ان كنت علي بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين

وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ
رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان
تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان
انسبكم الي الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية علي الحال وعاملها معني
الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها
وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخي عن مسكم لها
بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم
او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب
اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجري المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا
او غير مكذوب علي المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد
غير كذب علي انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة
او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح علي اكتساب المضاف البناء من
المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز القادر علي كل شيء والغالب عليه واخذ الذين
ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها سبق تفسير ذلك
في سورة الاعراف الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي
في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الي
الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل
ثلثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشري ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط
قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا علي معني ذكروا سلاما قال
سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة
والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما
تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه
من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأي ايديهم لا تصل اليه

لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به
مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا
منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملايكة مرسلة اليهم بالعذاب
وانما لم يمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته قايمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على
رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها
فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل
فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم تعد حقا ثديها ان يحلما
ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره
ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ
اسحق وفتحة للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف
وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده
وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق
ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان
يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به
وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة
حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ
بالياء على الاصل االد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي
زوجي واصله القايم بالامر شيخا ابن ماية او ماية وعشرين ونصبه على الحال والعامل
فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو شيخ او
خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين
وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات
باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس
ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشات وشابت في ملاحظة الآيات

واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب
عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى
بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها
لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب
بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترا على خطابنا او شرع في
جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول
على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس
منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه
وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملايكة يا ابرهيم اعرض عن هذا
الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضايه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم
وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاءوا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف
عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره
وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا
يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه
كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت
كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاءوا يهرعون
لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء
بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة
المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى
ان ذاك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات
نساءهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من
المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي

هولاء فضل لانبع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا
تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي
في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه. اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق
ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم
ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي
الى ركن شديد الى قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلعم
رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه
قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه
دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة
ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى
اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبرئيل بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر
باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث في القرآن من السرى
بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه
والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك
ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على
تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك
قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين
في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت
يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى
جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل
ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم
نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها
ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح
كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب

فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا
عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند
الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبرئيل عليه السلم ادخل
جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين
متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر
عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما
كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود
نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار
او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض
وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمي بها عند ربك في خزائنه وما
هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم
وعنه عليه الصلوة والسلم انه سال جبرئيل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا هو
بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي
مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى
مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابرهيم علم او اهل مدين وهو بلد بناه
فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل
المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها
ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ
منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب
الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا
قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها
على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى

دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو
مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص
فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين
فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس
كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال
اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض
مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقيت الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد
التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا
فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين
لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ
تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم
عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد
اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم
قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا به
امره بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه
داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير
الصلوة ولذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى
اصلواتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء
في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن
التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به
ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار
ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة
الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه
الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال

وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخونه في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا
عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته
بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان آتي
ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال
خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان
اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي
عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه
ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان
يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس
وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية
واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح
ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب
الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في
حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي
هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد
الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق
فيما ياتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع
الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله
للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل
ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة
وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير
يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل
دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب
منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا

او مكانا فان لم تعتبروا عن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي
فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشي بعيد
ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل
والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة
للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو
وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول
كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم
تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم
عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل
اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء
الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم
عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل
الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا
بعزيز فيمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات
بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت
العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من
الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به
والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ
والرد والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي
بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شي منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم
اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام
والفاء في فسوف تعلمون ثمه للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك
وحذفها هاهنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل
ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق
بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل

كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا
قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا فانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر
فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه
ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله
وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين
ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين
واصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت
من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر
تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر
لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتورية او المعجزات
وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها
ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على
نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما
ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص
بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او
فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة
فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى
مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد
مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى
النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار
ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا
ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورود الذي وردوه فانه يراد لتبريد
الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون

برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مامون العاقبة حميدها وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ في هذه الدنيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ اي يلعنون في الدنيا والآخرة بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ بئس العون المعان او العطا المعطي واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذَلِكَ البنا مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى المهلكة نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مقصوص عليك مِنْهَا قَائِمٌ من تلك القرى باق كالزرع القايم وَحَصِيدٌ ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الها في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ باهلاكنا اياهم وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ حين جاءهم عذابه ونقمته وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ هلاك او تخسير وَكَذَلِكَ ومثل ذلك الاخذ أَخْذُ رَبِّكَ وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر إِذَا أَخَذَ الْقُرَى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وَهِيَ ظَالِمَةٌ حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفايدتها الاشعار بانهم اخذوا الظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير إِنَّ فِي ذَلِكَ اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لَآيَةً لعبرة لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ يعتبر به عظمه لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذَلِكَ اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ اي مشهود فيه اهل السموات

والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتميزه فان ساير الايام كذلك وَمَا نُؤَخِّرُهُ اي اليوم إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يَوْمَ يَأْتِ اي الجزاء او اليوم لقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف اليا اجتزاء عنها بالكسرة لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف إِلَّا بِإِذْنِهِ الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او الماذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وجبت له النار بمقتضى الوعيد وَسَعِيدٌ وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليها قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ استثنا

من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف
في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء
الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض
باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهولاء وان شقوا بعصيانهم فقد
سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلي هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا
لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم
لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن
القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين
في شخص باعتبارين اولان اهل النار ينقلون منها الي الزمهرير وغيره من العذاب
احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلي من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثني زمان توقفهم في الموقف للحساب
لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلي هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء
من الخلود علي ما عرف قبل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى
سوي كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعني سوي ما شاء ربك من الزيادة
التي لا آخر لها علي مدة بقاء السموات والارض **ان ربك فعال لما يريد** من غير اعتراض
**واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما
شاء ربك عطاء غير مجذوذ** غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه
علي ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب
والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا علي البناء للمفعول
من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب علي المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال
من الجنة **فلا تك في مرية** شك بعد ما انزل عليك من مال الناس **مما يعبد هولاء**
من عبادة هولاء المشركين في انها ضلال مؤد الي مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع **ما يعبدون الا
كما يعبد آباؤهم من قبل** استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم

سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه
من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب
يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه
وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذر التاخر
العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه **غير منقوص** حال من النصيب لتقييد التوفية فانك
تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه** فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هولاء في القرآن **ولولا كلمة سبقت من ربك**
يعني كلمة الانظار الي يوم القيمة **لقضي بينهم** بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق
وانهم وان كفار قومك **لفي شك منه** من القرآن **مريب** موقع للريبة **وان كلا**
وان كل المختلفين المومنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرا ابن كثير
ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل **لما ليوفينهم ربك اعمالهم** اللام الاولى
موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيد بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة لما بالتشديد علي ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت
ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما
بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما علي ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به
انه بما يعملون خبير فلا يفوت عنه شيء وان خفي **فاستقم كما امرت** لما بين امر
المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم
بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه
والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان
الشرايع كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق
ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلوة والسلم شيبتني سورة هود **ومن
تاب معك** اي من تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف علي المستكن في استقم
وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه **ولا تطغوا** ولا تخرجوا عما حد لكم **انه بما
تعملون بصير** فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل علي
وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان **ولا تركنوا**

إلى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم
وتعظيم ذكرهم واستدامته فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من
وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم
ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في
النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلعم ومن معه من المومنين بها للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط
فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا
على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب
عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم
ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز
ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا
يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه
قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح
لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر
لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة
وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات
يذهبن السيئات تكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما
ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني
قد اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده
وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن
المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على
المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص
فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل
او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان

من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم
وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم
لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتخصيص
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها
واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال
الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر
وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين
ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا
فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا
وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق
حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى
لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على
الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك
الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك
خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى
الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن
جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما
وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك
بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه
وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا
منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك
من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق

وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الي ساير فوايد العامة وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم علي حالكم انا عاملون علي حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا
منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل علي امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة
لا يخفي عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده
وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع
العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي ما يستحقه عن رسول الله صلعم
من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به
وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسي وكان يوم القيمة من السعداء انشاء الله

سورة يوسف مكية وايها مائة واحد عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين تلك اشارة الي آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات
آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها
انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا
محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الي مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلنا
اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل
والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه علي الحال وهو في نفسه اما توطية للحال التي
هي عربيا او حال لانه مصدر بمعني مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال
بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه
مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه
كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بايحاء نحن نقص عليك احسن القصص
احسن الاقتصاص لانه اقتص علي ابدع الاساليب او احسن ما نقص لاشتماله
علي العجايب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه
من قص اثره اذا تبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز
ان يجعل هذا مفعول نقص علي ان احسن نصب علي المصدر وان كنت من قبله لمن

الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحي
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص
ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا
لصرف وقري بفتح السين وكسرها علي التلعب به لا علي انه مضارع بني للمفعول او الفاعل
من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه
عليه الصلوة والسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك
قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها
وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي
الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقري بالضم
اجراء لها مجري الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم يسكن كاصلها
لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرويا
لا من الروية لقوله لا تقصص روياك وقوله هذا تاويل روياي احد عشر كوكبا والشمس
والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء الي رسول الله صلعم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي
راهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم
قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح
والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن
له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان
حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجري العقلاء لوصفها بصفاتهم
قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة
لا تقصص روياك علي اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم
يعقوب علم من روياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم
وبغيهم والرويا كالروية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث
كالقربة والقربي وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الي الحس المشترك
والصادقة منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغه

من تدبير البدن ادني فراغ فيتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان
المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فيرسلها الي الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان
كانت شديدة المناسبة لذلك المعني بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه
لتضمنه معني فعل يعدي به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله **ان الشيطان**
للانسان عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحوا فلا يالو جهدا في تسويلهم
واثارة الحسد فيهم حتي يحملهم علي الكيد **وكذلك** وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا
الدالة علي شرف وعز وكمال نفس **يجتبيك ربك** للنبوة والملك او لامور عظام
والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك **ويعلمك** كلام مبتدا خارج عن
التشبيه كانه قيل وهو يعلمك **من تاويل الاحاديث** من تعبير الرؤيا لانها احاديث
الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل
غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل
اسم جمع للباطل **ويتم نعمته عليك** بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
وعلي آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل علي نبوتهم بضوء الكواكب
او نسله **كما اتمها علي ابويك** بالرسالة وقيل علي ابرهيم بالخلة والانجاء من النار
وعلي اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم **من قبل** من قبلك او من
قبل هذا الوقت **ابرهيم واسحق** عطف بيان لابويك **ان ربك عليم** بمن يستحق
الاجتباء **حكيم** يفعل الاشياء علي ما ينبغي **لقد كان في يوسف واخوته**
اي في قصتهم **آيات** دلايل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك **للسائلين**
لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وريالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت
تزوج اختها راحيل وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون
دان ونيثال وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة **اذ قالوا ليوسف واخوه**
بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين **احب الي ابينا**
منا وحده لان افعل من لا تفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف

اخوة فان الفرق واجب في المحلي جايز في المضاف **ونحن عصبة** والحال انا جماعة اقويا
احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان
الامور تعصب بهم **ان ابانا لفي ضلال مبين** لتفضيله المفضول او لترك التعديل في
المحبة روي انه كان احب اليه لما يري فيه من المخايل وكانت اخوته يحسدونه فلما راي
الرؤيا ضاعف **اقتلوا يوسف** من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا علي ذلك الا
من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون **او اطرحوه ارضا**
منكورة بعيدة من العمران وهو معني تنكيرها وابهامها ولذلك نصب كالظروف
المبهمة **يخل لكم وجه ابيكم** جواب الامر والمعني يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته
عليكم ولا يلتفت عنكم الي غيركم ولا ينازعكم في محبته احد **وتكونوا** جزم بالعطف
علي محل او نصب باضمار ان **من بعده** بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه
قوما صالحين تائبين الي الله عما جنيتم او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم
بعده بخلو وجه ابيكم **قال قائل منهم** يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل
لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم **والقوه في غيابت الجب** في قعره سمي بها لغيبته
عن اعين الناظرين وقرا نافع في غيابات علي الجمع كانه لتلك الجب غيابات
وقري غيبة وغيابات بالتشديد **يلتقطه** ياخذه **بعض السيارة** بعض الذين
يسيرون في الارض **ان كنتم فاعلين** مشورتي او ان كنتم علي ان تفعلوا ما يفرق بينه
وبين ابيه **قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا علي يوسف** لم تخافنا عليه **وانا له**
لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه
منهم لما تنسم من حسدهم والمشهورة تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام
ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء **ارسله معنا غدا** الي
الصحراء **نرتع** نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب **ونلعب** بالاستباق
والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين علي انه من ارتعي يرتعي ونافع بالكسر والياء
فيه وفي يلعب وقرا الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون علي اسناد الفعل الي
يوسف وقري يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع علي الابتداء
وانا له لحافظون ان يناله مكروه **قال اني ليحزنني ان تذهبوا به** لشدة مفارقته

علي وقلة صبري عنه وأخاف أن يأكله الذئب لأن الأرض كانت مذأبة وقيل رأى
في المنام أن الذئب قد شد علي يوسف وكان يحذره وقد همزها علي الأصل ابن
كثير ونافع في رواية وابن عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من
تذاءبت الريح إذا هبت من كل جهة وأنتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب
أو لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم
وجوابه إنا إذا لخاسرون ضعفاء مغبونون أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار
والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب
وعزموا علي إلقائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بأرض الأردن أو بين مصر
ومدين أو علي ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به
ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا إلي الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى
كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتموني أن لا تقتلوه فأتوا
به إلي البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به علي أبيهم وقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا ادع الأحد عشر
كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط
ثم أوى إلي صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال وأوحينا
إليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا أوحي إليه في صغره كما أوحي إلى
يحيى وعيسى عليهم السلام وفي القصص أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن
ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلي إسحق وإسحق
إلي يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه لتنبئنهم
بأمرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك
وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك إشارة إلي ما قال لهم بمصر حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول إليه أمره إيناسا له وتطييبا
لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل بأوحينا أي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون
ذلك وجاءوا أباهم عشاء يبكون آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي
وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي أنه لما

ثلثنا رابع

سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق نتسابق
في العدو أو الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا
يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا
صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاءوا على قميصه بدم كذب
أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ
بالنصب علي الحال من الواو أي جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة أي كدر أو
طري وقيل أصله البياض الخارج علي أظفار الأحداث فشبه به الدم اللاصق
علي القميص وعلي قميصه في موضع النصب علي الظرف أي فوق قميصه أو علي الحال
من الدم إن جوز تقديمها علي المجرور روي أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل
قميصه فأخذه وألقاه علي وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت
كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم
أنفسكم أمرا أي سهلت لكم وهونت في أعينكم أمرا عظيما من السول وهو الاسترخاء
فصبر جميل أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي
لا شكوى فيه إلي الخلق والله المستعان على ما تصفون علي احتمال ما تصفونه
من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صح وجاءت سيارة
رفقة يسيرون من مدين إلي مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من
إلقائه فيه فأرسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي
فأدلى دلوه فأرسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآها قال
يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعال فهذا أوانك
وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه علي إخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالإضافة
وقرئ يا بشري بالإدغام وهو لغة وبشراي بالسكون علي قصد الوقف وأسروه أي
الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء
ليبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لإخوة يوسف وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام
فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فأخبر إخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا
فاشتروه وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه بضاعة نصب علي الحال أي أخفوه متاعا

للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون
لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع
الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم
بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها
قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين
الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا
بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه
مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين
ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين
لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز
الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن
الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى
عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور
انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء
روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره
الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكم والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة
وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل
عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملاء فضة وقيل ذهبا
لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما احسانا والمعنى
احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا
او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس
الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر
حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في
قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها
ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل

ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني
كتب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها
ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا
ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا
ما اراده الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه
ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين
وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما
بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه
تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي
هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او
للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على
الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن
كثير بالضم تشبيها بحيث ونافع وابن عامر برواية ابن ذكوان بالفتح وكسر الهاء كعيط
وهي لغة وقرئ هيت بحيث وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من
صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير
احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير
لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون
المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله
ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده
والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع
ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق
بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة
الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء
مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا

فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل
راى جبرئيل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي
يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من
عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالكسر في كل القرآن اذا كان في اوله الف ولام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا
الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك
ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنع الخروج وقدت قميصه من دبر
اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا
سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان
يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييرة
على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه
الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا
لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها
قيل ابن عمها وقيل ابن خالها صبيا في المهد وعن النبي صلعم تكلم اربعة صغارا
ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة
على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها
او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية
محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها
ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك
ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك
امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن
الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون

العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن اي ان قولك ما جزاء من اراد
باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها
او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا
في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف
حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك
يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير
للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد
فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة
نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة
العزيز تراود فتاها عن نفسه بطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب
الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف
قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ
شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين
في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه
مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن
الخمس واعتدت لهن متكا ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن
سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن
نفوسهن فيقع ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج
وحده على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس طعام
فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة
واتكانا وشربنا الحلال وقيل المتكا طعام يحز اذ كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ
متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من
متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكئ يتكا اذا اتكى وقالت اخرج عليهن فلما
رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلعم رايت يوسف ليلة المعراج

كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألأ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى
حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر
او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر
ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق **وقطعن ايديهن** جرحنها
بالسكاكين من فرط الدهشة **وقلن حاش لله** تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته
على خلق مثله واصله حاشا كما قرأ ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا
وهو حرف يفيد معنى التبرئة في باب الاستثناء فوضع موضع التبرئة واللام للبيان
كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير
يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه **ما هذا بشرا** لان هذا الجمال غير معهود للبشر
وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع
على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم **ان هذا الا ملك كريم** فان الجمع بين الجمال
الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال
البشر ولا يفوقه فيه الا الملك **قالت فذلكن الذي لمتنني فيه** اي فهو ذلك العبد
الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه
بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة
المشار اليه **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن
حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته **ولئن لم يفعل ما آمره**
اي ما امر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف
ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا
والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون
كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين **قال
رب السجن** وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر **احب الي مما يدعونني اليه** اي
آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك
مما يكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها

او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل
الله العافية ولذلك رد رسول الله صلعم على من كان يسأل الصبر **والا تصرف عني** وان لم
تصرف عني **كيدهن** في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة
اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة
الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب
من الصبابة وهي الشوق **واكن من الجاهلين** من السفهاء بارتكاب ما يدعونني
اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء
فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف **فصرف عنه كيدهن**
فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة
للعصيان **انه هو السميع** لدعاء الملتجئين اليه **العليم** باحوالهم وما يصلحهم **ثم بدا لهم
من بعد ما راوا الآيات** ثم ظهر للعزيز من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف
كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل
بدا مضمر يفسره **ليسجننه حتى حين** وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه
زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين
وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى
بلغة هذيل **ودخل معه السجن فتيان** اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل
حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه
قال احدهما يعني الشرابي **اني اراني** اي ارى في المنام وهي حكاية حال ماضية
اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه **وقال الآخر** اي الخباز **اني اراني احمل
فوق راسي خبزا تأكل الطير منه** تنهس منه **نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين**
من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن
يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل
ما رأينا ان كنت تعرفه **قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله** اي بتأويل
ما قصصتما علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير
المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف

الي ما سالاه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد
فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما علي صدقه في الدعوة والتعبير قبل
أن يأتيكما ذلكما اي ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل
التكهن والتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون
تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم
واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة
لتقوي رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه
حتي يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة علي اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة
ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء أن نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك
اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلي الناس وعلي سائر الناس ببعثنا
لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا
الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل
وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن
يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما
اليه علي الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون شتي
متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب
الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن علي دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي
الا اشياء باعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجة تدل علي تحقق مسمياتها
فيها فكأنكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعني انكم سميتم ما لم يدل علي استحقاقه
الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان
الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك لامره امر علي لسان انبيائه ألا تعبدوا الا اياه الذي
دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من
التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد علي اتخاذ الآلهة

علي طريق الخطابة ثم برهن علي ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا يستحق الالهية فان
استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص علي ما هو الحق
القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي
فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الي ما كان عليه واما الآخر يريد الخباز
فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان
استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج
منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول
الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان
ذكر ربه فانسي الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او علي تقدير
ذكر اخبار ربه او انسي يوسف ذكر الله حتي استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلم
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة
بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا يليق بمنصب الانبياء
فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الي التسع من البضع وهو القطع
وقال الملك اني اري سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه
رأي الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل
السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأخر يابسات وسبعا اخر
يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات علي الخضر حتي غلبن عليها وانما استغني
عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجري السمان علي المميز دون المميز
لان التمييز بها ووصفا للسبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل علي سمان لانه نقيضه
يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الي المعاني النفسانية التي هي
مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام

للبيان او لضعف العامل فان الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم
الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل تعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة
الرؤيا قالوا أضغاث أحلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث
واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة
في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة
وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنام الباطلة خاصة اي
ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثانية للعذر
في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد
أمة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر
الهمزة وهي النعمة اي بعدما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يأمه امها
اذا نسي والجملة اعتراض ومفعول القول أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون اي الى
من عنده علمه او الى السجن يوسف أيها الصديق اي فارسلوا الى يوسف فجاء
وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله
وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي
أرجع إلى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن
لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه
لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين
دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار
فعله اي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما
مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما
حصدتم فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة
عن العبارة إلا قليلا مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع
شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن
على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به إلا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة

ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من
القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل
يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء
المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله
ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه
معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف
السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي
او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده
بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول
ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن
انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته ويعلم انه
سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي
ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلعم لو كنت مكانه ولبثت في السجن
ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش
عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به
كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون إن ربي بكيدهن عليم حين قلن
لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما
قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب
امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله
تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت
امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه
ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من
حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أنا
راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم

قال يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني
لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب
عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة
وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم
فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته
ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه
والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال
ليعلم اني لم اخنه قال له جبرئيل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة
بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح
في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس
فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة
وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع
بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم
من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره
واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا
لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به وكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم
لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن
اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من
خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا
اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك
الليالي فنصبه منصبه وزوجه منه راعيل فوجدها عذراء وولد منها افرايم ومنشا
قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها
ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله لما رأى انه يستعمله في امر لا

الجزء الثالث عشر

محالة آثر ما يعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد
لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا باستظهار
به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر
يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون
نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم
عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في
تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام
ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها
ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم
عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب
كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا
عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم
اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من
حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم
بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله واصل الجهاز ما يعد من الامتعة
للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ
بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم
وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صدوق نبي من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم
ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال
فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة
وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان
يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم
ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف

والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء
قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه
وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على
جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا
يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا
وتفضيلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه
ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او ليعرفوها اذا انقلبوا
الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع
فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكيل ما نحتاج اليه وقرا حمزة
والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي نكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا
وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه
يوسف من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل
عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين
وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال
كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل
قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا
وباع متاعنا ولا يطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا
لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان
او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله
ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا
بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل
بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت

نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه
بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير
اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه
ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت
حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله
لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا
فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير
لتاتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي
اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب
الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول وكيل رقيب مطلع وقال
يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال
وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها
خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلم
في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات من كل هامة وعين لامة وما اغني
عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم
الا لله يصيبكم لا محالة ان قضي عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل
المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو
للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب
واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان
الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء
منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا قضاها اظهرها
ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله

من شي ولم يغن التدبير ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر
ولما دخلوا علي يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين علي الطعام او في المنزل
روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف
حيا لجلس معي فاجلسه معه علي مائدة ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني
له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من
يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا
تحزن افتعال من البوس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت
تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل علي
حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها
العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضى
بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه والعير القافلة وهو اسم الابل
التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلوة والسلم
يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل بها ما فعل ببيض تجوز
لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي اي
شي ضاع منكم والفقد غيبة الشي عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون
من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم
والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا
به زعيم كفيل اوديه الي من رده وفيه دليل علي جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام
العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم علي براءة
انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل علي فرط امانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما
جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع علي حذف المضاف ان كنتم كاذبين
في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من

وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او
خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها علي انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه
علي اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي
الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الي مصر
قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر
ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا
ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك
مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان
يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق
كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان
فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم
هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء
عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف
قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم عليه السلم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما
شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة علي وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص
عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره
والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها
يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة
السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل
من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء
الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون
الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها
العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا
مكانه بدله فان اباه ثكلان علي اخيه الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين الينا

فاتم احسانك او من المتفردين الاحسان فلا تغير عادتك **قال معاذ الله ان ناخذ الا**
من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه **انا اذا**
لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله
لمصلحة ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما **فلما استيأسوا منه** يئسوا من
يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة **خلصوا** انفردوا واعتزلوا **نجيا**
متناجين وانما وحد لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي
واندية **قال كبيرهم** في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا
الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم
بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته **ومن قبل** ومن قبل هذا **ما فرطتم**
في يوسف قصرتم في شانه وما زيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موقع النصب
بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على
اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل
اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما
فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم **فلن ابرح الارض**
فلن افارق ارض مصر **حتى ياذن لي ابي** في الرجوع اليه **او يحكم الله لي** او يقضي لي
بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه
فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور
جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب
اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد
لبزرا من بزر يعقوب **وهو خير الحاكمين** ان حكمه لا يكون الا بالحق **ارجعوا الى ابيكم**
فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب
الى السرقة **وما شهدنا** عليه **الا بما علمنا** بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه
وما كنا للغيب حافظين فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله او وما
كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما
اصبت بيوسف **واسئل القرية التي كنا فيها** يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنا

دي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسئلهم عن القصة **والعير التي اقبلنا فيها** واصحاب العير
التي توجهنا فيهم وكنا معهم **وانا لصادقون** تاكيد في محل القسم **قال بل سولت** اي فلما رجعوا
الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت **لكم انفسكم امرا**
اردتموه فقررتموه والا فما ادري الملك ان السارق يوخذ بسرقته **فصبر جميل** اي فامري
صبر جميل او فصبر جميل اجمل **عسى الله ان ياتيني بهم جميعا** بيوسف وبنيامين
واخيهما الذي توقف بمصر **انه هو العليم** بحالي وحالهم **الحكيم** في تدبيرها **وتولى عنهم**
واعرض عنهم كراهة لما صادف عنهم **وقال يا اسفى على يوسف** اي يا اسفي تعال فهذا
اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف
دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا
بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حيوته وفي الحديث لم يعط امة من الامم
انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلعم الا ترى الى يعقوب حين اصابه
ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى **وابيضت عيناه من الحزن** لكثرة بكائه من الحزن
كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل
على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه
قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابرهيم وقال القلب
يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون **فهو كظيم**
مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم
من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ
اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه **قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف**
اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا
لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي
حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو
في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به
وبضمتين كجنب **او تكون من الهالكين** من الميتين **قال انما اشكو بثي وحزني**
همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر **الى الله** لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني

وشكاتي وأعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه
ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راي ملك
الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى
تخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا
من حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه
وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من
الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية
مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد
وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كان دراهم
زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل
فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول
المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او
تختص بنبينا عليه وعليهم الصلوة والسلم ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء
والتصدق التفضل مطلقا لكنه اختص عرفا بما يبتغي به الثواب من الله ومنه قوله
عليه الصلوة والسلم في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف
واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك
اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى
من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين
وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان
فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا صبيانا طياشين قالوا أإنك لانت يوسف
استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب
قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج
عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها

قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق
اي يتق الله ويصبر على البليات وعلى الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر
المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا
لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب
عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع
الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا
للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بساير الايام او بقوله يغفر الله
لكم لانه صفح عن جريمتهم ح واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغاير والكبائر
ويتفضل على التايب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا
بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر
كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان
في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر وأتوني انتم وابي
باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت
من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه
من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى
الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها
ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون
تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف
واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه
الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب
او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني
اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ

والمقول لاتيأسوا من روح الله اماني اجد ريح يوسف قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قَالَ
سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ اخره الى السحر او الى صلوة الليل
او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه
عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو
وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبرئيل وقال ان الله
قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على
نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ روي انه وجه
اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبل يوسف والملك باهل مصر وكان
اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع
موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوَى إِلَيْهِ
أَبَوَيْهِ ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله
واله آبائك ابرهيم واسمعيل اولان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وَقَالَ
ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول
المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم وَرَفَعَ
أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري
مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته
والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا
تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ رأيتها ايام الصبي قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا صدقا وَقَدْ
أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وَجَاءَ بِكُمْ
مِنَ الْبَدْوِ من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ
الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا
نخسها وحملها على الجري إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ لطيف التدبير له اذ ما من صعب
الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل دونها إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ بوجوه المصالح والتدابير الْحَكِيمُ
الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام

في خزائنه فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت
الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فاسأله
قال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رَبِّ
قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ بعض الملك وهو ملك مصر وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ بعض
الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادي او منادي برأسه أَنْتَ وَلِيِّي ناصري او متولي امري
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ او الذي يتولاني بالنعمة فيهما تَوَفَّنِي مُسْلِمًا اقبضني وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ
من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا
وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمه
وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان
يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد
له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذَلِكَ اشارة
الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول صلعم وهو مبتدأ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ خبران له وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ كالدليل
عليهما والمعنى ان هذا انباء غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين
عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابت الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله
معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه
وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة لقوله ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ على ايمانهم وبالغت في
اظهار الآيات عليهم بِمُؤْمِنِينَ لعنادهم وتصميمهم على الكفر وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ
على الانباء او القرآن مِنْ أَجْرٍ جعل كما يفعله حملة الاخبار إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ عظة من
الله لِلْعَالَمِينَ عامة وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ وكم من آية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل
الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا
يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في
عليها وبالنصب على ويطئون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها
فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم
مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور
والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين
وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم
وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد
للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة
بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعوا او في على بصيرة لانه حال منه
او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا
لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا
بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة
الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات
فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار
الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي
افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب
بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس
الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم
امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر
مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين
حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم ان الرسل

قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل
قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل
ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب
على طريق الوسوسة او ان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل
وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ
كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى
عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة
على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم
ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم
المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم قصص الانبياء
واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة
عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن
حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء
يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط
وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن
النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه
انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى
آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من
ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او
احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة
الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا

او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون**
لاخلالهم بالنظر والتامل فيه **الله الذي رفع السموات** مبتدا وخبر ويجوز ان يكون
الموصول صفة والخبر يدبر **بغير عمد** اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود
كاديم وادم وقرئ عمد كرسل **ترونها** صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم
السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام
المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لابد وان يكون لمخصص
ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج
ساير ما ذكر من الآيات **ثم استوى على العرش** بالحفظ والتدبير **وسخر الشمس والقمر**
ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكاينات
وبقايها **كل يجري لاجل مسمى** لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع
دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت **يدبر الامر** امر ملكوته من
الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك **يفصل الآيات** ينزلها ويبينها
مفصلة او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد **لعلكم بلقاء ربكم توقنون** لكي
تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء
وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء **وهو الذي مد الارض** بسطها طولا وعرضا
لتثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان **وجعل فيها رواسي** جبالا ثوابت
من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انه صفة اجبل او للمبالغة
وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب
لتولدها **ومن كل الثمرات** متعلق بقوله **جعل فيها زوجين اثنين** اي وجعل
فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
والصغير والكبير **يغشي الليل النهار** يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان
مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد **ان في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون** فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع
حكيم دبر امرها وهيا اسبابها **وفي الارض قطع متجاورات** بعضها طيبة وبعضها
سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس

ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة
متشاركة في النسب والاوضاع **وجنات من اعناب وزرع ونخيل** وبساتين فيها
انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات **صنوان** نخلات اصلها واحد **وغير
صنوان** ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع
قنو **يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل** في الثمر شكلا وقدرا ورائحة
وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب
لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير
على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر **ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون** يستعملون عقولهم بالتفكر **وان تعجب** يا محمد من انكارهم البعث
فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة
ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة
من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته **اذا كنا ترابا اانا
لفي خلق جديد** بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه اانا لفي
خلق جديد **اولئك الذين كفروا بربهم** لانهم كفروا بقدرته على البعث **واولئك الاغلال
في اعناقهم** مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة **واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون** لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود
بالكفار **ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة** بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا
ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء **وقد خلت من قبلهم المثلات** عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء
وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص
وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات
باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم على انها جمع
مثلة كركبة وركبات **وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب

على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس
على ظلمه ومنع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال
وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلعم لولا عفو الله وتجاوزه
لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى
انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به
نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس
ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله
تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل
على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه
وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما
لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق
بالتنوين في الوصل فاذا وقف بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت لا غير
والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي
حملها او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام
وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين
عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم
بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو
حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امراة ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل
المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى
وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان يكون مصدرية واسنادهما الى
الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص
عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين
وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة
الحاضر له الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل

شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه
ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبا بالليل وسارب
بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من
في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر
او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه
اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب
فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ
معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه
ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب
بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ
به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس
والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من
العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد
الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه
من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي
يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف
اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين
على اضمار ذوي او اطلاق المصدر بمعنى الفاعل او المفعول للمبالغة وقيل يخاف المطر
من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو
جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه
بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله
وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي صلعم
عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة
من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء

فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلعم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة
والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل
وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل
واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلعم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة
ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلعم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل
الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول
غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة المكايدة
لاعدائه من محل بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة
ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول
او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا
احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله
اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى
عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على
الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل
دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق فالمراد بالجملتين ان كانت
الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله
او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلعم
بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء رسول الله صلعم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم
والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون
الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته
والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن
اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين
وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسارة وباطل ولله يسجد من في

السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة
والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة
وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله
بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين
لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل
وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول
في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب
عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به
قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل
اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا
عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم
وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير
المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل
عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار
وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء
خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون
على ما يقدر عليه الخلق فضلا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق
غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه
عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد القهار اي المتوحد بالالوهية الغالب على كل
شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان
المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة
فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع

بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل
السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما يوقدون عليه في النار
يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس علي وجه التهاون بها اظهارا
لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود
من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه
ومن للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء علي ان الضمير للناس
واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق
في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية علي قدر الحاجة والمصلحة
فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه
في عروق الارض الي العيون والقني والابار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي
واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة
زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفا به اي يرمي به السيل
او الفلز المذاب وانتصابه علي الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس
كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال
لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمومنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة
الحسني والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب علي انه جعل ضرب
المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسني وهي المثوبة
او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به وهو علي الاول كلام مبتدا لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم
سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم
مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة
لانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب
ذووا العقول المبراة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله
ما عقدوه علي انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه

نعم

ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد
تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المومنين والايمان
بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما
ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا
علي ما تكرهه النفس ومخالفة الهوي ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة
ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم
انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن يعرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة
خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستئناف
بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره
يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن
صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف علي المرفوع في يدخلون وانما ساغ
للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعني انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم
يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل علي ان الدرجة تعلو بالشفاعة
او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة
في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة علي ان مجرد الانساب
لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب
الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق
بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية
او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين
بنقل كسرتها الي الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين
من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة
ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله

يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا
بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة
لا يدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه
فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح
الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن
العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم
ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت
كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا
بدل من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه
ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده
ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن
القلوب يسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم
وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى
ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل
ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها
امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم
يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية
والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا
وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا يستحق
العبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها

او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا
او كلم به الموتى فتقرأه او فيسمع ويجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في
الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا الريح لنركبها ونتجر الى الشام او
ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع
الارض قطعها بالسير وقيل الجواب متقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما
اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله
القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان
بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد
ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم
الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم
بان المأيوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق
بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء
الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها
ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلوة والسلم كان لا يزال يبعث السرايا فيغيرون حواليهم ويختطف
مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول صلعم فانه حل بجيشه قريبا من
دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف
الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت
للذين كفروا تسلية لرسول الله صلعم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء
ان تترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي

ايام افمن هو قايم على كل نفس رقيب عليه بما كسبت من خير وشر لا يخفى عليه
شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزايهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك
وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوحدوه
وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة
وقوله قل سموهم تنبيه على ان هولاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل
لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل انبئونه وقرئ بالتخفيف
بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها
لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر
من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ
على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم
فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل
الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس
عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من
هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وساير ما
يصيبهم من المصايب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله
من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها
التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا
عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد
اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة
المثل وهو على قول سيبويه حال من العايد المحذوف من الصلة اكلها دايم لا ينقطع
ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي
الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار
لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام
واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان

وقرئ تنبئونه

وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني
كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلعم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه
منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت
فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره
واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية في جزئيات
الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب
واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا
ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك
ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا
والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه
وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير
دينهم والصلوة الى قبلتهم بعدما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك
ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم
وتهييج للمومنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا
مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله
فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته
وقيل يمحو سيئات التايب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة
ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو
قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكاينات وقرا نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح
المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك قبله

فانما عليك البلاغ لاغير وعلينا الحساب للمجازاة لاعليك فلا يحتفل باعراضهم ولا
يستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا ناتي الارض ارض
الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه علي المسلمين والله يحكم لامعقب لحكمه لاراد له
وحقيقته الذي يعقب الشي بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو
غريمه بالاقتضاء والمعني انه حكم للاسلام بالاقبال وعلي الكفر بالادبار وذلك كاين
لايمكن تغييره ومحل لامع المنفي النصب علي الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب
فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين
من قبلهم بانبيايهم والمومنين منهم فلله المكر جميعا اذ لايوبه بمكر دون مكره
فانه القادر علي ماهو المقصود منه دون غيره يعلم ماتكسب كل نفس فيعد جزاءه
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما ياتيهم العذاب المعد لهم وهم
في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام يدل علي ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة
مع مافي الاضافة الي الدار كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر علي ارادة
الجنس وقري الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من علمه اذا اخبره
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفي بالله شهيدا
بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة علي رسالتي مايغني عن شاهد يشهد عليها ومن
عنده علم الكتاب علم القران وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن
سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفي بالله يستحق العبادة وبالذي
لايعلم مافي اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويويده قراءة من قرا
ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب علي الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد علي الموصول ويجوز
ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو متعين للثانية ومن عنده علم علي الحرف والبناء
للمفعول عن رسول الله صلعم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن
كل سحاب يكون الي يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله تعالي

سورة ابرهيم مكية وهي احدي وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب

اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعايك اياهم الي ماتضمنه من الظلمات من انواع
الضلال الي النور الي الهدي باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو
تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الي صراط العزيز الحميد بدل
من قوله الي النور بتكرير العامل او استيناف علي انه جواب لمن يسال عنه واضافة الصراط
الي الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه علي انه لايذل سالكه ولا يخيب
سابله الله الذي له مافي السموات ومافي الارض علي قراءة نافع وابن عامر مبتدا وخبر او
الله خبر محذوف والذي صفته وعلي قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه
بالمعبود علي الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج
به من الظلمات الي النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر
الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا علي
الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشي يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره
ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقري ويصدون من اصده
وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف
التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار
واوصل الفعل الي الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب علي الذم
والرفع عليه او علي انه مبتدا خبره اوليك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا
عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال
فوصف به للملابسة وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي
هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه
لغيرهم فانهم اولي الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلعم
بانذار عشيرته اولا ولو نزل علي من بعث الي امم مختلفة كتب علي السنتهم استقل ذلك
بنوع من الاعجاز ولكن ادي الي اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ
ومعانيها والعلوم المتشعبة منها ومافي اتعاب القرايح وكد النفس من القرب المقتضية
لجزيل الثواب وقري بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون
علي الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلعم وانه تعالي انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل

او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرد قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل
ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من
يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي
الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج
فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمايه وبلايه
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلايه ويشكر على نعمايه فانه اذا سمع
بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر
والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان
المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون
اي اذكروا نعمته وقت انجايه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير
صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة
الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة
البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما
جنس العذاب او استعبادهم او استعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه
باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة
الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى وتاذن
بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة
لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم بالكفران
عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة
مفعول قول مقدر او مفعول تاذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال
موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن

شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملايكة وينطق بنعمه ذرات المخلوقات
فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد
الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا
من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف
على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن
مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها
عليها تعجبا منه او استهزاء كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق
الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب
لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون
تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي
اليهم من الحكم والشرايع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى
حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما
تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة
وهي قلق النفس وان لا تطمين الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى
الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله
فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان
ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول
له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون
المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين
الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان
وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو
ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله
وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة

دوننا ولو شاء الله ان يبعث الي البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون أن
تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوة فأتونا بسلطان مبين يدل علي فضلكم
واستحقاقكم لهذه المزية او علي صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات
والحجج واقترحوا عليهم آية اخري تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن علي من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل علي ان النبوة عطائية وان
ترجيح بعض الجائزات علي بعض بمشيئته تع وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان
الا باذن الله اي ليس لنا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتي نأتي
بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلي الله
فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر علي معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر
للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا تري قوله وما لنا ان
لا نتوكل علي الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل علي الله وقد هدينا سبلنا التي بها
نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت
ولنصبرن علي ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما
يجري من الكفار عليهم وعلي الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون علي ما
استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا علي ان يكون احد الامرين اما اخراجهم الرسل
او عودهم الي ملتهم وهو بمعني الصيرورة لانهم لم يكونوا علي ملتهم قط ويجوز ان يكون
الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة علي الواحد فاوحي اليهم ربهم
اي الي الرسل لنهلكن الظالمين علي اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه
نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن
وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحي كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الي
الموحي به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي
وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله

وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا
سألوا من الله الفتح علي اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف علي فاوحي والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل
للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا علي لنهلكن
وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر علي الله معاند
للحق فلم يفلح ومعني الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع
من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف علي شفيرها في الدنيا مبعوث
اليها في الآخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف
علي محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقي فيها ما يلقي ويسقى من ماء صديد عطف
بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال
من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به
فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب علي الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت
من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان
من جسده حتي من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه
ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل
هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة
في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب
رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار
مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلي عليكم صفتهم التي هي مثل
في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي علي الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل
اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ
نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقوله
نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق
الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها علي غير اساس من معرفة الله والتوجه
بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما

كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل
ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فان الغاية
في البعد عن طريق الحق ألم تر خطاب للنبي صلعم والمراد به امته وقيل لكل احد
من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي
يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت
بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل
الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما
ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون
مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من
عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته
او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله
فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه
فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما كتبت بالواو على
لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين
استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم
وهو جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل
انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى اي ذو تبع
للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء
الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب
ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا به والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض
العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا
عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم
اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا

ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من
الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب
ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا
من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو
ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده
كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي
الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكن
على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا
فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام
بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم
واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه
اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا
ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على
الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين
وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا
تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في
ضربته واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل
ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا
اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم
او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي
كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تع بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام
وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت زيدا

للتعدية الى مفعول ثان إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تتمة كلامه او ابتداء كلام من
الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظهم حتى يحاسبوا انفسهم
ويتدبروا عواقبهم وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة
وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ
اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كيف اعتمده ووضعه
كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله
مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي
كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على
الابتداء أَصْلُهَا ثَابِتٌ في الارض ضارب بعروقه فيها وَفَرْعُهَا واعلاها فِي السَّمَاءِ
ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق
من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ
تُؤْتِي أُكُلَهَا تعطي ثمرها كُلَّ حِينٍ اقته الله لاثمارها بِإِذْنِ رَبِّهَا بارادة خالقها
وتكوينه وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ لان في ضربها زيادة
افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ
كمثل شجرة خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ استؤصلت واخذت جثته بالكلية مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ لان عروقها قريبة منه مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ استقرار واختلف في الكلمة والشجرة
ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة
بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة
الطيبة ما اعرب عن حق او دعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف
ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة
بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ
الثَّابِتِ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فلا يزالون
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون عليهم السلام
والذين فتنهم اصحاب الاخدود وَفِي الْآخِرَةِ فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم

في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة وروي انه عليه الصلوة والسلم ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء
ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في
مواقف الفتن وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض
عليه أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او
بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر
بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه
وشرفهم بمحمد صلوات الله وسلامه عليه فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا
يوم بدر فصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو
امية فمتعوا حتى حين وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ الذين شايعوهم في الكفر دَارَ الْبَوَارِ دار الهلاك
بحملهم على الكفر جَهَنَّمَ عطف بيان لها يَصْلَوْنَهَا حال منها او من القوم اي داخلين
فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم وَبِئْسَ الْقَرَارُ اي وبئس
المقر جهنم وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير
وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في
اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قُلْ تَمَتَّعُوا بشهواتكم او بعبادة
الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان
بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة
ولذلك علله بقوله فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من
آمر مطاع قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم
المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي
الذين آمنوا اقيموا وانفقوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ فيكون ايذانا
بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلعم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له

ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن قوله
محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا
اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لابد من مخالفة ما بين الشرط
وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا
وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي
سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء
المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره
او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم
لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض
مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به
وهو يشتمل المطعوم والملبوس مفعول اخرج ومن الثمرات بيان له حال منه
ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج
في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر
لكم الانهار جعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم
كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما
واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم وآتيكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء
سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه
ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان يكون
موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين
اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون
ما نافية في موضع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية
وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم

بظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب
اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل
هذا بلدا آمنا ان المسئول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني
جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا
منه في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني
شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره
لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل عم لم يعبدوا
الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت
حجر فحيث ما يصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك
سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار
السببية لقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي
لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه
ابتداء وبعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفر حتى الشرك الا
ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او
ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن
لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم
الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه
الطوفان فلم يستول عليه ولذلك يسمى عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء
اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما يئول اليه روي ان هاجر كانت
لسارة فوهبتها من ابرهيم عم فولدت منه اسماعيل فغارت عليها فناشدته ان
يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم
طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركنا في
مائك نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة
باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة

الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من
اسكانهم ثم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم
باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة
من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال
افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصاري او للابتداء
كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقري آفدة وهي يحتمل ان يكون مقلوب
افئدة كادر في ادور وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة
يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين
ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً وقري تهوى على
البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوي يهوى اذا احب وتعديته
بالي لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه
لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل
شي حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك
تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علانيتنا والمعنى انك اعلم باحوالنا
ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا
لعبوديتك وافتقارا الي رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد
الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع
واللجاء الى الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم
ذاتي يستوي نسبته الي كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا
لما فيه من الآية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة
واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع
الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الي
مفعوله او فاعله علي اسناد السماع الي دعاء الله علي المجاز وفيه اشعار بانه دعا
ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب له سوله حين ما وقع الياس منه ليكون من

عطف

اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي
علي المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية
انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي وقري ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما
آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من القيام على الرجل
كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم
مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلعم والمراد به تثبيته
على ما عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم
على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله
وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو
بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول
ما تري مهطعين مسرعين الي الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا
واصل الكلمة هو الاقبال على الشي مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم
بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الي انفسهم
وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال
للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه
هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم
العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموقف فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان
لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الي اجل قريب اخر
العذاب عنا وردنا الي الدنيا وامهلنا الي حد من الزمان قريب او اخر آجالنا
وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر
ونظيره لولا اخرتني الي اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب
على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت
ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليهم حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل

اقسموا انهم لاينتقلون الي دار اخرى وانهم اذا ماتوا لايزولون عن تلك الحالة الي حالة اخرى
كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدي بفي كقر وغني واقام وقد
يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم
بما تشاهدون في منازلهم من آثار مانزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا
لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات
ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ
فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم
عليه او عنده ما مكرهم به جزاء لمكرهم وابطالاله وان كان مكرهم في العظم والشدة
لتزول منه الجبال مسوي لازالة الجبال ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة
لها كقوله ماكان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه
وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا
وتمكنا من آيات الله وشرايعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام
هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من فتح لام كي
وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر
رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني
ايذانا بانه لايخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لايخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده
احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لايماكر قادر لايدافع ذو انتقام لاوليائه
من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام
او مقدر باذكر او لايخلف وعده ولايجوز ان ينتصب بمخلف لان ماقبل ان لايعمل
فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل
يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها
وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل
الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضه يبدل ارضا من فضة وسموات من
ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ماروي ابو هريرة
انه عليه الصلوة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لاترى
فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لايلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا
وسماء على الحقيقة ولايبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على
ما اشعر قوله تع كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا
من احداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان
الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب
لايغالب فلا مستغاث لاحد الي غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن
بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال لقوله واذا النفوس زوجت او
قرنوا مع الشيطان اومع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت
ايديهم وارجلهم الي رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته
ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل
الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاني صفاده يعض بساعد وبعظم ساق
واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن فيشتعل
فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم
لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت
بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس
من الملكات الردية والهيئات الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن
يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة
حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها
لانهم لم يتوجهوا بها الي الحق ولم يستعملوا في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت
فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله
افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يسحبون في النار على وجوههم ليجزي
الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من

مجربة او مطيعة لانه اذا تبين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون
لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا **ان الله سريع الحساب** لانه لا يشغله
حساب عن حساب **هذا** اشارة الي القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير
او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله **بلاغ للناس** كفاية لهم في الموعظة **ولينذروا به**
عطف علي محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ
ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح اليا من نذر
به اذا علمه واستعد له **وليعلموا انما هو اله واحد** بالنظر والتامل فيما فيه من الآيات
الدالة عليه والمنبهة علي ما يدل عليه **وليذكر اولوا الالباب** فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوايد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب
تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفايزين بهما وعن النبي
صلعم من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **الر تلك آيات الكتاب**
وقرآن مبين الاشارة الي آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن
وتنكيره للتفخيم اي آيات الكتاب الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي
بيانا غريبا **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** حين عاينوا حال المسلمين
عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما
بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الرا وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتا
التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله علي الفعل وحقه ان يدخل الماضي
لكن لما كان المترقب في اخبار الله تع كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة
موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعني التقليل فيه
الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه
كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك

الجزء الرابع عشر

والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن **ذرهم** دعهم **ياكلوا ويتمتعوا**
بدنياهم **ويلههم الامل** ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد
للمعاد **فسوف يعلمون** سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلعم من
ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه
الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل **وما اهلكنا من قرية**
الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل
ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت
عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف **ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون** اي وما
يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل علي المعني **وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر**
نادوا به النبي صلعم علي التهكم الا ترى الي ما نادوه له وهو قوله **انك لمجنون** ونظيره ذلك قول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعني انك لتقول قول المجانين حتى تدعي
ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن **لوما تاتينا** ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع
الشي لوجود غيره والتحضيض **بالملائكة** ليصدقوك ويعضدوك علي الدعوة كقوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب علي تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل **ان كنت**
من الصادقين في دعواك **ما ننزل الملائكة** باليا مسندا الي ضمير اسم الله وقرا حمزة
والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل
بمعني تتنزل **الا بالحق** الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته
ولا حكمة في ان تاتيكم بصورة تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة
فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب
وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا
منظرين **انا نحن نزلنا الذكر** رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله
وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام
البشر بحيث لا يخفي تغيير نظمه علي اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام
بضمان الحفظ له كما نفي ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلعم **ولقد**
ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة علي طريق

ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى
نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلعم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا
قريبا منه وهذا علي حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك
ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء
وفيه دليل علي انه تعالي يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله
لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب
المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم
من تعاقب الضماير توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير
لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد
خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك
من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم علي هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم
مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد
وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر
ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت
بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الآيات وفي
كلمتي الحصر والاضراب دلالة علي البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل
اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات
والخواص علي ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال
والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها علي قدرة مبدعها وتوحيد
صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس
اهلها ويتصرف في امرها ويطلع علي احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان
واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم
من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس

انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلوة والسلم منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد صلعم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز
ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه
فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق
للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا
فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل
شيء موزون مقدر بمقدار معين يقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم
كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها
معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز علي التشبيه بشمائل ومن
لستم له برازقين عطف علي معايش او علي محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك
وساير ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال
بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها
انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك علي
كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان علي العباد بما انعم عليهم
في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه
اي وما من شيء الا ونحن قادرون علي ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها
الي كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة
وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات علي بعض الصفات
والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات
للشجر او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح
وقرئ وارسلنا الريح علي تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء بقدر فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم
ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل علي

المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع
به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص
وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها وَنُمِيتُ بازالتها
وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ
الباقون اذا مات الخلايق كلها وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا
الْمُسْتَأْخِرِينَ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تأخر لا يخفى
علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل
على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا
عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلعم فيتقدم بعض
القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ لا محالة
للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بأن
لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل
الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله إِنَّهُ حَكِيمٌ باهر الحكمة متقن في افعاله
عَلِيمٌ وسع علمه كل شيء وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ طين يابس يصلصل
اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل مِنْ حَمَإٍ طين
تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مَسْنُونٍ
مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب
من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى
اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن
من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى
السنين وَالْجَانَّ ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر
من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة
كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ من قبل
خلق الانسان مِنْ نَارِ السَّمُومِ من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع

خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد
المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء
الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة
على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي
يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ واذكر وقت
قوله لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ عدلت
خلقته وهيأته لنفخ الروح فَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي حتى جرى آثاره في تجاويف
اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق
اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا
لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافه
الروح الى نفسه لما مر في سورة النساء فَقَعُوا لَهُ فاسقطوا له سَاجِدِينَ امر من
وقع يقع فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع
التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة
وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا إِلَّا إِبْلِيسَ ان جعل
منقطعا اتصل به قوله أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ اي ولكن ابليس ابى وان
جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ
أَلَّا تَكُونَ اي غرض لك في ان لا تكون مَعَ السَّاجِدِينَ لآدم قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ
اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لِبَشَرٍ جسماني كثيف
وانا ملك روحاني خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وهو اخس العناصر وخلقتني
من نار وهو اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه
في سورة الاعراف قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا من السماء او الجنة او زمرة الملائكة فَإِنَّكَ رَجِيمٌ
مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو
وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ هذا الطرد والابعاد إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف من اليوم زمان الجزاء
وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه

وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس ولانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزايل **قال رب فانظرني** فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم **الي يوم يبعثون** اراد ان يجد فسحة في الاغواء او نجاة عن الموت اذ لاموت بعد وقت البعث فاجابه الي الاول دون الثاني **قال فانك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم** المسمي فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولي عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لايموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل علي منصب ابليس لان خطاب الله له علي سبيل الاهانة والاذلال **قال رب بما اغويتني** الباء للقسم وما مصدرية وجوابه **لازينن لهم في الارض** والمعني اقسم باغوايك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله اخلد الي الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالي خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الي الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له علي اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن يتبعه انهم يموتون علي الكفر ويصيرون الي النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لايخفي علي ذوي الالباب **ولاغوينهم اجمعين** ولاحملنهم اجمعين علي الغواية **الا عبادك منهم المخلصين** اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا انفسهم لله **قال هذا صراط علي** حق علي ان اراعيه **مستقيم** لا انحراف عنه والاشارة الي ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص علي معني انه طريق علي يؤدي الي الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف **ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين**

تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا علي من ليس بمخلص من عباده فانه منتهي قدرته التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلي هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلي الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثني اقل من الباقي لافضائه الي تناقض الاستثنائين **وان جهنم لموعدهم** لموعد الغاوين او المتبعين **اجمعين** تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا علي تقدير مضاف ومعني الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل **لها سبعة ابواب** يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم وهي جهنم ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات في الركون الي المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق **لكل باب منهم** من الاتباع **جزء مقسوم** افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابوبكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز علي حذف الهمزة والقاء حركته علي الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجري الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لاتعمل فيما تقدم موصوفه **ان المتقين** من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة **في جنات وعيون** لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين **ادخلوها** علي ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء علي انه ماض فلا يكسر التنوين **بسلام** سالمين او مسلما عليكم **آمنين** من الآفات والزوال **ونزعنا** في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم **ما في صدورهم من غل** من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد علي درجات الجنة ومراتب القرب **اخوانا** حال من ضمير في جنات او فاعل

ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا
قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه
بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها
نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها
بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل
على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته
بالمغفرة والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف
ابرهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك
لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله
بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان
المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق علم لقوله فبشرناها
باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له
مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون
اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور
وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام
نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع
المثلين ودلالة باظهار نون الوقاية على اليا قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة
او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهي قول الله تعالى وامره فلا تكن
من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من
غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم صلوات الله عليه
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس

من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما
قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى
البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج
الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام او لانهم بشروه في
تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من الضمير في مجرمين
كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى
انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه
قوله انا لمنجوهم اجمعين مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل
بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امراته استثناء
من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا
ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرا حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين
الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرا ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما
علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا
اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره
واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء
آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني
بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك
بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم
في الليل وقرا الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري
في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع
بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه
او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل

نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحيا قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر وما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط عليه قالت الملائكة ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين

بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة افسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينهم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبعة وقيل سبع صحايف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى يكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن

العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض والعام على الخاص
وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح
بصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر
بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث
ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلوة والسلام وافى باذرعات سبع
قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال
المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد
اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني
انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا
على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه
والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس
عن الايمان بالرسول صلعم فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا
على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد آتيناك فانه
بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا
بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى سحر
وشعر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض
على ان القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلعم وقوله لا تمدن الخ
اعتراضا مدا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من
عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اصلها عضهة من عضهته اذا بهته وفي
الحديث لعن رسول الله صلعم العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة العضة السحر
وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او
مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة
الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع

بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله
الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع
واعرض عن المشركين فلا يلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم
واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء
النبي صلعم والاستهزاء به فقال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا
في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد
يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات والى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها
آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع
الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون
حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه الصلوة والسلام
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت
فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن
رسول الله صلعم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه
كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله
اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع
لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المحقق من حيث
انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه

وتعالى عما يشركون تبرا، وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا، حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلعم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول صلعم ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا، ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا، ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره ومن اجله على من يشاء من عباده ان يتخذوه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم مبين منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلعم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم

وانصا

وانصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفا به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات الماكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم يكن فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين او متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى

الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من
يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده
السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال
ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان
يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر
اتى جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين
اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء
هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه
ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب
فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه
في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل
كل ما نبت على الارض شجر قال الشاعر تعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر
فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصله السومة وهي
العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على
التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت
في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على كل ما يؤكل منه لانه
سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس
الثلثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان
من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها
ويخرج منها ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منها
الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال
والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان
ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل
الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها
لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها

ودبرها كيف شاء او لما خلقهن له بايجاده وتقديره او حكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى
ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب
في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها
من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف
النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر
العقل لانها يدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء
فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم
فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا
ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر
ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع
بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة
لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا
طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل
السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى
ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن
من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه
تشقه بجريها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله
من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها
ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك
سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان
تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها
الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة
كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلق الجبال على وجهها تفاوتت

جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل
لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملايكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد
ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم
تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم تستدل بها السابلة من جبل
وسهل وريح ونحوها وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد
بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرا الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم
واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار
بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة
الدلايل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته
لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان
حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه
من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله
مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن
حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق
ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك
فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادني تذكر والتفات وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع
ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء
ما عددها نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم
في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك
باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله والآلهة الذين يعبدونهم من دونه وقرا
ابو بكر يدعون بالياء وقرا حفص ثلثتها بالتاء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة

بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان
اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة
الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم
الحيوة او اموات حالا او مالا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان
يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون
عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف
الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة
فان المؤمن بها يكون طالبا للدلايل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون
حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى
المالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى
قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او
فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون
قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا
على التهكم او على الفرض او على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقايلون له
قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس
فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار
الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير
علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدة الدلالة على ان
جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء
ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي

بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل
وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد
امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم
او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاي
اضاف الى نفسه استهزاء وحكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون
فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني
فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلما
الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان
الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفايدة قولهم اظهار
الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم
الملائكة وقرا حمزة بالياء وقرى بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل
الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم
فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل
من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال
على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم
عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم
يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم
نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله
او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم
اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا
يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل
على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على
خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم
بخبر النبي صلعم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين

قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير
اي ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان
يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم
دار المتقين دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا
محذوف ويجوز ان تكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها
ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان
لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء
يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم
انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة
الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى
حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان
الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم
الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيمة
او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل
الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات
اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء
ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما
الفايدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير ونحوها محتجين
بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجيا اليه لا
اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين
كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على

الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه
لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها
ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداه
وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر
المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم
للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه
تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل
الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض
يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون
ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى
بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما
لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد
انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد
فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد
من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا
صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه
من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون
امتناعه ثم انه تعالى بين الامر فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي
يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون
وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق
والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيته
لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء

ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون
عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلعم
واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة او المحبوسون
المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلعم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل
وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي
المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي انه كان اذا
اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا
وما ذخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء
المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم
وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او
الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون
رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على
السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل
على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه
رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال
ورد بما روي انه عليه الصلوة والسلم رأى جبريل على صورته التي هو عليها مرتين
وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات
والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما
ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على
المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا اعتراض او بلا يعلمون
على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه
موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا

ونهوا عنه او بما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الي مايدل عليه كالقياس
ودليل العقل **ولعلهم يتفكرون** واراده ان يتاملوا فيه فينتبهوا للحقايق **افامن**
الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء
او الذين مكروا رسول الله صلعم وراموا صد اصحابه عن الايمان **ان يخسف الله بهم الارض**
كما خسف بقارون **او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** بغتة من جانب السماء
بقارون كما فعل بقوم لوط **او ياخذهم في تقلبهم** اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا
فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على تنقص شيئا بعد شي في انفسهم واموالهم حتى
يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا
فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب
ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال
شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم **فان ربكم لرءوف رحيم** حيث
لا يعاجلكم بالعقوبة **اولم يروا الى ما خلق الله من شيء** استفهام انكار اي قد راوا
امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما
موصولة مبهمة بيانها **يتفيؤ ظلاله** اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال
متفيئة **عن اليمين والشمائل** عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة
من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى
كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله **سجدا لله وهم داخرون** وهما حالان من الضمير
في ظلاله وجمعه في المراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال
سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب او سجدا حال من
الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها
وباختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تع من جانب الى جانب منقادة لما قدر
لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام
في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تع فيها وجمع داخرون

بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين
والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع
وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الاظلال في اول النهار تبتدي من المشرق
واقعة على الربع الشرقي من الارض وعند الزوال تبتدي من المغرب واقعة على الربع
الشرقي من الارض **ولله يسجد ما في السموات وما في الارض** اي ينقاد انقيادا يعم
الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة
اهل السموات والارض وقوله **من دابة** بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية
سواء كانت في ارض او سماء **والملائكة** عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة
للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانية وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة
او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او
المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان
استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء **لا يستكبرون**
عن عبادته **يخافون ربهم من فوقهم** يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم
او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون
او بيان له او تقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته **ويفعلون ما يؤمرون** من
الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان
مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله **انما هو**
اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان
الوحدة من لوازم الالهية **فاياي فارهبون** نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة
في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير
وله ما في السموات والارض خلقا وملكا **وله الدين** اي الطاعة **واصبا** لازما
لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله
الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دايما لا ينقطع ثوابه لمن آمن
وعقابه لمن كفر **افغير الله تتقون** ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال **وما بكم**

من نعمة فمن الله واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة
معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار
بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا
اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق
منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب
عاما وان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز
ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار
كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا
مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد
للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها
جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها
تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول
له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسألن
عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون
لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من
قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء
والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى
الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف
واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير
وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء
ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون
ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث
فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم

للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق
ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة
عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير
ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد
الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم
لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ
لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء
عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما
يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل
وارذال الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله
لقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار
من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي
وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها
وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو
وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون
الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم
يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر
فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر
واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل

لتبيّن فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به
الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية
لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها
من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر
الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المومنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك
عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكباش ومن قال انه
جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على
المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم
بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء
اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في
الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف
في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان
اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان
في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله
وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها
مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها
الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل
حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها
على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى
الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض
لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث
الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى
المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته
ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت
من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدا منه الاسقاء وهي متعلقة

بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا
صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة
بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيّغا بالتشديد
والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا
استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف
صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير
على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات
بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل
والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين
العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من
اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات
واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان
اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون ان مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث
الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او
سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها
ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق
المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا
بكسر الباء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات
من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه
التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك
في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس
ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من

الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقاد لما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب
النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم
شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق
العطرة فيستحيل في باطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط
بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها
ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه
مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل
فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في ساير الامراض
اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه خلاف مشعر بالتبعيض
ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم فقال ان اخي يشتكي
بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا فكانما انشط
من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم
يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق
التدبر علم قطعا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم
باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه
الطفولية في نقصان القوة والعقل قيل هو تسعون سنة وقيل خمس وسبعون
لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء
الفهم ان الله عليم بمقادير اعمالهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني
وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم
وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا
المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال
يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا
برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم بمعطي رزقهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي
جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة

للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي
رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون
بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم
فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله
عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها
والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل هو
خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان
الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت وقيل الربايب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم
والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن
للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام
تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث
اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام
او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا
يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا
فشيئا منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة لهم
اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى
الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا
لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه
حال بحال ان الله يعلم فساد ما يعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك
ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه
لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون
نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا

هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك
الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية
بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي
اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول
والمومن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة
للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك
والاظهر ان من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان
المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه
مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب
الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنايع
والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه
حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه
الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يات بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن
يامر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل
لجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب
الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها
وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمومن والكافر
ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد
بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غايب عن اهل السموات
والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع
الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان
نصف تلك الحركة بل في الآن التي تبتدا فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان
في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي
يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر
ان يحيي الخلايق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون

امهاتكم وقرا الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء
مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة ادراكا تعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها
ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يحصل لكم العلوم
البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلوم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم
طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرا ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب
العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء
في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها
ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها يمسكها ان في ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها
خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف
طبعها لقوم يومنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا
تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من
جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف
والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها
تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم ووضعها
او ضربها وقت الحضر او النزول وقرا الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهي لغة
ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضانية والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها
الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى
مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه
اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون
به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تستكنون بها من الكهوف والبيوت
المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها
تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل
تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كما تم هذه
النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون

لعلكم وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبسها لدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما
عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب
مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم
وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها
بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه
الصلوة والسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة
واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان
العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام
مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد
لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في
الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط
الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
من العتبى وهو الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق
وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا
هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء
او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس
بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم
شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم
ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا اذا القى الذين ظلموا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع
عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم
وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم

عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة
بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف
او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال
بالاحالة الى السنة والقياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه
وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا
كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط
بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع
بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلوة والسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو
تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية
كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوى
الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة
التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه
الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي هي
اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في
القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل
ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز
بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر
يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا
الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها توثيقها بذكر الله ومنه
اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل
مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق
بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع
نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد
به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت
خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار
الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودغلا
بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان
تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او
لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا
عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي
يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون
بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربى وقيل للامر بالوفاء
وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان
ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح
المنهي فتزل قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد
ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب
في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان
من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا
تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند
الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم
تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي
وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل على ان

نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على
مشاق التكاليف باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات
او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص
وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف
العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر
وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في
الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف
الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسئل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا
يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في
كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح
والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود
قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ
انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء
الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما
يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين
هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا
الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون
مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة
الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت
مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل
اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا

بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب قل نزله روح
القدس يعني جبرئيل علم واضافة الروح الي القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود
وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه علي ان انزاله مدرجا
علي حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت
الذين آمنوا علي الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية
الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدي وبشري للمسلمين
المنقادين لحكمه وهما معطوفان علي محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه
تعريض لحصول اضداد ذلك لغيرهم وقري لنثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول عليه الصلوة والسلم
يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزي قد اسلم وكان
صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة
الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسايي
يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربي
مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل
وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه
بادني تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه يعلم منه المعني باستماع كلامه
ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك عجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار
المعني فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها
الا بملازمة معلم فايق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلام
سوقي سمع منه بعض اوقات مرور عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناهما وطعنهم
في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل علي غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الي الحق او الي سبيل النجاة
وقيل الي الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم علي كفرهم بالقرآن بعد ما
اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين

لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الي الذين كفروا او
الي قريش هم الكاذبون اي الكاذبون علي الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات
الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين
ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل
من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف
دل عليه قوله فعليهم غضب او ذم مرفوع او منصوب او شرط محذوف الجواب الا من اكره
علي الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان
وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وفيه دليل علي ان الايمان هو التصديق
بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية
علي الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وجي بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من
اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه
ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملي ايمانا من قرنه
الي قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتي عمار رسول الله صلعم وهو يبكي فجعل
رسول الله صلعم يمسح عينيه فقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل علي
جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله
ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلعم
فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك
اشارة الي الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا علي الآخرة
بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه
الي ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله علي قلوبهم
وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة اذا اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة

هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان
ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر ثم لتباعد
حال هولاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المومنين
كالحضرمي اكره مولا جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد
وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما
فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب
برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا تهتم شان
غيرها فيقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون
لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم
فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها
خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت
بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما
غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له
كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار
الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه
الغمر الذي هو وصف المعروف وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي ابن عمرو
رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار
الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم
ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا صلوات الله عليه والضمير لاهل مكة عاد
الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم
والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ان زجرهم عن الكفر وهددهم
عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها
الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم

انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول
ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم
والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق مقتضى الكلام
وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع
والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق
بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال
وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق
به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب
كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد
من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر
بدلا مما والكذب جمع كذوب او كذاب وبالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او
بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم
الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة
ينقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل
متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
فعلوا ما عوقبوا عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة
يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها
ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء
على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور
لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل

لاتكاد توجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم
الزايغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن
في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان ساير الناس كفارا وقيل هي
فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدي به فان الناس كانوا
يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما **قَانِتًا لِلّٰهِ** مطيعا
له قايما باوامره **حَنِيفًا** مايلا عن الباطل **وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** كما زعموا فان قريشا
كانوا يزعمون انهم علي ملة ابرهيم صلوات الله عليه **شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ** ذكر بلفظ القلة للتنبيه
علي انه كان لايخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة **اجْتَبَاهُ** للنبوة **وَهَدَاهُ إِلَىٰ
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** في الدعوة الي الله **وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً** بان حببه الي الناس
حتي ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة
والطاعة **وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** لمن اهل الجنة كما ساله بقوله والحقني
بالصالحين **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** يا محمد وثم اما لتعظيم والتنبيه علي ان اجل ما اوتي ابرهيم
اتباع الرسول عليه الصلوة والسلم ملته او للتراخي اياه **أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**
في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلايل مرة بعد اخري والمجادلة مع كل احد
علي حسب فهمه **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** بل كان قدوة الموحدين **إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ**
والتخلي فيه للعبادة **عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ** اي علي نبيهم وهم اليهود امرهم موسي عليه السلم ان
يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا فقالوا نريد يوم السبت لانه يوم فرغ فيه من خلق السموات
والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت
وهو المسخ علي الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخري واحتالوا له
الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله **وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** بالمجازاة علي الاختلاف مجازاة كل
فريق بما يستحقه **ادْعُ** من بعثت اليهم **إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ** الي الاسلام **بِالْحِكْمَةِ** بالمقالة
المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة **وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** الخطابات المقنعة
والعبر النافعة والاولي لدعوة خواص الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم

وجادلهم

وَجَادِلْهُمْ وجادل معانديهم **بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من
الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات الاشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم
وبيان شغبهم **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** اي انما
عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم
بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ**
لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والي من شايعه بالمخالفة بمراعاة العدل
مع من يناصبهم فان الدعوة لاتنفك عنه من حيث انها تتضمن رفع العادات وترك
الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه
الصلوة والسلم لما راي حمزة وقد مثل به فقال والله لين اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل علي ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان
يجاوزه وحث علي العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا علي الوجه الاكد بقوله **وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ** اي للصبر **خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر لرسول الله
صلعم لانه اولي الناس به لزيادة علمه به ووثوقه عليه فقال **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**
الا بتوفيقه وتثبيته **وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ** علي الكافرين او علي المؤمنين وما فعل بهم
وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق وهما
لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا** المعاصي **وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا
الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة علي خلقه عن النبي صلي الله عليه وسلم
من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم
تلاها او ليله كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك
الي اخرهما ايات وهي مائة وعشر ايات

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي
أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا** سبحان اسم بمعني التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع
عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر ثم نصب

الجزء الخامس عشر

بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى
بمعنى وليلا نصب على الظرف وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء
ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به **من المسجد الحرام**
بعينه لما روي انه عليه الصلوة والسلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام
لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدا والمنتهى لما روي انه كان نايما في بيت
ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل
لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد
ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضه فقال ان كان قد قال لقد صدق فقالوا
اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة
سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت
فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير
كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف
في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده
الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك
تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين
طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان
طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام
ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان
يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب
من لوازم المعجزات **الى المسجد الاقصى** بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء
من لدن موسى عليه السلم ومحفوف بالانهار والاشجار **لنريه من آياتنا** كذهابه في
برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس وتمثل

الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات
وقرئ ليريه بالياء **انه هو السميع البصير** لاقوال محمد صلعم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك
وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك
كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على لان لا يتخذوا **من دوني وكيلا** ربا تكلون اليه
اموركم غيري **ذرية من حملنا مع نوح** نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء
او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الدال وفيه
تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عم في السفينة **انه** ان نوحا عم
كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره
وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى علم **وقضينا الى بني اسرائيل** واوحينا اليهم
وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية **لتفسدن في الارض** جواب قسم محذوف او
قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم **مرتين** افسادتين اولاهما مخالفة احكام
التورية وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلم **ولتعلن علوا**
كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله تع او لتظلمن الناس **فاذا جاء وعد اولاهما** وعد عقاب اولاهما
بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري
وقيل سنجاريب من اهل نينوى **اولي باس شديد** ذوي قوة وبطش في الحرب شديد
فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان **خلال الديار** وسطها للقتل والغارة
فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله
الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع **وكان وعدا مفعولا** وكان وعد عقابهم
لابد ان يفعل **ثم رددنا لكم الكرة** اي الدولة والغلبة **عليهم** على الذين بعثوا عليكم وذلك
بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة
عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله **وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم**
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب
الى العدو **ان احسنتم احسنتم لانفسكم** لان ثوابه لها **وان اساتم فلها** فان وبالها

عليها وانما ذكر باللام اذ دو لجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد العقوبة المرة الآخرة ليسوا
وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة
ذكره اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث
او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة
والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا
المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش
مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما
صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا
فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدا عسى ربكم ان يرحمكم
بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب
محمد صلعم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية
على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج
منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي يبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه بشر المؤمنين ببشارتين
ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار ويخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند
غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعو بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل
دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل
المراد آدم علم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه الصلوة
والسلم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها
بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت

ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث
اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة فاجيب له
فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما
على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة
فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس
من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر
والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي
آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها
شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء
بضوءها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به
الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس
الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدنيا والدين فصلناه تفصيلا بيناه بيانا
غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طار اليه من عش الغيب ووكر
القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير
والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة
كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث
في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول
محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ ويخرج
اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة
ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرا
كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء زائدة
وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه انما يعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح
بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما
اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداءه غيره ولا

يردي ضلاله سواه. ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزرت نفس اخرى
بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرايع فيلزمهم
الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا
باهلاك قوم لانفاد قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت
ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على
ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على
الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه
لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه والتسبب له بان صب عليهم من النعم
ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني
وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة
مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة
يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي
جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على
الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم
في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناهم باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا
وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب
عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه
من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل
والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه
وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم تفضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير
فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل
الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله
ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما
نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن

ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان
سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا
كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى
ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق
بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر
كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة
ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب لرسول الله صلعم والمراد
به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز
من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة
والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك
وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا
لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان يكون ان
مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا
لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته
لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها
ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة
والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا
ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل
لهما اف فلا تضجر فيما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر
وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة
نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ
به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر
انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك
منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهي عما يؤذيهما

بعد الامر بالاحسان بهما **ولا تنهرهما** ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر
والنهم اخوات **وقل لهما** بدل التأفيف والنهر **قولا كريما** جميلا لا شراسة فيه **واخفض
لهما جناح الذل** تذلل وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح
قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامر بخفضها مبالغة
او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة
كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر
وهو الانقياد والنعت منه ذلول **من الرحمة** من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما
الى من كان افقر خلق الله اليهما **وقل رب ارحمهما** وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية
ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما **كما ربياني
صغيرا** رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين
روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما
ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان
بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما **ربكم اعلم بما في نفوسكم** من قصد البر
اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير كانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا
ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح **فانه كان للاوابين** للتوابين **غفورا**
ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما
لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية اوليا لوروده على اثره **وآت ذا القربى
حقه** من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا
محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه
على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو
يتوضأ ما هذا السرف فقال اوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف
شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي
انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم

او عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات **وكان الشيطان لربه كفورا** مبالغا في الكفر
به فما ينبغي ان يطاع **واما تعرضن عنهم** وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن
السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية **ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها** لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل
معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز
ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله **فقل لهم قولا ميسورا** اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء
رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس
وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح
واسراف المبذر نهي عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم **فتقعد ملوما** فتصير
ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير **محسورا** نادما او منقطعا بك
لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلعم اتاه صبي فقال
ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت
قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد
عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله **ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس
ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك **انه كان بعباده خبيرا بصيرا** يعلم سرهم وعلنهم
فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر
والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا وانه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا
بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله **ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق** مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر
فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال **نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان
خطأ كبيرا** ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال
خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل
لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر

خاطا وهو وان لم يسمع لكنه جاء في قوله تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع
الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالمد والفتح وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا
ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه **انه كان فاحشة**
فعلة ظاهرة القبح زائدة **وساء سبيلا** وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع
المودي الى قطع الانساب وهيج الفتن **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق**
الا باحدى ثلث كفر بعد الايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا **ومن**
قتل مظلوما غير مستوجب للقتل **فقد جعلنا لوليه** للذي يلي امره بعد وفاته وهو
الوارث **سلطانا** تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل
فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما **فلا يسرف**
اي القاتل **في القتل** بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه
بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيده الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقراءة
حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما **انه كان منصورا** علة النهي على
الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي
الآخرة بالثواب واما للولي فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته
واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف **ولا**
تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه **الا بالتي هي احسن** الا بالطريقة التي هي
احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء **واوفوا**
بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره **ان العهد كان مسؤلا**
مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤلا عنه يسال الناكث
ويعاتب عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت
فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا **واوفوا الكيل اذا كلتم**
ولا تبخسوا فيه **وزنوا بالقسطاس المستقيم** بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا
يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعمله العرب واجرته مجرى كلامهم في
الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر
القاف **ذلك خير واحسن تاويلا** واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع **ولا تقف**

ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافية **ما ليس لك به علم** ما لم يتعلق
به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو
الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى سائغ وقيل
انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام من
قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري
بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا **ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك** اي كل هذه
الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها
هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء
لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام **كان عنه مسؤلا** في ثلثتها ضمير كل اي كان
كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه
للمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم
والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل
على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها
بالفتح **ولا تمش في الارض مرحا** اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم
ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت **انك لن تخرق الارض** لن تجعل فيها خرقا لشدة
وطاتك **ولن تبلغ الجبال طولا** بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال
حماقة مجردة لا يعود بجدوى ليس في التذلل **كل ذلك** اشارة الى الخصال الخمسة
والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما انها
المكتوبة في الواح موسى عم **كان سيئه** يعني المنهي عنه فان المذكورات مامورات ومناهي
وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي
عنه خاصة وعلى هذا قوله **عند ربك مكروها** بدل من سيئة او صفة لها محمولة على
المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن
في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل
المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى **ذلك** اشارة الى الاحكام
المتقدمة **مما اوحى اليك ربك من الحكمة** التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به

ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا
قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب
عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيها ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى
في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين
خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم بافضل الاولاد
وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم
انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها
ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف
خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه
ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول
في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا
وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا
عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه آلهة كما يقولون ايها المشركون وقرأ
ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول صلعم ووافقهما نافع
وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلعم ان
يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي
العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى مالك الملك سبيلا
بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته
وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزيها
وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في
اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى
مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن
فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه من لوازم الامكان وتوابع الحدوث
بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن
لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي يفهم به تسبيحهم ويجوز

ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى
ما لا يتصور وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر
وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا
لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعدا ماتيا وقولهم سيل مفعم
او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم
ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس
والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا
على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان
يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ
والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى
واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز
ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك
وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من
الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى
مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان
تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي
الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا
الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في

اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدرا وحال
قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر
عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك
الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة
بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل
الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك
رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب
وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم
فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان
المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته
كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة
لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي
يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا تخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى
العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة
ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما
اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فان ذلك
يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم
وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم
ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامر الله بالعفو وربك اعلم بمن
في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد
لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه

ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك
قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلعم وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وتنكيره هنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول
كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل او لان المراد
وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلعم قل ادعوا الذين زعمتم
انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف
الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير
الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ان
عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من
قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا
بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا
ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش الا ان كذب
بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا
ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب
الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او
بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب
عقرها وما نرسل بالآيات اي الآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل
فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة
فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول
محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته

او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي
لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان
في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه
دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا
رآها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال
لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه
وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم
من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم
والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها
قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من
قدر ان يحمي وبر السمندر من ان ياكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد
المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعمها
وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او
بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل
والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة
في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا
متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن
خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع
الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي ءاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء
بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من
الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه
والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتني الى
يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا
اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض
اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من

قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب
قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك
منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون
الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصب
جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا
واستفزز واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك
بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك
باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلوة والسلم يا خيل الله اركبي
والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه
بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص
رجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه الرجل وقرئ ورجالك
ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على
ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته
عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة
وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتاخير التوبة
لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين
الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله
الا عبادك منهم المخلصين تخصيصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة
وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي
هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الريح وانواع الامتعة التي لا
تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من
اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل
من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه
الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر
اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في

المعاني فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض أفأمنتم
الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره أن يخسف
بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة يخسف وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم
لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل
يؤمن فيه من اسباب الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله أم أمنتم أن يعيدكم فيه
في البحر تارة أخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا
من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على
اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن
الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة
والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن
من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود
عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده
وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه
او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات
المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم
ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر
وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه
ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو
او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضمير وكل بدل منه

والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى
كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب
اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة
الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف
وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما
وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك
يقرءون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم
ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب
باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة
ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان
في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل
سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء
بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه
كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن
فكانت الفه في حكم المتوسطة في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف
لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما
حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في
امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل
ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم
وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل
في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي
المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك
في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره
غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا

لهم براءة من ولايتي ولولا أن ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم
وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن
اليه وهو صريح في انه عليه الصلوة والسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل
على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين
بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة
وعذابا ضعفا في الممات يعني مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف
الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب
عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض
ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل
الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام
مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة
فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا
باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن
لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
وحفص خلافك وهو لغة قال الشاعر عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب
بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن
الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها
الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليها ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم
الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلم اتاني جبرئيل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال
ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح

ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها
واللام للتأقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة
العشاء الآخرة وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا
واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة
فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي
غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه
او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس
ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة
صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل
به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك
الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما
يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام
الشفاعة لما روى ابو هريرة رضه انه عليه الصلوة والسلم قال هو المقام الذي اشفع
فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة
وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او
الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا واخرجني منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة
وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه
منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله
فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه
من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل
دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني
على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم

الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق
الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا
مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام دخل مكة يوم الفتح
وفيها ثلثمائة وستون صنما ينكت بمخصرة في عين واحد منها فيقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر
فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه
كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات
الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم
وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى
بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون
كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي
فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان
يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على
طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة
لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت
الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن
الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة
وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه
وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو
مبهم في التورية وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي
معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان
اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات

ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله
المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به
فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته
روي انه عليه الصلوة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل
نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة
تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية
ان يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة
الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه
كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن
جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف
والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا
الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه
بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه
في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب
البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان
جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به
ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط
في اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا
كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل
من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا
كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما الزمتهم

الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا او تكون لك بستان يشتمل على ذلك أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا يعنون قوله تع او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا كفيلا بما تدعيه او شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ في معارجها وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ وحده حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ وكان فيه تصديقك قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا كسائر الناس رَسُولًا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله تع حتى تخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قُلْ جوابا لشبهتهم لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ كما يمشي بنو آدم مُطْمَئِنِّينَ ساكنين فيها لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ليمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به

وكذلك بشرا والاول اوفق قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ على اني رسول اليكم باظهار المعجز على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية للرسول صلعم وتهديد للكفار وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يهدونه وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلعم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ سكن لهيبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم أَوَلَمْ يَرَوْا اولم يعلموا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ هو الموت او القيمة فَأَبَى الظَّالِمُونَ مع وضوح الحق إِلَّا كُفُورًا الا جحودا قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي خزاين رزقه وساير نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفايدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ لبخلتم مخافة النفاد اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يوثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تع وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ هي

العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق
البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلعم عنها فقال ان لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا
ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة
ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي
يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع
سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة
وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير فيه
سياق الكلام فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم
معك او سلهم من ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلعم فسال على لفظ
الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او
فسئل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات
ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تع لو اتى بما اقترحوا لاصروا
على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة
اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على
انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى
مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على
اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض
بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك
يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا
اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون
كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك
يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم
ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل

والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق
وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان
يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام
القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم
واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن
الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما
انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم
من تخليط الشيطان ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك
الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار
وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله
ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه
على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالضم
وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم
بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من
قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا
الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق
والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا
لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث
بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم
تعظيما لامر الله وشكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلعم على فترة من الرسل
وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا
انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب
فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن
حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد
واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما

سجدة

وقيناً بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلعم يقول
يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود
انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
فانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو
للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود
وهو اجوب لقوله اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعا في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى
الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف
اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم
وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر
بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا
تخافت بها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين
الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر
رضع كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضع كان يجهر ويقول اطرد
الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلعم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر
ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين
ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به
ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا
وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد لله للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات
المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك
عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد
في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه الصلوة
والسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه الصلوة والسلم
من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي
انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم
نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش
والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او
انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما
معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد
وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله
قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون
العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك
قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا
شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه
من لدنه صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام
ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا
بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا
بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد
او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من
اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر
والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لابائهم الذين تقولوا بمعنى
التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام
احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز تخرج من
افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات
هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ

بكرت بالسكون مع الاتمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على
آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو
يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتاسف عليهم اومتاسفا عليهم والاسف فرط
الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال
ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها
لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به
ايامه وصرفه على ما ينبغي وهو تسكين لرسول الله صلعم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد
ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت
بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا
عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر
على طبايع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها الي[ها]
ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم
اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همدا او لوح رصاصي او
حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون
كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة
وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت
اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم
فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة
فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا
وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا
فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال آخر كان في فضل واصابت الناس شدة
فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت

ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها
فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفته في
الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج
عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت
اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ابرح حتى امسيت فاتيت
اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان
اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته
لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية
الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى
الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من
العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير
بسببه راشدين مهتدين او اجعل لنا امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل
التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع
بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى
على امراته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف
السنين يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم
لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي
الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان
لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل
ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة
وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم
هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم
فتية آمنوا بربهم شبان جمع فتى كصبي وصبية وزدناهم هدى بالتثبيت
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة

على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار إذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا إذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا
شطط ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيانه اتخذوا
من دونه آلهة خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على
عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان
ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن أظلم ممن افترى
على الله كذبا بنسبة الشريك اليه وإذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما
يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم
الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون
ما مصدرية على تقدير واذا اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان يكون نافية
على انه اخبار من الله تع عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم
فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين
ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع
يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو
مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد إذا طلعت تزاور عن كهفهم
تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله
تزورها عنه واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاء وقرأ الكوفيون بحذفها وابن
عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات
اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وإذا غربت تقرضهم
تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة
منه اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم
كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش
واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس
اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغ

وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواه ولا يقع
عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شانهم وايواؤهم الى
كهف كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته
من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به الثناء عليهم
او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتامل
فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه
ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام
ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من
ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تع وتقلبهم على المصدر منصوبا
بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه
فانطقه الله فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم
وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية
حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب
وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو لوليت
منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال
ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم
وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية رضه انه غزا الروم فمر بالكهف
فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضه ليس لك ذلك
قد منع الله تع من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث
ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة
وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم
آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا
حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث
ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا

ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل
انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا
ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق
لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق
الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف
وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير
مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي
المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب
او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى
لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى
الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل
المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها
كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا
اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم ليزداد
بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله
بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت
ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب في امكانها فان من
توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها
اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها
عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون امرهم
بينهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان
ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت
فقال بعضهم ماتوا وقال اخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طايفة يبنى عليهم بنيانا
يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال
فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن

عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين
فيهم على عهد الرسول صلعم او من المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام
في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم
وكان على اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا
فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس
فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت
الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى
مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون اي
الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين
ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود
وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم
كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر
الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن
وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلعم لهم عن جبريل علم وايماء الله تع اليه بان
اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما
بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطايفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة
فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل فيه ثم رد الاولين
بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة
الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة
بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي هم سبعة وثامنهم كلبهم
اسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش
وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم
كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم

فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق
فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم
منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سوال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة
عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سوال متعنت تريد تفضيح المسوول عنه وتزييف ما عنده
فانه مخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
نهي تاديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب
الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه
الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا
تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا متلبسا
بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه
ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها
دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله لما روي انه لما نزل
قال عليه الصلوة والسلم ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك
ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه
وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم
يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول
السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح
والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه
اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان
ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا لاقرب
رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك
كقصص الانبياء المتباعد عنه اياهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة
في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي
ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا
على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم

اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة
وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع
الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد
اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب
السموات والارض له ما غاب فيها وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما
ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه
ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير
وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند
سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز
الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية
عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية
ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي
متولي امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرأ ابن عامر وقالون
عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما ذكر اشتمال القرآن
على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلعم
على انه وحي معجز امره ان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك
من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل
لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملجأ
تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة
وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه
رضى الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته
بعن لتضمنه معنى نبا وعلا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي
الرسول صلعم ان يزدري بفقراء المومنين وتعدو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة
زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا من الكاف في المفعول ومن المستكن في

الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية
بن خلف في دعايك الي طرد الفقرا عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه علي ان
الداعي له الي هذا الاستدعاء عقله قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات
حتي خفي عليه ان الشرف تحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاع كان مثله في
الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الي الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته
كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم يسمه بذكرنا كقلوب
الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا علي ان المراد ليس ظاهر ما ذكرنا ولا بقوله
واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الي القلب علي
معني حسبنا عليه غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة وكان امره فرطا اي تقدما
علي الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل
الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوي ويجوز ان يكون
الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي
بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان
بمشيته فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا هيئنا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي يكون
حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حايط من نار وان يستغيثوا من
العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو علي
طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته
وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل
وساءت النار مرتفقا متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد
وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولي هي
الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغني
عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغني عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع
موقعه الظاهر فان من احسن عملا كما هو مستغني عنه في قولك نعم الرجل

على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات
عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلي الاول استيناف لبيان
الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولي للابتداء والثانية
للبيان صفة لاساور وتنكيرها للتعظيم جنسها من الاحاطة به وهو جمع اسورة
او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها
طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين
للدلالة علي ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها علي الارائك
علي السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك
مرتفقا متكا واضرب لهم مثلا للكافر والمومن رجلين مقدرين او موجودين
هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومومن قيل اسمه يهودا ورثا
من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشتري الكافر بها ضياعا وعقارا
وصرفها المومن في وجوه الخير وآل امرهما الي ما حكاه الله تعالي وقيل الممثل بهما اخوان
من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومومن وهو ابو سلمة عبد الله زوج
ام سلمة قبل رسول الله صلعم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب
من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل
وجعلنا النخل محيطة بهما موزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به
وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به
وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل
العمارة علي الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها
وافراد الضمير لافراد كلتا ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا تعهد في ساير
البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا
ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان
له ثمر انواع من المال سوي الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو
يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما
واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به

فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها
علي انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحد
من جنتيه بالاخري او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه
ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد هذه اي تفني هذه الجنة ابدا لطول
امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن
رددت الي ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان
والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية
وانما اقسم علي ذلك لاعتقاده انه تع انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته
وهو معه اينما يلقاه. قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم
عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشاه
الشك في كمال قدرة الله تع ولذلك رتب الانكار علي خلقه اياه من التراب فان من قدر
علي بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة
او دونه فتلاقت النونان وكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف
في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجري الوقف وقد قرئ لكن انا علي
الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره
والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ ولكن
هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك
قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن
علي ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان علي انها شرطية والجواب محذوف والمراد
بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت
لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز علي نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير
امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلعم من رأي شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة
الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون
تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع علي انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترني وفي

قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسي ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في
الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها علي جنتك لكفرك حسبانا من
السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعني الحساب والمراد به
التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء
يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر
وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره
واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه
اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتي عليه اذا اهلكه من اتي عليهم العدو اذا جاءهم
مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا علي ما انفق فيها في
عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم
او حال اي متحسرا علي ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة علي عروشها بان سقطت عروشها
علي الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف علي يقلب او حال من ضميره يا
ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه من قبل شركه فتمني لو لم يكن
مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما علي ما سبق منه ولم
تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون علي نصره
بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر علي ذلك
وحده وما كان منتصرا ممتنعا عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك
الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم يكن له فئة
ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين علي الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن
ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر
ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا
يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها
علي ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه. وقيل هنالك
اشارة الي الآخرة وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب
علي المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبي وكلها بمعني العاقبة

واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما تشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها
وصفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه
بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان
حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه
عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه
وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة
وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم
يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات
الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به
من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا
لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يامل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر
يوم نقلعها ونسيرها في الجو ونذهب بها بان نجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك
اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير
بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت
من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم
الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل
التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم
نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء
والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند
المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد
احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم
اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم

الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور
وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال
في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين
مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم
التي هلكوها من بين المهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة
هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا
في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم
لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع مقدمة
للامور المقصود بيانها في تلك الحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم
قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب
الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها
عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان
بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن
حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن
ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان
الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه
في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب
وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني وتستبدلونهم
بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته
خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في
ذلك كما صرح به قوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا رد لاتخاذهم
اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية
والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا
للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم

لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا يلتفت الى قولهم طمعا في نصرة
للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت
على خطاب الرسول صلعم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف
وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله
للكافر وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم
ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه
وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم
وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار
او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان
او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم
في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه
ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون
اليه وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه
على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول
الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا
ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين
وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب
عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى
انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا
وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا
به ليزيلوا بالجدل الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها
وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا

آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم او الذي انذروا به من العقاب هزوا
استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه
بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر
والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى
وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن
يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت
جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه
على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو
يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم
في عداوة رسول الله صلعم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه
موئلا منجا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد
وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى
صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش
بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما
لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب
عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على
ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع
بن نون بن افرايم بن يوسف عليهم الصلوة والسلم فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك
سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر عليه وقوله
حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله
لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير
والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما
يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلوة والسلام

فان موسي كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ بجمع البحر بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع **اَوْ اَمْضِيَ حُقُبًا** او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى علم خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحي الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا** اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل **نَسِيَا حُوتَهُمَا** نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راي من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى والخضر وقيل توضا يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب **فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا** فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ **فَلَمَّا جَاوَزَا** مجمع البحرين **قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا** ما نتغذى به **لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا** قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة **قَالَ اَرَاَيْتَ**

اِذْ اَوَيْنَا ارايت ما دهاني اذ اوينا **اِلَى الصَّخْرَةِ** يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت **فَاِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ** فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه **وَمَا اَنْسَانِيهُ اِلَّا الشَّيْطَانُ اَنْ اَذْكُرَهُ** اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكر له وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان **وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا** سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا **قَالَ ذَلِكَ** اي امر الحوت **مَا كُنَّا نَبْغِ** نطلب لانه امارة المطلوب **فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا** فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه **قَصَصًا** يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة **فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا** والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا** هي الوحي والنبوة **وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ اَتَّبِعُكَ عَلَى اَنْ تُعَلِّمَنِ** على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف **مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العايد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم عليه **قَالَ اِنَّكَ**

لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها
مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط
بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله
صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير
عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر
فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل
على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء
فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا
حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على
الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا
فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان
خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق اهلها بالتشديد
للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت
شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته يعني
وصيته بان لا يعترض عليه او بشيء نسيته يعني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في
معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي
لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد
شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة
والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق
فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي
بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل
ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من
غير تروّ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي

طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول
ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفر ولعله اختار
الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي
قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا
وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا
وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه
ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا
نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين
قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على
رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك عن
شيء بعدها فلا تصاحبني اي وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا
تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث
مرات وعن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه
لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون
الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان
الدال واسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية انطاكية
وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما
وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله
واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها
الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا
يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته
ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان
ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته

الجزء السادس عشر

او بعود عمده بقتل مسخه بدن تمام وقتل نقضه بنيانه قال لو شئت لاتخذت عليه
اجرا تحريضا على اخذ الجعل ليتعيشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه
لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل
من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت
اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال
هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى
الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته
واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على
الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع
الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في
البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل
سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى
وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم
ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل منوار بن جلندي
الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت
ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب
وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة
الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم
وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا
ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا ويقرن بايمانهما
طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا
باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي
صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى
فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز

ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله
ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا
على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم
وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه
على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته
كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب
العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت
لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه
في ذلك كان لصلاحه وكان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان
سياحا اسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد
فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك
ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه
لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل
له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف
حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري
عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل
اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل
ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة
ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم
على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه

حتى يحقق امره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي
ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني
الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له
قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال
الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه
والسائلون هم اليهود سالوه امتحانا او مشركوا مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا
خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي
مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده
وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي
فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف
مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات
حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر
حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على
ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك
اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب
وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب
الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ووجد
عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه
البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم
حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في
مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار
على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل
ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا نكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما

يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او المصدر لفعله
المقدر حالا اي يجزي بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف
لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما
واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن
اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره
فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا متيسرا غير
شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق
حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض
وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها
تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك
الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه
في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل
ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من
الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد
ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا
ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين
السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان
في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع
وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل
المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه
الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد
من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي
لا يفقهون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم

وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد
يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم ومنع
الصرف للتعريف والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب
واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة
والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة
والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه
من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا
من المال والملك خير مما تبذلون من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرا ابن كثير مكنني على
الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم
وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع
فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني
بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في
امرتك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا
ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر
والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وكلها لغات من الصدف
وهو الميل لان كلا منهما منعدل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال
للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله نارا جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء
قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين
المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا
من الالتباس وقرا حمزة وابو بكر قال ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء
حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين ساكنين على غير حده وقرئ

بقلب التاء صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا
له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ
حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار
جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس
مذاب في تجاويفها قال هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده
فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف
يوم القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه
جمل ادك لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد
ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في
بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض ويضطربون ويختلطون انسهم
وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت
اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم
وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان
الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين
كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح
من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر
للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة
وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل
في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على
ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب
على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخراهم وبطل الرفع

على الخبر المحذوف فانه جواب لسؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم
بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او
لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها
ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ
والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم
خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسبب
ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما
سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع
الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب
منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا
ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات
علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات
ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة
ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام
لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان
ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده
الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي
الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان
يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك
بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول
الله صلعم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلوة والسلم ان الله لا
يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلوة والسلم اتقوا الشرك الاصغر

قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص
في الطاعة وعن النبي صلعم من قرأها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلألأ
الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان
له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى
يستيقظ وعنه عليه الصلوة والسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه
الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة مريم مكية الا آية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي ياآت وابن عامر وحمزة الياء
والكسائي وابو بكر كليهما ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن فانه
مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي
فيما يتلى عليكم ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكّر على الامر عبده زكريا
مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد اذ
نادى ربه بدل منه او عطف بيان نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان
والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا
يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه
حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون وقيل تسع
وتسعون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص
العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه
اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات
الثلث واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار
وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال
الى الرأس الذي هو محل الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام
عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن

بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة
وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه عوده بالاجابة
واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه
وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم
من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى
الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر ورائي وقرئ
خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجلوا من اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي
فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من
لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لا نصلح للولادة
وليا من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي
على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال
وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق
عليهما السلم وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان
علم وقرئ يرثني وارث من آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث
بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في
علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه
قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه
وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد يحيى قبله
وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله
هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا
فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته
قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين
فكسروا التاء وانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وانما استعجب
الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترفوا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند

التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر
كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم
يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علي هين اي الامر كما قلت
او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما
اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من
قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء
قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك ألا تكلم
الناس ثلاث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي
هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد
للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من
الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان
سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مامورا بان
يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة
يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق
وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه
واستنبأه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او تعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما
عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه
او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي
وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه
من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من
عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة واذكر في الكتاب
في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان
الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر
الواقع فيها وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك
اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا في بيت

المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول
لان انتبذت متضمن معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض
محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود
اليه اذا طهرت فبينما هي في مغتسلها اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد
سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها
قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل
بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ
بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني
اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به
لاهب لك غلاما زكيا اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون
حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا
من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت
انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات
انما يطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف
قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه وادغمت ثم كسرت الغين
اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة
او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل
ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لنهب على طريقة الالتفات
آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون
بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح
او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها
فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل
ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة
سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في

بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاها وهو
في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ المخاض
بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة
لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم
غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعل الله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن
روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت
قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرئ مت من مات يموت وكنت
نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حفص وحمزة
بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء
ينساه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع
فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل
من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان
في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان
لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو
وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة اميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او
افعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك
تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء
وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط
فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة
لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله لها رأسا وخوصا ورطبا
وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور
لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة
في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب

والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال **وَكُلِي وَاشْرَبِي** اي من الرطب وماء السري او
من الرطب وعصيره **وَقَرِّي عَيْنًا** وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ
وقِرّي بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس
سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن
حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ**
أَحَدًا فان ترى آدميا وقرئ ترئِنّ على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة
وحرف اللين **فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا** صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا
لا يتكلمون في صيامهم **فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا** بعد ان اخبرتكم بنذري وانا اكلم
الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة
والاكتفاء بكلام عيسى فانه كاف في قطع الطاعن **فَأَتَتْ بِهِ** مع ولدها **قَوْمَهَا**
راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس **تَحْمِلُهُ** حاملة اياه **قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ**
شَيْئًا فَرِيًّا بديعا منكرا من فري الجلد **يَا أُخْتَ هَارُونَ** يعنون هرون النبي وكانت
من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة
وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من
صلاحها او شتموها به **مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** تقرير لان ما جاءت
به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** الى عيسى
اي كلموه يجبكم **قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** ولم نعهد صبيا في المهد
كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة
كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ** انطقه الله به اولا لانه اول
المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته **آتَانِيَ الْكِتَابَ** الانجيل **وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ نفاعا معلما للخير حيث كنت والتعبير بلفظ الماضي
اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله
واستنبأه طفلا **وَأَوْصَانِي** وامرني **بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ** زكوة المال ان ملكته او
تطهير النفس عن الرذائل **مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي** وبارا بها عطف على مباركا
وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني

برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة **وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا** عند الله من
فرط تكبره **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** كما هو على يحيى
والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام
على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان
العذاب على من كذب وتولى **ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** اي الذي تقدم نعته هو عيسى بن
مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني
حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم **قَوْلَ الْحَقِّ** خبر محذوف اي هو قول
الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل
صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول
بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول **الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ** في امره
يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء
على الخطاب **مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ** تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما
بهتوه **إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده
بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر
فيكون بالنصب على الجواب **وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** سبق
تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان وقيل انه
معطوف على الصلوة **فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ** اليهود والنصارى او فرق النصارى
نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء
وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ** من شهود يوم
عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من
شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وآرابهم
بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه
أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم **يَوْمَ يَأْتُونَنَا** اي يوم القيمة
جدير بان يتعجب منها بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون
يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور

علي الاول في موضع الرفع وعلي الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين اوقع الظالمين موضع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع
والنظر حين ينفعهم وسجل علي اغفالهم بانه ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يحسر
الناس المسيء علي اساءته والمحسن علي قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر
الفريقان الي الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير
مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقي لاحد
غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفي الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث
لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما
للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا استنباه
الله اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت
التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف
ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويري خضوعك ولا
يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الي الهدي وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج
وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الي عبادة
ما يستخف به العقل الصريح ويابي الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم
ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت
المعاقب المثيب ونبه علي ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان
حيا مميزا سميعا بصيرا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة
والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا
يسمع ولا يبصر ثم دعاه الي ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا
من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم
ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن
النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت

لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص علي ربك
المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي
عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته
وما يجر اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب
كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء
العاقبة ولعل اقتصاره علي عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية
او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لادم وذريته منبه عليها قال اراغب انت
عن الهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد
فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر علي المبتدا وصدره بالهمزة
لانكار نفس الرغبة علي ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال
لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة
حتي تموت او تبعد مني واهجرني عطف علي ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني
مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة
للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي
لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب
مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم
وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعوا ربي واعبده وحده عسي الا اكون
بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء الهتكم وفي تصدير الكلام بعسي
للتواضع وهضم النفس والتنبيه علي ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك
الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الي الشام وهبنا
له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتي اولا حران وتزوج
بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه
اراد ان يذكر اسمعيل بفضله علي انفراده وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا
لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس

ويثنون عليهم استجابة لدعوة واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد
به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون
عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في
الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء واسلم وجهه لله
واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله
الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب
الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون
من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه
الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو
الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من
اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي
وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هرون عطف بيان له
نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه
المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر
على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان
الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان
يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو
اقرب الناس اليه بالتكميل قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة
قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا
لاستقامة احواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس هو سبط شيث وجد ابي نوح
واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه
في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين
صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا
ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء
السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس

الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية
آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء
واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي من ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس
فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل عطف
على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه
دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا
للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت
الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم
من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا
القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى
بالياء لان التأنيث غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب
سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها
عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك
في المعاصي وعن علي رضه واتبعوا الشهوات من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور
فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي
لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ
منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في الكفرة فاولئك
يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل
ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر
وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من
الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف
ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم
او هم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة مأتيا
يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون

فيها لغوا فضول الكلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة
او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى
ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو
من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة
المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة
التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث
مال مورثه والوراثة اقوى لفظ مستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها
لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة
المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورّث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلعم لما سئل
عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه
فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزلت
ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما
يطلق نزّل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته
وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين اي لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل
في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك اي ما كان
عدم النزول الا لعدم الامر ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة
وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى
وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة
فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي ما كان
ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض
وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول صلعم
مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته

واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات
للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم
له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم
يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس
والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد
من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان
المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ
عظاما بالية ففتتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعدما نموت ءاذا ما مت لسوف اخرج
حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر
كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام
لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتاكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة
واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال اولا يذكر الانسان
عطف على يقول ووسط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمها
للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه
لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه
اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر
على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان
الرسول والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم
من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا
بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين
فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله
منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا
من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم

من هول المطلع اولانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان
المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثا من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة
بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرا حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر
الجيم **ثم لننزعن من كل شيعة** من كل امة شاعت دينا **ايهم اشد على الرحمن عتيا**
من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا
من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم
ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به وايهم مبني على الضم
عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم
الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن
ولذلك قرئ منصوبا او مرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد
والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او
معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على
كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما شيعة لانها بمعنى
تسع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله **ثم لنحن اعلم بالذين هم
اولى بها صليا** اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم
المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف
لضلالهم واضلالهم **وان منكم** وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ
وان منهم **الا واردها** الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار
بغيرهم وعن جابر انه عليه الصلوة والسلم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة
قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة
واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط
فانه ممدود عليها **كان على ربك حتما مقضيا** كان ورودهم واجبا اوجبه الله تعالى
على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن تخلفه وقيل اقسم عليه **ثم ننجي الذين اتقوا**
فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ بفتح الثاء اي

هناك **ونذر الظالمين فيها جثيا** منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود
الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها
منهارا بهم على هيئاتهم **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات** مرتلات الالفاظ مبينات المعاني
بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز **قال الذين كفروا للذين آمنوا** لاجلهم
ومعهم **اي الفريقين** المؤمنين والكافرين **خير مقاما** موضع قيام او مكانا وقرا ابن
كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل **واحسن نديا** مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا
الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من
حظوظ الدنيا والاستدلال على ان زيادة حظهم فيها يدل على فضلهم وحسن حالهم عند الله
لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد
نقضا بقوله **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا** وكم مفعول اهلكنا
ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه متقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم
والاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي
المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة
ياء وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة
وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس
باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله **قل من كان في
الضلالة فليمدد له الرحمن مدا** فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على
لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر **حتى اذا راوا ما يوعدون**
غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون
اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين
عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال
فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد
ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى **واضعف
جندا** اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه

القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف
على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا
ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمنين منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل
اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان
في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات
التي تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم
المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب
الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم
الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده أفرأيت الذي كفر بآياتنا
وقال لأوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه
فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا
بعثت جئني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل
ارأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث
اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب
أطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به
الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه أم اتخذ عند
الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به
الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله
بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب
ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة
اي تبين اني لم يلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها
عليه فان نفس الكتبة لا يتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه
ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط

غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه
مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول
منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون
لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم
ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر
الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز ويكونون عليهم
ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو
للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به
مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم
وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي
اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الرأي كلا او كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده
اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات
وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي
وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم
بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم
انما نعد لهم ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته
ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد
نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما تفد
الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم
الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد
الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع

للعصاة من الايمان والعمل الصالح علي ما وعد الله او الا من اذن له الرحمن من قولهم
عهد الامير الي فلان بكذا اذا امر به ومحله الرفع علي البدل من الضمير والنصب
علي تقدير مضاف اي الاشفاعة من اتخذ او علي الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين
والمعني لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع
له بالاسلام وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان
مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا علي الالتفات
للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة علي الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر
والادة الشدة وادني الامر واكدني اثقلني وعظم علي تَكَادُ السَّمَاوَاتُ قرأ نافع
والكسائي يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ يتشققن مرة بعد اخري وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة
وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع
فعل ولان اصل التفعل للتكلف وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا تهد هدا
او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة
وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من
شدتها او لان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه
غضبا علي من تفوه بها أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا يحتمل النصب علي العلة لتكاد او لهدا
علي حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه
والرفع علي انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها
دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعني سمي المتعدي الي مفعولين وانما اقتصر علي المفعول
الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعني نسب الذي مطاوعه ادعي الي فلان
اذا انتسب اليه وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له
لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه
نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف
يمكن ان يتخذ ولدا ثم صرح به في قوله إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي
الرَّحْمَنِ عَبْدًا الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن علي
الاصل لَقَدْ أَحْصَاهُمْ حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته

وَعَدَّهُمْ عَدًّا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وَكُلُّهُمْ آتِيهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا
ولا يناسبه ليشرك به إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا سيحدث
لهم في القلوب مودة من غير تعرض لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب
الله العبد يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل
السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض
والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا
الاسلام او لان الموعود في القيمة حين يعرض حسناتهم علي رؤس الاشهاد فينزع
ما في صدورهم من الغل فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ بان انزلناه بلغتك والباء بمعني علي
او علي اصله لتضمن يسرنا معني انزلنا اي انزلناه بلغتك لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ الصائرين
الي التقوي وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا اشداء علي الخصومة اخذين في كل لديد اي شق
من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ تخويف للكفرة وتجسير
للرسول علي انذارهم هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ هل تشعر باحد منهم وتراه أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا
وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه
ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق
به ويحيي وعيسي ومريم وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعي لله في الدنيا ومن لم يدع

سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلثون اية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طه
فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب علي الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو
لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل علي لغة
عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد
بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف
لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه علي انه امر للرسول بان يطأ

نعم

الارض بتقديمه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا فقلب
همزته هاء او قلبت في يطاء الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه
هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاء هاء والالف مبدلة من الهمزة
والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى
بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ
على انه مأول بالسورة او القرآن والقرآن واقع فيه موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما
به ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كان جملة فعلية او اسمية باضمار
مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط
تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام
على ساق والشقاء شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من رايض المهر وسيد القوم اشقاهم
ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم
لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به
الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا
من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى
الى علتين وقيل هي مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن او المفعول له على
ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اي ما انزلنا عليك القرآن المنزل
لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتاثر بالانذار او لمن علم الله
منه انه يخشى بالتخويف فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح
او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشيء لا
يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله
له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على
الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم
وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا
تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد
العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير

حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت
القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه بجليات الامور
وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر
بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه
تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر
ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك
انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله
الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق الارض صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال
من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير
الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه
واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا
حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون
على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون
خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن
وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني
وافضلها وهل اتاك حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء
النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل
اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليهما السلام
في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة
شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من
جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني آنست نارا ابصرتها ابصارا
لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار
وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين
فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولها مترقبا بنى الامر فيها على

الرخا بخلاف الايناس فانه كان محققا لذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعني الاستعلا
في علي النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه
في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتيها اي النار وجد نارا بيضا تتقد
في شجرة خضرا نودي يا موسي اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون
باضمار القول او اجرا النداء مجرا وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال
من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت
انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الي انه علم تلقي من
ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الي الحس المشترك فانتقش به
من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب
ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ
وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة
والمقدس يحتمل المعنيين طوي عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل
المكان وقيل هو كثني من الطي مصدر لنودي او المقدس او نودي ندائين او قدس
مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحي
للذي يوحي اليك او للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله
الا انا فاعبدني بدل مما يوحي دال علي انه مقصور علي تقرير التوحيد الذي هو منتهي العلم
والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر
للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل
لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا
تراي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر
صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى
يقول واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء
وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف
وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة
بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزي كل نفس بما تسعي متعلق باتية او باخفيها علي المعني

الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد
موسي عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها علي ان فطرته السليمة
لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر
انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه الي اللذات المحسوسة المخدجة فقصر
نظره عن غيرها فتردي فتهلك بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا
لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معني الاشارة وقيل صلة تلك يا موسي تكرير
لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقري عصي علي لغة هذيل اتوكا
عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت علي راس القطيع واهش بها علي غنمي واخبط
الورق بها علي رؤس غنمي وقري اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته
وقري بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مارب اخري
حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها علي عاتقه فعلق بها اداوته وعرض الزندين
علي شعبتيها فالقي عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت
السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها او ما
يري من منافعها حتي اذا راها بعد ذلك علي خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخري
خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع ويصيران دلوا عند الاستقا
ويطول بطول البير وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الما بركزها وينضب بنزعها وتورق
وتثمر اذا اشتهي ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها
لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا علي معني انها من
جنس العصا ينتفع بها منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسي
فالقاها فاذا هي حية تسعي قيل لما القاها انقلبت حية صفرا بغلظ العصا ثم
تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الي المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهي
وحية اخري بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة
الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانه لما راها حية تسرع وتبتلع
الحجر والشجر خاف وهرب سنعيدها سيرتها الاولي هيئتها وحالتها المتقدمة
وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها علي نزع الخافض او علي ان

اعادمنقول لمن عاد اليه او علي الظرف اي سنعيدها في طريقتها او علي تقدير فعلها
اي سنعيد العصا بعد ذهابها سيرتها الاولي فينتفع بها ما كنت تنتفع قيل لما انا
لد رته ذلك اطمانت نفسه حتي ادخل يده في فمها واخذ بلحيها **واضمم يدك الي جناحك**
الي جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي
الطاير سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران **تخرج بيضاء** كانها مشعة **من غير سوء**
من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر
عنه **آية اخري** معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار
خذ او دونك **لنريك من آياتنا الكبري** متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه آية او القصة
اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبري صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا
حال منها **اذهب الي فرعون** بهاتين الآيتين وادعوا الي العبادة **انه طغي** عصي وتكبر
قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان
يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر علي مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل
الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفايدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه
بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة **واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي** فانما
يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان
فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي
لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل
تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ
ثم لما دعاه قال الي اي رب تدعوني قال الي الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه
واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك يا موسي ومن لم يقل
احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال
حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب
الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل **واجعل لي
وزيرا من اهلي هرون اخي** يعينني علي ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر
لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برايه ويلجئ اليه في

اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعني القوة فعيل بمعني فاعل كالعشير
والجليس فكتب همزتها واوا لقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم
ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال اولي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا ومن
اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي علي الوجوه بدل من هرون او مبتدأ
خبره **اشدد به ازري واشركه في امري** علي لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر علي
انهما جواب الامر **كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا** فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي
الي تكاثر الخير وتزايده **انك كنت بنا بصيرا** عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا
وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به **قال قد اوتيت سؤلك يا موسي** اي مسؤلك
فعل بمعني مفعول كالخبز والاكل بمعني المخبوز والماكول **ولقد مننا عليك مرة اخري**
انعمنا عليك في وقت آخر **اذ اوحينا الي امك** بالهام او في منام او علي لسان نبي في
وقتها او ملك لا علي وجه النبوة كما اوحي الي مريم **ما يوحي** ما لا يعلم الا بالوحي او
مما ينبغي ان يوحي ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به **ان اقذفيه في التابوت**
بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعني القول **فاقذفيه في اليم** والقذف يقال
للالقاء وللوضع كقوله وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله
بالحسن يافعا **فليلقه اليم بالساحل** لما كان القاء البحر اياه الي الساحل امرا واجب
الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب
مخرج الامر والاولي ان يجعل الضماير كلها لموسي مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقي
الي الساحل وان كان التابوت بالذات فموسي بالعرض **ياخذه عدو لي وعدو له** جواب
فليلقه وتكرير عدو للمبالغة ولان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع
قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان
يشرع منه الي بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الي بركة في البستان وكان
فرعون جالسا علي راسها مع امراته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا
صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال **والقيت عليك محبة مني**
اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك
احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب

وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطيه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن
لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره **ولتصنع علي عيني** ولتربي ويحسن اليك
وانا راعيك وراقبك والعطف علي علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او علي الجملة السابقة
باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقري ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم علي
انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك علي عين مني لئلا يخالف
به عن امري **اذ تمشي اختك** ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا علي ان
المراد بها وقت متسع **فتقول هل ادلكم علي من يكفله** وذلك انه كان لا يقبل ثدي
المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل
ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها **فرجعناك الي امك** وفاء
بقولنا انا رادوه اليك **كي تقر عينها** بلقائك **ولا تحزن** هي بفراقك او انت علي فراقها
وفقد اشفاقها **وقتلت نفسا** نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي
فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن
منه بالهجرة الي مدين **وفتناك فتونا** وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء علي انه
جمع فتن او فتنة علي ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك
مرة بعد اخري وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف
والمشي راجلا علي حذر وفقد الزاد واجر نفسه الي غير ذلك اوله ولما سبق ذكره
فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفي الاجلين
ومدين علي ثماني مراحل من مصر **ثم جئت علي قدر** قدرته لان اكلمك واستنبئك
غير مستقدم وقته المعين ولا مستاخر او علي مقدار من السنين يوحي فيه الي الانبياء
يا موسي كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه علي ذلك **واصطنعتك لنفسي**
واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه
اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي **ولا تنيا** ولا تفترا ولا تقصرا وقري لا
تنيا بكسر التاء **في ذكري** لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء
الي **اذهبا الي فرعون انه طغي** امر به اولا موسي وحده وههنا اياه واخاه تكرير
قيل اوحي الي هرون ان يتلقي موسي وقيل سمع بمقبله فاستقبله **فقولا له قولا لينا**

مثل هل لك الي ان تزكي واهديك الي ربك فتخشي فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان
يحمله الحماقة علي ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له
ثلث كني ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول
الا بالموت **لعله يتذكر او يخشي** متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر علي رجائكما
وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في
ارسالكما والمبالغة عليهما في الاجتهاد بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار
ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم
الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشي **قالا ربنا اننا
نخاف ان يفرط علينا** ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الي تمام الدعوة واظهار
المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقري يفرط من
افرطته اذا حملته علي العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف علي الملك
او شيطان انسي او جني علي المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية **او
ان يطغي** ان يزداد طغيانا فيتخطي الي ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراته وقساوته
واطلاقه من حسن الادب **قال لا تخافا انني معكما** بالحفظ والنصرة **اسمع واري**
ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب
نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء علي معني انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ
ان كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ **فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل
معنا بني اسرائيل** اطلقهم **ولا تعذبهم** بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان
فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون
عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل علي ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم
الي الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة **قد جئناك باية من ربك** جملة مقررة
لما تضمنه الكلام السابق من دعوي الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان
المراد اثبات الدعوي ببرهانها لا الاشارة الي وحدة الحجة وتعددها ولذلك قوله
قد جئتكم ببينة فأت باية او لو جئتك بشيء مبين **والسلام علي من اتبع الهدي**
سلام الملائكة وخزنة الجنة علي المهتدين او السلامة في الدارين لهم **انا قد اوحي الينا**

ان العذاب علي من كذب وتولي ان عذاب المنزلين علي المكذبين للرسل ولعل تغير
النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالوقايع
اليق قال فمن ربكما يا موسي اي بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة
الحال فان المطيع اذا امر بشي فعله لامحالة وانما خاطب الاثنين وخص موسي بالندا
لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان
يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي
اعطي كل شي من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطي
خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به وتقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه
وقيل اعطي كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقري خلقه صفة للمضاف
اليه او المضاف علي شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطي كل مخلوق
ما يصلحه ثم هدي ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الي بقايه وكماله
اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات
باسرها علي مراتبها ودلالته علي ان الغني القادر بالذات المنعم علي الاطلاق هو
الله تعالي فان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك
بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون
الاولي فما حالهم بعد الموت من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي
اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب
مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم
وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسي والضلال ان تخطي الشي في مكانه
فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان علي
العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا علي احاطة قدرة الله بالاشيا كلها
وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل
الاشيا وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم
كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معني الجواب ان علمه تعالي محيط بذلك
كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسي الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة

لربي او خبر لمحذوف او منصوب علي المدح وقرا الكوفيون مهدا اي كالمهد تمهدونها وهو
مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها
سبلا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الي
ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السما ما مطرا فاخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة
الي صيغة التكلم علي الحكاية لكلام الله تعالي تنبيها علي ظهور ما فيه من الدلالة علي
كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشيا المختلفة لمشيته وعلي هذا نظايره
كقوله الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السما ما فانبتنا به حدايق ازواجا اصنافا سميت بذلك
لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك
شتي ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه
الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضي اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع
يصلح بعضها للناس وبعضها للبهايم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال
من ضمير فاخرجنا علي ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قايلين كلوا وارعوا
والمعني معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين ان في ذلك لآيات لاولي النهي
لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبايح جمع نهية منها
خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبايكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم
بالموت وتفكيك الاجزا ومنها نخرجكم تارة اخري بتاليف اجزايكم المفتتة المختلطة
بالتراب علي الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها
او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد علي ان المراد بآياتنا آيات
معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسي او انه عم اراه آياته وعدد عليه ما اوتي
غيره من المعجزات فكذب موسي من فرط عناده وابي الايمان والطاعة لعتوه
قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسي هذا تعلل وتحير
ودليل علي انه علم كونه محقا حتي خاف منه علي ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج
ملكا مثله من ارضه فلناتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا
وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلايم الزمان والمكان وانتصاب

مكاناً سوى بفعل دل عليه المصدر لانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان
مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث
المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او
باضمار مثل مكان موعدكم نادي يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة
وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي
مسافته الينا واليكم وهو في النعت كقولهم قوم عدي في الشذوذ وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم
عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد
ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على
بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون
على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة والآتهم
ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا
فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم به وقرا حمزة والكسائي وحفص ويعقوب
بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى
كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم
بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا
من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا
فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا
ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان
يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف
للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران
خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدا
وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق
به الحذف وقرا ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها
هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم

من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو
افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا
اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا
بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا
كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا
ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا
صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم
حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب
من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي
بعدما اتوا مراعاة للادب وان ما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف
اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة
ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول
في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم
ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق
انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون
المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت تخييل
سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس
اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرا ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير
الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله
وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته
على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا
تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف
وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة
وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال

بكثرة حبالهم وعصيهم والقِ العصا التي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه
الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه
بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث
والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستيناف
وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا
وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة
والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى
السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال
ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى
النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كأنه قيل ان ما صنعوا كيد سحري
حيث اتى حيث كان واين اقبل فألقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقفت فتحقق
عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم
سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم
هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او
قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم
الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل
ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي
علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو
وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن
ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن
المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له
واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب
في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن
نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون ضميره لما من البينات

المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت
قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه
في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه
الحيوة كقولك صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما
اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه
تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه
والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يأت ربه مجرما بان يموت
على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهنأة ومن
يأته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل
الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال
والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس
الكفر والمعاصي والآيات الثلاث يحتمل ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء
كلام الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم
طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله
في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما
ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما
مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة
كقوله كأن قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه جعل
لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو
او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى
استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون
بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده
وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم
فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم
ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى واتبعهم جنوده ذادهم

ثلثة اسباع

خلفهم **فغشيهم من اليم ما غشيهم** الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشيهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك **واضل فرعون قومه وما هدى** اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجى **يا بني اسرائيل** خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي صلعم بما فعل بآبائهم **قد انجيناكم من عدوكم** فرعون وقومه **وواعدناكم جانب الطور الايمن** لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة **ونزلنا عليكم المن والسلوى** يعني في التيه **كلوا من طيبات ما رزقناكم** لذائذه او حلاله وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم وما رزقتكم على التاء وقرئ وعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب **ولا تطغوا فيه** فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق **فيحل عليكم غضبي** فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى** فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل **واني لغفار لمن تاب** عن الشرك **وآمن** بما يجب الايمان به **وعمل صالحا ثم اهتدى** ثم استقام على الهدى المذكور **وما اعجلك عن قومك يا موسى** سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم **قال هم اولاء على اثري** ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم الرفقة بعضهم بعضا **وعجلت اليك رب لترضى** فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك **قال فانا قد فتنا قومك من بعدك** ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا **واضلهم السامري** باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على

الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا **فرجع موسى الى قومه** بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية **غضبان** عليهم **اسفا** حزينا بما فعلوا **قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا** بان يعطيكم التورية فيها نور وهدى **افطال عليكم العهد** اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم **ام اردتم ان يحل عليكم** يجب عليكم **غضب من ربكم** بعبادة ما هو مثل في الغباوة **فاخلفتم موعدي** وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له **قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا** بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثتها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء **ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم** احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي **فقذفناها** اي في النار **فكذلك القى السامري** اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف **فاخرج لهم عجلا جسدا** من تلك الحلي المذابة **له خوار** صوت العجل **فقالوا** يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه **هذا الهكم واله موسى فنسي** اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من

اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا
يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد كان لهم هارون
من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع
من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن
لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل
وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول
قال يا هرون اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل
الا تتبعني ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع كفر به او ان تاتي عقبي وتلحقني
ولا مزيدة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة
عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور
على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه
من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك
حين راهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت
او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان
الاصلاح كان في حفظ الدماء والمداراة بهم الى ان يرجع فتدارك الامر برايك
قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اي ما طلبك له او
ما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به
وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت بما لم يعلموه وفطنت لما لم يفطنوا
له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه
وهو ان جبرئيل جاءك على فرس الحيوة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته
خوفا من فرعون وكان جبرئيل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر
الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض واطلق على المقبوض كضرب
الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع
ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرئيل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرئيل او

اراد

اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي
المذاب او في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال
فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من
ان يمسك احد فياخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا
وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة
لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير
والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الوعد ايا وسيأتيه لا محالة فحذف المفعول الاول
لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ
بالنون على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته
مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه
اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده
قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم
نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين
به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد
يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم
لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ
وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه
فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك
مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد
سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا
لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا
كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير
فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن
الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم
القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على

المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل ويثقل ظهره او لانه اعظمها خالدين
فيه اوفي الوزر وفي حمله والجمع فيه والتوحيد في اعض للحمل على المعنى واللفظ
وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء
بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى
يوم ينفخ في الصور وقرا ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له او للنافخ
وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وانما لم يجر ذكره لانه المشهور
بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ
وقرئ يحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء الوان
العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا
في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى
تزراق يتخافتون بينهم يخفتون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون
مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا
الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو
مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح
لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسئلونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل
عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح
فتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها
كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها
على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالمقياس
الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار
المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني والامت وهو النتو اليسير
وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى

وقت النفخ ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يومئذ يتبعون الداعي داعي الله الى
المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل
اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف
الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من
اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول
مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن والاذن
ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في
شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم
وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل
الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه
وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد
الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام
بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان
ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن
اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق
بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم
حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال
او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة
وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير
التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها
ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في ذاته
وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك
النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه

لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه
نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد
ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه
وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك
تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه
وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله
وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في
النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك
ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم راي وثبات على الامر اذ
لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدو امره قبل
ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني
آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ
ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان
من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم
يكن من اولي العزمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستأنفة
لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود
المدلول عليه بقوله اسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا
بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه
بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاها من حيث انه قيم عليها
ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة
الرجال ويؤيده قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى
فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع
والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى

ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف
وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لا من حيث انه
حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه الشيطان
فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها
خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك لا يبلى
لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى
آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل
الشجرة او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من
غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر
زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل
على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس
فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى
الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا
الخطاب لآدم وحواء او له ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال
بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او
لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم
مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة
ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى
كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره يكون الى اغراض الدنيا متهالكا على
ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق
بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم
في النار وقيل عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا

على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد
الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد اما لهما حمزة والكسائي
لان الالف من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير
قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها
فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك اي ومثل تركك اياها اليوم تنسى
تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض
عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر
على العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش
او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من
ترك الآيات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا
قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين
معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون
آثار اهلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل
والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة
الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو
مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى
عطف على كلمة اي ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو
يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما
بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل
واجل مسمى لازمين لهم فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت
حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص
حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها قبل طلوع الشمس يعني
الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده ومن
آناء الليل ومن ساعاته جمع اني بالكسر والقصر وانا بالفتح والمد فسبح يعني
المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب

فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة وكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة
الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوتي الصبح والمغرب ارادة
الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين
او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار
النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح
اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي
وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما
متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة
ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم
وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه
معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم
وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر
وصفهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد
لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر
لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع
وأمر اهلك بالصلوة امر بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امر
بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب
الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن
نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه
اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه
بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد
به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وانفعها لان
حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة
ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم
ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في

الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها
من العقايد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين
وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوة برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست
كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي
في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل كل واحد
منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون
من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوأى
والسوي اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين
للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم
العايد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم
بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي وعنه عم من قرا طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبيا مكية وهي مائة واحدى عشر واثنتي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس
حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وقوله
ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب
وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله اقترب
حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس
بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر
فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم
من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث
تنزيله لتكرير على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه
وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر

في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه
جامعين بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون
وقرئ بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث
خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له
والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول
موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون
السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم
استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا
منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط
ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا
كان او سرا فضلا عما اسروا به فهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
ولذلك اختير هاهنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرا حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار
عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما تسرون ولا ما تضمرون بل قالوا اضغاث
احلام بل افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى
انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او
للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول صلعم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر
القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه
مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا
حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان
كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء
وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك
بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلعم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من
كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فلياتنا باية كما ارسل الاولون اي
كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصى وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه
من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية

الجزء السابع عشر

أهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم أفهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه
تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب
الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يامرهم ان يسالوا اهل الكتاب
عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا
يشاورونهم في امر النبي صلعم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا
كفارا وقرا حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا
خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم
وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام وما كانوا خالدين تاكيد وتقرير له فان
التعيش بالطعام من توابع التحليل المودي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس
او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون
ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله
لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء
يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او واحد من ذريته ولذلك حميت
العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا
اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك
او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون
وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر بين تلاؤم الاجزاء بخلاف
الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشانا بعدها
بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا
ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون
مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة
القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من
ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة
ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسئلون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال

من مقدمات العذاب او يقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا
ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان
اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف
فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم
فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل
تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا
مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار
وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني لقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين وانما خلقناهما مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة
لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان
يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا
ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا
مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم
في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل
الزوجة والمراد به الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب
المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل
اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب بل من شاننا ان نغلب الحق الذي
من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار
لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ
بحيث تشق غشاءه المودي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة فيه وقرئ
فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع
بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح
وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في
موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض

خلقا وملكا **وَمَنْ عِنْدَهُ** يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند
الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه
والمراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ لا يتعظمون عنها **وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ** ولا يعيون منها
وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها
ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**
ينزهونه ويعظمونه دائما **لَا يَفْتُرُونَ** حال من الواو في يسبحون وهو استيناف او حال
من ضمير قبله **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً** بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم **مِنَ الْأَرْضِ** صفة
للآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص **هُمْ
يُنْشِرُونَ** الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها
الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك
زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ** غير الله وصف
بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد
لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير
كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء
ومشروط بان يكون في كلام غير موجب **لَفَسَدَتَا** لبطلتا لما يكون بينهما من
الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان
تخالفت فيه تعاوقت عنه **فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ** المحيط بجميع الاجسام
الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير **عَمَّا يَصِفُونَ** من اتخاذ الشريك
والصاحبة والولد **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية
والسلطنة الذاتية **وَهُمْ يُسْأَلُونَ** لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة
او للعباد **أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً** كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا
لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى
انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم
آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم

فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى
الثاني ما يدل على فساده نقلا **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** على ذلك اما من العقل او من
النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا
ونقلا **هَٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي** من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها
الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحة بعثة الرسل
وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل من معي امتي ومن قبلي الامم المتقدمة
واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال فيه ومن الجارة على ان مع
اسم هو ظرف كقبل وبعد وبها **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ** ولا يميزون بينه وبين الباطل
وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب **فَهُمْ
مُعْرِضُونَ** عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** تعميم بعد تخصيص فان ذكر
من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب
الثلاثة **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا** نزلت في خزاعة قالوا الملائكة بنات الله **سُبْحَانَهُ**
تنزيه له عن ذلك **بَلْ عِبَادٌ** بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وقرئ بالتشديد وليسوا
باولاد **مُكْرَمُونَ** مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد **لَا يَسْبِقُونَهُ
بِالْقَوْلِ** لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق
قولهم قوله فنسب السبق اليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان
السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا
عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه **وَهُمْ بِأَمْرِهِ
يَعْمَلُونَ** لا يعملون قط ما لم يأمرهم به **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** لا يخفى عليه
خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك
يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ان يشفع له
مهابة منه **وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ** عظمته ومهابته واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك
خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه
اظهر وان عدي بعلى فبالعكس **مُشْفِقُونَ** مرتعدون **وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ** من

الملايكة او من الخلايق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك
عن الملايكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين
من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرا ابن كثير بغير واو
ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام
اي كانتا شيا واحدا او حقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات
واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت
باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما
ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد
بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا
في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق
عارض مفتقر الي مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب
وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا
بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء
كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه
من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب
من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثاني والظرف لغو والشيء
مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي
ثابتات من رسى اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان
لا تميد فحذف لا لامن الالتباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا
مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها
خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انها خلقها ووسعها للسابلة مع
مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الي مصالحهم وجعلنا السماء
سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الي الوقت المعلوم
بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود
الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي تحس ببعضها وتبحث عن بعضها في

علم الطبيعي والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين
بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون
على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر
وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء
لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون
نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر
ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقة جسدها وهو برهان على ما
انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة
ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر
والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب
تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا هزوا
ما يتخذونك الا هزوا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما
اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد
او بارشاده للخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون
منكرون فهم احق بان يهزا بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة
بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته
كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه
له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الي الكفر واستعجال الوعيد روي انه
نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة
بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه
نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب
او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين

مفعول به اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين
يحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها
لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا
ويعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجاة مصدر
او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير
للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة
والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ولا هم ينظرون يمهلون
وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله
صلعم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعد له بان ما يفعلونه يحيق
بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين
من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من باسه ان اراد بكم وفي
لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم
عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا كلئوا
منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم آلهة
تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن
الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد
لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف
بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي
الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه
ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم
فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه
امل كاذب فقال افلا يرون انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من
اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين

افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع
الصم الدعاء وقرا ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي وقرئ بالياء على ان فيه
ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم
بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في
الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفح من معنى القلة فان النفح اصل هبوب رائحة الشيء والبناء
الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا
ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط
العدل توزن بها صحايف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب
السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة
ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا
تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان
كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها
وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم
اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته
الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون
الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق
والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر
ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير
واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب
او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون
خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني
القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد
آتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله
وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل

من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت
وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال
وفيه اشارة الى ان فعله تع باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه
وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت
قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها
فان التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية
فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يأول
بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم
وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال
لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل
لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة
انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم
تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا اتجد تقوله ام تلعب به
قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة
البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم
والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المحققين
له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالتاء
وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم
لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه
على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا
فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي
بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ
وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس
على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده
واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون

الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم
بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من
فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او
بافراطه في حطمها او بتوريطه نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله
فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى يصححه لان يتعلق به السمع وهو ابلغ
في نسبة الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به
الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث يتمكن صورته في اعينهم
تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا
له قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما
رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت
تعريضا كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق انت كتبت هذا
بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى مطلق بقوله ان
كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر
ولذلك وقف على فعله وما روي انه عليه السلم قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض
كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال
بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر
ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى
المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل
الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد
علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو ارادة القول قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم
بانها جمادات لا ينفع ولا يضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون
الله افلا تعقلون تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه
قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له ولما تعبدون افلا تعقلون قبح صنيعكم

قالوا اخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا
آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين بها نصرا مؤزرا والقايل فيهم
رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني
بردا وسلاما ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار
المسخرة لقدرته مامورا مطاعا واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه
روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا
به فيها فقال له جبرئيل هل لك حاجة قال اما اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبي من
سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه
نمرود من الصرح فقال اني مقرب الي الهك فذبح اربعة الآف بقرة وكف عن ابرهيم وكان
اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا
علي خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه
اذيها كما تري في السمندر ويشعر به قوله علي ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره
فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا علي انهم علي الباطل
وابرهيم علي الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا
الي الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الي الشام وبركاته العامة ان
اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات
والخيرات الدينية والدنياوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين
ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية
فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة علي ما سال وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا باس به
للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه
وصاروا كاملين وجعلناهم ايمة يقتدي بهم يهدون الناس الي الحق بامرنا لهم
بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم
عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الي العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات
وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص علي العام للتفضيل

وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدي الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا
لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما
حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم
التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها علي حذف
المضاف واقامة مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له
وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت
لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله علي قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين
فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب
الغم الشديد ونصرناه مطاوعه انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا
بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق
والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في
الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا
وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير
للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال
سليمان وهو ابن احدي عشرة سنة غير هذا ارفق بهما امر بدفع الغنم الي اهل الحرث
فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الي ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود
الي ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا اما الاول نظير قول ابي حنيفة في العبد
الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في
شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا
وكذلك قضى النبي عليه الصلوة والسلام لما دخلت ناقة البراء حايطا وافسدته فقال
علي اهل الاموال حفظها بالنهار وعلي اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي
حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا آتينا
حكما وعلما دليل علي ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل علي ان كل مجتهد مصيب
وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما علي ان قوله ففهمناها
لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه

اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسير معه من السباحة
وهو حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بيخر والطير عطف على الجبال
او مفعول معه وقري بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين
لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو
في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفايح فحلقها وسردها
لكم متعلق بعلم او صفة للبوس ليحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة
الجار والضمير لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس
على تاويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون
ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له
الريح ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول
امر يظهر في الجبال والطير مع داود بالاضافة اليه عاصفة شديدة الهبوب من حيث
انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء
في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره
بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها
الى الشام رواحا بعدما سار به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه
الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفايسه ومن عطف
على الريح او مبتدا خبره ما قبله وهو نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون
ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنايع الغريبة كقوله يعملون له ما
يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على
ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر بان مسني الضر وقري
بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شايع في كل ضرر وبالضم
خاص بما في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة
بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السوال وكان
روميا من ولد عيص بن اسحق استنباه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده
وبهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة

كلف
اما بنفيمها واما بيسها

او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وروي ان امراته ماخر بنت ميشا بن يوسف او رحمة
بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين
سنة فقال استحي من الله ان ادعو وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان
او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة
لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم
بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع
وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله وتكفل امته او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم
والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل كل هؤلاء من الصابرين
على مشاق التكاليف وشدايد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة
انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر
الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم
لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل ان يومر وقيل وعدهم بالعذاب فلم
ياتهم لميعادهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة
للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها مغضبا فظن ان
لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قري
مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في
مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة
وقري بالياء وقرا يعقوب على البناء للمفعول وقري به مثقلا فنادى في الظلمات
في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله
الا انت بانه لا اله الا انت ان يعجزك شيء سبحانك اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى
المهاجرة وعن النبي صلعم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له
ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه
وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين
من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام ننجي فكذلك اخفي الجماعة النون الثانية

فانها تخفى مع حروف الفم وقرا ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت
النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع
من حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي
الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافي لخوف
اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد
بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اذ
نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين
فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له
زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة
انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب او راغبين في
الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية وكانوا
لنا خاشعين مخبتين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه
الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها عيسى
فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي
هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرئيل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما
ولذلك وحد قوله آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع
ان هذه امتكم ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها امة واحدة غير
مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب
على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري
فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا للنعي على الذين
تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة تقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق
المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله
ورسله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر
لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله

لا نضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم اهلكناها
حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا
او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه
وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر
محذوف اي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر
وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك
او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج وماجوج وهي
حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرا ابن عامر ويعقوب
فتحت بالتشديد وهم يعني ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من
الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذيب وقرئ بضم
السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت
معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم تفسره الابصار
يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا
لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر انكم
وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم
عبدتهم ولما روي انه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب
الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة
فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي
ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل
من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تاخر عن الخطاب
حصب جهنم ما يرمى به اليها ويهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ
بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب

جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء
آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص
لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل
للتغليب ان اريد بما يعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة
العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة
الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون
لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضه خطب وقرا هذه الآية ثم قال انا
منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها
وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس
صوت يحس به وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم
الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله ويوم
ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين
يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم
يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السما
مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون
والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت
مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء وبالتاء والبناء للمفعول كطي
السجل للكتاب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه
قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل
ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلعم وقرئ السجل
كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما
خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من
الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان
الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية

واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره
نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول
المحذوف وعدا مقدر بفعله تاكيد لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا
اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود
من بعد الذكر اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ
ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني عامة
المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلعم
ان في هذا فيما ذكرنا من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ
الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعا

لمين

لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة
للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما
الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود
الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على
العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تع على مقتضى الوحي المصدق
بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل
آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين
انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم
اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب
ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر
من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن
والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل
تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون
ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق
اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرا
حفص قال على حكاية قول رسول الله وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل

واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة يكون لهم وان راية الاسلام تخفق ايا ما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم وعن النبي صلعم من قرا اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هايل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تُذهَل وتُذهِل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ تُرى من اريتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين

نصف

ولا بعث بعد الموت وهي تعم كل من تعاطى ذلك ما ضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب اذ خلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء على ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشأوا او يبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في امور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه وانه استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري

الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على
نظاير وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت
اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رايق وهذه
دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما
ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض
بعد موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في نفسه الذي
به تتحقق الاشياء وانه يحيى الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة
والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على
سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على
احياء كلها وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام
وطلايعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة
بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول
في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف
الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد
او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل
الله علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن
الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال
وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر
ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك
على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب
ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم
على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف
من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر

فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت
في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت
امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا
الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن
ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصايب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا
والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال
والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على خبر
محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعوا من دون الله ما لا
يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد
عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضلالا يدعوا لمن ضره
بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه
الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعو
من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا
اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
به او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدا وخبره لبئس المولى الناصر
ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب
المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة
كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن
خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل
ما يفعله الممتلي غيظا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع
اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا
ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش

وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده
فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي
يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم
وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القرآن
كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي به او يثيب على الهدى من يريد
هدايته او ثباته انزله لذلك مبينا ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة بالحكومة
بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله
المحل المعد له وانما ادخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله
على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل بذله على عظمة مدبره
ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد
ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين
وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من معنييه
واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل
على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو
حق له الثواب او فاعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق
عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة
في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا
بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له
من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء
من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا
اي فوجان مختصمان ولذلك قال حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون
والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون

سجدة

فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله
آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
قطعت لهم قدرت على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم
احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم
الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره
في ظاهرهم فيذاب احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ
بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها
ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل
من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد
الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا
اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان جنات
تجري من تحتها الانهار احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت
المراة اذا لبست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف
واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب
لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار
الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة
الاولى وقرئ لولوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء
وليليا بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة
على ان الحرير ثيابهم المعتاد او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من
القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود
نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد
استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو

حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية اي معذبون والمسجد الحرام عطف
على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله والذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد اي المقيم والطاري على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض
بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم
والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن
فيه ونصبه حفص على انه المفعول والحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على
انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من
الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني
بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام
نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه
وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت
الى السماء وانطمس ايام الطوفان فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه
على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع
السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة
او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهير بيتي من الاوثان
والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان
كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن
في الناس نادهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس
فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء
فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله امر بذلك
في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف
الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد
السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمول على معناه او استئناف فيكون الضمير للناس
وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال
بئر بعيدة العمق والمعنى بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها

لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا
والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه
المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على
ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب
وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل
الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون
الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه
للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم
وقيل مواجب الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن
الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم
لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه
فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف
اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله
احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد
الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا
واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها العارض
كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس
من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة
في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان
عبادة الاوثان راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة
عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة
الزور لما روي انه صلعم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الآية والزور
من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله

فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر **فتخطفه الطير** فان
الاهواء المردية توزع افكاره **او تهوي به الريح في مكان سحيق** بعيد فان الشيطان
قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا
خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكونا من التشبيهات
المركبة فيكون المعنى من يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين
ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من
معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان
روي انه صلعم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب فان عمر اهدى
نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار **فانها من تقوى القلوب** فان تعظيمها من افعال
ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها
منشاء التقوى والفجور والآمرة بهما **لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها** منتهية
الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم
وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي
في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها
وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها
منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق
الذي ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني
لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منتهية
الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة **ولكل امة** ولكل اهل دين **جعلنا منسكا** متعبدا
او قربانا يتقربون به الى الله وقرا حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك **ليذكروا اسم
الله** دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من
المناسك تذكر المعبود **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** عند ذبحها وفيه تنبيه
على ان القربان يجب ان يكون نعما **فالهكم اله واحد فله اسلموا** اخلصوا التقرب
او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك **وبشر المخبتين** المتواضعين او المخلصين فان الاخبات
صفتهم **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها

والصابرين

والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصايب **والمقيمي الصلوة** في اوقاتها وقرئ
المقيمين الصلوة على الاصل **ومما رزقناهم ينفقون** في وجوه الخير **والبدن** جمع بدنة
كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة
من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في اجزائها عن سبعة بقوله صلعم البدنة
عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه
بفعل يفسره **جعلناها لكم** ومن رفعه جعله مبتدا **من شعائر الله** من اعلام دينه
التي شرعها الله **لكم فيها خير** منافع دينية ودنيوية **فاذكروا اسم الله عليها** بان تقولوا
عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك **صواف** قائمات قد صففن
ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك
الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وصوافنا بابدال التنوين
حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن
الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها **فاذا وجبت جنوبها** سقطت على الارض
وهو كناية عن الموت **فكلوا منها واطعموا القانع** الراضي بما عنده وبما يعطى من غير
مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال
والمعتر والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه **كذلك**
مثل ما وصفنا من نحرها قياما **سخرناها لكم** مع عظمها وقوتها حتى تاخذوها
منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها **لعلكم
تشكرون** انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص **لن ينال الله** لن يصيب رضاه
ولن يقع منه موقع القبول **لحومها** المتصدق بها **ولا دماؤها** المهراقة بالنحر من حيث
انها لحوم ودماء **ولكن يناله التقوى منكم** ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى
قلوبكم التي يدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل
الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون
فنزلت **كذلك سخرها لكم** كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله **لتكبروا الله** اي لتعرفوا
عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير
عند الاحلال او الذبح **على ما هديكم** ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب

بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين
المخلصين فيما ياتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين آمنوا غايلة المشركين وقرا
نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله
لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي
فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء
للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه محذوف للدلالة عليه وقرا
نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب
انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلعم كان المشركون يوذونهم وكانوا ياتونه من بين
مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر
فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم
لقدير وعدهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم
يعني مكة بغير حق بغير موجب لاستحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة
قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب وقيل
منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المومنين منهم على الكافرين
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرى دفاع ولهدمت بالتخفيف
صوامع صوامع الرهبانية وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنايس اليهود سميت بها
لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن
الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد
العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم
عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه
دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل
بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده وان
يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب

مدين تسلية بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هولاء قد
كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لان
قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت
اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم
اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة
خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرا البصريون بغير لفظ التعظيم
وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها
فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على
عروشها اي مظلة عليه بان سقطت وبقيت الحيطان مايلة مشرفة عليها
والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حالا لخوائها
فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع
وبير معطلة عطف على قرية اي وكم بير عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك
اهلها وقرى بالتخفيف من اعطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه عن
ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل
المراد بير بسفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة
بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في
الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد
سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل
من التوحيد بما يحصل لهم من الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون بها
ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من يشاهدون آثارهم فانها الضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه او الظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم
وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد
ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر

قيل لما نزل ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى
افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف
الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه
صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان لتناهي
صبره وتانيه حتى يستقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من
حيث ان ايام الشدائد مستطالة وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراف ورجع الضماير والاحكام مبالغة
في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل
عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد
به يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة
مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها
الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار
مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المومنين
وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم
ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضايله والذين سعوا في آياتنا
بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق
من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المسابقين يطلب اعجاز
الآخر عن اللحاق به وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك
اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه
ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى
عليهم السلام ولذلك شبه النبي صلعم علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل
عليه انه صلعم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل
منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه
والنبي غير الرسول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي

يقال له ولمن يوحي اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان
في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلعم وانه ليغان على قلبي فاستغفر
الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته
عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق
في امر الآخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعل بهم قيل حدث نفسه بزوال
المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به
ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقراها فلما بلغ ومناة الثالثة
الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها
بحيث لم يبق في المسجد مومن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبرئيل فاغتم به فعزاه الله بهذه
الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن
المتزلزل فيه وقيل تمنى قرا كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل
فامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون
انه من قراءة النبي وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ
الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو
على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان
وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم
مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني
الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن
الحق او عن الرسول والمومنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك
ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق
الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم فيؤمنوا به
بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين آمنوا
فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق ولا يزال الذين
كفروا في مرية في شك منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته

يقولون ما بالـه ذكرها بخير ثم ان يدعنه حتى تأتيهم الساعة القيمة او الموت بغتة
فجاءة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان
اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقيم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا
صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لاخير لهم فيه ومنه الريح العقيم
لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لامثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان
المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين
فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم
بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين
وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات
تفضل من الله تعالى فان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب
ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا
ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد
ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض
الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد
معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق
بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم
باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك الامر ذلك ومن
عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب
الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه
الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض
عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث
على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره
بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل

بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين
الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه
او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها
وان الله سميع يسمع قول المعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال
القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب
وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه
او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما تدعون من دونه
الها هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء
الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من
السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطف على انزل اذ لو نصب
جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما
عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف
يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا ان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد
المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة
لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري
في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة
ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم
القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون
قابلة للميل الهابط بقبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب
الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان
لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة
تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر
في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل

النزاع وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية
الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك
زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين
ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة
في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده
وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك فقد ظهر الحق
ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها
وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب
يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم
تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب
هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان
الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق
بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة
تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله
وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب
عنهم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقائد
والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم
لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا
موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم
آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم
عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب سائل
قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على
الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا وحالا منها
وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة
رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له

للمثل او لشأنه استماع تدبر وتفكر ان الذين يدعون من دون الله يعني الاصنام وقرأ يعقوب
بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا
لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين
المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له
بجوابه المقدر في موضع حال جيء به للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين
عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم
غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها
تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا
له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما
يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او
الذباب يطلب ما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او
الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف
بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو
ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه
شيء وآلهتهم التي يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا
يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون
اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها
بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه
وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك
للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله
ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء
وغيره وهم يسألون يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا في صلاتكم امركم بهما لانهم
ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او

اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما يتعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا
ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وكصلة الارحام ومكارم
الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له
واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله صلعم
فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا في الله ولله ومن
اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه صلعم انه رجع
عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا
فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم
واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله
ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي
اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام
به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض
ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله صلعم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان
جعل لهم عن كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع
لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم منصوب
على المصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة
ملة ابيكم ابراهيم او على الاغراء والاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلعم وهو
كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة
او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل
من قبل القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القرآن والضمير لله ويدل عليه انه
قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته
من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا بيان لتسميته اياكم مسلمين
ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول
شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء
على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع

الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا
تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير
هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلعم من قرا
سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية عند البصريين وثماني عشرة اية عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته
اذا دخل الماضي ولذلك يقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل
الله صدرت بها بشارتهم وقرئ قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وافلحوا
على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على
البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون
ابصارهم مساجدهم روي انه صلعم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره
نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين
هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو
ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه
بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة
وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه ولذلك قوله والذين هم
للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا
الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما
يوجب المروة اجتنابه والزكوة يقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل
فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم
حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم
وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة
الاحوال الا في حالة التزوج او التسري او بفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء

الجزء الثامن عشر

للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين
هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم
غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم
واماءهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم
العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون
عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها
وقرا ابن كثير لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر والذين
هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه
لما للصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا
لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصديرها الاوصاف
وختمها بالصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون
الاحقاء ان يسمى وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد
للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من
اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم
فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار
هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم الجنة او لطبقتها الاعلى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة
لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فيكون ابتدائية كالاولى
والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات
جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم
جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا
السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين
مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر
عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة علقة حمراء فخلقنا
العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها

فكسونا العظم لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرا ابن
عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع
الآخر ثم انشاناه خلقا آخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع
ثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت
عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته
وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه
ثم انكم بعد ذلك لميتون لصايرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت
دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد
خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل
وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها
وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين
مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها
من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر
بتقدير يكثر نفعه ويقل ضره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا
في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث
يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى
كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم
غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب
لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها
تاكلون تغذيا او ترزقون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون
الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر
والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات
وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى
بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور

للجبل وسينا اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرء القيس ومنع صرفه
للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس
من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين
اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب
فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر
تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية
لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو
اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا
انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول
وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهن وصبغ
للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي
تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه
الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام
لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او
من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او الابتداء ولكم فيها منافع
كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها
وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها
هي المحمول عليها والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت
خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في بعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون
في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص
مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها
ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرئ غيره بالجر على اللفظ
افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته
الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا
من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب

الفضل

الفضل عليكم وتسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا
بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من
الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم
او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول
ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعد ما ايس
من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون
بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا
نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع
فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار
الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء اخبرته امراته فركب ومحله في مسجد
الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه
اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال الله تعالى
ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين
وقرا حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك واهل
بيتك او من آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله بهلاكه لكفره
وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون
لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف
وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم
الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او في الارض
منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال
وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا
به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله
واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم ان في ذلك فيما

فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار وان
كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان
هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود
فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال
ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله
افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم
لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استونف به فعلى تقدير سؤال
وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحيوة
الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا
الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة
وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة
ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم
انفسكم واذن جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ايعدكم انكم اذا
متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث
او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين
خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المتقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط
والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون
خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات
هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان
كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد فقالوا
لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ
بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر
على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حيوتنا
الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية

عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها
تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة الدنيا لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى
الحيوة الدالة على الجنس وكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيى
يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى
على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين
بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي
قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن
نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبرئيل صاح
عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح
بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق
او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله
كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار
والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل
اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل
ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق
من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون
الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد
والتاء بدل من الواو كتولج ويتقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو
بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف
الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو
مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك
وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهي اسم جمع للحديث او جمع
احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه
هرون بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز
ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها

جبة وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها
وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات
وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه
النبي **الى فرعون وملايه فاستكبروا** عن الايمان والمتابعة **وكانوا قوما**
عالين متكبرين **فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا** ثنى البشر لانه يطلق للواحد
كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن الاصل لانه في
حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة
قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر
للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك
لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر
برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء
واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار
بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد **وقومهما** يعني بني
اسرائيل **لنا عابدون** خادمون منقادون كالعباد **فكذبوهما فكانوا من المهلكين**
بالغرق في بحر قلزم **ولقد آتينا موسى الكتاب** التورية **لعلهم** لعل بني اسرائيل
ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم **يهتدون**
الى المعارف والاحكام **وجعلنا ابن مريم وامه آية** بولادتها اياه من غير مسيس
فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهر منه
معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها **وآويناهما الى ربوة** ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة
فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرا ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ
رباوة بالضم والكسر **ذات قرار** مستقر من الارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع
فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها **ومعين** وماء معين ظاهر جار فعيل من
معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه
نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب النزهة وطيب المكان

بذلك لانه الجامع لاسباب النزهة وطيب المكان **يا ايها الرسل كلوا من الطيبات**
نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في
ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا
اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم يكن له خاصة
وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات
او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا
وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال
الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك
النفس ويحفظ العقل **واعملوا صالحا** فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم **اني بما**
تعملون عليم فيجازيكم عليه **وان هذه** اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او
واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون
بالكسر على الاستيناف **امتكم امة واحدة** ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقائد
واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة
ونصب امة على الحال **وانا ربكم فاتقون** في شق العصا ومخالفة الكلمة **فتقطعوا**
امرهم بينهم تقطعوا في امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او تفرقوا وتحزبوا وامرهم
منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها **زبرا**
قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو
حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل
وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير
مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل **كل حزب** من المتحزبين **بما**
لديهم من الدين **فرحون** معجبون معتقدون انهم على الحق **فذرهم في**
غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم **حتى حين** الى ان يقتلوا او يموتوا **ايحسبون**
انما نمدهم به انما نعطيهم ونجعله مددا لهم **من مال وبنين** بيان لما وليس خبرا له
فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره **نسارع**

لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة بهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا أن ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع وقرئ يسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به ونسارع مبنيا للمفعول إن الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما أعطوا من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به أنهم إلى ربهم راجعون لأن مرجعهم إليه أو من أن مرجعهم وهو يعلم ما يخفى عليهم أولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة إليها لقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فيكون إثباتا لهم ما نفي عن أضدادهم وهم لها سابقون لأجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس إلى الطاعة أو الثواب أو الجنة أو سابقونها أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا إلا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح أو صحيفة الأعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب أو نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظة ولهم أعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به أو متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى إذا أخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلعم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة إذا هم يجأرون فاجئوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز أن يكون الجواب لا تجأروا اليوم فإنه مقدر بالقول أي قيل لهم لا تجأروا إنكم منا لا تنصرون تعليل للنهي أي لا تجأروا فإنه لا ينفعكم

إذ لا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على أعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بأنهم قوامه أغنى عن سبق ذكره أو لآياتي فإنها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لأنه بمعنى مكذبين أو لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله سامرا أي يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الأصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح إما بمعنى القطيعة أو الهذيان أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من أهجر وقرئ تهجرون على المبالغة أفلم يدبروا القول أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز لفظه ووضوح مدلوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين من الرسول والكتاب أو من الأمن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كإسماعيل وأعقابه فآمنوا به وكتبه ورسله وأطاعوه أم لم يعرفوا رسولهم بالأمانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء فهم له منكرون دعواه لأحد هذه الوجوه إذ لا وجه غيرها فإن إنكار الشيء قطعا أو ظنا إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد أم يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلا وأتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه وإنما قيد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق أهواءهم بأن كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والأرض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى أو لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى أو لو اتبع الحق الذي جاء به محمد أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه أو لو اتبع الله أهواءهم بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الألوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والأرض وهو على أصل المعتزلة بل أتيناهم بذكرهم

بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا علي اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبي خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الي غيرك والخراج غالب في الضريبة علي الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الي صراط مستقيم تشهد العقول السليمة علي استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي الي الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوي البواعث علي طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لتبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدي روي انهم قحطوا حتي اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا علي عتوهم واستكبارهم والاستكانة استفعال من الكون لان المفتقر انتقل من كون الي كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد علي ما تقدمه حتي اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتي جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الي غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتأكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه

تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الي الشمس حقيقة او مجازا او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء علي ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهي به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتي جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادي نظر الي الاقرار بانه خالقها قل اي بعدما قالوا افلا تذكرون فيعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر علي ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تذكرون علي الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده علي ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته علي بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلي لتضمين معني النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون من اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم علي بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين

ولوقع بينهم التحارب واظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل
شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى
واجب واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب
وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك
ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان
تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا او الآخرة رب فلا
تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلمة
قد يعم من وراءهم كقوله فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن
انه تع اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء
وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت
فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل
بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها
لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل
هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من
التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك
بخلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرايض شبه حثهم الناس على
المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد
المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون ويحوموا حولي في شيء من الاحوال
وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف
عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد
الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام
او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع

على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني
كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته لعلي آتي
بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه صلعم اذا عاين المؤمن الملايكة قالوا
نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب
ارجعوني كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون
الى آخره والكلمة الطايفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قايلها لا محالة
لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حايل بينهم وبين الرجعة
الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث
الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة
والقراءة بفتح الواو به وبكسر الصاد في الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب
بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا
يتساءلون ولا يسال بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة
والنار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقايده واعماله اي من كانت له عقايد
واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفايزون بالنجاة
والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا
نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان
استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر
ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفخ الا انه اشد تاثيرا وهم فيها
كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون
الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون
تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا
بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا

منها من النار فان عدنا الي التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا
سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسات الكلب اذا زجرته فخسا ولا
تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة
ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم
ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا فيقولون الفا اخرجنا
نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم
لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان وقري بالفتح اي لانه كان
فريق من عبادي يعني المومنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا
آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقري
نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند
الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعني الانقياد والعبودية
حتي انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم
منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا علي اذاكم انهم هم
الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم
وقراءة حمزة والكسائي بالكسر استينافا قال اي الله او الملك المامور بسؤالهم وقرا
ابن كثير وحمزة والكسائي علي الامر للملك او لبعض روسا اهل النار كم لبثتم في
الارض احياء او امواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او
بعض يوم استقصار المدة لبثهم فيها بالنسبة الي خلودهم في النار او لانها
كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم
فاسئل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه
من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار
الناس ويحصون اعمالهم وقري العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون
ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي
قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم

افحسبتم انما خلقناكم عبثا امر توبيخ علي تغافلهم وعبثا حال بمعني عابثين او
مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم علي اعمالكم وهو
كالدليل علي البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف علي انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة
ويعقوب والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم فتعالي الله الملك الحق الذي يحق له الملك
مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال
دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام
وتنزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الي اكرم
الاكرمين وقري بالرفع علي انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده لا برهان
له به صفة اخري لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جي بها للتاكيد وبناء الحكم
عليه تنبيها علي ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل علي خلافه
او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجازله مقدار
ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقري بالفتح علي التعليل او
الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدا السورة بتقرير فلاح المومنين وختمها بنفي الفلاح
عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين عن النبي صلعم من قرا سورة المومنين بشرته الملائكة بالروح
والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت علي عشر
آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتي ختم العشر وروي ان
اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي ثنتان او اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها
جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه وفرضناها
وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدد ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض
عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة

لعلكم تذكرون فيتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا
او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب السورة للامر والزان بلا يا وانما قدم
الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان
مفسدته يتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن
لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحول لقوله صلى الله عليه
وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ احدهما
الآخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ
والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه
صلعم يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص
له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه
او تسامحوا فيه ولذلك قال صلعم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير
بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان
يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وحدوده وهو من باب التهييج
في اقامة احكامه وحدوده وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة
في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان
يكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد واثنان والمراد جمع
يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان
او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب
فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق
وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا ينكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان
احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان
يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية
ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة

وسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم
مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها اي لا تحمل على التنزيه
بل على حقيقته والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى
منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه صلعم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا
الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات
يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار
اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف
بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان
هنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر
والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع
ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي
حنيفة وليكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده
ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا
يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول
سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله
قبل الحد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر عمره واولئك هم
الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا
اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء
راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل
لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء
وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه عن
موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين
يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية رأى
رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم

أربع شهادات فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة أحدهم وأربع نصب على أنه
مصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات
لأنها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا
وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنه باللام تأكيدا والخامسة
والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين في الرمي وقرأ
نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف
عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله صلعم المتلاعنان لا يجتمعان
أبدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد إن تعرض له فيه وثبوت
حد الزنا على المرأة لقوله ويدرأ عنها العذاب أي الحد أن تشهد أربع شهادات
بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة أن غضب الله عليها إن
كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف
على أن تشهد ونصبها حفص عطفا على أربع وقرأ نافع أن غضب الله ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم أي لفضحكم
وعاجلكم بالعقوبة إن الذين جاءوا بالإفك بأبلغ ما يكون من الكذب من الإفك
وهو الصرف لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها وذلك أنه
صلعم استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء
حاجة ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت
لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيها وسار فلما
عادت إلى منزلها لم تجد ثم أحدا فجلست كي يرجع إليها منشد وكان صفوان بن المعطل
السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها
فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة
إلى الأربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن
ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر إن لا تحسبوه
شرا لكم مستأنف والخطاب للرسول وأبي بكر وعائشة وصفوان والهاء
للإفك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بإنزال

ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على
من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض
فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من
الخائضين وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أو هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب
عظيم في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبي مطرودا مشهورا بالنفاق
وحسان أعمى وأشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا إذ سمعتموه ظن
المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات
كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ
وإشعارا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب
الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وإنما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف
لأنه منزل منزلته من حيث إنه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك
لأن ذكر الظرف أهم فإن التخصيص على أن لا يخلوا بأوله وقالوا هذا إفك مبين
كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا
بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فإن
ما لا حجة عليه كذب عند الله أي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله
عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى
لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ورحمته
في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم لمسكم عاجلا فيما أفضتم خضتم فيه عذاب
عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد إذ ظرف لمسكم أو أفضتم تلقونه بألسنتكم
والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ
تتلقونه على الأصل وتلقونه من لقيه إذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه
من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب
وتثقفونه من ثقفته إذا طلبته فوجدته وتقفونه أي تتبعونه وتقولون بأفواهكم
ما ليس لكم به علم أي وتقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب

لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه
هينا سهلا لا تبعة فيه وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه
ثلاثة اثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث
من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغي وما يصح لنا سبحانك هذا يجوز ان يكون
الاشارة الي القول المخصوص وان يكون الي نوعه فان قذف آحاد الناس
محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله بهتان
عظيم تعجب ممن تقول ذلك واصله ان تذكر عند كل متعجب تنزيها لله من ان
يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله من ان تكون حرم نبيه فاجرة
فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله
وتمهيد القول يعظكم الله لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها
نصف
باعتبار متعلقاتها ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا لمثله او في ان تعودوا
ابدا مادمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه
تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب
كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة
على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين يحبون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة
في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الي غير ذلك
والله يعلم ما في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر
والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته
تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله
وان الله غفور رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه
بذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة
الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزي وابو عمرو وحمزة بسكونها ومن
يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه
والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق

التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم
من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع
لمقالتهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد
الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان
ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولو الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه
دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء
على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات
لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت
مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا لما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه
الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الي من اساء اليكم والله غفور
رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابي بكر
فقال بلي احب ورجع الي مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات
عما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين
كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة كما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم
وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي ولذلك قال
ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عايشه
يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ
حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد
تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم
الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره
ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر عدله
ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث يتزوجن
الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك يعني اهل

بيت النبي او الرسول وعايشة وصفوان مبرؤن مما يقولون اذ لو صدق لم يكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤن مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه بشاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة بهذه الآيات مع هذه المبالغة وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خايف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس او تتعرفوا اهل ثم انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلعم استأذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري استأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات

والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة ذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم اطهر لما فيه من البعد من الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال ساير حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا من مواضعها لمن لا يحل ان يبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرايب ولهم ان ينظروا منهن الى ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي انه صلعم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها

لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال صلعم انه ليس عليك باس انما هو ابوك
وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المراة كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة
من الرجال اي اولي الحاجة الي النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب
والخصي خلاف وقيل والبله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيا
من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب علي الحال او الطفل الذين لم
يظهروا علي عورات النساء لعدم تميزهم من الظهور بمعني الاطلاع او لعدم بلوغهم
حد الشهوة من الظهور بمعني الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة
الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها
فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار
الزينة وادل علي المنع من رفع الصوت وتوبوا الي الله جميعا ايها المومنون
اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم
تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم علي الكف
عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامي منكم والصالحين
من عبادكم وامايكم لما نهي عما عسي ان يفضي الي السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة
وحسن التربية ومزيد الشفقة المودية الي بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه
عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل علي وجوب
تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المراة والعبد لا يستبدان به
اذ لو استبدا لما وجب علي الولي والمولي وايامي مقلوب ايايم كيتامي جمع ايم وهو العزب
ذكرا كان او انثي بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتي منكم اتايم
وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحين
للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسي يمنع من
النكاح والمعني لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية
عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله صلعم اطلبوا الغني في هذه
الاية لكن مشروطه بالمشية لقوله تع وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان
شاء والله واسع ذو سعة لا ينفد نعمته اذ لا ينتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر

علي ما يقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا
اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به وبالوجدان التمكن منه حتي يغنيهم الله من فضله
فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه
كاتبتك علي كذا من الكتاب لان السيد كتب علي نفسه عتقه اذا ادي المال او لانه
مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعني الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الي
بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدا خبره فكاتبوهم او مفعول
لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معني الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة
معاوضة تتضمن الارفاق فلا يجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه علي جواز الكتابة
الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم
فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة علي اداء المال بالاحتراف
وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعني وهو
شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز واتوهم من مال الله الذي اتاكم امر للموالي كما
قبله بان يبذلوا لهم شيا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب
عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضع يحط ربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الثلث وقيل ندب اليهم الي الانفاق عليهم بعد ان يودوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولي وان كان غنيا لانه
لا ياخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله صلعم في حديث بريرة هو لها صدقة
ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم علي البغاء علي الزنا كانت لعبد الله بن ابي
ست جوار يكرههن علي الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكت بعضهن الي رسول الله
صلعم فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا
للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه
وايثار ان علي اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة
الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن او له
ان مات والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور
رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة الي المغفرة لان الاكراه لا ينافي

المواخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص **وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ** يعني الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر لانها واضحات يصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود **وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ** اي ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم **وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** النور في الاصل كيفية يدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار وبالملائكة والانبياء او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به يدرك اي يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها يدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات ويغوص في بواطنها ويتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيها فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول عليهما **مَثَلُ نُورِهِ** صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره **كَمِشْكَاةٍ** كصفة مشكوة وهي الكوة الغير النافذة **فِيهَا مِصْبَاحٌ** سراج ضخم ثاقب

وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ** في قنديل من الزجاج **الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ** مضيء متلالئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا **يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ** اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرا نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى يتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب **لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ** يقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث يقع عليها طول النهار كالتي يكون على قلة او صحراء واسع فان ثمرتها يكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فيحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فيتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه **نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ** نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكوة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة التي ينوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعقلية

والعقلية التي يدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات ليستنتج منها
علم مالم يعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة
بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تع ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت
فان الحساسة كالمشكوة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا يدرك ماوراءها
واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من
الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة
كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة بالشجرة
المباركة لتاديها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة
المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها
بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية
كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم
او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم
مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات
بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار
وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان
كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم يتصل بملك الوحي
والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم
بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا
على نور **يهدي الله لنوره** لهذا النور الثاقب **من يشاء** فان الاسباب دون مشيته
لاغية اذ بها تمامها **ويضرب الله الامثال للناس** ادناء للمعقول من المحسوس
توضيحا وبيانا **والله بكل شيء عليم** معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا
وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولم يكترث بها **في بيوت** متعلق بما قبله اي
كمشكوة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا
او مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او بابدانهم

بالمساجد ولانها في جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا
اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة
ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان
الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للمبالغة والشكر للتعظيم **اذن الله**
ان ترفع بالبناء او التعظيم **ويذكر فيها اسمه** عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في
افعاله والمباحثة في احكامه **يسبح له فيها بالغدو والاصال** ينزهونه او يصلون
له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه
بالاصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر
وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه
وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو **رجال**
لا تلهيهم تجارة لا يشغلهم معاملة رابحة **ولا بيع عن ذكر الله** مبالغة بالتعميم بعد
التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي التجارة فان
الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبداها
وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا اجلبه وفيه ايماء بانهم تجار
واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال
كقوله واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا **وايتاء الزكوة** ما يجب اخراجه من المال
للمستحقين **يخافون يوما** مع ما هم عليه من الذكر والطاعة **تتقلب فيه القلوب**
والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب مالم
تكن تفقه وتبصر الابصار مالم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف
الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم **ليجزيهم الله** متعلق بيسبح
او لا تلهيهم او يخافون **احسن ما عملوا** احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة
ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم **والله يرزق من**
يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة
الاحسان **والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة** والذين كفروا حالهم على ضد ذلك
فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة

كالسراب وهو ما يري في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انها ما
يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة
وقرئ بقيعات كديمات في ديمة **يحسبه الظمآن ماء** اي العطشان وتخصيصه
لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة **حتى اذا جاءه** جاء ما توهمه
ماء او موضعه **لم يجده شيئا** مما ظنه **ووجد الله عنده** عقابه او زبانيته او
وجده محاسبا اياه **فوفاه حسابه** استعراضا او مجازاة **والله سريع الحساب**
لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد
في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر **او كظلمات** عطف على كسراب
واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور
الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم
ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار
وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة **في بحر لجي** ذي لج اي
عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء **يغشاه** يغشى البحر **موج من فوقه موج**
اي امواج مترادفة متراكمة **من فوقه** من فوق الموج الثاني **سحاب** غطى النجوم
وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر **ظلمات** اي هذه **ظلمات بعضها
فوق بعض** وقرا ابن كثير بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها
اذا اخرج يده وهي اقرب ما يري اليه **لم يكد يراها** لم يقرب ان يراها فضلا ان
يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضماير
للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه **ومن لم يجعل الله له نورا** ومن لم يقدر
له الهداية ولم يوفقه لاسبابها **فما له من نور** خلاف الموفق الذي له نور على نور
الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال
ان الله يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل
السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من
مقال او دلالة حال **والطير** على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل
الباهر ولذلك قيدها بقوله **صافات** فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى

ص

على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة
على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره **كل** كل واحد مما ذكر او من الطير **قد علم
صلاته وتسبيحه** اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله **والله عليم
بما يفعلون** او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على
وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها
علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء **ولله ملك السموات
والارض** فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث
انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب **والى الله المصير** مرجع الجميع **الم تر ان
الله يزجي سحابا** يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد **ثم يؤلف
بينه** بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين
اجزائه **ثم يجعله ركاما** متراكما بعضه على بعض **فترى الودق** المطر **يخرج من
خلاله** من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله **وينزل من السماء** من
الغمام وكل ما علاك فهو سماء **من جبال فيها** من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها
او جمودها **من برد** بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتديا من السماء
من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة
موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال
من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها
حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا
فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية
قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد
سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب
الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها
واليه اشار بقوله **فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء** والضمير للبرد **يكاد
سنا برقه** ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه
بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع **يذهب بالابصار**

بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة على الاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور في الاعضاء والهيئات والطبايع والحركات والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقايق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن وايل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا اي واطعنا لهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم يؤمن قلوبهم

اوالى

او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان او الثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه او في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار الامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله

ثلثة ارباع

به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم
ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول
الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم
فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب
للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء
متصرفين في الارض تصرف الملوك في ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله
واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من
قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من
الاعداء امنا منهم وكان رسول الله صلعم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا
الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب
كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به
وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود اليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف
من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات
على التوحيد او استيناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا
حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد
ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث
ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا
الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرار الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق
الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن
الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم
واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين او لا يحسبن الكفار في الارض احدا معجزا لله فيكون
معجزين في الارض مفعوليه او لا يحسبنهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل
والمفعولين كشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرا ابن عامر وحمزة بالياء

وهو كالاول في الاحتمالات ومأويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل
الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأويهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق
نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم
الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات
الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على
الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان
غلام اسماء بنت مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله
صلعم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد
انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا
يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي فوجده وقد انزلت عليه
هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن
البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة
الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب
بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف اي هي من قبل وحين تضعون ثيابكم
اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه
وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اي هي ثلث
اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده واصل العورة الخلل
ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث
مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان
وليس فيه ما ينافي آية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه
وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استيناف ببيان العذر
المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام
وكذا في الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم
طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين
الله لكم الآيات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال

منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات
كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم
المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم آياته
والله عليم حكيم كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء
العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن
فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب
فالفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة
غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف
في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث
يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بكشف المرأة زينتها
ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله
سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم
او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم
على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت
آبائهم او اولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم
رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا
يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها
ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله صلعم
انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت
آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه
وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت
المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت

صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا
كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد
التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال
المحرم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني
ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم
ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع في النزاهة
والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين
هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون
صلة للتحية فانه طلب الحياة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم
مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي
انه صلعم قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر
خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات
كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى
لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور انما
المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا
كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر
بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم
واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه
التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاده
مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك
فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق
للامر فأذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راي الرسول واستدل به على ان
بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه
فكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان

ولو لعذر مقصود لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم
بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه
اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير
اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا
نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة
ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت
او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه
موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان
دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يخرجون قليلا قليلا من
الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى
يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح
فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا
خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من
خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف
عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم
فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب
فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتضى لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه
يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في
السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة
والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم
يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات
فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية
عن النبي صلعم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد على
كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على
انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير
على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تع والفرقان
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل
بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال
وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان
اسم جنس الكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين نذيرا للجن والانس
منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها
اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول
او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في
الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم
نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب
ارادته كخلقة الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا
فقدره وهياه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان من الادراك
والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى
غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير
نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا
يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة
اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم
ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا
ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه
اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه
بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال

الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه
عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته
وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاءوا ظلما
بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بري منه
اليه واتي وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول
لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى
عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته
وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار
فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم
على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب
صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم
ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى
ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على
المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال
نفسانية كما اشار اليه بقوله تع انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه
كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة تاكل منها
هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين
والمياسير فيتعيش بريعه وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر
فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك
الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا

عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء
فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي
ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكنه اخره الى الآخرة لانه خير وابقى
جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على
محل الجزاء وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في
جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب
بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما
هي بالمال وطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة
او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا
تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة
الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت
بمرأى منهم كقوله صلعم لا تترآى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث يكون احديهما بمرأى
من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد وهو اقصى
ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها
بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم يكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فيرى ويتغيظ ويزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها
فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم
فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك
وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم
بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك
وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي
يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته
او لانه يتجدد كقوله تع كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون

الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكرة والحمد والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التميز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونه جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله يقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شيئا والكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادتها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم

اضلال عبيده او تنزيه لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا

الجزء التاسع عشر

امتحن على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به
وغيره وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون
لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول
الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا
هلا أنزل علينا الملائكة فيخبروننا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا
أو نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في أنفسهم اي في شأنها
حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتها
وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى
مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة
ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف
بالجملة حسن واشعار بالتعجب في استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس
ابأنا بنابها كليبا علت باب كليب بواءها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت
او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه
بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او
خبر ثان او ظرف لما يتعلق به الكلام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا
فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من
نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت
آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو مانع للبشرى
والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة حينئذ
هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند
لقاء عدو او هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى
وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك
ولذلك لا ينصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا
في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه.

لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم
الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع
من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم
نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا
يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث
وأحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان
القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى
ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن ويحتمل ان يراد احدهما المصدر
او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة والتفضيل
اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا وروي انه يفرغ من
الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم
تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب
بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ
ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وأنزل ونزل ونزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة
الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر
وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ
او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من
فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ
والحسرة لانها من روادفها والمراد به الظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر
مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافة فابى ان يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان
تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال

النبي صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر
عليا بقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الي مكة ومات **يقول يا ليتني اتخذت مع**
الرسول سبيلا طريقا الي النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب في طرق
الضلالة **يا ويلتى** وقرئ بالياء على الاصل **ليتني لم اتخذ فلانا خليلا** يعني من اضله
وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس **لقد اضلني عن الذكر** عن
ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة **بعد اذ جاءني** وتمكنت منه **وكان**
الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل
من تشيطن من جن وانس **للانسان خذولا** يواليه حتى يؤديه الي الهلاك ثم يتركه ولا
ينفعه فعول من الخذلان **وقال الرسول** محمد يومئذ او في الدنيا بثا الى الله **يا رب ان قومي**
قريشا **اتخذوا هذا القرآن مهجورا** بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم
من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به
ويقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا به ولغوا فيه اذا
سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز
ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى
الله قومهم عجل لهم العذاب **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين** كما جعلنا لك
فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع **وكفى بربك هاديا**
الي طريق قهرهم **ونصيرا** لك عليهم **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن** اي انزل عليه كخبر
بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله **جملة واحدة** دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل
تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار
اليه بقوله **كذلك لنثبت به فؤادك** اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه
وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون
فلو القي اليه جملة تعيى بحفظه ولعله لم يستتب له لان التلقف لا يتاتى الا شيئا فشيئا
ولان نزوله بحسب الوقايع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو
يتحدى بكل نجم ويعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبرئيل
حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية

الي الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة
الي انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من
تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الي الكتب السابقة واللام
على الوجهين يتعلق بمحذوف **ورتلناه ترتيلا** وقراناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة
وتمهل في عشرين سنة او ثلاث وعشرين واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها
ولا ياتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك
الا جئناك بالحق الدافع له في جوابه **واحسن تفسيرا** وبما هو احسن بيانا او معنى
من سؤالهم او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من
الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له **الذين يحشرون على**
وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة
وجوههم اليها وعنه صلعم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب
وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدا خبره **اولئك**
شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من
ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة
تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل
انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد
المجازي للمبالغة **ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا** يوازره
في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر
متوازران عليه **فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا** يعني فرعون وقومه **باياتنا فدمرناهم**
تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود
منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم
لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح لما**
كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب
الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة **اغرقناهم** بالطوفان **وجعلناهم** وجعلنا اغراقهم
او قصتهم **للناس آية** عبرة **واعتدنا للظالمين عذابا اليما** يحتمل التعميم والتخصيص فيكون

وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمودا عطف على هم في جعلناهم او على للظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهي البير الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بير بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتختطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بير وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتنا وفتتنا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني تبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم اولا ياملون نشورا كما يامله المؤمنون طمعا في الثواب اولا يخافونه على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو او مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق الى الذهن انه حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها

ما استمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الآيات او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وذلك فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص

من السكون بان يجعل الشمس مقيمة علي وضع ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه
لا يظهر للحس حتى يطلع فيقع ضوءها علي بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب
حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه
بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الي نفسه الذي هو في معنى الكف
قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل
به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها والقت عليها
ظلها ولو شاء لجعله ثابتا علي تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه
مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليلا بطريق من يهديه فانه يتفاوت
بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الي ان ينتهي غاية
نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل
عليها وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم
سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذي
يتوفيكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور
اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات ويكون
اشارة الي ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام
فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير علي التوحيد
ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون علي التخفيف
وحمزة والكسائي به وبفتح النون علي انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر
جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء
ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضا به
ويوقد به قال صلى الله عليه وسلم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب
فيه ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان
غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب
وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنى

وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها علي ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها
فبواطنهم بذلك اولي لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى
البلد ولانه غير جار علي الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجري الجامد ونسقيه
مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا
ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقري يقيمون بقرب
الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات
تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو
للدلالة علي عظيم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم
وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها علي سقيهم كما قدم عليها احياء الارض
فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقي واسقي لغتان وقيل اسقاه
جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان
علي ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول
بين الناس في القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات
المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام
امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده علي ما شاء وتلا هذه الآية او في الانهار
والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره
او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة
الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يري الامطار الا من الانواء
كان كافرا بخلاف من يري انها من خلق الله والانواء وسائط او امارات بجعله تعالى ولو
شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن
قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك علي سائر الرسل فقابل
ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك
عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع
والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة
باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان

مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لأ
مبعوث الى كافة القرى **وهو الذي مرج البحرين** خلاهما متجاورين متلاصقين
بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها **هذا عذب فرات** قامع للعطش من
فرط عذوبته **وهذا ملح اجاج** بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف
كبرد في بارد **وجعل بينهما برزخا** حاجزا من قدرته **وحجرا محجورا** وتنافرا بليغا كأن
كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة يدخل البحر
فيشقه فيجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل
النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة في الفصل
واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت
وتشابهت في الكيفية **وهو الذي خلق من الماء بشرا** يعني الذي خمر طينة
آدم وجعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة
او النطفة **فجعله نسبا وصهرا** اي فقسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله وجعل منه الزوجين الذكر والانثى **وكان ربك**
قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة
وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى **ويعبدون**
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله
اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر **وكان الكافر على ربه ظهيرا** يظاهر الشيطان
بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له
عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر
اليهم **وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا** للمؤمنين والكافرين **قل ما اسألكم عليه** على
تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا **من اجر الا من شاء** الا فعل من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة
فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع
واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص
عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعاتهم تعود عليه

بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل **وتوكل على الحي الذي لا يموت** في استكفاء
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين
يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان
مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه **وكفى به**
بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن **خبيرا** مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه
الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى
مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج
الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ وللمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من
المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي **فاسأل به خبيرا** فاسأل عما ذكر من
الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب
المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فاسأل عنه
من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون
الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى
بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا **واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن**
قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا
انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل
لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض **وزادهم** اي الامر
بالسجود للرحمن **نفورا** عن الايمان **تبارك الذي جعل في السماء بروجا** يعني البروج
الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل
لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره **وجعل فيها سراجا** يعني الشمس لقوله
وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار **وقمرا منيرا**
مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر

كالرشد والرشد والعرب والعرب **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة** اي ذوي
خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله
واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة **لمن اراد ان يذكر**
ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم
على العباد **او اراد شكورا** ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين
والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرا حمزة ان يذكر من
ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه **وعباد الرحمن** مبتدأ
خبره اولئك يجزون الغرفة او **الذين يمشون على الارض** واضافتهم الى الرحمن
للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر
وتجار **هونا** هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة
وتواضع **واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير
بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية
القتال لينسخه لان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة
بالليل احمز وابعد من الرياء وتاخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري
مجراه **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما**
لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم
في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم
باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم **انها ساءت مستقرا ومقاما** اي بئست
مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به يرتبط الجملة
باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة
الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله **والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا** لم يجاوزوا حد الكرم **ولم يقتروا** ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف
هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرا الكوفيون بضم التاء ونافع
وابن عامر ولم يقتروا من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد **وكان بين ذلك قواما**

وسطا

وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به
الحاجة لا تفضل عنها ولا تنقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر بين ذلك
لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام
فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه **والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله** اي حرمها بمعنى حرم قتلها **الا بالحق** متعلق بالقتل المحذوف
او بلا يقتلون **ولا يزنون** نفي عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم اصول الطاعات
واظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا
للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال **ومن يفعل ذلك يلق اثاما**
جزاء اثم او اثاما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تاتنا تلمم بنا
في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرا ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال
وكذلك **ويخلد فيه مهانا** وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو
عمرو يخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا ونضعف له العذاب ومضاعفة
العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله **الا من تاب وآمن وعمل عملا
صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل
بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا **وكان الله غفورا
رحيما** فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات **ومن تاب** عن المعاصي
بتركها والندم عليها **وعمل صالحا** يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في
الطاعة **فانه يتوب الى الله** يرجع اليه بذلك **متابا** مرضيا عند الله ماحيا للعقاب
محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه
يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص **والذين لا يشهدون
الزور** لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل
شركة فيه **واذا مروا باللغو** ما يجب ان يلغى ويطرح **مروا كراما** معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح

عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ او
القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها
كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية ومبصرين بعيون راعية
فالمراد بالنفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي
المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سرّهم
قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية
او بيانية كقولك رايت منك اسدا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير
الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة
بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة
العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا
او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد
طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم
اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات
آمنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من
مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما
دعاء بالتعمير والسلامة اي تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم
عليه او تبقيه دائمة وسلامة من كل آفة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي
خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت
مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته
او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة
والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة
وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم
فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم
كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه

الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما
يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما
اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر
وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلعم
من قرا سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم

قرا حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب
منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر
اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما في اول البقرة لعلك باخع نفسك
قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى
حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها
الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشا ننزل عليهم من السماء
آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين
منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك
الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد
بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت
عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما ياتيهم من ذكر
موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير
وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه
فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به
المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسياتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة انباء
ما كانوا به يستهزءون من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم
قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها

من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل
ان يكون مقيدا لما يتضمن الدلالة على القدرة وان يكون مبينة على انه ما من نبت الا
وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك اي في انبات
تلك الاصناف او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة
والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات
العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم
او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف
لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل
وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم
للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه ارساله اليهم للانذار
تعجيبا لموسى من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم
وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم
من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى
لمن تدبر وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان
يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون رتب استدعاء ضم اخيه اليه
واشراكه له في الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد
الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها
اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى
لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون
معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا
على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف
او سمى باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة
في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو
استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذاك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال

كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعد الدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه
اليه في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل
عليه كلا فانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى
وهرون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة
قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك
تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات
وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب
الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او
لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل
معنا بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد
خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم
نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك
سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم
الى الله ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي
وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتله بالوكز
وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن فانه كان
عليه السلم يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه
بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم
قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين
فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤل اليه
الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما
خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه
قدحا في نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في
دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها

علي أن عبدت بني إسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة
تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في
تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي اوتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل
ان عبدت الرفع علي انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها
وقيل تلك اشارة الي خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعني تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت
منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع
جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض علي دعواه فبدأ بالاستفسار
عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما
امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين
اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها
وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون
مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او
استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه
الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال
لمن حوله الا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب
السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلومة الافتقار
الي مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدل الي ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله
ويشك في افتقاره الي مصور حكيم ويكون اقرب الي الناظر واوضح عند المتأمل قال
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا علي
السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من
المشرق ويحركها علي مدار غير المدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الي المغرب علي وجه
نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم
فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم وخساستهم عارضهم بمثل مقالتهم قال
لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدل الي التهديد عن المحاجة

بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به علي ادعائه الالوهية وانكاره للصانع
وتعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الي غيره ولعله كان دهريا او اعتقد ان من ملك
قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد اي ممن
عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ
من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق
دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة علي وجود الصانع وحكمته والدلالة
علي صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فات به ان كنت
من الصادقين في ان ذلك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء
فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما رأى
الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها
شعاع يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع
موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الي مؤامرة
القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه علي
ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين
شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت فيه من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى
من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع
حثا علي مبادرتهم كقول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون
بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي لاعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم
الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم
اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن
الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة

عليه ان غلبوا فاذن على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا
به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان
يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص تلقف
بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم
انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم
بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة
له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم
لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم وكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تع القاهم بما
خولهم من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او حال
باضمار قد رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان
الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم
عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ
حمزة والكسائي وابو بكر وروح اآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا
ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء
للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها
وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين
من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او
تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة
او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي فاوحينا الى موسى ان اسر
بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا

الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ
ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم
حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر
بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم واغرقهم فارسل
فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء
لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا
بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة
القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم
قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون وانا لجميع من
عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم
ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه او اعتذر
بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون
والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر
لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء من
اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تامو السلاح فان ذلك يوجب حدارة في
اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك
مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه
صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم
وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان
تقاربا بحيث ترى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا
لمدركون لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون
في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي
بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن آل فرعون كان بين
يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون فقال امرت بالبحر

ولعلي ادريما اصنع وأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق
اي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم
كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب وأزلفنا قربنا
ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وأنجينا موسى ومن معه
أجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ثم أغرقنا الآخرين باطباقه عليهم
إن في ذلك لآية واية آية وما كان أكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم
اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة
يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وإن ربك لهو العزيز
المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ إبراهيم
إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة
قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا
وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال
هل يسمعونكم يسمعون دعاكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون
عليه وقرئ يسمعونكم اي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها أو ينفعونكم على عبادتكم لها أو يضرون من اعرض عنها
قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم
ضر او نفع والتجأوا الى التقليد قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون
فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فإنهم عدو لي يريد انهم
اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة
عدوه او ان المغري بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه
تعريضا فانهم انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب إلا رب
العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من
آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق الله له
من امور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدا ايجاده

الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبداها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين
الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها
والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون
اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين
على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذلك اللتان بعده وتكرير الموصول
على الوجهين على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم وإذا مرضت
فهو يشفين عطفه على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض
في الاغلب يتبعان الماكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد
النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما
الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى كمال المحاب التي يستحقر
دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبليات ولان المرض في غالب الامر
انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان
من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص
عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي أطمع
أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا
المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفار لما عسى يندر
منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي
اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل
استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق وألحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل
لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيرة
واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره
الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي
يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله عليه
واجعلني من ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لأبي
بالهداية والتوفيق للايمان إنه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء

بمدعوة ولعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعد به او لانه لم يمنع
بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن
رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي
او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء
يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل
المعاصي وساير آفاته ولا ينفعان الآمال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبل
البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء
له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الاغنياء وقيل
منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم ينفعه وازلفت الجنة للمتقين
بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين
فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح
لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين آلهتكم الذين تزعمون
انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم
وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الآلهة وعبدتهم
والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر
في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد
للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده وللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل
وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين
على ان الله ينطق الاصنام فيخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله اذ نسويكم
برب العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضمائر للعبدة كما في
قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدا
ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون
فما لنا من شافعين كما للمومنين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم

شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحد
الصديق لكثرة الشفعاء على العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر
مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل
فلو ان لنا كرة تمنى للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف
جوابه فنكون من المومنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون
ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابرهيم لآية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها
جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة
الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته
معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية
تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مومنين
به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم
او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك يصغر على قويمة وتقدير
الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا
عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به
من التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان
اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على ان
كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا
قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرى
يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة
عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن
اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن
نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه
اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم
على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون
ما لا تعلمون وما انا بطارد المومنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف

اياهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله إن أنا إلا نذير مبين كالعلة له اي
ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف
يتولى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح
فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من
المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب إن قومي كذبون اظهارا
بما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم
فتحا فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او شؤم
عملهم فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم أغرقنا بعد بعد انجائه
الباقين من قومه إن في ذلك لآية شاعت وتواترت وما كان أكثرهم مؤمنين وإن
ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل
اسم ابيهم إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله
وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين تصدير القصص
بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو
الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض
التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية أتبنون بكل ريع بكل مكان
مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون
بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث
بمن يمر عليهم او قصورا مشيدة وحصونا يتميزون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء
وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها وإذا بطشتم
بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر
في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء وأطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم
واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم
تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل
تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في ألا تتقون مبالغة في
الايقاظ والحث على التقوى فقال أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون

ثم اوعدهم فقال إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على
الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فانا
لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم
بوعظه إن هذا إلا خلق الأولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا
هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الاعادة الاولين كانوا يلفقون مثله
او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون
او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن
بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فأهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر إن في ذلك
لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين
إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون في ما
هاهنا آمنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب
تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف
لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل الطف ما يطلع منها كنصل السيف
في جوفه شماريخ القنو او متدلي متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار
الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب
وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين استعير
الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى الامر مجازا الذين يفسدون
في الأرض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة
على خلوص فسادهم قالوا إنما أنت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من
ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما أنت إلا بشر مثلنا تأكيدا له فأت
بآية إن كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله من
الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي

والعوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا علي شربكم ولا تزاحموها في
شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم
ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الي كلهم لان عاقرها
انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين علي عقرها خوفا من حلول
العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان
عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب
وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال
لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجري الا علي رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
اي اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون
الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهم قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين
علي الاول كل من ينكح وعلي الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم
من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح
منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون
متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا علي سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون
في المعاصي وهذا من جملة ذاك واحقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة
قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين
من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه علي عنف وسوء حال
قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه
بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته علي انه معدود في زمرتهم
مشهورا بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤمه وعذابه فنجيناه
واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له علي دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب
بهم الا عجوزا اي امراة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب لما صابها
حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الي القوم راضية بفعلهم وقيل كانت

فيمن بقي في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم وامطرنا
عليهم مطرا قيل امطر الله علي شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين
اللام للجنس حتي يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب
الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها
طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الي مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال
لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم
الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها الي اللام
وقرئت كذلك مفتوحة علي انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الالف
اتباعا للفظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر
ان اجري الا علي رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق
الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا
فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا حمزة والكسائي وحفص
بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض
مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة علي انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة
مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من
السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوي من التهديد وقرا حفص بفتح
السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه المنزل
عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم
الظلة علي نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتي غلت انهارهم واظلتهم
سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا
آخر القصص السبع المذكورة علي الاختصار تسلية لرسول الله وتهديدا للمكذبين به واطراد

نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة
به بدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مواخذة على تكذيبهم
وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقيقة تلك القصص
وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها
لايكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو
فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما
بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين
جبرئيل فانه امين الله على وحيه **لتكون من المنذرين** عما يؤدي الى عذاب من
فعل او ترك **بلسان عربي مبين** واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق
بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح
واسماعيل وشعيب ومحمد عليه الصلوة والسلام **وانه لفي زبر الاولين** وان ذكره
او معناه لفي الكتب المتقدمة **اولم يكن لهم آية** على صحة القرآن او نبوة محمد
ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه
دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل
او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة
خبر تكن **ولو نزلناه على بعض الاعجمين** كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم
فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم
واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع
جمع السلامة **كذلك سلكناه** ادخلناه **في قلوب المجرمين** والضمير للكفر المدلول
عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها
فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا **لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم**
الملجئ الى الايمان **فيأتيهم بغتة** في الدنيا والآخرة **وهم لا يشعرون** باتيانه
فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا **افبعذابنا يستعجلون** فيقولون
امطر علينا حجارة فاتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة **افرأيت**
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون

لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه **وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون**
انذروا اهلها الزاما للحجة **ذكرى** تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى
الانذار او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة
او خبر محذوف والجملة اعتراضية **وما كنا ظالمين** فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار **وما**
تنزلت به الشياطين كما زعمت المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة
وما ينبغي لهم وما يصلح لهم ان يتنزلوا به **وما يستطيعون** وما يقدرون **انهم عن السمع** لكلام
الملائكة **لمعزولون** لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش
بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن
مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة **فلا تدع مع الله الها**
آخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين **وانذر**
عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد
الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل
خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد **واخفض**
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه
اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض
على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان والمصدقون باللسان **فان عصوك**
ولم يتبعوك **فقل اني بريء مما تعملون** مما تعملونه او من اعمالكم **وتوكل على العزيز**
الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم
وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط **الذي يراك حين تقوم** الى
التهجد **وتقلبك في الساجدين** وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه
لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا
على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة
او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله
بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه
تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه **انه هو السميع** بما تقوله **العليم** بما تنويه **هل**

أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح ان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلعم على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع وأكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله ألم تر أنهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واكثر كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهاد وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون فكانه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعد بعضد إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة

وحسان بن ثابت والكعبان وكان عليه السلم يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه الصلوة والسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الايهام والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ باي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلعم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلم

سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو تبيينه للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلوة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات

عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر ونفع أولئك الذين لهم سوء
العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الأخسرون اشد الناس
خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وإنك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن
حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة
الحكمة علي اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع
ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك
العلوم بقوله إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز
ان يكون متعلقا بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع
الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كني عنها بالاهل والسين للدلالة علي بعد
المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ أو آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة
واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب علي ان
القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان علي سبيل الظن ولذلك
عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة علي انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما
بناء علي ظاهر الامر وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين علي عبده لعلكم
تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي
أن بورك اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك علي انها مصدرية
او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او
سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها
من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله نودي من شاطئ
الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من
في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء
وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد
موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم
تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به
لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى

لما دهاه من عظمته يا موسى إنه أنا الله الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة له او للمتكلم
وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد
انا القوي القادر علي ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله
بحكمة وتدبير وألق عصاك عطف علي بورك اي نودي ان بورك من في النار وأن
ألق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير
ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كأنها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن
علي لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من
عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه
قوله يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله إني لا يخاف لدي المرسلون
حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم
عندي سوء عاقبة فيخافون منه إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم
استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من
فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله
مغفرة ورحمة فانه لا يخاف ايضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم
بدل مستأنف معطوف علي محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وأدخل يدك
في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع
تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها علي ان
التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب
في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخرين
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات علي انه
استئناف بالارسال فيتعلق به إلى فرعون وقومه وعلي الاولين يتعلق بنحو مبعوثا
ومرسلا إنهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم
موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار
بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات بصر من حيث انها تهدي والعمي لا
تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا

يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها
انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان
وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في
الدنيا والاحراق في الآخرة ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم
الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا
به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على
كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف
اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك
الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وان يتواضع
ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة
او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها
ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم
ما اوتيه والنطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او
مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق
والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة
العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل
سليمان عليه الصلوة والسلم مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل
الذي صوته والغرض الذي دعاه به ومن ذلك ما حكي عنه انه مر ببلبل يتصوت ويترقص
فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول
ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة
عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة
الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده
كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم

على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على وادي النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل
اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده
وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها
فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء
ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم
سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم
لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله في السعة
وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم
والايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها
تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله من ادراك
همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه التي
انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة
عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضيه
تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم
في الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال
ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه
يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث
النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني
بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم
الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه
عليهما فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه فقال
احطت بما لم تحط به يعني حال سبا وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه على ان في ادنى

خلق الله من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء
في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبإ وقرأ ابن كثير وابو عمرو غير مصروف
على تاويل القبيلة او البلدة بنبإ يقين بخبر محقق روي انه عليه الصلوة والسلم لما
اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج
من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهرا فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان
الهدهد رائده لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان
فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر
وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من
ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امراة تملكهم
يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبإ او لاهلها واوتيت من
كل شيء يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم عظيمة بالنسبة اليها او الى عروش
امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من
ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح
افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه
الا يسجدوا لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم
او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على
انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت الا
يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيبي وعلى هذا صح ان يكون استينافا
من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على
تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة عند قراءتها وقرئ هلا وهلا
بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء
في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه
باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد
لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال

سجده

الامطار

الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع
فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها
فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التامل اصدقت
ام كنت من الكاذبين ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي
هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا
يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها
الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة
شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه
على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو وما هو
فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمان وانه اي المكتوب او المضمون وقرئا
بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا
علي ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود الا تعلوا
او بدل لكتاب واتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة
مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته
صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات
الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء
للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها
الملأ افتوني في امري اجيبوني في امري الفتيا واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت
قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالؤها
على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا باس شديد نجدة وشجاعة
والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك
قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل
الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان
يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب

بحال لايدري عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى
غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفهم من حالهم وتقرير بان ذلك
من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل واني مرسلة اليهم بهدية
بيان لما ترى تقديمه للمصلحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة
بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذرين عمرو في
وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري والجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة
عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب
الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا عظمة
شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب
الحق واخبر عافيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء
فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها
فيجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية
فلما جاء سليمان اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاءوا قال اتمدونني
بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ
حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما آتاني الله
من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير مما آتاكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها
عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون
بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن
انكار الامداد بالمال عليه وتعليل له الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم
في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها
فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ
بهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء
مهانون قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه
الله به من العجايب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان
ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة

لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث
المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل
منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر
او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم
وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
للعفريت كانه استبطاه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم
انه يتاتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب
المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان
للنظر فوضع موضعه ولما كان يوصف بارسال الطرف كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك
رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل
طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل
فيه فلما رآه راى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر
على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق
والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين
بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء ليبلوني ءاشكر بان اراه
فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر
في اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه
لانه يستجلب بها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران
ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها
بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي ام
تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان
بالله ورسوله اذا رات تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس
فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ
ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو لم يقل لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال

عقلها وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تمة كلامها كأنها ظنت أنه أراد
بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة
نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل إنه كلام سليمان وقومه
عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت أن يكون ذلك
عرشها تجويزا غالبا وإحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر إلا
على الأنبياء أي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين
لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك
شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله أي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم
إلى الإسلام أو صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للإيمان إنها كانت من قوم
كافرين وقرئ بالفتح على الإبدال من فاعل صد على الأول أي صدها نشوها بين
أظهر الكفار أو التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته
حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي أنه أمر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج
أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس
عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير سأقيها بالهمز
حملا على جمعه سؤوق وأسؤق قال إنه إنما ظننته ماء صرح ممرد مملس من قوارير
من الزجاج قالت رب إني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان
فإنها حسبت أنه يغرقها في اللجة وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين
فيما أمر به عباده وقد اختلف في أنه تزوجها أو زوجها من ذي تبع ملك همدان
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله بأن اعبدوه وقرئ بضم النون
على إتباعها الباء فإذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن
فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة
فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقاب
فإنهم كانوا يقولون إن صدق إيعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله
لعلكم ترحمون بقبولها فإنها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن
معك إذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال

طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده بل أنتم
قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والإضراب من بيان طائرهم الذي
هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه وكان في المدينة تسعة رهط
أنفس وإنما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة
أو السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة يفسدون في الأرض ولا
يصلحون أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوائب الصلاح قالوا أي قال بعضهم
لبعض تقاسموا بالله أمر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا بإضمار قد لنبيتنه وأهله
لنباغتن صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض
وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه
ما شهدنا مهلك أهله فضلا أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان
وكذا مهلك في قراءة حفص فإن مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون
مصدرا وإنا لصادقون ونحلف إنا لصادقون أو والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا لأن
الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا أو لأنا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك
ما رأيت ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بأن جعلناها
سببا لإهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي
فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلث فذهبوا إلى
الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثم وهلك الباقون
في أماكنهم بالصيحة كما أشار إليه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم
أجمعين وكان إن جعلت ناقصة فخبرها كيف وأنا دمرناهم استئناف أو خبر محذوف
لا خبر كان لعدم العائد وإن جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب أنا
دمرناهم بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال فتلك
بيوتهم خاوية خالية من خوي البطن إذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوي النجم إذا
سقط وهي حال عمل فيها معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
بما ظلموا بسبب ظلمهم إن في ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون وأنجينا
الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة

الجزء العشرون

ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا بدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على
الاول ظرف على الثاني أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب
واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض أئنكم لتأتون الرجال شهوة
بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة
في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك
بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن
والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما
كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله
الا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وأمطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بعدما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته
وعظمة شانه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام
على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلما بما جهل من احوالهم وعرفانا
لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمد على هلاك كفرة قومه
ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما
يشركون الزام لهم وتهكم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا
حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء
أمن بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع
وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به
حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته
والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من
المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها
شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة أإله مع الله اغيره يقرن
به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل اتدعون

او تشركون وبتوسط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات
وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتاتى استقرار الانسان والدواب
عليها وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون
فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او
خليجي فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان أإله مع الله بل اكثرهم
لا يعلمون الحق فيشركون به أمن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه
شدة ما به الى اللجأ الى الله من الاضطرار وهي افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس
لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويرفع عن الانسان ما يسوءه
ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم
أإله مع الله الذي حفكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون
آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو
عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال أمن يهديكم
في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها
الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري
في تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها
وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل
للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون
تعالى الخالق القادر عن مشاركة العاجز المخلوق أمن يبدأ الخلق ثم يعيده
والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء
والارض اي باسباب سماوية وارضية أإله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم
على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة
من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما
بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم

الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان
ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على
ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها
فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف **وما يشعرون ايان**
يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وان وقرئ ايان بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة
بل ادارك علمهم في الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا
محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والايات
وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي **بل هم في شك منها** كمن تحير في امر
لا يجد عليه دليلا **بل هم منها عمون** لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا
وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل
البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي
الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الاخرة تهكما بهم وقيل ادرك
بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها تعدم
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع
حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل
او افتعل وقرئ بل اادرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل اتدارك
وبلى ادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار
وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن
التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم
منها عمون او رد لشعورهم **وقال الذين كفروا اءذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون**
كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان
كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار
والمراد بالاخراج الاخراج من الاحداث او من حال الفناء الى الحيوة **لقد وعدنا**
هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود
بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث **ان هذا الا اساطير الاولين**

التي هي كالاسمار **قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين** تهديد
لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم
بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم **ولا تحزن عليهم** على تكذيبهم واعراضهم
ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق
اي امر ضيق **مما يمكرون** من مكرهم فان الله يعصمك من الناس **ويقولون متى**
هذا الوعد العذاب الموعود **ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم** تبعكم
ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل المضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه **بعض الذي تستعجلون** حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى
ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها اظهارا لوقارهم واشعارا
بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده **وان ربك لذو فضل**
على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها
فضول وفواضل **ولكن اكثرهم لا يشكرون** لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل
يستعجلون بجهلهم وقوعه **وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم** ما تخفيه وقرئ
بفتح التاء من كننت اي سترت **وما يعلنون** من عداوتك فيجازيهم عليه **وما من غائبة**
في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة
كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية **الا في كتاب مبين**
بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة **ان هذا**
القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه
واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح **وانه لهدى ورحمة للمؤمنين** فانهم المنتفعون
ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل **بحكمه** بالحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل
عليه انه قرئ بحكمه **وهو العزيز** فلا يرد قضاؤه **العليم** بحقيقة ما يقضيه فيه وحكمه
فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم **انك على الحق المبين** وصاحب الحق حقيق بالوثوق
بحفظ الله ونصره **انك لا تسمع الموتى** تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه
عن متابعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى
عليهم كما شبهوا بالصم في قوله **ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين** فان اسماعهم

في هذه الحالة ابعد وقرا ابن كثير ولا تسمع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
حيث الهداية لا يحصل الا بالبصر ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا
من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع
القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا
لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوا م
وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عليه السلام سئل
عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني الحرام تكلمهم من الكلا م
وقيل من الكلم اوقرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليما ن
فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فتبيض وجهه وبالخاتم في انف
الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا خروجها وسائر احوالها
فانها من ايات الله تعالى وقيل القران لا يوقنون لا يتيقنون وهي حكاية معنى قولها
او حكايتها لقول الله او علة خروجها او تكلمها الله على حذف الجار ويوم نحشر من
كل امة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين
ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين
فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم
وتباعد اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما
والواو للحال اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها
وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب
بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اما ذا كنتم تعملون ام اي شئ كنتم تعملونه
بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا
فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النا ر
بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون
باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب
النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وان

من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان
وان من جعل النهار ليبصروا فيه مبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها
بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلثة النوم
والقرار والابصار ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى
بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض من الهول
وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع بان ثبت قلبه قيل هم جبريل
وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهدا ء
وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد
النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه على
توحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة
في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت
واحد فلا يكاد يتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة
كقوله وعد الله الذي اتقن كل شئ احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما يفعلون
عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها
اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها وقيل
اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وهم من فزع يومئذ امنون يعني به خوف عذاب
يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك
يعم الكافر والمؤمن وقرا الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم
وامن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك
فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما
اريدت بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات
او باضمار القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة التي حرمها
امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه
قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعدها الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة ربه
وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي حرمها وله كل

نبي خلقا وملكا وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام
وأن أتلو القرآن وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه في تلاوته شيا فشيا
او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فإنما يهتدي
لنفسه فان منافعه عايدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل إنما أنا من المنذرين فلا علي
من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة
او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة
الارض او في الآخرة فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا ينفعكم المعرفة
وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخيركم عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ بالياء
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
سليمان وكذب به وهودا وصالحا وابرهيم وشعيبا ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك نقرأ بقراءة جبريل ويجوز ان يكون
بمعنى ننزله مجازا من نبإ موسى وفرعون بعض نبإهما مفعول نتلو بالحق محقين
لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به إن فرعون علا في الأرض استيناف مبين لذلك
البعض والارض ارض مصر وجعل أهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم
بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى
بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال
من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم
بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على
يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه إنه
كان من المفسدين فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد
ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من
بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا

للنبإ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان
يكون تعلق الارادة به تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع
منه جاز ان يجري مجرى المقارن ونجعلهم أئمة مقدمين في امر الدارين ونجعلهم الوارثين
لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الأرض ارض مصر والشام واصل التمكين ان
تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود
منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان بالرفع وأوحينا إلى أم موسى بالهام او رؤيا
أن أرضعيه ما امكنك اخفاؤه فإذا خفت عليه بان يحس به فألقيه في اليم في البحر
يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني بفراقه إنا رادوه إليك عن قريب
بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من
الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه
وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فارضعته ثلاثة اشهر
ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في
النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته
ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة حزنا إن فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر
ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله تع بان ربى عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراض لتاكيد خطاهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف
خاطئين او خاطين الصواب الى الخطإ وقالت امرأت فرعون اي لفرعون حين
اخرجته من التابوت قرت عين لي ولك هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت
احباه او لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان
فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه
الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى أن ينفعنا فان فيه مخايل
اليمن ودلايل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء
البرصاء بريقه أو نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين

او من القايلة والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطاء في التقاطه او في طمع النفع
منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا
وقد تبنيناه. وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه
قرئ فزعا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او
لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه. إن كادت لتبدي به انها كانت لتظهر بموسى
اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه. لولا أن ربطنا على قلبها بالصبر والثبات
لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه
وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه.
وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله. وقالت لأخته مريم قصيه
اتبعي اثره وتتبعي خبره. فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو
بمعناه. وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته. وحرمنا عليه المراضع ومنعناه
ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي. من قبل
من قبل قصصها اثره. فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم. وهم له
ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه
واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان
تاتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها
استانس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني
امراة طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها
من يومها وهو قوله فرددناه إلى أمه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم
أن وعد الله حق علم مشاهدة. ولكن أكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه
او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت
بوقوعه في يد فرعون. ولما بلغ أشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين
الى اربعين. واستوى قده او عقله. آتيناه حكما نبوة. وعلما بالدين او علم الحكماء
والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة

لان الاستنباء بعد الهجرة في المراجعة. وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه
نجزي المحسنين على احسانهم. ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف
او حابين او عين الشمس من نواحيها. على حين غفلة من أهلها في وقت لا يعتاد
دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين. فوجد فيها رجلين
يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو
اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية. فاستغاثه الذي من
شيعته على الذي من عدوه فساله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ
استعانه. فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره. فقضى
عليه الموت فقتله واصله فانهى حيوته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر. قال هذا
من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم
ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه
على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم. إنه عدو مضل مبين ظاهر العداوة. قال
رب إني ظلمت نفسي بقتله. فاغفر لي ذنبي. فغفر له لاستغفاره. إنه هو الغفور
لذنوب عباده. الرحيم بهم. قال رب بما أنعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم
بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن. فلن أكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي
بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك
فلن استعملها في مظاهرة اعدائك. فأصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة
فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ. قال
له موسى إنك لغوي مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر.
فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما
ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل. قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت
نفسا بالأمس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي كانه
توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي. إن تريد ما تريد إلا أن
تكون جبارا في الأرض تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب. وما تريد أن تكون من المصلحين

بين الناس تتدافع التحاسم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون
وملايه فهموا بقتله فخرج مومن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من
اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له
لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا من المتشاورين
يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب
لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من
لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن
ابرهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي
ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن
له ثلث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما
ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها
امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في
مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما من الماء لئلا تختلط
باغنامهم قال ما خطبكما ما شانكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان
الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعو الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو
وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرجال وابونا شيخ
كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما
رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة
رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب ثم تولى الى الظل فقال رب اني
لما انزلت الي لاي شيء انزلت من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام
فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير
الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار

التبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت
الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت
ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما
اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر روي انه لما جاءه قدم
اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه
عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه
فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين
يريد فرعون وقومه قالت احداهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم
ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه
حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة
على انه امين مجرب معروف وروي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت
اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان
انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا
او تثيبني من آجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار
مضاف اي رعيه ثماني حجج فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه
من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء للعقد لا نفسه
فلعله جرى على اجرة معينة وبمهر اخر او برعيه الاجل الاول ووعد له ان يوفي
الآخر ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع
في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة
الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك
يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من
الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني
وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قايم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما
او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا تعتدي علي بطلب الزيادة
فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا

بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء
من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله سطرت نصرا والسماكين
ايهما علي من الغيث استهلت مواطره اي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة
لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضايه وعدوان بالكسر والله على
ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار
باهله بامراته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشرا اخر ثم عزم
على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله
امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء
كان في راسه نار او لم يكن قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار
ولا دعر والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حميها والتهابها ولذلك بينه
بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون
تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء
من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي
من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى
اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل في اللفظ
فهو طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت
ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى
مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا
تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك
يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك
يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد
اليسرى وبالعكس او بادخالها في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك
في وجه العدو اظهار جراءة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات
عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه
واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا اعراك الخوف

فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء
وسكون الهاء وقرئ بضمهما وبالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى
العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان
فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال
برهاء وبرهرهة للمراة البيضاء وقيل فعلال من قولهم برهن من ربك مرسلا بها
الى فرعون وملائه وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم
قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون
هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء
وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة
اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق
القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم
وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك
سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد
وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما
باستيلاء او محاج باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي
نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان
للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له
على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا
ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله او
سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء
النبوة في آبائنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير الواو لانه قال جوابا
لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحها
من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا
وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات

من الروادف العقاب انما قصدت بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء إنه
لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال
فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري نفى علمه بإله غيره دون وجوده
اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع
على الحال بقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع
إلى إله موسى كأنه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال
وإني لأظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب
فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم
كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن
وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من
انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون
ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك
نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير
الحق بغير استحقاق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون بالنشور فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار
للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد
كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم أئمة
قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصادفة عنه يدعون إلى النار الى موجباتها
من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم وأتبعناهم في
هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون
ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد
آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما أهلكنا القرون الأولى اقوام نوح
وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا لقلوبهم يتبصر بها الحقائق ويميز بين الحق

والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم
يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت
بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب
الغربي منه والخطاب لرسول الله اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا
اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الموحى اليه
وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخبارك عن ذلك من
قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله
ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحينا اليك لانا انشأنا
قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست
العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في أهل مدين
شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم
ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في
القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئ بالرفع على هذه رحمة لتنذر
قوما متعلق بالفعل المحذوف ما أتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة
بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة
موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون
ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت
إلينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها
مما اجيبت بها بالفاء تشبيها لها بالامر ومفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم
بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا
لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف
والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت
الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي
انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع آياتك يعني الرسول المصدق

بنوع من المعجزات وتكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا
اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا
اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الراي والمذهب وهم
كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى
وهرون او موسى ومحمدا تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق وبتوافق الكتابين
وقرا الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما
الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون
اي بكل منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل
على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بساحرين موسى ومحمد
اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها
الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك
الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول له للعلم به ولان فعل الاستجابة
تعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا
كقوله وداعي دعي يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما
يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام
بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى
النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال
ليتصل التذكر او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح
بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من
قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل
الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير
في من قبله للقرآن كالمستكن في واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام
الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله
مسلمين استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما

نصف

هو ار

هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول
القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على
ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان
بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة
السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلوة والسلم اتبع الحسنة السيئة
تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما
وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم
بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من
احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام
وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه
لما احتضر جاءه رسول الله صلعم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال
يا ابن اخي قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا ان
نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن
نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف
ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة الراس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله
عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي
فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرا نافع ويعقوب
في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا
حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت
حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا او قيل
انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله
اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات
لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من باس الله على
ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت
حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم

فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما
او بعض يوم او لا يسكن من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين
منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وساير متصرفاتهم وانتصاب معيشتها
بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه
او مفعول على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى
حتى يبعث في امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل
رسولا يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا
واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب
الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما
عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى
لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ
بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد
بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء
المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام
مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين
للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرا نافع وابن عامر في رواية
والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة
للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب
باذكر فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركاءي
فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه
وحصول مؤداه وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد
ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول
اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة
على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون
الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان

كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو
تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا
يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا
من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم
عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون
به العذاب او الى الحق لما راوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسال
اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء
كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان
ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطاه لم يكن له حيلة الى استحضاره
والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب
عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم
وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا
عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن
وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى
تحقيق على عادة الكرام او ترج من التايب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء
ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير
وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق
باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار
عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى
ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه
احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه
به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن
فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى

والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا
بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا
بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالنشور قل ارايتم
ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم
دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر
من اله غير الله ياتيكم بضياء بنهار افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط
السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه
استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة
في ذاته مقصودة بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك
قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر
من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون
ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من
الاشراك به او الاول لتقرير فساد رايهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان
محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم
بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا ح
ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع
ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن
قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت
امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم
لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه
من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة

خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة
الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف
اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا
لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة
مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه
انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة
الله فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى
الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس
ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تاخذ منها ما
يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن
بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي له عما كان
من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم
عندي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في
موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة
وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز
هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه
بذلك لانه قراه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به
بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه
مصارع الهالكين ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها
او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا
اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين
كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة
شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا كما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتي

قارون تمنوا مثله لاعينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال
الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا
يرتضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا
وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى
المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى
عليه الصلوة والسلم كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل
الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه
فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق
قطعنا ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمنا فقال قارون قال
ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى
بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا
عنه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى
ركبته ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه
فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه
ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال
بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره واموا له فما كان له من فئة
اعوان مشتقة من فاوت راسه اذا اميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون
عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر
اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب
يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر
بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكان عند
البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله
يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله
علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا لاجله

ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعد لهم من ثواب الآخرة
تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار
صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا
ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه
الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم
بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف
المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك
القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اي معاد
وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة
ورده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعد
المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق
الى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب
والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من
العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما
كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى الكتاب اليك
وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء
محمولا على المعنى كانه قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن
ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات
الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصد وادع الى
ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع
الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا
هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم
له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ طسم كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك

في السموات والارض لا تشهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت تسع وستون آية

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم
سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضم معه **احسب
الناس** الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك
اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله **ان يتركوا ان يقولوا آمنا
وهم لا يفتنون** فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول
مفعوليه وغير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم
هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا
بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظايف الطاعات
وانواع المصايب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين
من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان
كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص عن الخلود في العذاب روي انها نزلت
في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله
وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله
فجزع عليه ابواه وامراته **ولقد فتنا الذين من قبلهم** متصل باحسب او
بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا
حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم
ولذلك قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس
او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها **ام حسب
الذين يعملون السيئات** الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح
ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد
مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول وهذا

عقبه بقوله **ساء ما يحكمون** اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف
المخصوص بالذم **من كان يرجو لقاء الله** في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى
ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال
عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه
ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها **فان اجل الله** فان الوقت المضروب
للقاء **لآت** لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كاينا لا محالة فليبادر
ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا **وهو السميع** لاقوال
العباد **العليم** بعقايدهم وافعالهم **ومن جاهد** نفسه بالصبر على مضض الطاعة
والكف عن الشهوات **فانما يجاهد لنفسه** لان منفعته لها **ان الله لغني عن العالمين**
فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم **والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم** الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من
الطاعات **ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون** اي احسن جزاء اعمالهم
ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتاء فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن
لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن
بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي
قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه
وقرئ حسنا واحسانا **وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم** بالهيته عبر عن
نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه
فضلا عما علم بطلانه **فلا تطعهما** في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد
من اضمار القول ان لم يضمر قبل **الي مرجعكم** مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر
والديه ومن عق **فانبئكم بما كنتم تعملون** بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن ابي
وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا
تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام وكذا التي في لقمان والاحقاف **والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين** في جملتهم والكمال في الصلاح
منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او في مدخلهم وهي الجنة

ثلثا ربع

ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله بأن عذبهم الكفرة علي الإيمان
جعل فتنة الناس ما يصيبهم من أذيتهم في الصرف عن الإيمان كعذاب الله في
الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن إنا كنا معكم في
الدين فأشركونا فيه والمراد المنافقون أو قوم ضعف إيمانهم فارتدوا من أذى المشركين
ويؤيد الأول أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين من الإخلاص والنفاق وليعلمن
الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين
كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم إن
كان ذلك خطيئة أو إن كان بعث ومؤاخذة وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين
علي أمرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزار عنهم
إن كان تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون من الأولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير
وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن أثقالهم أثقال ما اقترفته أنفسهم
وأثقالا مع أثقالهم وأثقالا أخر معها لما تسببوا له بالإضلال والحمل علي المعاصي
من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت
عما كانوا يفترون من الأباطيل التي أضلوا بها ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه
فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما بعد المبعث إذ روي أنه بعث علي رأس
أربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار
هذه العبارة للدلالة علي كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق علي ما يقرب
منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة إلي السامع فإن المقصود من القصة
تسلية رسول الله صلعم وتثبيته علي ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير
من البشاعة فأخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل أو
ظلام أو غيرهما وهم ظالمون بالكفر فأنجيناه أي نوحا وأصحاب السفينة
ومن أركب معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل
عشرة نصفهم ذكور ونصفهم إناث وجعلناها أي السفينة أو الحادثة آية للعالمين
يتعظون ويستدلون بها وإبرهيم عطف علي نوحا أو نصب بإضمار اذكر وقرئ

بالرفع علي تقدير ومن المرسلين إبرهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لأرسلنا أي
أرسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وأمر الناس به أو بدل منه بدل الاشتمال
إن قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما أنتم عليه إن كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون
ما هو خير مما هو شر أو كنتم تنظرون في الأمور بنظر العلم دون نظر الجهل إنما تعبدون
من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها
عند الله أو تعملونها وتنحتونها للإفك وهو استدلال علي شرارة ما هم عليه من حيث إنه زور
وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وإفكا علي
أنه مصدر كالكذب أو نعت بمعنى خلقا ذا إفك إن الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا دليل ثان علي شرارة ذلك من حيث إنه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل
المصدر بمعنى لا يستطيعون أن يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا
عند الله الرزق كله فإنه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين إلي مطالبكم
بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره أو مستعدين للقائه بهما فإنه إليه
ترجعون وقرئ بفتح التاء وإن تكذبوا وإن تكذبوني فقد كذب أمم من قبلكم
من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وإنما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم
من العذاب فكذا تكذيبكم وما علي الرسول إلا البلاغ المبين الذي زال معه
الشك وما عليه أن يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة إبرهيم إلى
قوله فما كان جواب قومه ويحتمل أن يكون اعتراضا بذكر شأن النبي صلى الله عليه وسلم
وقريش وهدم مذهبهم والوعيد علي سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث
إن مساقها لتسلية الرسول عليه الصلوة والسلم والتنفيس عنه بأن أباه خليل
الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال
إبرهيم في قومه أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة وغيرها وقرأ حمزة والكسائي
وأبو بكر بالتاء علي تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده إخبار بالإعادة بالموت معطوف
علي أولم يروا لا علي يبدئ فإن الرؤية غير واقعة عليه ويجوز أن يأول الإعادة بأن ينشئ
في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف علي
يبدئ إن ذلك الإشارة إلي الإعادة أو إلي ما ذكر من الأمرين علي الله يسير إذ لا

يتنفون في نقله اليه تعالى قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما السلم
فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة
الآخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا
اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في
بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف
بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف
ما مر وقرئ والنشاءة كالرأفة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته
الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى
يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون
وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه
بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها او التحصن في السماء او القلاع الذاهبة
فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان • امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من
السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه
بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق
والمبالغة او يئسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء اولئك لهم عذاب اليم بكفرهم
فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم او رضي به الباقون
اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه الله منها بان
جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه
من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم
يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون
الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون المفعول الثاني
بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم

وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي
ورويس مرفوعة مضافة على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او سبب مودة بينكم
والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول
الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة
بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن
بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأواكم النار وما لكم
من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط وهو ابن اخته واول من آمن به وقيل انه آمن به
حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه
هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر
من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل
فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة
من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب
يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء
الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء
والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح
ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة
الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لفاحشتها
من حيث انهما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث
طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ
المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن
الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم المنكر في مجالسكم الغاصة ولا يقال
النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة
بها وقيل الخذف ورمي البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله
ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ
قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها

فيمن بعدهم ووصفهم بذلک مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يحل
لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا
مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها
كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي
قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون
النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد
العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او
تاقيتا لاهلاكهم باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا امراته كانت من
الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته
المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما
وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه
رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلک لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع
وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا
امراتك كانت من الغابرين وقرا حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك
بالتخفيف ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع الكاف الجر على المختار ونصب اهلک باضمار
فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
من السماء عذابا منها سمي بذلک لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي
اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد
تركنا منها اية بينة هي حكايتها الشايعة او اثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطرة
فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او اية والى مدين اخاهم
شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه
فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض
مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل
لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن

اللبس

اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او
فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف
على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من
الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم
باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عاد
وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في
الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا
من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا
عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين
وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه
وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلک من عادته
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن
والخور بل ذاک اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله
بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه
لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلک
ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى
وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء
على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرا البصريان ويعقوب بالياء حملا على ما
قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن
مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول

يدعون عايده المحذوف والكلام علي الاولين بتجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلي الآخرين تقدير لهم وهو العزيز الحكيم تعليل علي المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لايعد شيا عن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الي القادر القاهر علي كل شي البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قدر علي مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظايره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفايدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشيا علي ما ينبغي وعنه عليه الصلوة والسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة علي ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الي الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القاري المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهي عن الفحشاء والمنكر بان يكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روي ان فتي من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلي الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من ساير الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها علي ذكره هو العمدة في كونها مفضلة علي الحسنات ناهية عن السيآت او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن ساير الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدوا وقيل المراد به ذووا العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة التي هي احسن وعن النبي صلي الله عليه وسلم

الجزء الحادي والعشرون

لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لساير الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول صلعم من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الي الرسول كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة علي امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن خط وقرا لقالوا لعله تعلمه والتقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك علي خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المعتقد بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد علي تحريفه وما يجحد بآياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلايل اعجازها حتي لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسي ومايدة عيسي وقرا نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات اولم يكفهم آية معينة عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم تدوم تلاوته عليهم متحديا به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف ساير الآيات او يتلي عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت آبايك ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكري لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين

اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها كتب بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة
قوم ان يرغبوا عما جاء هم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا
بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي
بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين
آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا
حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا
وليأتينهم بغتة فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم وهم
لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط
بهم يوم يأتيهم العذاب وهي كالمحيط بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها
بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس
فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشيهم العذاب ظرف لمحيطة
او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم
ويقول الله او بعض ملائكته بامره وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا
ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون
اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى
لكم دينكم ذلك وعنه عليه الصلوة والسلم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان
شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلم والفاء جواب شرط محذوف
اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها
كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته
ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
لننزلنهم من الجنة غرفا عالية وقرئ لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون
انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص
بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى
غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكأين من
دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها
الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في
انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا
على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها
معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسئول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر
في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون
عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان القبض والبسط على التعاقب
وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل
شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به
الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات بأسرها اصولها وفروعها
ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك
من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك
عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا
وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان
يجتمعون عليه ويتبهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة
والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو
ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها
ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة
سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي على ما وصفوا به
من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه

من المؤمنين حيث لايذكرون الا الله ولايدعون سواه لعلمهم بانه لايكشف الشدايد
الا هو فلما نجاهم الي البر اذاهم يشركون فاجئوا المعاودة الي الشرك ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم
علي عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر علي التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة
والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاينون
اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب
والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون
قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل ابعد هذه
النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليها الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام والاختصاص علي طريق
المبالغة ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق
لما جاءه يعني الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط
حين جاءهم بل سارعوا الي التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوي للكافرين
تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي لا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا
مثل هذا الكذب علي الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا
ان في جهنم مثوي للكافرين حتي اجترؤا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا في
حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم
سبلنا سبل السير الينا والوصول الي جنابنا او لنزيدنهم هداية الي سبيل الخير وتوفيقا
لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وان الله لمع المحسنين بالنصر والاعانة قال عليه الصلوة والسلم من قرا سورة
العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله الآية وهي ستون او تسع وخمسون آية

او سبع خ

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادني الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم

او في ادني ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر
الي المفعول وقرئ غلبهم وهو كالحلب والحلب سيغلبون في بضع سنين روي
ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصري وقيل بالجزيرة وهو ادني ارض الروم
من الفارس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا
انتم والنصاري اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا علي اخوانكم ولنظهرن
عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم علي فارس بعد بضع
سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه علي عشر
قلايص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلعم
فقال البضع ما بين الثلث الي التسع فزايده في الخطر ومادة في الاجل فجعلاها مائة
قلوص الي تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلعم بعد قفوله من احد وظهرت
الروم علي فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الي رسول الله صلعم
فقال تصدق به واستدل به الحنفية علي جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب
بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلايل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ
غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا علي ريف الشام والمسلمون
سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم
علي هذا يكون اضافة الغلب الي الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم
غالبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ
منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل
قبلا وبعدا اي اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له
كتاب علي من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين
وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار
صدقهم او بان ولي بعض اعدائهم بعضا حتي تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة
وهؤلاء اخري وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم
بنصرهم اخري وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معني الوعد لا يخلف
الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده

بجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع
بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود منها هم غافلون لا تخطر ببالهم
وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين
مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون
تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها
فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها
وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك قال ظاهراً واما باطنها انها مجاز
الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعاراً بانه لا فرق بين عدم العلم
والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر
فيها او لم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها
للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها
قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول
او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيراً
من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى او قيام
الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم
في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود
واثاروا الارض قلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع
البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم
اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا
مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط
على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون الى واد
لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما
كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين

اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر
موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم
والسوأى تأنيث الاسوأ كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بآيات الله
وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر
اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم
حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا
تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت
مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون
عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدؤ الخلق
ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة
في المقصود وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس
المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج
ومنه الناقة المبلاس التي لا ترعو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم
من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه
وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين
بسببهم وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتاً
للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي
المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
يحبرون يسرون سروراً تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء
الآخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشياً وحين
تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر
فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة
بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح
بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي

هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفق وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلوة والسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان حين تمسون وحين الآية وعنه من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك مافاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك مافاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا يعقب الحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال ولانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتالفوا بها فان الجنسية علة الضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان يعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا يكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم

بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق لا يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوية القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة وللمسافر وطمعا في الغيث وللمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما للتراخي زمانه او لعظم

مافيه ومن متعلق بدعاء كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان
ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجاة ولذلك ناب مناب الفاء في جواب
الاولي وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون
عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل
عليه من الاصل بالاضافة الي قدركم والقياس علي اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك
قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى
ان يعيد وله المثل الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن
فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوحدانية الاعلي الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه
في السموات والارض يصف به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي
لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال علي مقتضى حكمته ضرب
لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت
ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء
فيكون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة
لكم ومن الاولي للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف
الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات نبينها
فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين
لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله
فمن يقدر علي هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم
عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو
تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرت الله خلقته نصب علي الاغراء
او المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم
للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادي بهم
اليها وقيل العهد الماخوذ من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد

ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الي الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة
ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة
بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر
لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا
تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا
دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه علي اختلاف اهوائهم وقرأ
حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع
كل امامها الذي اصل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق
ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل علي ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس
ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم
منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم
الاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى
التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون
عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء علي ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل
ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم
بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون
به في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها
وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون
فاجاؤا القنوط من رحمته اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون فيستدلون بها علي كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه
كصلة الرحم واحتج به الحنفية علي وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به
والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي او لمن بسط
له ولذلك رتب علي ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته

اي يقصدون اياه بمعروفهم خالصا او جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى واولئك
هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة
محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم
به من اعطاء ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند
الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا
ذا ربا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك
هم المضعفون ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر
لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم او اموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين
وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه
خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك
فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون
به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها
راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان
والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء
فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل
من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان
شيوع الحكم من جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها
مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار والضلال
والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور بما كسبت ايدي الناس
بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل الفساد في البر قتل قابيل اخاه وفي البحر
بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض
جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب
لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا

كيف كان عاقبة الذين من قبل ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه
كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو
الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم
وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر
ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى
لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون
فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار
المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف
في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار
بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات
البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم
الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء
او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا
والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلوة والسلم
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة
الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل
الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على
علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل
معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم
تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر
المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين
على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلوة والسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه
الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه

متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في
السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون
جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه
مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين
فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون
بمجي الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد
والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب
او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمة الله اثر الغيث من النبات
والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي
الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي
قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل
ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها
من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية
هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتت
وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان
نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا
فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا
لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار
بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر
السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر
عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر واستدامة بالطاعة اذا
اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب
زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن
الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون

اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار
او لعمى قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ
وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به
الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله
خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف
قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر قرأتها
على رسول الله صلعم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير
مع التكرير لان المتاخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة
وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره
دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيمة سميت بها لانها تقوم في آخر
ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب
للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث
وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل الساعات
والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة او
نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون
في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة او الانس لقد لبثتم في
كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله
من ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث
الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب
شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان
انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة
بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون
لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في

الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي
في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون
لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبئهم على التوحيد
والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا
من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون
مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون
العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب
تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق
لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون
بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف
النون وقرئ لا يستحقنك اي لا يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان اربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين
حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر
المحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون
بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير
الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها
والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث

سورة لقمن مكية وقيل الا آية وهي الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة
وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا
ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
وآيها اربع وثلثون وقيل ثلث وثلثون نسخه

المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب
الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم
بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة
من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرا ابن كثير
وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة
حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية ونصبها
حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم
الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبا بها
كان لم يسمعها مشابها حاله بحال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا مشابها من في اذنه
ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها
او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين وقرا نافع في اذنيه فبشره
بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وذكر البشارة على التهكم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين
فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران
موكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا
وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل
الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استيناف وقد سبق في
الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان
بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها
لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من
السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل
بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد
وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه
فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما ارتفع بالابتداء
وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن

تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعورا من
اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي
قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال
النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال
الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله
عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله
وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة
وانه امر بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام
امر بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب
شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة
في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة
واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد
وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه
وهو يعظه انعم او اشكم او ماثان يا بني تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل كان
كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم
عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف
ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتزايد ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك
يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في
انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان
اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او
بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية
في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه الصلوة والسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك
ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان

تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه
فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع
ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة
ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك
واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها
من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا مثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في
ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا الاشراك
فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم
فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك
مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا
في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها
لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد
به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في اخفى مكان
واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر
الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان
الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد
سيما في ذلك ان ذلك الاشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه
الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى
الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا
تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يعتري البعير فيلوي عنقه
وقرأ نافع وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه
وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا
او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتأخير الفخور
وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا ليوافق رؤس الآي واقصد في مشيك

توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلوة والسلم سرعة المشي تذهب بهاء
المؤمن وقول عايشة رضي الله عنها كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت
وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك
وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم
سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته
ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس
في النكير دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او
بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا
تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار
في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرا نافع وابو عمرو
وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته
بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير انزله الله بل
بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم
يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او
الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم
وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون
ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن
في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل
للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى
الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صاير اليه ومن كفر فلا يحزنك
كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ ولا يحزنك من احزن وليس بمستفيض
الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم
بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا

ثم

فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل
الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه
قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان اعتقادهم بل اكثرهم
لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره
ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن
ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده
حال او للابتداء على انه مستانف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم
ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ يمده ويمده بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله بكتبها
بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل
فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب
لليهود سالوا رسول الله صلعم او امروا وفد قريش ان يسالوه عن قوله وما اوتيتم من العلم
الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته
الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان
الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك
الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس
الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل
مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل
في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة
العلم وشمول القدرة وعجايب الصنع واختصاص الباري بها بان الله هو الحق
بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما تدعون

من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصرف الا بجعله او الباطل الهيته
وقرأ البصريون والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع على كل
شي ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه
وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او
الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر
والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله ان في ذلك لآيات لكل صبار على
المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف
مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر واذا غشيهم
علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال
جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى
والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على
الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار
وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في
البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف
محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده
شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من
المؤمن ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن
خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة
والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي
ان الحرث بن عمرو اتى رسول الله صلعم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في
الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه
عليه الصلوة والسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه المقدر
له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام
اذكر ام انثى تام ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما

يعزم على شيء ويفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا يدري في اي وقت
تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر
اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني
بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه
بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر
بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلة وانفد فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به
من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه
تأنيثها بتأنيث كل في كلهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما
يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلوة والسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا
يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم
ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل
وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه
فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر
ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه
لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتريه فانه انكار لكونه من رب العالمين بل
هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكتاب على هذا انه اشار اولا الى اعجازه
ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك
الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه
الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتيهم
من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله

احد ينصركم ويشفع لكم او مالكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم
في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر
افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب
سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت
في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة
يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل
به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف
سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل
به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه
الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض
بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال
الخلص وقرئ يعرج وتعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما على وفق
الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح
تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق
به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه
من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون
بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ
خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل
منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتقويم اعضائه
على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب
وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه عرف ربه وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما
تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا
مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا
من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد

وهو بعثنا وتجديد خلقنا وقرأ نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن
خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت
وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفيكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي
منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضيته واستقضيته وتعجلته
واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم
ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم
من الحياء والخزي قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك
فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب
لو محذوف وتقديره لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان
الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في
هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل واحد ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول
مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار
ولا يناقضه جعل ذوقهم العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا
نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استينافه وبناء الفعل
على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون
كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب
والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك
انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب
الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له خوفا
من عذاب الله وشكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون
عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى
عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه

سجده

وطمعا في رحمته وعن النبي صلعم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلوة والسلم
في تفسيرها قيام العبد من الليل اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت
يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولي بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت
تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا
يحمدون في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الي الجنة ثم
يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الي العشا
فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلوة والسلم
يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي
قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقرا حمزة ويعقوب اخفي علي انه مضارع اخفيت وقرئ يخفي واخفي والفاعل
للكل هو الله تعالي وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعني المعرفة وما موصولة
او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي اجزوا جزاء واخفي للجزاء
فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفي الله ثوابهم افمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا من الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد
وتصريح والجمع للحمل علي المعني اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات
المأوي فانها المأوي الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوي جنة
من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او علي اعمالهم
واما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوي للمؤمنين كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة لغيظهم ولنذيقنهم من العذاب
الادني عذاب الدنيا يريد به ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون
العذاب الاكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن
الكفر روي ان وليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم
ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع

فرط وضوحها الي اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في البيت الحماسة ولا يكشف
الغماء الا ابن حرة يري غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف ممن
كان اظلم من كل ظالم ولقد آتينا موسي الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية في شك
من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقي القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل
ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتي ترتاب فيه او من لقاء موسي الكتاب
او من لقائك موسي وعنه عليه الصلوة والسلم رايت ليلة اسري بي موسي علم رجلا آدم
طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل علي موسي هدي لبني اسرائيل
وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الي ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم
او بتوفيقنا له لما صبروا وقرا حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم علي الطاعة
او عن الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون
من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف علي منوي من جنس المعطوف والفاعل
ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكنا من القرون
الماضية او ضمير الله بدليل القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون
في متاجرهم علي ديارهم وقرئ بالتشديد ان في ذلك لآيات افلا يسمعون سماع
تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الي الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل
لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع
انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به
علي كمال قدرته وفضله ويقولون متي هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله
ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين علي الكفرة والفصل
بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فانه لا ينفعهم
ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعني باعتبار
ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال
فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وانتظر النصرة عليهم

انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلعم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفين وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وهو يمنع التعدد وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب فيه قلبان ولذلك قيل لابي معمر بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلعم ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل

منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي لاحد الذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرا ابو عمرو اللاي بالياء وحده على اصله اللائي مخفف وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ يظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد ويظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت على كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لابائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه الصلوة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو

اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك
صار المومنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم
وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عايشة لسنا امهات النسا، واولوا
الارحام وذو القرابات بعضهم اولي ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر
الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما
انزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله من المومنين والمهاجرين
بيان لاولي الارحام بحق القرابة اولي بالميراث من المومنين بحق الدين والمهاجرين
بحق الهجرة الا ان تفعلوا الي اوليايكم معروفا استثنا عن اعم ما تقدر الاولوية
فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا
كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التورية واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعا الي
الدين القيم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسي وعيسي بن مريم خصهم بالذكر
لانهم مشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا
عظيم الشان او موكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين
عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيمة الانبيا الذين صدقوا عهدهم
عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان
مصدق الصادق صادق والمومنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم
عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل
واخذ الميثاق منهم لاثابة المومنين او على ما دل عليه ليسال كانه قال فاثاب المومنين
واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني
الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا
فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملايكة روي انه لما سمع باقبالهم
ضرب الخندق علي المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضي
علي الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم
صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات

نيرانهم

نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملايكة في جوانب العسكر
فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال
وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرا البصريان باليا اي بما يعمل المشركون من
التحزب والمحاربة بصيرا رايا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلي
الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل
المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوي نظرها حيرة وشخوصا وبلغت
القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها الي راس
الحنجرة وهي منتهي الحلقوم ومدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا
الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه
او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون على ما حكي
عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجري نافع وابن عامر
وابو بكر فيها الوصل مجري الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو
القياس هنالك ابتلي المومنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من
المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقري زلزالا بالفتح واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله
من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قايله معتب بن قشير قال يعدنا
محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت
طايفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض
وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرا حفص
بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الي منازلكم هاربين وقيل المعني
لا مقام لكم على دين محمد صلعم فارجعوا الي الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم على دين
محمد بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع
يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف
العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قري بها وما هي بعورة بل هي حصينة
ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم

دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول
هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب
عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرأ الحجازيون
بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ريثما
يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين
فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسؤلا عن الوفاء به مجازى عليه
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لابد لكل شخص من حتف
انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون
الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا
او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم
رحمة اي ويصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا
ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من
دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم
المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة
هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون البأس الا
قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن
لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا
وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم
الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة
جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء
الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه
كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت
من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر

باليد او اللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير
لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها
اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل بتصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله
يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان
يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى
البدو حاصلون بين الاعراب يسئلون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما
جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا
رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة
من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه
قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي في نفسها هذا
القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
اي ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو
كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف
ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل
منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي
بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله
عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر
الله ورسوله او صدقا في النصر والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما
زادهم فيه ضمير لما راوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره
ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول
والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى
بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب
بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان

وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرُ الشهادة كعثمان وطلحة وَمَا بَدَّلُوا العهد ولا غيروه تَبْدِيلًا شيا من
التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلعم يوم احد حتى اصيب يده فقال عليه الصلوة
والسلم اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله لِيَجْزِيَ
اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ تعليل
للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصين
بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق
للتوبة إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا لمن تاب وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا يعني الاحزاب
بِغَيْظِهِمْ متغيظين لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وَكَفَى اللهُ
الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بالريح والملائكة وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا على احداث ما يريده عَزِيزًا غالبا
على كل شيء وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ظاهروا الاحزاب مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يعني قريظة
مِنْ صَيَاصِيهِمْ من حصونهم جمع صيصة وهي ما يحصن به ولذلك يقال لقرن الثور
والظبي وشوكة الديك وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ الخوف وقرئ بالضم فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وقرئ بضم السين روي ان جبريل اتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة
التي انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم تضعوا السلاح ان الله يامرك
بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة
فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على
حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي
ذراريهم ونسائهم فكبر النبي فقال حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم
ستماية او اكثر واسر منهم سبعماية وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ مزارعهم وَدِيَارَهُمْ حصونهم
وَأَمْوَالَهُمْ نقودهم ومواشيهم واثاثهم روي انه صلعم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم
فيه الانصار فقال انكم في منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما
جعلت هذه لي طعمة وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُهَا كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض
تفتح الى يوم القيمة وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا فيقدر على ذلك يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ
لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا السعة والتنعم فيها وَزِينَتَهَا وزخارفها
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ اعطكن المتعة وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا طلاقا من غير ضرار وبدعة

روي

روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعايشة فخيرها
فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل
لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن
الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن
ومالك واحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول عايشة خيرنا رسول الله صلعم فاخترناه
ولم يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق
وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية
عندنا وباينة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ
امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ
الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا يستحقر دونه الدنيا
وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ
بِفَاحِشَةٍ بكبيرة مُبَيِّنَةٍ ظاهر قبحها يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ضعفي
عذاب غيرهن اي مثلية لان الذنب منهن اقبح فزيادة قبحه تتبع زيادة فضل
المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء
بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون
وبناء الفاعل ونصب العذاب وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا لا يمنعه عن التضعيف
كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ ومن يدم على الطاعة
لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ مرة
على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي صلعم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة
والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله وَأَعْتَدْنَا
لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا في الجنة زيادة على اجرها يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ
اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل إِنِ اتَّقَيْتُنَّ
مخالفة حكم الله ورضا رسوله فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا
مثل قول المريبات فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل

الجزء الثاني والعشرون

النبي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا
معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر
حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني به عن همزة الوصل
ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من اقررن وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قاد
يقاد اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيتكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا
مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح وقيل
الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط
الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلم
وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عم لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية
كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله
في سائر ما امركم به ونهاكم عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس
لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم اهل
البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس
للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي
وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه عليه الصلوة والسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل
من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن
والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج
بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل
الآية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى
في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم
عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي
مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفن به ان
الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم
من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين

في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق
والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل
والصابرين والصابرات على الطاعة وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين
لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين
والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا
من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر الله
الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزلت فيهن ما نزل قال
نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين
وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك
في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه
الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي
قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في
زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلعم لزيد بن
حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها
للنبي فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا
بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع
الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم
وقرأ الكوفيون يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين
الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك
لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك
عليك زوجك زينب وذلك انه عم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه
فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن
ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق

صاحبي فقال ما لك اارابك منها شئ قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها
يتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا
او تعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او
ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان
كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة علي الاخفاء وحده فانه حسن
بل علي الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي في ضمان فان الاولى
في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الي الله فلما قضى زيد منها وطرا
حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها
والمعنى انه امر بتزوجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت
تقول لساير نساء النبي ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل
كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين علي قوة ايمانه لكيلا
يكون علي المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة
للتزويج وهو دليل علي ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر
الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان علي النبي
من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض
العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من
الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او
مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا
الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي
ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم علي الحقيقة فيثبت بينه
وبينه ما بين الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض بكونه ابا
للطاهر والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله
لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا من حيث انه شفيق

ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم وليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله
بالرفع علي انه خبر محذوف ولكن بالتشديد علي حذف الخبر اي ولكن رسول الله اب
من غير ولادة اذ لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم او ختموا به علي قراءة
عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلوة والسلم
في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل
كان علي دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شئ عليما فيعلم من يليق
بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد
وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة
على فضلهما علي ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار
لانها العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو
الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد
بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلوة
وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة علي الانعطاف
الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم
عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات
الي النور من ظلمات الكفر والمعصية الي نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما
حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم
من اضافة المصدر الي المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج
عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم
اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا علي من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم
ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الي الله الي الاقرار به
وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره واطلق له من حيث انه
من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه

وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصاير
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على ساير الامم او على اجر اعمالهم ولعله
معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين
تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك
اياهم مجازاة او مواخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم
وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات
قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان
ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن
مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج
المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى
به من غيره يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن
تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله
او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به
فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه
من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة
وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا
مؤمنة تخيرا لنطفته وفايدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن
الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها
فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز ان
يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة
للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب
على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له

باعطائها

باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها
مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها
وما جرى عليها وتقييد القرايب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات
عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد
الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآيات فلم احل له لاني لم
اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب
بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال
فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها
ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقايل به ذكر انها
ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت
حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد
جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها
نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول
عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك
من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة
لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع
للمعنى وقد خص عليه الصلوة والسلم بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح
والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على
القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في او صفة لمصدر محذوف اي هبة
خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرايط العقد ووجوب
المهر بالوطي حيث لم يسم والقسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف
ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو
خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع
عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان

الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرا حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهي في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل لك نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس أخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الاجناس زواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه

حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر اني الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلعم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لهم ولا مستانسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل محذوف اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى الحاء واذا سالتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلوة والسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلوة والسلم فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب

الاحتجاب عنهم لما روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول
الله اونكلمهن ايضا من وراء حجاب نزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالد
ولذلك سمي العم ابا في قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق اولانه كره ترك الاحتجاب
عنهما مخافة ان يصفان لابنائهما ولا نسائهن يعني النساء المومنات ولا ما ملكت
ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين
الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته
يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا
صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا
تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل
على وجوب الصلوة والسلم عليه في الجملة وقيل يجب الصلوة كلما جرى ذكره
لقوله عليه الصلوة والسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
فابعده الله وتجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا
لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين
يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهونه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله
بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق
اللفظ الواحد على معنيين فسر بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم
من رحمته في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا اليما يهينهم مع الايلام والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت في منافقين يؤذون عليا
رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض
فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من
الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله
غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها

ثم

لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمانهم وقلة ثبات
عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار
السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة
سمي به الاخبار الكاذبة لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم
او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء
ومفارقة جوار رسول الله صلعم اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جمعا
قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا
ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد
كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله
ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه
اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها ولا يقدر احد ان يبدلها يسألك
الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند
الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون
الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في
معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد
لهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا
يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم
يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ونقلب ومتعلق الظرف
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا
اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرا ابن عامر ويعقوب
ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا
آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما اوتينا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا
لعدد وقرا عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا
تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه
ومضمونه وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص

هـ

اما تهمة ناس بقتل هارون لما خرج الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى
راوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفه بعيب في بدنه من برص او ادرة
لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بري منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة
منه وقرئ كان عند الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه
فضلا عما يؤدي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد
النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة
او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول
والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا
حميدا وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة
وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على
هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعي لها والقايم بحقوقها
بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا
وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية
وبعرضها استدعاءها الذي يعم الطلب من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها
الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها
فتبرا ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة للخيانة
والتقصير وقيل انه لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة
وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا
لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان
ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل
والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء
الطبيعي الذي هو عدم القابلية والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده
لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن

ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن
التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل
للحمل من حيث انه نتيجة كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار
بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث
تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلم من قرا سورة الاحزاب
وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وقيل الا ويرى الذين اوتوا العلم الاية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته
وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد
على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قبل الحمد بها وتقديم الصلة
للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك
نعم الآخرة وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير بباطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض
كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفاين والاموات وما يخرج منها كالحيوان
والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق
والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور
للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفايتة
للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد
قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا
بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرا
حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه
خبر محذوف خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرا الكسائي
لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب

ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال
والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا
اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين
فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم
لا تعب فيه ولا منّ عليه والذين سعوا في آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين
مسابقين كي يفوتونا وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده
اولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب اليم مولم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص
ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي
اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو ضميرا
مبتدا والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستانف للاستشهاد باولي
العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم
اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الان برهانا ويهدي الى صراط العزيز
الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلعم ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم
كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تنشؤون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل
تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف
دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق
يحتمل ان يكون وهو ينبئكم مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم
كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد وقيل بمعنى مفعول من
جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه
على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق
والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء
اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد
رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن

الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤد اليه من العذاب وجعله رسيلا في الوقوع
ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعيد في الاصل صفة الضال ووصف
الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه
مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا
وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا
اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات
بعد ظهور البينات وقرا حمزة والكسائي يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى
على الله وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية
لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التامل في امره ولقد آتينا داود
منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه
النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح على
الذنب او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا
تامل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح
كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل
الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة
الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على
ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تاويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم
لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور
كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها والنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع
تصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلة او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة
او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها
وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها
دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له
الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود عليه السلم واهله اني بما تعملون بصير

فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح والرياح بالرفع اي لسليمان
الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك
وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال الله من معدنه
فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن
من يعمل بين يديه عطف علي الريح ومن الجن حال مقدمة او جملة من مبتدا
وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل منهم عن امرنا عما امرنا به من طاعة
سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له
ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب
عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء علي ما اعتادوا
من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روي
انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان
له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض
الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات
ثابتات علي الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل
لهم وشكرا نصب علي العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر
او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي الشكور المتوفر علي اداء
الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه في اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه
للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الي نهاية ولذلك قيل الشكور من يري عجزه
عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي علي سليمان ما دلهم علي موته
ما دل الجن وقيل آله الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الي فعلها وقرئ بفتح
الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت
ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تأكل منساته عصاه من
نسأت البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا
وحذفا علي غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساة علي مفعالة كميضاة
في ميضاه ومن ساته اي طرف عصاه مشتقا من ساة القوس وفيه لغتان

كما في نحوه ونحوه فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا
موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الي ان خر او ظهرت الجن وان بما
في حيز بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان
داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسي عليه السلام فمات قبل تمامه
فوصي به الي سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان
يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي
متكئا علي عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتي اكلتها الارضة فخر
ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة علي العصا فاكلت يوما
وليلة مقدارا فحسبوا علي ذلك فحسبوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين
سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتداء عمارة بيت المقدس لاربع مضين من
ملكه لقد كان لسبإ لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه
ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين
بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مسكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها
مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي
بالكسر حملا علي ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة علي وجود
الصانع القادر وانه قادر علي ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معا ضدا
للبرهان السابق كما في قصة داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر محذوف
تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب علي المدح والمراد جماعتان من البساتين عن
يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شمالها كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها
كانه جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق
ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء
بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة علي موجب الشكر
اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب
غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب علي المدح وقيل كانت اخصب البلاد

والطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم
سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب
او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس
فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي
عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله
وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلم وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي اكل خمط مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك
او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على
اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئ بالنصب عطفا على جنتين
ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين
وتسمية جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم
بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا
للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل يجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في
الكفران او الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور
بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي
قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق
ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت
الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال
او الحال ليالي واياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها
باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي
اعماركم واياما لا يلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا
النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز
ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب
القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه

شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قرا
من قرأ ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث
بطروا النعمة او لم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل
فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق
غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر
لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى
الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى
حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجد
ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف
على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين
رأى اباهم النبي عليه السلام ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة او سمع من الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم لاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من
المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا
فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له
عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء الا لنعلم من يؤمن
بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او
ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول
العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء
حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم
آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته
مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون
لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر
لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه
لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات

ولا في الأرض في أمر ما وذكرهما للعموم العرفي أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة
والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام أو لأن الأسباب القريبة للشر والخير سماوية وأرضية
والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا
وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير أمرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم
شفاعة أيضا كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له أذن له أن
يشفع أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الأول كاللام في
قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد حتى إذا فزع عن قلوبهم
غاية لمفهوم الكلام من أن ثم توقفا وانتظارا للإذن أي يتربصون فزعين حتى
إذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالإذن وقيل الضمير للملائكة
وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ
فرغ أي نفي الوجل من فرغ الزاد إذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال
ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى
وهم المؤمنون وقرئ بالرفع أي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء
ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه قل من يرزقكم من السموات
والأرض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله إذ لا جواب سواه وفيه إشعار
بأنهم إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون به بقلوبهم
وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أي وإن أحد الفريقين من الموحد
المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشرك به الجماد النازل في أدنى
المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهو بعد ما تقدم من
التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح
لأنه في صورة الإنصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان أتهجوه ولست
له بكفء فشركما لخيركما فداء وقيل إنه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لأن
الهادي كمن صعد منارا ينظر الأشياء ويتطلع عليها أو ركب جوادا يركضه حيث
يشاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا أو محبوس في مطمورة
لا يستطيع أن يتقصى عنها قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون

هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في الإخبات حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى
المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بأن
يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا
المنغلقة العليم بما ينبغي أن يقضى به قل أروني الذين ألحقتم به شركاء لأرى
بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد
إلزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة
بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون
متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله أو للشأن وما
أرسلناك إلا كافة للناس إلا إرسالة عامة لهم من الكف فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم
أن يخرج منها أحد منهم أو إلا جامعا لهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف والتاء
للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن أكثر
الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى
هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا إن كنتم
صادقين يخاطبون به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم أو زمان وعد
وإضافته إلى اليوم للتبيين ويؤيده أنه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما بإضمار أعني
لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون إذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء
مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والإنكار وقال الذين كفروا لن نؤمن
بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث
قيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم
فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى إذ الظالمون موقوفون
عند ربهم أي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم إلى بعض القول يتحاورون
ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الأتباع للذين استكبروا للرؤساء
لولا أنتم لولا إضلالكم وصدكم إيانا عن الإيمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال
الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ
جاءكم بل كنتم مجرمين أنكروا أنهم كانوا صادين لهم عن الإيمان وأثبتوا أنهم هم الذين

صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولهذا بنوا الانكار على الاسم
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم
اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ
تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة
المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل
بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب
واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة
التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها
بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما
يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما
ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلعم مما مني به من
قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف
الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التفاخر
الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر
اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب
لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص
والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج
كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد
وما جماعة اموالكم والاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي
اي بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول يقربكم اي
الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم
ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم

جزاء الضعف ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ
بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر
لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء
وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن
فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه
اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من
شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال
رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم يقول
للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما
يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب
منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت
الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم
ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن
اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويتخيلون اليهم
انهم الملائكة فيعبدونها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر
بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله
لله لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا عليه الصلوة والسلم الا رجل يريد
ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعني القرآن
الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا
باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح
بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة

الى البت تمهيدا للقول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها
فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم
على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية
التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما
بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة
المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف
كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء
من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني
مقيد ولذلك عطف عليها بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة
واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام عن مجلس رسول الله والانتصاب في
الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين
وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا في امر
محمد عليه الصلوة والسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان
او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله
على ذلك او استيناف على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه
ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح
على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات
كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شئ به من آثار الجنون ان
هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة
قل ما سألتكم من اجر اي شئ سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي
السؤال فانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي
عليه لانه اما ان يكون لغرض او لغيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما
موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا ولا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم
ان اجري الا على الله وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي قل

ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل
فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام
الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او
خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني والغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم
كالعشور وبالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء الحق اي الاسلام وما
يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من
هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد
فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد
او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها قل ان ضللت
عن الحق فانما اضل على نفسي اي وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة
بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما
يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال
ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب
لو محذوف مثل لرايت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا
من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى
القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا
فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد وقد تقدم ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى
لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد
فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد
ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع في
الاستحالة وقرا ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها او انه من
نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الجاموس اليك ناش القدر النؤوش
او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت
بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول وقد كفروا به بمحمد او بالعذاب من قبل
من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم

يظهرهم في الرسول من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه **من مكان بعيد** من جانب
بعيد من امره وهو الشبهة التي تمحلوها في امر الرسول وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله
تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ
ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال
الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان
في الدنيا **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** من نفع الايمان والنجاة من النار **كما**
فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة **انهم كانوا في شك**
مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة
عن رسول الله صلعم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم
باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي **جاعل الملائكة رسلا** وسايط بين
الله تعالى وبين انبيايه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام
والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه **اولي اجنحة مثنى**
وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون
ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله
لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عليه الصلوة والسلم رأى جبريل
ليلة المعراج وله ستماية جناح **يزيد في الخلق ما يشاء** استيناف للدلالة على
ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيته ومؤدي حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان
اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم
تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني
كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس **ان الله على**
كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة

ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب **من رحمة** كنعمة
وامن وصحة وعلم ونبوة **فلا ممسك لها** يحبسها **وما يمسك فلا مرسل له** يطلقه
واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب
وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه **من بعده** من بعد امساكه **وهو العزيز**
الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه **الحكيم** لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما
بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيها على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه
فقال **يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم** احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها
وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله **هل**
من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فاني تؤفكون فمن اي
وجه تصرفون عن التوحيد الى الكفر باشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق
بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي
حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له
او كلام مبتدا وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم
فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم
المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة **والى الله ترجع الامور** فيجازيكم واياهم
على الصبر والتكذيب **يا ايها الناس ان وعد الله** بالحشر والجزاء **حق** لا خلف فيه **فلا**
تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها **ولا يغرنكم**
بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت
لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر
او جمع كقعود **ان الشيطان لكم عدو** عداوة عامة قديمة **فاتخذوه عدوا** في عقايدكم
وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم **انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب**
السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون
الى الدنيا **الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات**
لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة

وبناء على الامر كله على الامان وقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا تقرير له اي افمن
زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رايه فرأى الباطل حقا
والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها
على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات
على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا
على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعيف
اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليست
صلة لها لان صلة المصدر لا يتقدمه بل صلة يذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله
عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك
اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه
الى بلد ميت فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او
بالسحاب فانه سبب السبب او الصاير مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما
من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور
اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال
اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى
يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف
والمنعة فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده فان كلها له فاستغنى بالدليل
عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب
به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود
الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده
انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف

لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك
وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه السلام هو سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن
فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني
مكرات قريش للنبي صلعم في دار الندوة وتداريهم الراي في احدى ثلاث حبسه وقتله
واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد
ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا يتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب
بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر
من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص
من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة
مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا
يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت
في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد
بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب
ولا ينقص على بناء الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان
ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوي البحران
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل المؤمن والكافر
والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي
يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تاكلون
لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من
النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان
من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما
افسده وغيره عن كمال الفطرة لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما
في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء

احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك العذب
من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر
يشق الماء بجريها ولتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقل فيها واللام متعلقة بمواخر
ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف
الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم
القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشيا، وفيها اشعار بان
فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ
في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده
بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد
ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم
منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه
او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير
به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة دون ساير المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر
عن حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما
يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم
هم الفقراء وان افتقار ساير الخلايق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك
قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم
على ساير الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد وما ذلك على الله بعزيز بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما
تعرفونه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله
فليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون
اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شي من اوزار
غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلها الاوزار الى حملها تحمل بعض اوزارها
لا يحمل منه شي لم يجب بحمل شي منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها

ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه
وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم
الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غايبين عن عذابه او عن الناس
في خلواتهم او غايبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير
واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه
اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكي وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة
لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيتهم وما يستوي الاعمى
والبصير الكافر والمؤمن وهما مثلان للصنم ولله تعالى ولا الظلمات ولا النور ولا
الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفي
الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على
السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء
ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل
وقيل العلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته
والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر
بالاموات مبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار اما الاسماع
فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او
محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا
بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير
من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما
وقد قرن به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة
على نبوتهم وبالزبر وبصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة
التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم
اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على

ثمن رابع

ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيآتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال
جدد اي ذو جدد اي خطط وطرايق نيقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقري
جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر
مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه
قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد
مضمر يفسره فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره ذلك
في الصفة قول النابغة والمؤمن العايذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تاكيد
لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام
مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ
شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه
ولذلك قال عليه الصلوة والسلم اني اخشاكم واتقاكم ولهذا اتبعه بذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرى
برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا
ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على
طغيانه غفور للتايب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته
او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس
كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل
السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة
وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم
اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور
اعمالهم او المدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم
من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم
عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذي
اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس وكذا من للتبعيض

هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال
مؤكدة لان حقيته يستلزم موافقته اياه في العقايد واصول الاحكام ان الله
بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة
لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على ساير الكتب وتقديم الخبير
للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه
منك او يورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه او ورثناه من الامم السالفة والعطف
على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث
الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة
باسرهم فان الله اصطفاهم على ساير الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم
مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم
والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل
الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته
بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلم اما الذين سبقوا
فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا
يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته
وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم
بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان
ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق جنات عدن
يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد
بهما الجنس وقري جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرا ابو عمرو
يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقري يحلون
من حليت المراة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية
للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء
اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش

وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ للمذنبين شَكُورٌ
للمطيعين ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ دار الاقامة مِن فَضْلِهِ من انعامه وتفضله
اذ لا واجب عليه لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ تعب وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ كلال
اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ لا يحكم عليهم بموت ثان فَيَمُوتُوا۟ ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ
فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ
عَذَابِهَا بل كلما خبت زيد اسعارها كَذَٰلِكَ مثل ذلك الجزاء نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ
بالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى الكل
وقرئ يجازي وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو
الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا
غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على
ما عملوا من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم
كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن
تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه يتناول كل عمر يمكن
المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه
الصلوة والسلم العمر الذي اعذر الله فيه ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى
اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل
العقل او الشيب او موت الاقارب فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ يدفع العذاب
عنهم إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فلا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم
إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى
ما يكون كان اعلم بغيرها هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ يلقى اليكم مقاليد
التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ
كُفْرُهُۥ جزاء كفره وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين
مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله

وبالخسار خسار الآخرة قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ يعني آلهتهم والاضافة
اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما يملكونه أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ بدل من
ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء
من الارض استبدوا بخلقه أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا
بذلك شركة في الالهية ذاتية أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ
على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك
خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا
لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم وهو تغرير الاسلاف الاخلاف والرؤساء
الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما
ان تزولا لان الامساك منع وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا ما امسكهما مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ
من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاول زائدة والثانية
للابتداء إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ
لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل
الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من
احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال فيها
هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ يعني محمد
عليه الصلوة والسلم مَّا زَادَهُمْ اي النذير او مجيئه على التسبب إِلَّا نُفُورًا تباعدا عن الحق
ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ بدل من نفورا او مفعول له وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ اصله وان مكروا المكر السيء
فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وَلَا يَحِيقُ ولا يحيط
ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله
فَهَلْ يَنظُرُونَ ينتظرون إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا اذ لا يبدلها بجعل غير التعذيب

ولا يحوطها بان ينقد من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليهم بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن
والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته
في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة
يدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلعم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس وعنه عليه الصلوة والسلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها
خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له
كل حاجة وهي مكية وآيها ثلث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم يس

كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر
على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء
كاين والاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث
واعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائي وحفص وروح وادغم النون في واو والقرآن
الحكيم ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل
يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم
وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن
في الجار والمجرور وفائدة وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما
تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن
لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر آباؤهم قوما غير منذر
آباؤهم يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى
ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر
او انذار آبائهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا

غافلين او بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلتك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون
لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون
لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على
قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان
فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون
ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون
في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص
سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان من فعل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ
فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي
فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه
عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله
وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة انما تنذر انذارا
يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن
بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه
كما هو الرحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث
والجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة او الطالحة وآثارهم
الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة الباطل وتاسيس ظلم وكل شيء
احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء
على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى المفعولين لتضمنه معنى الجعل وبما مثلا
اصحاب القرية على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان
يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها
المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه
في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل هما

فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة
ما بعده عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث وهو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون
وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة
رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض
ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي
على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك
وآلهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر
اصحاب الملك حتى استأنسوا به ووصلوه الى الملك فأنس به فقال له يوما سمعت انك
حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا
الله خالق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له
بصر واخذا بندقتين فوضعتا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون أرأيت
لو سألت آلهتك حتى تصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف قال ليس لي عنك سر
آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به
فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من
النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا
يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن
في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية
لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا
وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا
اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين
بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا
تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه
لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم

معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم أئن ذكرتم وعظتم
به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الف بين
الهمزتين وفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان بغير استفهام ولئن ذكرتم بمعنى
طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف
في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب
ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت
اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه السلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر
الرسل اتاهم واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا على
النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني
على قراءة حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة
لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم
الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق
الاول أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا
لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار
ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين
لا يخفى على عاقل اني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل
الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل
ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها
كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له
لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب
عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله
عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن
الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على
الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين

الجزء الثالث والعشرون

وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جارة على الاصل والباء صلة غفر
اي باي شي غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه
من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق
بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام وما كنا
منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شي سببا او جعلنا
ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين
على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة او
العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على كان التامة فاذا هم
خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطع والميت كرماد
كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه . يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة
على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها
ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين
المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء ان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف
على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على
سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها
بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد
بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف
الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم
لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون
بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ
بالكسر على الاستئناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
لما بالتشديد بمعنى الا فيكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف
له او لمحضرون وآية لهم الارض الميتة وقرا نافع بالتشديد احييناها خبر
للارض والجملة خبر لآية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدا والآية خبرها

او استئناف لبيان كونها آية واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون قدم الصلة
للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب
من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف
ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص
شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح
لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش لياكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات
وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر خلقه وقرا حمزة والكسائي
بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد
ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر خلق الله لا بفعلهم
ويؤيد الاول قراءة الكوفيين بغير هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها
افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها
الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم
الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا
الى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار
من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام
والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا
قطع سيره او لكبد السماء فان حركتها فيه يوجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة
قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر
لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا
تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع
جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر
على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن
عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل
معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين

البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرفة الجبهة الزبرة الصرفة
العواء السماك الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو
بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فإذا كان في آخر
منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن
عامر والقمر بنصب الراء منازل حتى عاد كالعرجون القديم كالشمراخ المعوج
فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون
القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل
أن تدرك القمر في سرعة سيره فإن ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان
أو في آثاره ومنافعه أو مكانه بالنزول إلى محله أو سلطانه فتطمس نوره وإيلاء
حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها ولا الليل
سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران
وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا للأول وتبديل الإدراك
بالسبق لأنه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض عن المضاف إليه والضمير
للشموس والأقمار فإن اختلاف الأحوال يوجب تعددا ما في الذات أو إلى الكواكب
فإن ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم أنا حملنا
ذريتهم أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين
يستصحبونهم فإن الذرية تقع عليهن لأنهن مزارعها وتخصيصهم لأن استقرارهم
في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم في الفلك
المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم
الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لأنه أبلغ في الامتنان وأدخل
في التعجب مع الإيجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من
الإبل فإنها سفائن البر أو من السفن والزوارق وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ
لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق أو فلا استغاثة كقولهم أتاهم الصريخ ولا هم
ينقذون ينجون من الموت به إلا رحمة منا ومتاعا إلا لرحمة ومتع بالحياة إلى حين

زمان قدر لآجالهم وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت
والعذاب المعد في الآخرة أو نوازل السماء ونوائب الأرض كقوله أفلم يروا إلى ما بين أيديهم
وما خلفهم من السماء والأرض أو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو عكسه أو ما تقدم من
الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب إذا محذوف دل
عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين كأنه قال
وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا لأنهم اعتادوه وتمرنوا عليه وإذا قيل لهم أنفقوا
مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين
آمنوا تهكما بهم من إقرارهم به وتعليقهم الأمور بمشيئته أنطعم من لو يشاء الله أطعمه
على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين إيهاما بأن الله لما
كان قادرا أن يطعمهم ولم يطعمهم فنحن أحق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فإن الله
يطعم بأسباب منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له إن أنتم إلا
في ضلال مبين حيث أمرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز أن يكون جوابا من الله
لهم أو حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين
يعنون وعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون إلا صيحة واحدة هي النفخة الأولى
تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها كقوله
أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون وأصله يختصمون فسكنت التاء وأدغمت ثم
كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر بكسر الياء للإتباع وقرأ ابن كثير
وورش وهشام بفتح الخاء على إلقاء حركة التاء إليه وأبو عمرو وقالون به مع اختلاس
وعن نافع الفتح فيه والإسكان وكأنه جوز الجمع بين ساكنين إذا كان الثاني مدغما
وقرأ حمزة يخصمون من خصمه إذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من أمورهم
ولا إلى أهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم ونفخ في الصور أي مرة
ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فإذا هم من الأجداث من القبور جمع جدث
وقرئ بالفاء إلى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ
يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه ومن
هبنا بمعنى أهبنا وفيه ترشيح ورمز وإشعار بأنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم

كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة
لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي وما وعد الرحمن وصدق
المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول
عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن
البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل
فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث
وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة
هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب
التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة
وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى
ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل
بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون
في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين
وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون
والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده
قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم
مبتدأ وخبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستانفة او خبر ثان او متكئون
والجاران صلتان له او تاكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون
خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال
من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به
لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعون

كقولك ارتموه بمعنى تراموا او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه
في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها
وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ
محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا
قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم
بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه
على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين
يسار بهم الى الجنة لقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير
وتفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب
لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة
الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واعهد
واحهد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم
عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد
اليهم او الى عبادته والجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق
الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق
المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة
الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل وراي والجبل الخلق
وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر
وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة
وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم
بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم
يمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور
آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم
يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا

عَلَى أَعْيُنِهِمْ لمسحنا اعينهم حتى يصير ممسوحة فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فاستبقوا
الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى
الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فَأَنَّى يُبْصِرُونَ
الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ بتغيير صورهم وابطال
قواهم عَلَى مَكَانَتِهِمْ مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فَمَا اسْتَطَاعُوا
مُضِيًّا ذهابا وَلَا يَرْجِعُونَ ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل
ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو
ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء
بان نفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم وَمَنْ
نُعَمِّرْهُ ومن يطل عمره نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاض
بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدو امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس
وهو ابلغ والنكس اشهر أَفَلَا يَعْقِلُونَ ان من قدر على ذلك قدر على الطمس
والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدريج وقرأ نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ رد لقولهم
ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون
وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها
وَمَا يَنْبَغِي لَهُ وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه
نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل
انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه
الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد
المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا
اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن وما يصح للقرآن ان يكون شعرا
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ عظة وارشاد من الله وَقُرْآنٌ مُبِينٌ كتاب سماوي يتلى في المعابد
ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز لِيُنْذِرَ القرآن او الرسول ويؤيده قراءة
نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء مَنْ كَانَ حَيًّا عاقلا فهما فان الغافل كالميت

او مؤمنا في علم الله فان الحي هو الابدي بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به وَيَحِقَّ
الْقَوْلُ وجب كلمة العذاب عَلَى الْكَافِرِينَ المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من
كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة أَوَلَمْ يَرَوْا
أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي
واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث أَنْعَامًا
خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ متملكون بتمليكنا
اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل
السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ وصيرناها منقادة لهم فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ
مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اي ذو
ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ اي ما يأكلون لحمه وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ من
الجلود والاصواف والاوبار وَمَشَارِبُ من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر
أَفَلَا يَشْكُرُونَ نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى
تحصيل هذه المنافع المهمة وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً اشركوها به في العبادة بعد ما
راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ
رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ
وَهُمْ لَهُمْ لآلهتهم جُنْدٌ مُحْضَرُونَ معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في
النار فَلَا يَحْزُنْكَ فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قَوْلُهُمْ في الله بالالحاد
والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ فنجازيهم
عليه وكفى ذلك ان يتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرئ انا
بالفتح على حذف لام التعليل جاز أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا
هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح
بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة
على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه
من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن
خلف اتى النبي بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عليه

نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان
مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا
وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه
ونسي خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له
والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة
ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر
فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما كانت
لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم
يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة
اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق
واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من
الشجر الاخضر نارا كالمرخ والعفار بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر
منهما الماء فينقدح منه النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار خرجت منه
فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته
كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء
على المعنى كقوله فمالئون منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض
مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة
اليهما او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى
جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم
كثير المخلوقات والمعلومات انما امره انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن
اي تكون فيكون فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر
المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل
واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة الخلق ونصبه ابن
عامر والكسائي عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما
ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك قادرا على كل شيء واليه ترجعون

وعد ووعيد للمؤمنين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي
في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب
القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين
وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها
عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله
ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات
الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على
فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل
الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها مائة واثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين
في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله
الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها او الناس عن المعاصي بالهام
الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه
واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر
القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء
الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين
آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو
التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات
والفاء لترتب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان الصف
كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة
لقوله عليه الصلوة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر
وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان
واطراف الثنايا ان الهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد

المشتمل عليه على ما هو المألوف في كلامهم واما حقيقة فبقوله **رب السموات والارض وما بينهما**
ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود
الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف
وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب
او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها
تختلف المغارب وكذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة
وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال **انا زينا السماء الدنيا**
القربى منكم **بزينة الكواكب** بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة
حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها
كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيه على اضافة المصدر الى المفعول فانها
كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب
على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة
الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا
ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة
على سطحها الازرق باشكال مختلفة **وحفظا** منصوب باضمار فعله او العطف
على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا **من كل**
شيطان مارد خارج من الطاعة برمي الشهب **لا يسمعون الى الملأ الاعلى** كلام مبتدأ
لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي
ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك
ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع
ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمينه معنى الاصغاء مبالغة
لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من
التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم **ويقذفون** ويرمون **من**
كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده **دحورا** علة اي للدحور وهو الطرد او
مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع داحر

وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة
له اي قذفا دحورا **ولهم عذاب** اي عذاب آخر **واصب** دائم او شديد وهو عذاب
الآخرة **الا من خطف الخطفة** استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه **فاتبعه شهاب**
والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة
وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصله اختطف واتبع بمعنى تبع
والشهاب ما يرى كأن كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان
صح لم ينافي ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو
مصباح لاهل الارض وزينة السماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير
الحادث لما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع
وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه السلام ان صح فلعل المراد كثرته او مصيره دحورا
واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا
يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان
من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب مع
ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها **ثاقب** مضيء كانه يثقب الجو
بضوئه **فاستفتهم** فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم **اهم اشد خلقا ام من**
خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب
الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام
من عددنا وقوله **انا خلقناهم من طين لازب** فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين
من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة
اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم
الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان
قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث
العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة
فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه

الأشياء قدر على ما لا يعتد به بالإضافة إليها سيما ومن ذلك بدأهم أولا وقدرته ذاتية
لا تتغير **بل عجبت** من قدرة الله وإنكارهم للبعث **ويسخرون** من تعجبك وتقريرك
للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء أي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي أني تعجبت
منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكر البعث ممن هذه أفعاله
وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله إما على الفرض والتخييل أو على معنى
الاستعظام اللازم له فإنه روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء وقيل إنه
مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجبت **وإذا ذكروا لا يذكرون** وإذا وعظوا بشيء لا
يتعظون به أو إذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم **وإذا
رأوا آية** معجزة تدل على صدق القائل به **يستسخرون** يبالغون في السخرية ويقولون
إنه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها **وقالوا إن هذا** يعنون ما يرونه **إلا
سحر مبين** ظاهر سحريته **أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون** أصله أنبعث
إذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الإنكار
وإشعارا بأن البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال أشد استنكارا فهو أبلغ
من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الأولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية
أوآباؤنا الأولون عطف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون فإنه فصل
عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن
عامر الواو على معنى الترديد **قل نعم وأنتم داخرون** صاغرون وإنما اكتفى به في الجواب
لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال أي الله أو
الرسول ونعم بالكسر وهو لغة فيه **فإنما هي زجرة واحدة** جواب شرط مقدر أي إذا
كان ذلك فإنما البعثة زجرة أي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه
إذا صاح عليها وأمرها في الإعادة كأمر كن في الإبداء ولذلك رتب عليها **فإذا هم
قيام ينظرون** فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينتظرون ما يفعل بهم
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى بأعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو أيضا من كلام
بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين المحسن والمسيء **احشروا الذين ظلموا**

أمر الله للملائكة أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف وقيل منه إلى الجحيم
وأزواجهم وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدتها لقوله وكنتم
أزواجا ثلاثة أو نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين **وما كانوا يعبدون
من دون الله** من الأصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله
إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على أن الذين ظلموا المشركون **فاهدوهم
إلى صراط الجحيم** فعرفوهم طريقها ليسلكوها **وقفوهم** احبسوهم في الموقف
إنهم مسؤولون عن عقائدهم وأعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع جواز أن توقفهم
ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع **بل
هم اليوم مستسلمون** منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم وأصل الاستسلام
طلب السلامة أو متسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا أو يخذله **وأقبل بعضهم على بعض**
يعني الرؤساء والأتباع أو الكفرة والقرناء **يتساءلون** يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ
ولذلك فسر بيتخاصمون **قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين** عن أقوى الوجوه
وأيمنه أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار
من يمين الإنسان الذي هو أقوى الجانبين وأشرفه وأنفعه ولذلك سمي يمينا
وتيمن بالسانح أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال أو عن الحلف فإنهم
كانوا يحلفون لهم أنهم على الحق **قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين** أجابهم الرؤساء أولا بمنع إضلالهم فإنهم كانوا
ضالين في أنفسهم وثانيا بأنهم ما أجبروهم على الكفر إذ لم يكن لهم عليهم تسلط وإنما
جنحوا إليه لأنهم كانوا قوما مختارين الطغيان **فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون
فأغويناكم إنا كنا غاوين** ثم بينوا أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان
أمرا مقضيا لا محيص لهم عنه وأن غاية ما فعلوا بهم أنهم دعوهم إلى الغي لأنهم كانوا على
الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم وفيه إيماء بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم
إذ لو كان كل غواية لإغواء غاو فمن أغواهم **فإنهم** فإن الأتباع والمتبوعين **يومئذ
في العذاب مشتركون** كما كانوا مشتركين في الغواية **إنا كذلك** مثل ذلك
الفعل **نفعل بالمجرمين** بالمشركين لقوله **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله**

يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه السلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين
رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون
انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على
تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل
وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء
منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه
باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم
رزق معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان
الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما
اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم
مكرمون في نيله تصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم
في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان
لاولئك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او
في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم
بكاس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين
او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء
اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب
الجامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين
وهما ايضا صفتان لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ
كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان
لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول
ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب
عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس براسه وقرا
حمزة والكسائي بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد

يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن
بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض
المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
معطوف على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات
الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات
الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل
منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن
المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء
قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين
وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار
لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع
بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان
ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل
كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي
قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ
لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت
من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون
منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى
التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على
المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار
وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله
وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل
ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة

والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا يجب
ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا
يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم حاصل نزلها نزل اهل النار وانتصاب
نزلا على التميز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة
ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما تقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار
وهو اسم شجر صغير الورق ذفر مر يكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها
في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في
النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها
حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤس
الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن
بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك
فانهم لآكلون منها من الشجر او طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او الجبر
على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم
ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم
لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب
به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها
فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تع
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما
يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم
ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد
الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم
وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم
قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب

فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين
الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه
والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا آثارهم
ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس
من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف
منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق او اذى
قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة
اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين
من الامم سلام على نوح في العالمين هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون
عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء وفي العالمين
متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه
انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة
امره ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه في الايمان واصول
الشريعة لابرهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان
وستمائة واربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة
من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من
العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه
له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف
لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله تريدون اي اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم
المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون
افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك في انفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها
بحذف المضاف وحالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق
بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى
انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن

من عتابه على طريق الالزام وهو كالحجة على ما قبل فنظر نظرة في النجوم فرأى
مواقعها واتصالاتها او في علمها او كتابها ولا يمنع منه ان قصده ايهامهم وذلك حين
سألوه ان يعيد معهم فقال اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين
على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون
وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال
خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد
فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين
هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب
واصله الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تاكلون يعني الطعام الذي
كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية
بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى
ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان
قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون الى ابراهيم بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا
عن كاسرها وظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون
يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون
على الزفيف ويزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع
ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون
ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه
فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره
اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم ولذلك جعل من اعمالهم من الدواعي
والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا
كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به
اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا الاولين لما فيهما من حذف او مجاز
قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة

التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم
بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال
كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب
الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه
صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته
معه ولم يكن كذلك حال موسى عم حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر
بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة
ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم
بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم
مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وقل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلم وحالهما المذكورة بعد
تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق
بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا يبلغ فان بلوغهما لم يكن
معا كانه لما قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في
الرفق وبالاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ
ثلاث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى
ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما
اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى
مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولذلك سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة
والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق
بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلم انا ابن الذبيحين فاحدهما
جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له
حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل
ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة
حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق بمكة ولان البشارة باسحق كانت

مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وماروي انه عليه السلام سئل اي
النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن
ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من
الراوي وماروي ان يعقوب كتب الي يوسف مثل ذلك لم يثبت **فانظر ماذا ترى**
من الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه
ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد
له قبل نزوله وقرا حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون
بفتحهما وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها **قال يا ابت**
افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او علي الترتيب كما عرفت او امرك علي ارادة
المامور به والاضافة الي المامور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مامورا به او علم
ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام
دون اليقظة ليكون مبادرتهما الي الامتثال ادل علي كمال الانقياد والاخلاص
وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا **ستجدني ان شاء الله من الصابرين** علي الذبح
او علي قضاء الله **فلما اسلما** استسلما لامر الله او اسلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه
وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه
وتله للجبين صرعه علي شقه فوقع جبينه علي الارض وهو احدي جانبي الجبهة
وقيل كبه علي وجهه باشارته كيلا يري فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند
الصخرة بمنى او في الموضع المشرف علي مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم **وناديناه**
ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين
بقوته علي حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال
ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله علي ما انعم عليهما من دفع البلاء
بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به علي العالمين مع احراز
الثواب العظيم الي غير ذلك **انا كذلك نجزي المحسنين** تعليل لافراج تلك الشدة
عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح
لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل **ان هذا لهو البلاء المبين** الابتلاء البين الذي

يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها **وفديناه بذبح**
بما يذبح بدله فيتم به الفعل **عظيم** عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله
نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا
اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتي اخذه فصارت
سنة والفادي علي الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به علي التجوز
في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية علي ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة
وليس فيه ما يدل عليه **وتركنا عليه في الآخرين سلام علي ابرهيم** سبق بيانه في قصة
نوح **كذلك نجزي المحسنين** لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة **انه**
من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا
كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعتا حالين ولا حاجة الي وجود المبشر به وقت
البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به للاعتبار
المعني بالحال فلا حاجة الي تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق
اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين
فان الداخلين مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه
وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر
الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معني الكمال والتكميل
بالفعل علي الاطلاق **وباركنا عليه** علي ابرهيم في اولاده **وعلي اسحق** بان اخرجنا
من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين
والدنيا وقرئ وبركنا **ومن ذريتهما محسن** في عمله او علي نفسه بالايمان والطاعة
وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي **مبين** ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه علي ان النسب
لا اثر له في الهدي والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب
ولقد مننا علي موسي وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية
والدنيوية **ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم** من تغلب فرعون او الغرق
ونصرناهم الضمير لهما مع القوم **فكانوا هم الغالبين** علي فرعون وقومه **وآتيناهما**
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية **وهديناهما الصراط المستقيم**

الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين وهو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس وقرا ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او اتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال الان بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء منه بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر فلا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرا نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة ال الى ياسين لانهما في المصحف منفصل فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد عليه السلام او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل يعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه

الى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر وروي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين لله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم شانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلعم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مراى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او جددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا

نصف

لما يلايمه من القصص موصلا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا
لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك
ضلالات اخر التجسيم وتجويز البنات على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام
الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما
لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في
كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان
فسادهما مما يدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام
على التقسيم أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة
لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته
بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به
كانهم قد شاهدوا خلقهم ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه
وقيام ما ينفيه وإنهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده
فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث أصطفى البنات
على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع
كسر الهمزة على حذف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار
القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون
بما لا يرتضيه عقل أفلا تذكرون انه منزه عن ذلك أم لكم سلطان مبين حجة
واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم
إن كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم
باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت
الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة إنهم ان الكفرة
والانس والجن ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما
يصفون من الولد والنسب إلا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او
متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فإنكم وما تعبدون

عودا الى خطابهم ما أنتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء إلا من
هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار ويصلاها لا محالة وانتم ضمير
لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى
المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه
بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال
بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل
على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها
بالية كعافية وما منا إلا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم
والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير
العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد
علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله
تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك
للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونها فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه وإنا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وإنا لنحن
المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعات وهذا
في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون
على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى
وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة وانا لنحن الصافون له في
الصلوة والمنزهون له عن السوء وإن كانوا ليقولون اي مشركي قريش لو أن عندنا
ذكرا من الأولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا
العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار
والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون
وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى
واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم

الفتح وأبصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالأمر الدلالة على أن ذلك كائن قريب كأنه
قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة
وسوف للوعيد لا للتبعيد أفبعذابنا يستعجلون روي أنه لما نزل فسوف
يبصرون قالوا متى هذا فنزل فإذا نزل بساحتهم فإذا نزل العذاب بفنائهم شبهه
بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على إسناده إلى الجار
والمجرور ونزل أي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم
واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب
ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وإن وقعت في وقت
آخر وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون تأكيد إلى تأكيد وإطلاق بعد
تقييد للإشعار بأنه يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من أصناف المسرة وأنواع
المساءة أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة
عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة وإضافة الرب إلى العزة لاختصاصها به
إذ لا عزة إلا له أو لمن أعزه وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الإشعار
بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم
والحمد لله رب العالمين على ما أفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة
ولذلك أخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله
وعن علي من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه
من مجلسه سبحان ربك إلى آخر السورة وعن النبي صلعم من قرأ والصافات أعطي من الأجر
عشر حسنات بعدد كل شيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له
حافظاه يوم القيمة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست أو ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم ص
قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لأنه أمر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى
فإنه يعارض الصوت الأول أي عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك أو لحذف حرف القسم

وإيصال فعله إليه أو إضماره والفتح في موضع الجر فإنها غير مصروفة لأنها علم السورة وبالجر
والتنوين على تأويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم إن جعل ص اسما للحرف أو مذكورا
للتحدي أو للرمز بكلام مثل صدق محمد أو للسورة خبرا لمحذوف أو لفظ الأمر وللعطف
إن جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي أو الأمر
بالمعادلة أي إنه لمعجز أو لواجب العمل به أو إن محمدا لصادق أو قوله بل الذين كفروا أي
ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة أي استكبار عن الحق
وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الأولين الإضراب أيضا من الجواب المقدر
ولكن من حيث إشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة أو الشرف أو الشهرة أو ذكر ما يحتاج
إليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على
شدتهما وقرئ في غرة وشقاق أي في غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم أهلكنا من قبلهم
من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة أو توبة أو استغفارا
ولات حين مناص أي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها
تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الأحيان وحذف أحد
المعمولين وقيل هي النافية للجنس أي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب
بإضماره أي ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع على أنه اسم لا أو مبتدأ محذوف الخبر أي ليس
حين مناص حاصلا لهم أو لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات أوان
فأجبنا أن لات حين بقاء إما لأن لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر في نحو قوله
لولاك هذا العام لم أحجج أو لأن أوان شبه بإذ لأنه مقطوع عن الإضافة إذ أصله أوان
صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما أضيف إلى الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد إذ أصله
حين مناصهم ثم بني الحين لإضافته إلى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية
عليها بالهاء كالأسماء والبصرية بالتاء كالأفعال وقيل إن التاء مزيدة على حين لاتصالها
به في الإمام ولا يرد عليه أن خط المصحف خارج عن القياس إذ مثله لم يعهد فيه والأصل
اعتباره إلا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان
ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه إذا فاته وعجبوا أن جاءهم منذر منهم بشر
مثلهم أو أمي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم

ودمالم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول **هذا ساحر** فيما يظهره معجزة **كذاب**
فيما يقول على الله **اجعل الالهة الها واحدا** بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد **ان**
هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من ان
الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرّام روي انه
لما اسلم عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله
صلعم وقال هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلوة
والسلام ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم
ان اعطيتكم ما سألتم أمعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك **وانطلق الملأ منهم** فانطلق
اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلعم **ان امشوا** قائلين
بعضهم لبعض امشوا **واصبروا** واثبتوا **على آلهتكم** على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته
وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق
الاندفاع في القول وامشوا من مشيت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي
اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا **ان هذا لشيء يراد** ان هذا الامر لشيء
من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له وان هذا الذي يدعيه من التوحيد ويقصده من الرياسة
والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم يطلب ليؤخذ منكم
ما سمعنا بهذا بالذي يقوله **في الملة الآخرة** في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في
ملة عيسى التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا
اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة **ان**
هذا الا اختلاق كذب اختلقه **أأنزل عليه الذكر من بيننا** انكار لاختصاصه بالوحي
وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد
وقصور النظر على الحطام الدنيوي **بل هم في شك من ذكري** من القرآن او الوحي
لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم

هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق **بل لما يذوقوا عذاب** بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا
ذاقوا زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه **أم**
عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى
يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان
النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اي الغالب
الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال **أم لهم**
ملك السموات والارض وما بينهما كأنه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم
خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي
هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها **فليرتقوا في الاسباب** جواب شرط
محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى
يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم
والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث
السفلية **جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب** اي هم جند ما من الكفار المتحزبين
على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية
اي فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم
على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا انفسهم فيه من الانتداب
لمثل هذا القول **كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد** ذو الملك الثابت
بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من
ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا
كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها
ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت **وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة** واصحاب
الغيضة وهم قوم شعيب **اولئك الاحزاب** يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند
المهزوم منهم **ان كل الا كذب الرسل** بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل
على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك رتب عليه **فحق**
عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم **وما ينظر**

هؤلاء ومالها ينتظرون كما الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله
الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد
للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس
وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك
استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في
اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن
منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن واستغفر ربه واناب فما الظن
بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من
المعاتبة على اهمال عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد
وآد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل للايد دليل على ان
المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا
سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار
الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت
الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما
شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه الصلوة والسلم
صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضه ما عرفت صلوة الضحى
الا بهذه الآية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين
لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل
له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه
وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل
منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود
وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحي
اليه ان اقتل المدعى فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت

بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام
بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس
يراعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف
والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة من الحمد والصلوة
وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف
كلام الرسول عليه الصلوة والسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبأ الخصم استفهام
معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع
اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ
متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد
داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من
معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ اذ دخلوا على داود بدل من الاولى
او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب
لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلم جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء
ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان في يوم
الخلوة قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض نحن فوجان متخاصمان على تسمية
مصاحب الخصم خصما فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا
تشطط اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو
مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين
والصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى
بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع
وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني
اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب وغلبني
في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته اياي في الخطبة
يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ
وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غرب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك

سجدة

إلي نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله
قال ذلك بعد اعترافه او علي تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الي مفعوله
وتعديته الي مفعول آخر بالي لتضمنه معني الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء
الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدي بعضهم علي بعض وقرئ بفتح
الباء علي تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف
الياء اكتفاء بالكسرة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل
وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه
بتلك الحكومة هل تنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا علي تسمية السجود
ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا احرم بركعتي الاستغفار واناب
ورجع الي الله بالتوبة واقصي ما في هذه الاشعار بانه عليه السلم ود ان يكون له ما لغيره
وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره
وقع علي امرأة رجل يقال له اوريا فعشقها وسعي في تزوجها وولدت منه سليمان
ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم
وقد واسي المهاجرين الانصار بهذا المعني وما قيل انه ارسل اوريا الي الجهاد
مرارا وامر ان يتقدم حتي قتل فتزوجها هزؤ وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من
حدث بحديث داود علي ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا
ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم
فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه
مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفي لقربة بعد
المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
استخلفناك علي الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين
بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوي ما تهوي النفس وهو
يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الي تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك
عن سبيل الله دلائله التي نصبها علي الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره

يقتضي

يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوي وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعني مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوي بل للحق الذي هو مقتضي
الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
علي وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الي خلقها باطلا
والظن بمعني المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام
فيها لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل علي نفيه
وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين
والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار
الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل علي صحة
القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي
الحكمة او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخري يجازون فيها كتاب انزلناه
اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب علي الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا
ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا
علي الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به
ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته
بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع
وارشاد الي ما يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل
للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الي الله بالتوبة او الي التسبيح مرجع له اذ عرض عليه
ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات
الصافن من الخيل الذي يقوم علي طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة
في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخالص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي
يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روي انه عليه الصلوة والسلم

غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها
فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان
له فاغتم لما فاته واستردها فعقرها تقربا لله فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي
اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي
تعديته وقيل هي بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذا احبا اي برك وحب
الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق
الخير بها قال عليه الصلوة والسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة حَتَّى
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخباة بحجابها واضمارها
من غير ذكر لدلالة العشي عليه رُدُّوهَا عَلَيَّ الضمير للصافنات فَطَفِقَ مَسْحًا فاخذ
يمسح السيف مسحا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح
علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن
كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كموقن وعن ابي عمرو بالسؤوق كما في موسى
وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا
عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على
سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله
فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لجاهدوا
فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه
في السحاب فما شعر الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على
الله وقيل غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنته جرادة فاحبها
وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت
تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف
فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها
امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها
بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه
الخلق ونفذ حكمه في كل شئ الا فيه وفي نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت

يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف
الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا
وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا
بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا وسجود
الصورة بغير علمه لا يضره قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ
بَعْدِي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه
مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم
الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء
بصدد الاجابة إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ المعطي ما تشاء لمن تشاء فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ فذللناها
لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً لينة من الرخاوة لا تزعزع
او لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد حَيْثُ أَصَابَ اراد من قولهم اصاب الصواب
فاخطأ الجواب وَالشَّيَاطِينَ عطف على الريح كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ بدل منه وَآخَرِينَ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال
الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر
ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد
تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط
بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده
وفي ذلك نكتة هَذَا عَطَاؤُنَا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسليط
على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ فاعط من شئت وامنع من شئت
بِغَيْرِ حِسَابٍ حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض
التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم
لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك
اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى فِي الْآخِرَةِ مع ما له من الملك
العظيم في الدنيا وَحُسْنَ مَآبٍ هو الجنة وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ هو ابن عيص بن

اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب **اذ نادى ربه** بدل من عبدنا وايوب عطف بيان **اني مسني الشيطان بنصب** بتعب **وعذاب** الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل **اركض برجلك** حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض **هذا مغتسل بارد وشراب** اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى **ووهبنا له اهله** بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبناه مثلهم **ومثلهم معهم** حتى كان له ضعف ما كان **رحمة منا** لرحمتنا عليه **وذكرى لاولي الالباب** وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء الى الله فيما يحيق بهم **وخذ بيدك ضغثا** عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه **فاضرب به ولا تحنث** روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم ابن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود **انا وجدناه صابرا** فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال خيفة ان يفتنه او قومه في الدين **نعم العبد** ايوب **انه اواب** مقبل بشراشره على الله **واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب** وقرأ ابن كثير عبدنا على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه **اولي الايدي والابصار** اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة

الجهال انهم كالزمنى والعماة **انا اخلصناهم بخالصة** جعلناهم خالصين لنا بخصلة لا شوب فيها هي **ذكرى الدار** تذكرهم للاخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون به ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله **وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار** لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميت **واذكر اسمعيل واليسع** وهو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رايت الوليد ابن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع **وذا الكفل** ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة **وكل** اي وكلهم **من الاخيار هذا** اشارة الى ما تقدم من امورهم **ذكر** شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال **وان للمتقين لحسن مآب** مرجع **جنات عدن** عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة كقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها **مفتحة لهم الابواب** على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف **متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب** حالان متعاقبتان او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثم **وعندهم قاصرات الطرف** لا ينظرن الى غير ازواجهن **اتراب** لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد **هذا ما توعدون ليوم الحساب** لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله **ان هذا لرزقنا ما له من نفاد** انقطاع **هذا** اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ **هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم** اعرابه ما سبق

يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والفرش مستعار من فراش النايم والمخصوص
بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه
او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدا خبره حميم وغساق وهو على الاولين
خبر محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين
اذا سال دمعها وآخر اي مذوق او عذاب آخر وقرا البصريان اخر اي ومذوقات او
انواع عذاب آخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد
الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل الحميم والغساق او للغساق وقري بالكسر وهي
لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم
هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للروسا الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها
معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم
دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا
لهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع
للروسا بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما
قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتم
من العقايد الزايغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع
ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف وذلك
ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقولهم ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا
ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم
ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم
بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لهم في الاستسخار منهم وقرا نافع
وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المومنين ام زاغت مالت عنهم الابصار
فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رويتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا
هنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا
بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على
انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ

ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا
به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقري بالنصب
على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا
الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السموات
والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار
الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد
ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية على ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو هو الانذار
قل هو اي ما انباتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الوهيته
وقيل ما بعده من نبا آدم نبا عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل
لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة
فقوله وما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون فان اخباره على تقاول
الملايكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب
لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او محذوف اذ التقدير من علم بكلام الملا
الاعلى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما كانه لما جوز ان الوحي ياتيه
بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا كقوله انما انا منذر ويجوز ان يرفع باسناد يوحى
اليه وقري انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين
بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول
الملايكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه الخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير
انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود هنا وهو انذار المشركين
على استكبارهم على النبي بمثل ما حاق ابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجايز
ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملا الاعلى بما يعم الله والملايكة
فاذا سويته عدلت خلقه ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته
الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد تقدم
الكلام فيه في البقرة فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم
وكان وصار من الكافرين باستكباره امر الله واستكباره عن المطاوعة او كان

منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من
غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على
التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث
به في تركه وهو لا يصلح للمانع اذ للسيدان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد
اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن
علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ
استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابدا
للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال
فاخرج منها من الجنة او من السماء او من صورة الملائكة فانك رجيم مطرود من الرحمة
ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك
فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله
لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال
فالحق والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف
حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق
اي انا الحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي
او الخبر اي انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين
على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه
اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره بنصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في
منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد منك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل
للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسئلكم عليه من اجر اي على
القرآن او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على
ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين
للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد حين

بعد الموت يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلعم من قرأ سورة ص كان له
بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الاية وآيها خمس او ثنتان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على
الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان
الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل
نحو اقرأ والزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات
الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا الدين من الشرك
والرياء وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص
المستفاد من اللام كما صرح به موكدا واجراء مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور
براهينه فقال الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له
الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضماير والذين
اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة
وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق
عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او
ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه
حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما يعبدكم الا ليقربونا
حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين
بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم
فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من
هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى
مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق لقيام الدلالة على امتناع
وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل

للخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية
تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل
واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة
تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض
بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الآخر كانه
يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا
عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء
الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه المنافع من الرحمة وعموم
المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها نوع استدلال آخر بما
اوجده في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة
واعجب وفيه على ما ذكره ثلث دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام ثم خلق حوا
من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفايت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف وهو صفة
نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها
فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية
وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه بعد ذلك حوا وانزل لكم وقضى او
قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السما حيث كتب في اللوح او احدث
لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا
وانثى من الابل والبقر والضان والمعز في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق
ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه غلب اولي
العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا
من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد
نطف في ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن
ذلكم الله الذي هذه افعاله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا
هو اذ لا مشاركة في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك

ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة
عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو
والكسائي باشباع ضمة الها لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو
ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا
يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال
ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو
التحول او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعو اليه نسي الضر
الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في
قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل
عن سبيله وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح اليا والضلال والاضلال لما كانا
نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد
فيه اشعار بان الكفر نوع تشهي لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة
ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو
قانت قايم بوظايف الطاعات آناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر
خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل ام من هو قانت كمن بضده وقرا الحجازيان
وحمزة بتخفيف الميم بمعنى ام من هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقايما
حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه في موضع الحال او الاستيناف للتعليل قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار
القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم
وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون
لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه
البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا

مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة
والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن لم يتيسر
عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى
الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال ومهاجرة الاوطان لها اجرهم
بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه ينصب
الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا يوفون
لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان
اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني
امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين
وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق
في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف
لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلية والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص
وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها ففي ايضا يقتضيه لما يلزمه من السبقة
في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم
في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان
عصيت ربي ترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب
يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان
يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا
على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا
ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران
الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون
النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا انفسهم وان كانوا من
اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين
مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف
الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل

اطباق من النار هي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي
يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين
اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين
بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان
ان يعبدوها بدل الاشتمال وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم
البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت فبشر عبادي
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين
اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل
ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك الذين هديهم الله لدينه واولئك هم اولوا
الالباب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان
الهداية يحصل بفعل الله وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت
تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره ا
انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه وكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد
الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على من
حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم
الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة
للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من
فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري
من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم
غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال
الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض
هو عيونا ومجاري كائنة فيها او مياها نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع
فنصبها على المصدر اما الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير
وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه
حان له ان يثور عن منبته فتريه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في

ذلك لذكري اذ لا يتذكر به غيرهم أفمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر
عن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب
المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء
الى الحق وعنه عليه الصلوة والسلم اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما
علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل
نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره
وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسية من اجل الشي اشد تأبيا
من قبوله من القاسي عنه لسبب آخر وللمبالغة في وصف اوليك بالقبول وهولاء
بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه
اوليك في ضلال مبين يظهر للناظر بادي نظر والآية نزلت في حمزة وعلى وابي
لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله
صلعم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تاكيد
للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن
او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة
على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا
باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب
او جعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمايل تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار
الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا
كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة
وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه
والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمينان وذكر القلوب لتقدم الخشية
التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء هدايته
ومن يضلل الله من يخذله فما له من هاد يخرجه الى عنقه من الضلالة أفمن
يتقي بوجهه يجعله درقة يتقي بها نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر

ان يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره
وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب
لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين
من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر
ياتيهم فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي
والاجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من
اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل
مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال
من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي
عوج لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا
بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض
مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للموحد والمشرك رجلا
فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من
ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع
يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص
لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخص
الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين
وكسرها مع سكون اللام وثلثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذو او رجل سالم
اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا
صفة وحالا او نصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف
النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير
مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم
بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم
انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ
مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة

الجزء الرابع والعشرون

عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل
في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون
بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام
يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله
باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه الصلوة والسلم اذ
جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم
مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم
مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجاه ما علم مجيء الرسول به
بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين
لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي والمراد هو ومن معه تبعا كما في قوله ولقد
آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك
يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق بالتخفيف اي صدق به الناس
فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على
البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على
احسانهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر
كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون
مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغاير اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء
كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسوأ جمع سوء ويجزيهم اجرهم
ويعطيهم ثوابهم باحسن ما كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في
زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار
للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي عباده وفسر بالانبياء صلوات الله عليهم ويخوفونك بالذين من
دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك
اياها وقيل انه بعث خالدا الى كسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة
فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر بما خوف اليه

ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه
الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز
غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل افرأيتم ما تدعون من دون
الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارأيتم بعد ما تحققتم ان
خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني
برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني قل حسبي الله كافيا في اصابة
الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات
على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون
لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال
كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل اي على
مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه
تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين
فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو
عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم
ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما
يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم
على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها
فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك
التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن ويرسل الاخرى اي النائمة الى
بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى وهو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس
الارسال وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما
مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحركة

متوفيان عند الموت وفي النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرنا إن في ذلك
في التوفي والامساك والارسال لآيات علي كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته
لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت
وامساكها باقية لا تفني بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة
في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الي توفي آجالها أم اتخذوا بل
اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل أولو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون اي يشفعون ولو كانوا علي هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات
لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسي يجيبون به وهو أن
الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعني انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع
احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض
بانه مالك الملك كله لا يملك لاحد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم إليه
ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ وإذا ذكر الله وحده دون
آلهتهم اشمأزت انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا
ذكر الذين من دونه يعني الاوثان إذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ في الامرين حتي الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه
سرورا حتي ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا ينقبض اديم وجهه
والعامل في اذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة التجئ الي الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة
شكيمتهم فانه القادر علي الاشياء والعالم بالاحوال كلها أنت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو أن
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب
يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد
وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزئون واحاط بهم جزاؤه فإذا مس الانسان ضر دعانا

اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف علي قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم
وتعكيسهم في التسبب بمعني انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة
فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض
مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم إذا خولناه نعمة اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص
منا قال إنما أوتيته على علم علي علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطيه لما لي من استحقاق
او من الله بي واستيجابي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد
شئ منها بل هي فتنة امتحان له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار
الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل
علي ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله إنما أوتيته
علي علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه
فانه قاله ورضي به قومه فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فأصابهم
سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة
اعمالهم السيئة رمزا الي ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين
ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد
اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين
أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا
ثم بسط لهم سبعا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله تعالى بوسط
او غيره قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف
في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين علي ما هو عرف القرآن لا تقنطوا
من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا إن الله يغفر الذنوب
جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل علي اطلاقه
فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله إنه هو الغفور
الرحيم علي المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي
عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة علي الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم
وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن

الرحمة المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير
لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عليه الصلوة
والسلام قال ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك
فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا زعم
محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا
الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة
فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا
لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ فانها لا تدل على حصول المغفرة
لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل
وتنافي الوعيد بالتعذيب وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ القرآن
او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ
ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ بمجيئه فتتداركون أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ
كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض او للتكثير كقول الاعشى ورب
بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يَا حَسْرَتَا وقرئ بالياء
على الاصل عَلَى مَا فَرَّطْتُ ما قصرت فِي جَنْبِ اللَّهِ في جانبه اي في حقه
وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك
تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت
على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه
من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ
المستهزئين باهله ومحل وان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا
ساخر أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي بالارشاد الى الحق لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
الشرك والمعاصي أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال
تحسرا وتعللا بما لا طائل تحته بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ

وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي
وفصله عنه لان تقديمه يفرق القراين وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود
لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة
الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على
المعنى وقرئ بالتانيث للنفس وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ بان
وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل
عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من روية البصر واكتفي
بالضمير عن الواو أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى مقام لِلْمُتَكَبِّرِينَ عن الايمان والطاعة
وهو تقرير لانهم يرون كذلك وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وقرئ وينجي بِمَفَازَتِهِمْ بفلاحهم مفعلة
من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص بابهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح
اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه
والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وهو
حال او استيناف لبيان المفازة اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ من خير وشر وايمان وكفر
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ يتولى التصرف فيه لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يملك
امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد
دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها
وهو جمع مقليد او مقلاد تقلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ
كمذاكير وعن عثمان رضه انه سال النبي صلعم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله
اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه
الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارضين من تكلم بها اصابه
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا
وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها
وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المومنين فضل الله وفي هلاك الكافرين
بان خسروا انفسهم والتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد

بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بأمر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده
وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل أفغير الله تأمروني
أعبد أيها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلالات والمواعيد وتأمروني
اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك
لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى يعبدونني
على ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة
اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف
الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك اي من الرسل
لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض
والمراد تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب
باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت
كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه
ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليه وفيه
اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم
حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وكمال
قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة
على ان تخريب العالم اهون على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت
بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة
وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها
الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال
والسموات معطوفة على الارض منطوية في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون

ما ابعدوا

ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضيفون اليه من الشركاء ونفخ في
الصور يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خروا ميتا او
مغشيا عليه الا من شاء الله قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد
وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في
الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام
قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال
من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم
وأشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر
الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضافه الى
نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه
او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ
يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين
وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب
او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم
بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية فقال وسيق الذين كفروا الى
جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة
وهي جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة
زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها ليدخلوها
وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل
منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم
هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم
عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل
النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو
قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها

ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم
سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم
فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم لان تكبرهم وساير مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلوة
والسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال
اهل الجنة فيدخله به الجنة فاذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت
على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على
تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب
اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب
الجنة يفتح لهم قبل مجيئها منتظرين وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم
بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود
والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه
لانه مطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض
يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من
اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث
نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من الجنة الواسعة مع ان في الجنة مقامات
معنوية لا يتمانع واردها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين
من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين
بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا
به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات
الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين
الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين
اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم
لتعيينهم وتعظيمهم عن النبي صلعم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه
ثواب الخائفين وعنه عليه الصلوة والسلم انه كان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وآيها خمس او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم حم

امالها ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم
على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرا ومنع صرفه للتعريف والتانيث
او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل
تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة
البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر
لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة حقيقية
على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه
فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم
وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير
الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون
لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر
كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب
مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته
اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا
لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق بقوله
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقايقه
وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال
عليه الصلوة والسلم ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة
فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد
الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم
كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم
من بعدهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها

ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل والاخذ بمعنى الاسر وجادلوا
بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فأخذتهم بالاهلاك جزاء لهم
فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك
حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب
النار بدل من كلمة بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون
العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم
حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده
وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات
الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح
ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك
كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان
الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة
والهامهم بما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح
والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون
اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة
وعلما اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم
والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم
عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة
العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح
من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم ليتم سرورهم
او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك
انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن
ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد
تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ

فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعدما سألوا
المسبب وذلك الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون
يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم
انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه
المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء
اعمالها الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن او للتعليل والحكم وزمان المقتين
واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند
انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير
والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار
الفاعل احد مقدوريه تصيير وصرف له عن الآخر واحييتنا اثنتين احياءة الاولى
واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء
للسؤال والاحياء الاول ما في القبر والاحياء الثاني ما في البعث اذ المقصود اعترافهم
بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب لقوله فاعترفنا بذنوبنا فان
اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من
النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقوله من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك
اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متحدا او توحد
وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به
تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد
العلي الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض
مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم آياته الدالة على التوحيد
وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق
كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها
المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار
بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله
مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم

رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول
والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجاته كمالا بحيث لا يظهر دونها
كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به
وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات
الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من امره على من يشاء
من عباده خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها
وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر
بالجزاء او مبدأه والامر هو الملك المبلغ يختاره للنبوة وفيه دليل على انه عطائي لينذر
غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق
يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبود
والعباد والعمال يوم هم بارزون خارجون عن قبورهم او ظاهرون لا يسترهم
شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم
شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم
في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم
ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط
واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما
سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها
او المها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت
العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب
ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه
سريعا وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة
الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها
ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا
كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها
او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت

اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع
الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة
الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة
الاعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي
الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا
يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان
الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع بالتاء على الالتفات او اضمار قل
ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم
على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل
قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه
ان يقع بين المعرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه
وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا
كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق
يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
او الاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد
العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يعني المعجزات
وسلطان مبين وحجة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض
المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلعم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين
كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا
ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون
بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين الا في ضلال ضياع
ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون

ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه من قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو
قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع انه سفاك في اهون شي
دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له وقوله وليدع
ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما
انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في الارض
الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم
بالكلية وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن
عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما
سمع كلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ
بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثا
لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر
وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عدت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله
وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه
والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان
يقول ربي الله لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل في امره ربي الله
وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة
على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات
احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب
الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه
الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل ان يصيبكم بعضه
وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه
كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو
اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ترضها او يرتبط

بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
احتجاج ثالث بعلة ذات وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى
البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة
لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني ليلين شكيمتهم وعرض
به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم
الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس
الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا
لم يمنعنا عنه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة او ليريهم انه
معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى
واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني
متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه
فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور
على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني
اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية
يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح
وعاد وثمود جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم
كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير
انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه حدوث تعلق
ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادي فيه بعضهم
بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار
كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء
من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها
ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم
اتاكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال
الآباء الى الاولاد او سبط يوسف بن ابرهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات

بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى إذا هلك مات قلتم لن
يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما
بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم
يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان من
هو مسرف مرتاب شاك فيما يشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد
الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان
بغير حجة اما بتقليد او بشبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله وعند
الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدا وخبره كبر
على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل
كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار استينافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرئ قلب بالتنوين على
وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف
مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء
مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب
السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى
معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب
الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي
هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله
اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله
اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله
بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك
التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل
على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ
الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال
هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار

وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة
سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون
وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة
هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه
دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل
بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء اسمية
مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان
حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي
ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما
بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني
الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم تعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير
لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه
تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته
علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان فاعتقادها
لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية
من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة
والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق
وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق
عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها
او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن
فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو
التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما
فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا

الي الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدما هم
اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضهم بعضا عند معاينة
العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الي الله ليعصمني من كل سوء ان
الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب لوعيدهم المفهوم من قوله فوقيه الله سيات
ما مكروا شدايد مكرهم وقيل الضمير لموسي وحاق بال فرعون بفرعون وقومه واستغنى
بذكره عن ذكرهم للعلم بانه اولي بذلك وقيل بطلبة المومن من قومه فانه فر الي جبل
فاتبعه طايفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء
العذاب الغرق او القتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة
مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون
حال منها او من الال وقريت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون
مثل يصلون فان عرضهم علي النار احراقهم بها من قولهم عرض الاساري على السيف
اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روي ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود
يعرض على النار بكرة وعشيا الي يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد
وفيه دليل علي بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا مادامت
الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا ال فرعون يا ال فرعون اشد العذاب
عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرا نافع وحمزة والكسايي
ويعقوب وحفص ادخلوا علي امر الملايكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار
واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل العطف علي غدوا فيقول الضعفاء للذين
استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى
اتباع علي الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع
او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمن او مصدر كشيئا في قوله لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين
استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا
وقرئ كلا علي التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا
من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم

لعولك كل يوم لك نوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة والنار
النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم
موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من
قولهم بير جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب شيئا من
العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا
اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم علي اضاعتهم
اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلي قالوا فادعوا فانا لا نجتري
فيه اذ لم يوذن في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين
الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين امنوا بالحجة والظفر والانتقام
لهم من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض
ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع
شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة علي الناس من
الملايكة والانبيا والمومنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم
نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يوذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من الرحمة
ولهم سوء الدار جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدي به في الدين من المعجزات
والصحف والشرايع واورثنا بني اسرايل الكتاب وتركنا عليهم من ذلك التورية
هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة
فاصبر علي اذي المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلف واستشهد بحال موسى
وفرعون واستغفر لذنبك واقبل علي امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولي
والاهتمام بامر العدي بالاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح
بحمد ربك بالعشي والابكار ودم علي التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين
اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في
ايات الله بغير سلطان اتيهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة
او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح ابن داود يبلغ سلطانه البر والبحر
وتسير معه الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم

او اراده الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او المراد
فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمتها اولا من غير اصل قدر على خلق
الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون في امر التوحيد ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم
وما يستوي الاعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي
فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من
الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير
لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون
اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على
تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب
فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال
ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان
الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي
الى ضعف المحركات وهدء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار
اليه مجازي فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل
لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم
المخصوص بالافعال المقتضية للالهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو
اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص
فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون

فكيف ومن اي وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات
الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها الله الذي
جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال بافعال آخر مخصوصة وصوركم
فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات
متهيئا لمزاولة الصنايع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم
الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض
للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته
وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله
رب العالمين قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله
لما جاءني البينات من ربي من الحجج او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل
منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد او اخلص له ديني هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة
الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره
ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا
بالكسر وشيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد
ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او القيمة ولعلكم تعقلون
ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول
له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان
ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر
الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق وتكرير ذم المجادلة
لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتأكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب
السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب او الوحي والشرائع فسوف يعلمون
جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال
والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون
في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل

يسحبون بالنصب وفتح اليا على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر
حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للبا ويدل
عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير
للصديق كانه سجر بالحب اذا ملا والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها
الى بعض ثم قيل لهم اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك
قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من
قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذه الضلالة يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا
الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال
بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والعصيان
وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ
ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود
فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين
لكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك
الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك
لحقت النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر
او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فيجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذلك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك
او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع
في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم
اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات
عطايا قسمها على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد
باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء
المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات

بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من
جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان
والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر
وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير
النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة اذ يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة
عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين المنفعة والعين ويريكم
آياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاي آيات الله اي آية من تلك
الآيات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا
بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لانها
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة وآثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار
اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات او الآيات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل
والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادرك علمهم في الآخرة وهو قولهم
لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها على زعمهم تهكما بهم او علم
الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم واستهزاؤهم به
ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا
تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله
حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة
لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى عنهم والباقيتان
لان رؤية الباس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية
سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من

المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلعم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وآيها ثلث او اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم

ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديد الحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصيصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية كتاب فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف القول بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ تمثيلا لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد

النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه اي فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في الدنيا وانكارهم الآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمس عشرة ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او متعلق بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا

اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في
المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان
جوهر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها
وللارض ايتيا بما خلقت فيكما من التاثير والتاثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع
المختلفة والكائنات المتنوعة او ايتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى
التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او ايتان السماء حدوثها وايتان الارض
ان يصير مدحوة وقد عرفت او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده
منكما ويؤيده قراءة اتينا من المواتاة اي ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت
منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع
مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا
طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما وتاثرهما
بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل
انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال
طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضيهن سبع
سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم
وسبع سموات حال على الاول وتميز على الثاني في يومين قيل خلق السموات
يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها
شانها وما يتاتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها
باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها وحفظا
اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قال
وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في
القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة
فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته
الصاعقة صعقا وصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز

جعل

جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم
من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على
الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من
قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعين
الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة لقوله تعالى ياتيها رزقها رغدا
من كل مكان الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا
ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم
بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على
اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من
قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر
عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر
اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس
نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت
على فعل او الوصف بالمصدر قيل كان آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم
الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي
وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة
المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال
الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة
العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافها الى العذاب ووصفها
بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا
وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ نحشر على

وا

البناء للفاعل وهو الله تع فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليلاحقوا وهي عبارة
عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاوها اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد ايصال
الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا يدل على ما اقترف بها فينطق بلسان الحال
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سوال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب
قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله
الذي انطق كل شيء اوليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول
الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم
اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم
تستترون الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم
تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المومن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه
حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم
على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدا وقوله ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارديكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين
اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا
فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسالوا العتبى وهو الرجوع
الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله حكاية اجزعنا ام
صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان سئلوا
ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة
قرناء اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض
القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم
من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول
اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا
ففي آخرين قد افكوا وهو حال من ضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس

وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا
اصواتكم ليتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا
يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي يغلبون على قراءته فلنذيقن الذين كفروا
عذابا شديدا المراد بهم هولاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء سيئات
اعمالهم وقد سبق مثله الذي كانوا يعملون ذلك اشارة الى الاسوء جزاء اعداء الله
خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها
دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور ويعني بالدار عينها على ان المقصود هو
الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي
هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس
يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما
سنا الكفر والقتل وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر ارنا بالتخفيف كفخذ
وفخذ نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل
ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته
واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث
انه مبدا الاستقامة او لانها عسر قل ما تتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين
في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها
تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن
او عند الموت او الخروج عن القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على
ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم
الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشياطين يفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة
والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي انفسكم
من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم
من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما يدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة

الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا به
او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع
تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلعم وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي ادفع
بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة
على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات
وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك
وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها وما يلقى
هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس
عن الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم
الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها تبعث على ما لا
ينبغي كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا
للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم
بنيتك او بصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن
الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا
يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع
السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى
فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل
والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسأمون لا يملون ومن آياته انك ترى الارض
خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ وربأت اي زادت
ان الذي احياها بعد موتها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير من الاحياء

سجده

والاماتة ان الذين يلحدون في آياتنا يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف
والتأويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى
في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا
مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا او مستأنف
وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن وانه
لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من
الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم اي حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما
ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة
لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى
ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمن بالمغفرة والكافر بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا
اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت
آياته بينت بلسان نفقهه ااعجمي وعربي الكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر
للتخصيص والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه وللكلام وقرئ اعجمي وهو منسوب
الى العجم واعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل
بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه
المحذور او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين
آمنوا هدى الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون
مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك
لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف
ذلك على للذين آمنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد اي هم كالمنادى لهم في عدم
قبولهم واستماعهم لمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك

الجزء الخامس والعشرون

وهي العدة بالقيمة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التورية او القرآن مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرت من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرا نافع وابن عامر وحفص ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى زايدة للاستغراق ويحتمل ان يكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع بمكانه الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائي بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشرك اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسام الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دايما لا يزول وما اظن الساعة قائمة يقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله جنب الله فاذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول

الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي صلعم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجايب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد كانه قيل اولم يحصل الكفاية ولا يكاد يزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق ساير الاشياء الموجودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف حسنات

سورة عسق مكية ويسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق ساير الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحي الله اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبر المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحي به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء

كما في قراءة يوحى بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما
في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجه الاول استيناف
مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن
من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه
مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ يتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر
من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان
اعظم الآيات وادلها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من
تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة
والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة تعم المؤمن والكافر
بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص
بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو
ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه
عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة
وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء واندادا الله حفيظ عليهم
رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول
اليه امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا الاشارة الى مصدر يوحي او الى معنى الآية
المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حالا
منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم
الجمع يوم القيمة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف
ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء
والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد
جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة
الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين
للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة

مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة
في الوعيد اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله
هو الولي جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي
الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار
فيه من شيء من امر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل
بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه
الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور واليه انيب ارجع في
المعضلات فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ
بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا
نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من
الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر
والذرو فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه
كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد
من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فاذا
نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في
سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله
عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرنا وقيل مثله صفته اي ليس كصفته
صفة وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ويوسع ويضيق على وفق مشيئته انه بكل شيء عليم فيفعله على
ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا
به ابراهيم وموسى وعيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب
الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان
بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او
الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من الهاء به ولا

تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرايع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم ببعث الرسول او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى وهو يوم القيمة او اخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما افترقوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقري ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القران مريب مقلق اي مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الرسالة والحكومات فالاولى اشارة الى كمال القوة النظرية وهذه اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدا سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى يكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة

عند ربهم زايلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الموزن به او الة الوزن اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان تفاجيك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفي جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خايفون مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق كاين لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها الله لطيف بعباده بربهم بصنوف من البر لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه لما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فايدة يحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطه بالواحد عشرا الى سبعماية فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيا منها على ما قسمنا له وما له في الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امري ما نوى ام لهم بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتوبيخ وشركاؤهم شياطينهم شرعوا بالتزيين لهم من الدين ما لم ياذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اصنامهم واضافتها اليهم لانهم تخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم

وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين
في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين
في القيمة مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق
بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند
ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في
الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب
الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره قل لا اسألكم عليه على ما
اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني
لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن
اسألكم المودة او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في
الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك من هؤلاء قال علي وفاطمة
وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه
بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب
طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ومودته لهم نزد له فيها في
الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله حسنى ان الله غفور لمن
اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضيل عليه بالزيادة ام يقولون بل
ايقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشأ الله
يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان
مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ
الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن
والوحي عليه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل
ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استيناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه
لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه

او بوعده يمحق باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو
من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن
لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على
ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها
حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها
وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ
الكوفيون بالتاء غير ابي بكر ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله
لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء او الاثابة على الطاعة
فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه الصلوة والسلم افضل الدعاء الحمد لله
او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا
واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب
والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا
او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب
تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته
مشيته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب
شانهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب اذ كانوا اذا اخصبوا
تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك
خص بالنافع وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا
ايسوا منه وقرئ بفتح النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات
والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على
ذلك ومن آياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها يدل على وجود صانع
قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق
اسم السبب على المسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه

فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما يدخل
الماضي يدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم
والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء
من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين
فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين
في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم
عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال
قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار ان يشأ يسكن الريح
وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر الارض ان في ذلك
لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله
والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها بما
كسبوا واصله ان يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود
كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج
ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا
عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع
جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف
وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم
وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل
فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة حيوتكم وما عند الله من
ثواب الآخرة خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه ودوامه
وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها
في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي تصدق ابو بكر
رضي بماله كله فلامه جمع فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا
ما غضبوا هم يغفرون بما بعده عطف على للذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع

وبناء يغفرون على ضميرهم خبر للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب والذين
استجابوا لربهم نزلت في الانصار دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له واقاموا
الصلوة وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا
ويجمعوا وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهو مصدر كالفتيا بمعنى التشاور
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات
الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار
عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء
على البغي عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها
وسمي الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفى واصلح بينه وبين
عدوه فاجره على الله عدة مبهمة يدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين
المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم
وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين
يظلمون الناس يبتدؤنهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون
في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى
وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم
السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر
يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب حين يرونه وذكر
بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا
وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين متذللين
متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم
الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمنظور ينظر الى السيف وقال الذين
آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد
يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا رأوهم على تلك
الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان

لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله من بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم يشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب يعدونهن بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخر وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة به كما روي في حديث المعراج

وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى عليه السلام في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ اليه وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدران ومن وراء حجاب ظرف وقعت احوالا انه علي عن صفات المخلوقين حكيم حميد يفعل ما يقتضيه حكمته فيتكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا او من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلب يحيى به وقيل جبرئيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه نورا اي الروح او الكتاب او الايمان نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول او النظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلعم من قرا حم عسق كان ممن يصلي الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب ما يدل على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقرا حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا

محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان في ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده وننحيه عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وح يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استيناف الذي جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشاء تخرجون تنشرون من قبوركم والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر لذلك

قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجيب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد عليهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعل له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا او من ينشؤ في الحلية اي او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الراى ويجوز ان يكون من مبتدا محذوف الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرا حمزة والكسائي وحفص ينشا اي يربى وقرئ ينشا وينافي بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبد وقرا الحجازيان والبصريان عند

على تمثيل زلفاهم وإناثاً وهو جمع الجمع أشهدوا خلقهم أحضروا خلق الله إياهم فشاهدوهم

إناثاً فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة

الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا

بها على الملائكة ويسألون أي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب

بالياء والنون وشهاداتهم وهي أن لله جزءاً وأن له بنات وهن الملائكة ويساءلون

من المسائلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم أي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما

عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على حسنها

وذلك باطل لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأموراً كان أو منهياً حسناً

كان أو غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون يتمحلون تمحلاً

باطلاً ويجوز أن تكون الإشارة إلى أصل الدعوى كأنه لما أبدى وجوه فسادها وحكى

شبهتهم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه إلى إنكار

أن يكون لهم سند من جهة النقل فقال أم آتيناهم كتاباً من قبله من قبل القرآن

وادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون بل

قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون أي لا حجة لهم على ذلك

عقلية ولا نقلية وإنما جنحوا فيه إلى تقليد آبائهم الجهلة والأمة الطريقة التي تؤم كالرحلة

للمرحول إليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم أي القاصد ومنها

الدين وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا

وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على

أن التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وأن مقدميهم أيضاً لم يكن لهم سند منظور إليه وتخصيص

المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد قال أولو

جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم أي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى

من دين آبائكم وهو حكاية أمر ماض أوحي إلى النذير أو خطاب لرسول الله ويؤيد الأول

أنه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون أي وإن كان أهدى

إقناطاً للنذير من أن ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر

كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم وإذ قال إبراهيم واذكر وقت قوله هذا

ليروا كيف تبرأ عن التقليد فإنه أشرف آبائهم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون بريء من

عبادتكم أو معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث

وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام إلا الذي فطرني استثناء منقطع أو متصل على أن ما يعم

أولي العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان أو صفة على أن ما موصوفة أي

إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فإنه سيهدين سيثبتني على الهداية

أو سيهديني إلى ما وراء ما هداني إليه وجعلها كلمة وجعل إبراهيم عليه السلام أو الله تعالى

كلمة التوحيد باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم أبداً من يوحد الله ويدعو إلى توحيده

وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبة أي فيمن عقبه لعلهم يرجعون

يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحد بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول

عليه الصلوة والسلام من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا

في الشهوات وقرئ بل متعت بالفتح على أنه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها

كلمة باقية في تعبيرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد والقرآن ورسول مبين

ظاهر الرسالة بما له من المعجزات أو مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق

لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وإنا به كافرون زادوا شرارة فضموا إلى شركهم

معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحراً وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا

نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من إحدى القريتين مكة والطائف عظيم

بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فإن الرسالة منصب عظيم

لا يليق إلا بعظيم ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل

والكمالات القدسية لا بالتزخرف بالزخارف الدنيوية أهم يقسمون رحمة ربك إنكار

فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة

الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين لهم أن

يتدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب الإنسية وإطلاق المعيشة يقتضي أن يكون

حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وأوقعنا بينهم التفاوت

في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل

بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر

ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمت ربك
هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه
ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة
وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون
السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت
له ثوبا لقميصه وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا
بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون
اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل
من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقرا عاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة
عند ربك للمتقين الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الاخرة
لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان
وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الافات
قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعامى ويعرض
عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي
يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشي اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ
يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا يوسوسه ويغويه دائما وقرا يعقوب
بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه فهو له قرين وانهم
ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسلك وجمع الضميرين للمعنى
اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضماير
الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرا الحجازيان
وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني
واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من

التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون
لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز
ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في
امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه
طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي
انكار وتعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم
في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب
نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف
على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال
لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة
بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعذاب في الدنيا
والاخرة او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا
عليهم مقتدرون لا يفوتونا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الايات والشرايع
وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر
لك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه
واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت
في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه
ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادي له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب
العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا انزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عم الى التوحيد فلما جاءهم
باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجاؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما راوها
ولم يتاملوا فيها وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات
الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الايات فالمراد وصف

الكل بالكبر كقولك رايت رجالا بعضها افضل من بعض وكقوله من يلق منهم يقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضل على غيرها بذلك الاعتبار ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ كالسنين والطوفان والجراد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ على وجه يرجى رجوعهم ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ اي تدع لنا ليكشف عنا العذاب ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ فاجاؤا نكث عهدهم بالاهتداء ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ بنفسه او بمناديه ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب مخافة ان يؤمن بعضهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتداء والانهار صفتها وتجري خبرها ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون اني خير ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ اي فهلا القي عليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما امرهم به ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

عليه

فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من آسف اذا اشتد غضبه ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في اليم ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرا حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف او جمع سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت ﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ اي ضربه ابن الزبعري لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان يعبد كما عبد المسيح ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿مِنْهُ﴾ من هذا المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فليكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا الملائكة اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ شداد الخصومة حراص على اللجاج ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ﴿مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه ﴿وَإِنَّهُ﴾ وان عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله تعالى وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق

وبيده حربة بها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه علي شريعة محمد صلعم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله هذا هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرايع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبيا لم يبعث لبيانه ولذلك قال عليه الصلوة والسلم انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا صراط مستقيم الاشارة الي مجموع الامرين هو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله يدل علي ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم هو القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحبا يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله بقي نافعه ابد الآباد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا باياتنا صفة للمنادي وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساءكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره علي وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم

بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهي الانفس وقرا نافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه علي الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوايد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زايل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقري ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الي الجنة المذكورة وقعت مبتدا والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الي ساير نعايم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكي عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقري يا مال علي الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضي عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جوار وتمني للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تع تولى جوابهم بعد جواب المالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه اتعاب النفس وآداب الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا علي كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمهم يكتبون

ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله
وبما يصح له وبما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن يعظم الوالد يعظم ولده ولا
يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيها
على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثم مشعر بانتفاء الطرفين
وان ههنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم
الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان
لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين
لله الموحدين له والآنفين منه من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وما كان
له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان رب
السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها
اصولا ذاتا استمرارا تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها
وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون اي القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع
على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان
يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد
وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه
ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون
به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار
وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو الحكيم
العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء
وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيمة فيها واليه ترجعون للجزاء
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد
ولا يملك الذين تدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاء عند الله الا من
شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول
كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام

ولئن سألتهم من خلقهم سأل العابدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه
من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول
ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم
وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا
يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار
او مجرور باضماره او مرفوع بتقديره وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض
عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية
للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهي سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم
والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراءة ابتداء فيها انزاله
او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول صلعم نجوما وبركتها لذلك فان
نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية ولما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة
الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي
للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة
بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة
مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل
الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل امر اي
يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على
مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن
في حكيم لانه موصوف وان يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله
مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا

انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انا انزلنا القرآن لان من
عادتنا ارسال الرسل بالكتب الي العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير
للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا و
رحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ارسال
رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب
الرحمة وقري رحمة علي تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم
وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض
وما بينهما خبر آخر او استيناف وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين
اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من
خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله
الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئا بالجر
بدلا بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي السماء
بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يري بينه وبين السماء كهيئة الدخان
من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان
العرب يسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتي اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد
الاتيان الي السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود
في اشراط الساعة لما روي انه عم لما قال اول الآيات الدجال ونزول عيسي ونار
يخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الي المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلعم
الآية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه
كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة
والدخان يحتمل المعنيين يغشي الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا
عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون مقدر بقول وقع حالا وانا
مومنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم اني لهم الذكري من اين لهم وكيف
يتذكرون بهذه الحال وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب
الادكار من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه

غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي صلعم
فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم
عائدون الي الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان
غوث الكفار بالدخان فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون
ومن فسره بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبري يوم القيمة
او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان يحجزه عنه او بدل
من يوم تاتي وقري نبطش اي نحمل البطشة الكبري باطشة بهم او نحمل الملائكة
علي بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال
موسي اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقري بالتشديد
للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم علي الله او علي المومنين او في نفسه لشرف
نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم معي او
بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان يكون مخففة
ومفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة
المعجزات علي صدقه او لايتمان الله اياه علي وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا علي الله
ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولي في وجهيها اني آتيكم
بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان
لا يخفي واني عذت بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني
ضربا او شتما او ان تقتلوني وقري عت بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الي ما فيه
فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء
عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقري بالكسر علي اضمار القول فاسر
بعبادي ليلا اي فقال اسر وقال ان كان الامر كذلك فاسر وقري بوصل
الهمزة من سري انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك
البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا علي هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه
بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقري بالفتح بمعني لانهم

كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل
حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل
ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها عطف علي الفعل المقدر
او علي تركوا قوما آخرين ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا
الي مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد
بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه
ما روي في الاخبار ان المومن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط
رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الي
وقت آخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون
وقتل ابنائهم من فرعون بدل من العذاب علي حذف المضاف او جعله عذابا
لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعني واقعا من جهته وقرئ من فرعون
علي الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من
المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير
في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اي اخترنا بني اسرائيل
علي علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال
علي العالمين لكثرة الانبياء فيهم او علي عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوي ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار
ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة
للدلالة علي انهم مثلهم في الاصرار علي الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولي المزيلة للحيوة
الدنياوية ولا قصد فيه الي اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولي ومات
وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان
هي الا موتتنا الاولي اي ما الموتة التي من شانها ذلك الا الموتة الاولي وما
نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل
والمومنين ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه أهم خير في القوة والمنعة ام

قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبني سمرقند وقيل هدمها وكان
مومنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي
وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين
من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم
هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استونف به انهم كانوا
قوما مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل علي
صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي
اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون
لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء
او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ
ميقاتهم بالنصب علي انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني
بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولي
من قرابة او غيرها عن مولي اي مولي كان شيئا شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون
الضمير لمولي الاول باعتبار المعني لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول
الشفاعة فيه ومحله الرفع علي البدل من الواو او النصب علي الاستثناء انه
هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرت الزقوم
وقرئ بكسر الشين ومعني الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم كثير الآثام
والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده كالمهل وهو ما يمهل في النار
حتي يذوب وقيل دردي الزيت تغلي في البطون وقرا ابن كثير وحفص
ورويس بالياء علي ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال
من احدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه علي ارادة القول والمقول
له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرا الحجازيان
وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الي سواء الجحيم وسطه ثم صبوا
فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب

من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء وتقريعا على ما كان يزعم وقرا الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة امين يامن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيم العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه فيها والاستثناء مبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقيهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي ست او سبع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدا خبره تنزيل الكتاب احتيج الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما يتم به معاشه الى غير ذلك دلايل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيى به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا اذا اضمرت في او نصب آيات على الاختصاص او يرتفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله تلك الآيات دلايله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن لقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلايله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان وحفص وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اي كانه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة في موضع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزو والضمير لآياتنا

وفايدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات
كلها ولم يقتصر على ما سمعه او للتي لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم
جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم
ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من
دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى
القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم قرأ ابن كثير
ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان
جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري
الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد
وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال مما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف
اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ
منة على المفعول له ومنة على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنايعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف
المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا
للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايعه باعدايه من قولهم ايام العرب لوقايعهم
او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية
نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او
كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة
او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى
قوما اي ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما
مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب
العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا
بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات

والنبوة

والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكن في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله لهم من
اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نوت غيرهم وآتيناهم بينات
من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي عليه السلام
مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة
الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر
الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض
اذ الجنسية علة الضم فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع
الشريعة هذا اي القرآن واتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه
الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان
والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه
ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم
ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية
والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان
كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات
في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف
مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب
على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس
شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كأنه دليل على الحكم السابق
من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم

والتفاوت بين المسيء والمحسن وان لم يكن في المحيا كان بعد الممات **ولتجزى كل نفس بما كسبت** عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى **وهم لا يظلمون** بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميه ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء **أفرأيت من اتخذ الهه هواه** ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه **وأضله الله** وخذله **على علم** عالما بضلاله وفساد جوهر روحه **وختم على سمعه وقلبه** فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات **وجعل على بصره غشاوة** فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة **فمن يهديه من بعد الله** من بعد اضلاله **أفلا تذكرون** وقرئ تتذكرون **وقالوا ما هي** ما الحيوة او الحال **الا حياتنا الدنيا** التي نحن فيها **نموت ونحيى** اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او نموت بعضنا ونحيى بعضنا او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان **وما يهلكنا الا الدهر** الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه **وما لهم بذلك من علم** يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما **ان هم الا يظنون** اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات** واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له **ما كان حجتهم** ما كان لهم متشبث يعارضونها به **الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين** وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا **قل الله يحييكم ثم يميتكم** على ما دل عليه الحجج **ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه** فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم

الجمع للجزاء **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه **ولله ملك السموات والارض** تعميم للقدرة بعد تخصيصها **ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون** اي يخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه **وترى كل امة جاثية** مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم **كل امة تدعى الى كتابها** صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاولى وتدعى صفة او مفعول ثان **اليوم تجزون ما كنتم تعملون** محمول على القول **هذا كتابنا** اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم **ينطق عليكم بالحق** يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان **انا كنا نستنسخ** نستكتب الملائكة **ما كنتم تعملون** اعمالكم **فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته** التي من جملتها الجنة **ذلك هو الفوز المبين** الظاهر لخلوصه عن الشوائب **واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم** اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة **فاستكبرتم** عن الايمان بها **وكنتم قوما مجرمين** قوما عادتهم الاجرام **واذا قيل ان وعد الله** يحتمل الموعود والمصدر **حق** كائن هو او متعلقه لا محالة **والساعة لا ريب فيها** افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان **قلتم ما ندري ما الساعة** اي شيء الساعة استغرابا لها **ان نظن الا ظنا** اصله ان نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله **وما نحن بمستيقنين** اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة **وبدا لهم** ظهر لهم **سيئات ما عملوا** على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها **وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** وهو الجزاء **وقيل اليوم ننسيكم** نترككم في العذاب ترك المنسي **كما نسيتم لقاء يومكم هذا** كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه **ومأويكم النار وما لكم من ناصرين**

يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزاء ثم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لاحيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبي صلعم من قرا حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروا عن حال آلهتكم بعد تامل فيها هل يعقل ان يكون لها في نفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فيستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات

الثلث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة الهمزة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء لا يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد به الآيات ووضعه في موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لا يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذى المشركين وما انا الا نذير عن عقاب الله مبين مبين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارايتم ان كان من عند الله اي القرآن

وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد
شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد
هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت الرسول على مثله
مثل القرآن وهو ما في التورية من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك
وهو كونه من عند الله فآمن اي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم
عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم
المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى به محمد عليه الصلوة والسلم خيرا ما
سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر
وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم
ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون
هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن
وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب
مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب
في مصدق او منه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار
بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من
الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر
الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة
نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة
في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره
على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب
والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما
كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن
في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان

بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها
ووضعته كرها ذات كره او حملا ذات كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو
بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله
ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به
الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل عدة
العمر مود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة
في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان
لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص
اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا
بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا
بعد اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها
نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل
صالحا ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله واصلح لي في
ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه
ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب
الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه
فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه
اف لكما مبتدأ خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر
قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في بني
اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع
احد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق
للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه

إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أباطيلهم التي كتبوها أولئك
الذين حق عليهم القول بأنهم أهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لأنه يدل على أنه
من أهلها لذلك وقد جب عنه إن كان لإسلامه في أمم قد خلت من قبلهم كقوله في أصحاب
الجنة من الجن والإنس بيان للأمم إنهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستئناف
ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل
ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم أعمالهم
جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل يعرض
النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض أذهبتم أي يقال لهم أذهبتم
وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير أن ابن كثير يقرأ
بهمزة ممدودة وهشام بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم
الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب
الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون
بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر أخا
عاد يعني هودا إذ أنذر قومه بالأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه
انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر
بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود
وبعده والجملة حال أو اعتراض ألا تعبدوا إلا الله أي لا تعبدوا أو بأن لا تعبدوا فإن
النهي عن الشيء إنذار عن مضرته إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم
قالوا أجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا
من العذاب على الشرك إن كنت من الصادقين في وعدك قال إنما العلم عند الله
لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فأستعجل به وإنما علمه عند الله فيأتيكم
به في وقته المقدر له وأبلغكم ما أرسلت به وما على الرسول إلا البلاغ ولكني أراكم
قوما تجهلون لا تعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين
فلما رأوه عارضا سحابا عرض في أفق السماء مستقبل أوديتهم متوجه أوديتهم

والإضافة لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا أي يأتينا بالمطر بل هو أي قال
هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز أن يكون بدل ما
فيها عذاب أليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم وأموالهم بأمر
ربها إذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته وقرئ يدمر كل شيء من دمر
دمارا إذا هلك فيكون العائد محذوفا أو الهاء في ربها ويحتمل أن يكون استئنافا للدلالة
على أن لكل ممكن فناء مقتضيا لا يتقدم ولا يتأخر وتكون الهاء لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء
وفي ذكر الأمر والرب وإضافته إلى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم
أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى إلا مساكنهم وقرأ عاصم
وحمزة والكسائي لا يرى إلا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم
المجرمين روي أن هودا لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح
فأمالت الأحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم فاحتملتهم
وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه أي فيما ما مكناكم فيه وإن نافية وهو
أحسن من ما ههنا لأنها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت ألفها هاء في مهما أو شرطية
محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي أو في شيء إن مكناكم فيه كان
بغيكم أكثر أو صلة كما في قوله يرجي المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب والأول
أظهر وأوفق لقوله هم أحسن أثاثا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وجعلنا لهم سمعا
وأبصارا وأفئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها
فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء من الإغناء وهو القليل
إذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة لما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث
أن الحكم مرتب على ما أضيف إليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
من العذاب ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى
قوم لوط وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين
يتقربون بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأول مفعولي اتخذوا
الراجع إلى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل أو عطف بيان أو آلهة

وقربانا حال او مفعول ثان علي انه بمعنى المتقرب وقرئ قربانا بضم الراي بل ضلوا عنهم
غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم
وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة
وافكهم اي جعلهم افكين وآفكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون
القرآن حال محمول علي المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول قالوا انصتوا قال
بعضهم لبعض اسكتوا لنستمعه فلما قضي اتم وفرغ عن قراءته وقرئ علي بناء الفاعل
وهو ضمير الرسول عليه الصلوة والسلام ولوا الي قومهم منذرين اي منذرين
اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله صلعم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف
يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا
ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى
الحق والي طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان
ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفه باقتصارهم علي المغفرة
والاجارة علي ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء
يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب
ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الآباد
بقادر علي ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء
مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتملة علي ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله
بلى انه علي كل شيء قدير تقرير للقدرة علي وجه عام يكون كالبرهان علي المقصود
كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين
كفروا علي النار منصوب بفعل مضمر بقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى
العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفرهم في الدنيا

ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا
الجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع
اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا علي تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين
فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون علي بلاء الله كنوح
صبر علي اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم علي النار وذبح ولده والذبيح
علي الذبح ويعقوب علي فقدان الولد والبصر ويوسف علي الجب والسجن وايوب علي
الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى علي
خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة علي لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش
بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ
هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده
انه قرئ بلغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه
كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا
فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ
يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد وتسمى سورة القتال مدنية وقيل مكية وآيها تسع او ثمان وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك
طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش والمصرين من
اهل الكتاب اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ
الجوار ضالة اي ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن
او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن
سبيله بنصر رسوله واظهار دينه علي الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات

يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب وآمنوا بما نزل على محمد
تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه
الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة وحقيقته بكونه
ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البناء ونزل بالتخفيف
كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين
والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح
وهو مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق
من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر
به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس
يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل
اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين
وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب
الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر واقيم مقامه
مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد والاختصار والتعبير عنه بالقتل اشعارا بانه
ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم
اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم
والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا او
تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو
ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء
والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين
القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها
التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم
وقيل آثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب
او للشد او للمن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون
حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل نزول عيسى ذلك اي الامر ذلك او افعلوا

ذلك

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستئصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض امركم
بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين
بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين
قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن
يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ تضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم
الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفهم
لها في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل
واحد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو
طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين آمنوا ان
تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام
بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا
ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب
اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا ومفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة
لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال
فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استأصل
عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع
المضمر للكافرين امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير
يدل عليها او للسنة كقوله سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين
آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف
قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون
ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة
والنار مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي

كرنا

أخرجتك على حذف المضاف وإجراء أحكامه على المضاف إليه والإخراج باعتبار
السبب أهلكناهم بأنواع العذاب فلا ناصر لهم بدفع العذاب عنهم وهو كالحال
المحكية أفمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن أو ما يعمه والحجج
العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا أهواءهم
في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون أي فيما
قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير
الكلام أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد في النار أو مثل الجنة كمثل جزاء من هو
خالد فعري عن حرف الإنكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله وتصويرا لمكابرة
من سوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة
والنار وهو على الأول خبر محذوف تقديره أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو
خالد في النار أو بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به
من على بينة في الآخرة تقريرا لإنكار المساواة فيها أنهار من ماء غير آسن
استئناف لشرح المثل أو حال من العائد المحذوف أو خبر لمثل وآسن من
أسن الماء بالفتح إذا تغير طعمه وريحه أو بالكسر على معنى الحدوث وقرئ أسن
كحذر وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وأنهار من خمر
لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار
تأنيث لذ أو مصدر نعت به بإضمار أو تجوز وقرئت بالرفع على صفة الأنهار
والنصب على العلة وأنهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل
وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الأشربة في الجنة بأنواع ما يستلذ منها في الدنيا
بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم
فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على
الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار
وسقوا ماء حميما مكان تلك الأشربة فقطع أمعاءهم من فرط الحرارة ومنهم
من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون
مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام ويسمعون كلامه فإذا خرجوا قالوا للذين

أوتوا العلم أي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء أو استعلاما
إذ لم يلقوا إليه آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعارا
من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير
في قال وقرئ أنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فلذلك
استهزءوا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى أي زادهم الله بالتوفيق
والإلهام أو قول الرسول وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون أو أعانهم على تقواهم
وأعطاهم جزاءها فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة بدل اشتمال
من الساعة وقوله فقد جاء أشراطها كالعلة له وقرئ إن تأتهم على أنه شرط
مستأنف جزاؤه فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم والمعنى إن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر
أماراتها كمبعث النبي صلعم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم إن تذكرهم إذا
جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك
أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم
بالوحدانية وتكميل النفس بإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي
إعادة الجار وحذف المضاف إشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم فإنها جنس
آخر فإن الذنب ما له تبعة ما بترك الأولى والله يعلم متقلبكم فإنها مراحل لا بد من
قطعها ومثواكم في العقبى فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا
لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة أي هلا نزلت سورة في أمر الجهاد
فإذا أنزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال أي الأمر به
رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون إليك
نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فأولى لهم فويل لهم أفعل من الولي وهو
القرب أو فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم
طاعة وقول معروف استئناف أي أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لهم
أو حكاية قولهم لقراءة أبي يقولون طاعة فإذا عزم الأمر أي جد وهو لأصحاب
الأمر وإسناده إليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله أي فيما زعموا

من الحرص على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم
ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم
عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين
وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل
عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا
وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم
في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك
اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم
عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون
القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي
ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار
بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة
واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس
الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على
ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلايل
الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكباير
من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني
وفيه ان السول مهموز قلبت همزته لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده
بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول
لهم واملى لهم وامدهم في الآمال والاماني وامهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة
لقراءة يعقوب واملي لهم اي وانا املي لهم فيكون الواو للحال او الاستيناف
وقرأ ابو عمرو واملي على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا
للذين كرهوا ما نزل الله قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين

او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم
او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا والتظاهر
على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرأ حمزة
والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون
ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه
يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك
اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول
وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات
فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن
يبرز الله لرسوله وللمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلايل
تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام جواب
كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول
اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطي لاحن لانه يعدل الكلام عن
الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم
بالامر بالجهاد وساير التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على مشاقها ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم
عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء
ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى
هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا
رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفضيع مشاقته وسيحبط اعمالهم
ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون
بها الى مقاصدهم ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر
والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات

بالكبائر إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد
يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا ولا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا
تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى
بمعنى دعا وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم
ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته
عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقويكم ولا يسألكم
اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر ان يسألكموها فيحفكم
فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه
اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم وتضغنكم على رسول الله صلعم
والضمير في يخرج لله ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ
وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون
وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه
بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون
وهو كالدليل على الآية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق
وضر البخل عايدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي
فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان
امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا يستبدل قوما
غيركم يقم مقامكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان
وهم الفرس لانه سئل عليه الصلوة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه
وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله عليه الصلوة والسلام من الحديبية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك
السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره
على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلعم لسائر العرب
فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة
وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من
كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول
صلعم في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل
ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين
وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص
الضعفة عن ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح
ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك
صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا
نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي انزل السكينة
الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض
الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان
النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع
مع ايمانهم بالله واليوم الآخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط
بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما يقتضيه حكمته وكان
الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود
السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة
الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب المنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا
او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم
يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه

مشتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون
عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله
والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ
ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف
اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا
والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سببه
لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك
ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي والامة
او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه
وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرأ
ابن كثير وابو عمرو الافعال الثلاثة بالياء وقرئ يعزروه بسكون العين وتعزروه
بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له
على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود
ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى في مبايعته فسيؤتيه اجرا
عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليهُ بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر
وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون
من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلعم عام الحديبية
فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة
والخوف عن مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا
من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم

نصف

من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما والكسائي بالضم او اراد بكم
نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم
فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين
يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما
اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل
وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء
او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله
لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه
مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات
والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب وكان
الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه
بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني
المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه الصلوة
والسلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل
المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم
يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم
من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام
اسم للتكلم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل
لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج
الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل
كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى
الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات للحسد والثاني
رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم
بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي

بأس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلعم او المشركين فانه قال
تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه
قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضه
اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك في عهد
النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية
فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وان
تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف
نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في
الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه
عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه الصلوة والسلم لما نزل الحديبية بعث
خراش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان
بن عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلعم اصحابه وكانوا الفا
وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان
جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة
عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح
خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة يأخذونها يعني مغانم خيبر
وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها وهي ما يفي على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان
او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة
يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه
من الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة

لكف او يعجل مثل ليسلموا او ليأخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا
مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه
او منصوبة بفعل يفسره لم تقدروا عليها قد احاط الله بها صفة لاخرى ويحتمل رفعها
بالابتداء باضمار ربما لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها
استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا
لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم
يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة
الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم
كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف
ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد
ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى
الحديبية فبعث رسول الله صلعم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان
مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو
ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله
وكفهم ثانيا لتعظيم بيته بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية
والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي
يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره
والا لما نحره الرسول عليه الصلوة والسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان
مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
لم يعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم
قالت ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال عليه الصلوة والسلم
ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بطائف كان آخر وقعة النبي صلى الله عليه وسلم
بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في يعلموهم
فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف

عليهم بغير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه بما يكرهه
بغير علم متعلق بان تطؤهم اي يطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة
الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين
بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه
كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في
رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم
لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا
منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا
او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما
روي انه عليه الصلوة والسلم لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن
عبد العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش
مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلوة والسلم
لعلي رضي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم
ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله
ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
اهل مكة فقال عليه الصلوة والسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يابوا ذلك
ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى
كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختاره لهم او الثبات
والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهل التقوى
وكانوا احق بها من غيرها واهلها والمستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما
فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى انه عليه الصلوة
والسلم واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه
ففرحوا وحسبوا ان ذلك في عامهم فلما تاخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا
ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه كائن

لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر
محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان
والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن
المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة
بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية
لما قاله ملك الرؤيا او النبي لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين
رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او
استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل
من دون ذلك من دون دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح
اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا
او بسببه او لاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس
الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين
على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعد من
الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات
محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف
او مبتدا والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم
اشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم
ويتراحمون فيما بينهم لقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا
سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم
من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ ممدودة من اثر السجود بيانها
او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة
يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم في
الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف
او تفسير او مبتدا وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ

وقرا ابن كثير وابن عامر شطاه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاءه بتخفيف الهمزة وشطاء بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرا ابن عامر فأزره كاجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدو الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوا غاظهم ذلك ومن للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفتح كان كمن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وآيها ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال

المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التادية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت ابن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك كانا يسرانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبيثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وساير طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدا اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشات من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرات اذ لا بد ان يختلف المبدا والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلعم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من

ورايها او بانهم يتفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل
ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلعم
في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما
اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك وامروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون
اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان
وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار
الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة
بغاية الشيء في نفسه ولذلك يقول اكلت السمكة حتى راسها ولا يقول حتى نصفها
بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا
حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من
الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر
فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح
والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين
آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه الصلوة
والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة
فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتلة فرجع وقال لرسول الله صلعم قد ارتدوا ومنعوا
الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة
متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفي تعليق
الامر بالتبين على فسق المخبر جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء
بكلمة ان عدم عند عدمه فان خبر الواحد لو وجب تبيينه من حيث هو كذلك لما
رتبه على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ
حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم

نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام
واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به الحال
وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا
لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغيرها وهي انكم تريدون ان يتبع
رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان
بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه
في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم
من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل
ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون اي
اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره معدى بنفسه الى مفعول واحد
فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية
نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا
من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدون فان الفضل فعل
الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب
والرشد فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم
حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا
والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان
بغت احديهما تعدت على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع
الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها
الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها
من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما
حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا
واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت
في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه الصلوة والسلام بالسعف والنعال
وهو يدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه في

الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون
اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية
وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين
اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض
وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس
والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم
ترحمون على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا
منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات
من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال
لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة
الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون
فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار
الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا
خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات
خبر ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا
تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان
وقرئ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعوا بعضكم بعضا بلقب السوء
فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر
المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد اما تهجين
نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي
اتت رسول الله صلعم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت
ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين
الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا على جانب
منه وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن

ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن
في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن
في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب الذي يستحق
العقوبة عليها والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن
عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء
من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الحواس وفي الحديث لا تتبعوا
عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته
ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه عليه الصلاة والسلام
عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على
افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق
المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا
وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك والمعنى
انه صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على
الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه
وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم
يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان
الى رسول الله صلعم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما
سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلعم قال
لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب
وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة
وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع
القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل
فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل

الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر
بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا إن أكرمكم عند الله
أتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس
منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها
الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله إن الله
عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الأعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا
المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله اتيناك بالاثقال
والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا
اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام
وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا أسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول
في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا
آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من
النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل
الإيمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ
قلوبكم ألسنتكم بعد وإن تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم
من أعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان
لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان إن الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم
بالتفضل عليهم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب
مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان
عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان
فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية
والبدنية باسرها أولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل أتعلمون
الله بدينكم أتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله
بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الآية المتقدمة

جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك أن أسلموا يعدون اسلامهم
عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها من يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان
المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي إسلامكم
اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن
عليكم أن هداكم للإيمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ
ان هداكم بالكسر واذ هداكم إن كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف
يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر
عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة
اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية
له لا لهم إن الله يعلم غيب السموات والأرض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون
في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية
من الغيبة عن النبي صلعم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد ذو المجد
والشرف على سائر الكتب ولانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد
بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من
جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا
اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا
المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة
والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة
الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذرهم تفسيره
او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني
استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدونه من صنعه أئذا متنا وكنا ترابا

اي رجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن
الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجع قد علمنا ما تنقص الارض
منهم ما يأكل من اجساد موتهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل
انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل
الاشياء كلها او محفوظ عن التغير والمراد تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من
عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده
بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القرآن لما جاءهم
وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك
قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا
بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها
بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة
الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد
منيب راجع الى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى
وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع
فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه
ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة
اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة
منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضها فوق
بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر
فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء
فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت
قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه
ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة
وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد او قوم منهم

او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليه وعيدي وفيه تسلية
للرسول وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة
من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد
اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف
لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه
غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي
والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا وللانسان ان جعلت مصدرية
والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي نحن اعلم بحاله ممن كان
اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد
مثل في القرب قال والموت ادنى من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان
عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس
وقيل سمي وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق
باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان
ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على
ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية
وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين
وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله وتاركها لغرب وقيل يطلق الفعيل للواحد
والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه
رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب
وفي الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك
اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث
للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم ملاقون ذلك من قريب عند الموت

وقيام الساعة ونبه علي اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة
بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت
حقيقة الموت او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء
فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت
علي انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او علي ان
الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات
الموت **ذلك** اي الموت **ما كنت منه تحيد** تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان
ونفخ في الصور يعني نفخة البعث **ذلك يوم الوعيد** اي وقت ذلك يوم تحقق
الوعيد وانجازه والاشارة الي مصدر نفخ **وجاءت كل نفس معها سائق**
وشهيد ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين
وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق
نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من
كل لاضافته الي ما هو في حكم المعرفة **لقد كنت في غفلة من هذا** على اضمار
القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر
فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك
في المحسوسات والالف بها وقصور النظر اليها **فبصرك اليوم حديد** نافذ
لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر
الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد
ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على
خطاب النفس **وقال قرينه** قال الملك الموكل عليه **هذا ما لدي عتيد**
هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي
وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدل منها او خبر بعد خبر او خبر محذوف **ألقيا**
في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشاهد او للملكين من خزنة النار
او لواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان
ازجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد علي اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة **عنيد** معاند للحق **مناع للخير**
كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت
في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه **معتد** متعد **مريب** شاك في الله
وفي دينه **الذي جعل مع الله الها آخر** مبتدأ يتضمن معنى الشرط وخبره **فألقياه**
في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول
لمضمر يفسره فالقياه **قال قرينه** اي الشيطان المقيض له وانما استؤنف كما
يستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه **ربنا ما**
أطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى
فانها واجبة العطف علي ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني
مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه **ولكن كان في ضلال بعيد** فاعنته عليه
فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا الى الفجور كما قال وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي **قال** اي الله **لا تختصموا لدي**
اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول **وقد قدمت**
إليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة
وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة
او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا
على قوله **ما يبدل القول لدي** اي بوقوع الخلف فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي
وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو
يدل على تخصيص الوعيد **وما أنا بظلام للعبيد** فاعذب من ليس لي تعذيبه **يوم**
نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل
والتصوير والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها من الجنة والناس فوجا فوجا
حتى تمتلئ لقوله لاملأن او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها
بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم
والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد مصدر كالمجيد او

مفعول كالمبع ويوم مقدر باذكر او ظرف لننفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر
الي تقدير مضاف وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ قربت بهم غَيْرَ بَعِيدٍ مكانا غير بعيد
ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيا غير بعيد او على زنة المصدر
او لان الجنة بمعنى البستان هَذَا مَا تُوعَدُونَ على اضمار القول والاشارة الي
الثواب او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير بالياء لِكُلِّ أَوَّابٍ رجاع الى الله تع
بدل من المتقين باعادة الجار حَفِيظٍ حافظ لحدوده مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ
وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب فلا يجوز ان يكون
في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدا خبره ادْخُلُوهَا على تاويل يقال لهم ادخلوا
فان من معنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر
اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غايب عن الاعين لا يراه احد
وتخصيص الرحمن به للاشعار بانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه او بانهم يخشون
خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله
بِسَلَامٍ سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملايكته
ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ قبل قومك مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا قوة كعاد
وفرعون فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض
كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل
التنقيب التنقير عن الشي والبحث عنه هَلْ مِنْ مَحِيصٍ اي لهم من الله او الموت
وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون
فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر
وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى
نقبت اقدامهم واخفاف مراكبهم إِنَّ فِي ذَلِكَ فيما ذكر في هذه السورة لَذِكْرَى
لتذكرة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ اي قلب واع يتفكر في حقايقه أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ او اصغى
لاستماعه وَهُوَ شَهِيدٌ حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره

ويزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر
وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ سبق تفسيره مرارا
وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تع بدا خلق
العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش
فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر
على العالم بلا اعياء قدر على خلقه والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له
على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ
يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وسبحه بعض
الليل وَأَدْبَارَ السُّجُودِ واعقاب الصلوة جمع دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت
وقرا بالكسر الحجازيان وحمزة وخلف وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل
الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وادبار
السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء وَاسْتَمِعْ لما اخبرك به من
احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ اسرافيل او جبريل
فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن
ان تجتمعن لفصل القضاء مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ بحيث يصل نداؤه الى الكل على
سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابتداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج
يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بدل منه والصيحة النفخة الثانية بِالْحَقِّ متعلق بالصيحة
والمراد به البعث للجزاء ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال
للعيد إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ في الدنيا وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ للجزاء في الاخرة يَوْمَ تَشَقَّقُ
تتشقق الارض وقرا عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الشين الْأَرْضُ عَنْهُمْ
سِرَاعًا مسرعين ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ بعث وجمع هين وتقديم الظرف للاختصاص فان
ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ تسلية لرسول الله
وتهديد لهم وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد

وانما انت داع فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولودات فانهن
تذرين الاولاد والاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرا ابو عمرو
وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او
الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية
المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية
في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا
ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها
او ما يعمهم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف الرياح
فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينهما
من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح
مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى ينعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت
به فيقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه
استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على
اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء الواقع الحاصل
والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب
او المعقولة التي يسلكها العارفون والنظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم
فان لها طرائق او انها تزين كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة
وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك
كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف
في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القرآن

او القيامة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي
اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك
يصرف عنه والضمير للرسول او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه
فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون
الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله
ينهون عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح
اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون
الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن
الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين
اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون
وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا
لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون
ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون
آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن
مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل
لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة
اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة
اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما
بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل
والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما
وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم لشدة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا
في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار
بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه
على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف
الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع

المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها من الماء
واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع يدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته **وفي انفسكم** اي وفي انفسكم آيات اذ ما في العالم
شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة
واستجماع الكمالات المتنوعة **افلا تبصرون** ينظرون نظر من يعتبر **وفي السماء رزقكم**
اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب
الاقوات **وما توعدون** من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال
وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستانف خبره **فورب السماء والارض
انه لحق** وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات
والرزق والوعيد **مثل ما انكم تنطقون** اي مثل نطقكم كما انه لا تشكون في انكم
تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقيق ذلك ونصبه على الحال عن المستكن في لحق
او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح
لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كان بمعنى شيء وان بما في حيزه ان جعلت زائدة
ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع **هل اتيك
حديث ضيف ابرهيم** فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في
الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة
جبرئيل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف **المكرمين**
اي مكرمين عند الله او عند ابرهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته **اذ دخلوا عليه** ظرف
للحديث او الضيف او المكرمين **فقالوا سلاما** اي نسلم عليكم سلاما **قال سلام**
اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته احسن
من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى
واحد **قوم منكرون** اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم
يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم **فراغ الى اهله**
فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان

يكفه الضيف او يصير منتظرا **فجاء بعجل سمين** لانه كان عامة ماله البقر **فقربه اليهم**
بان وضعه بين ايديهم **قال الا تاكلون** اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض
والحث على الاكل على طريقة الادب او قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما
رأى اعراضهم **فاوجس منهم خيفة** فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه
انهم جاؤه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا بالعذاب **قالوا لا تخف** انا رسل
الله قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم
وبشروه بغلام هو اسحق **عليم** يكمل علمه اذا بلغ **فاقبلت امراته** سارة الى بيتها وكانت
في زاوية وتنظر اليهم **في صرة** في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول
ان اول فاقبلت باخذت **فصكت وجهها** فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل
المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء **وقالت عجوز
عقيم** اي انا عجوز عاقر فكيف الد **قالوا كذلك** مثل ذلك الذي بشرنا به **قال ربك**
وانما نخبرك به عنه **انه هو الحكيم العليم** فيكون قوله حقا وفعله محكما **قال فما خطبكم
ايها المرسلون** لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط **لنرسل عليهم حجارة من طين**
يريد السجيل فانه طين متحجر **مسومة عند ربك** مرسلة من اسميت الماشية او معلمة
من السومة وهي العلامة **للمسرفين** المجاوزين الحد في الفجور **فاخرجنا من كان
فيها** في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة **من المؤمنين** ممن آمن
بلوط **فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** غير اهل بيت من المسلمين واستدل
به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن
والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة
على ذات واحد **وتركنا فيها آية** علامة **للذين يخافون العذاب الاليم** فانهم المعتبرون
بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن **وفي موسى** عطف على وفي
الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا **اذ
ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين** هو معجزاته كاليد والعصا **فتولى بركنه**
فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن

الجزء السابع والعشرون

اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر أو مجنون اي هو ساحر أو مجنون كأنه جعل
ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه
من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فأخذناه وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح
العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور
او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء أتت عليه مرت عليه إلا جعلته كالرميم كالرماد
من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا
في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن أمر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فأخذتهم الصاعقة اي العذاب
بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها
جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام لقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل
هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين عنه وقوم نوح
اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل
في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين
انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها
بأيد بقوة وإنا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق
او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها
ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا
زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب
بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد
وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين
بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر منه ولا تجعلوا مع الله الها
آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول
مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة
الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما أتى الذين من قبلهم
من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأتى او ما يفسره لان

ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها أتواصوا به اي كأن الاولين والآخرين منهم اوصى
بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي
جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل
عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاضراب
والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع
التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانها
يزداد به بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة
الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره
مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل
معناه الا لنامرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد
ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين
له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم
فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون
بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى
الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد
القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا
رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب
نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب
هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيامة او يوم بدر عن النبي صلعم
من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وآيها ثمان او تسع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والطور
يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية

او ما طار من اوج الاعداد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب
مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح
المحفوظ او الواح موسى او قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة
في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما
للتعظيم او للاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور
يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين والصلاح وهو في السماء الرابعة وعمرانه
كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع
يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت
روي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا يسجر بها جهنم او المختلط من السجر وهو
الخلط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه
الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره
وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء
والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه
الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في
خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون
اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى
النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من
يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكية هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال
لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر
وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما
كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت
في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا
تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها
سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء
فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان

المتقين في جنات ونعيم تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر
وعدمه في آية جنات وآية نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين
متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال
باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا
واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه
بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم
ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور
عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى
صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف
والذين آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره
الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب
ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ
ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال
من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة
في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي مرفوعا
انه صلعم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية
وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم
من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء او باعطاء
الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ
ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت
يولت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله
مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون فيها
يتعاطونها هم وجلساؤهم بتجاذب كأسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير

في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون
مايؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقراهما
ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون
بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم
وصفايهم وعنه عليه الصلوة والسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على
الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين
من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة
والتوفيق ووقينا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ
ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه نعبده او نساله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم
الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكر ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله
وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم
احلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة
نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتاتى
ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون
الحد في عناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فلياتوا بحديث مثله مثل القرآن ان
كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة
بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان ساير الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا
من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل
لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا
انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذ سئلوا من خلقكم ومن خلق

من قتل من تبتل وكلمة الفنا ع

السمو

السموات والارض قالوا الله اذ لو اعتقدوا ذلك لما عرضوا عن عبادته ام عندهم خزاين
ربك خزاين رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزاين علمه حتى يختاروا لها
من اختارته حكمته ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء تدبرونها كيف
شاؤا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة
وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كاين فلياتِ مستمعهم بسلطان مبين
بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار
بان من هذا رايه لا يعد من العقلاء فضلا من ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت
فيتطلع على الغيوب ام تسالهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم
مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ
المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة
برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل
على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم
الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من
كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون
عن اشراكهم او شركة ما يشركونه به وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا
يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض
وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي
فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا ابن عامر وعاصم يصعقون
على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا
من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين
ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة
وهو عذاب القبر او المواخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن
اكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقايك في عنايهم فانك باعيننا
في حفظنا منهم بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير للمبالغة بكثرة
اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك

او الى الصلوة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن
الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم اذا ادبرت النجوم من
آخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة والنجم مكية وهي احدى وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم
القيمة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وهويا بالضم اذا علا
وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما
وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عليه الصلوة والسلم عن الطريق المستقيم
وما غوى وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفي ما ينسبون اليه
وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن
او الذي ينطق به الا وحي يوحى اي الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد
له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما استند
اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى
ملك شديد القوى وهو جبرئيل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع
قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة
حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية فاصبحوا التي
خلقه الله تعالى عليه قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد عليه السلم مرتين مرة
في السماء ومرة في الارض وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق
الاعلى اي افق السماء والضمير لجبرئيل ثم دنى من النبي فتدلى فتعلق به
وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنى من الرسول
فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقرير الشدة قوته فان التدلي
استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدالي

للثمر المعلق فكان جبرئيل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة بينهما قاب قوسين
مقدارهما او ادنى على تقديركم لقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال
وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبرئيل الى عبده
عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبرئيل وفيه تفخيم
للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو
الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس
ما كذب الفؤاد ما رأى ببصره من صورة جبرئيل او الله تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه فان الامور
القدسية يدرك اولا بالقلب ثم ينتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك
ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن
تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلوة والسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته
بفؤادي وقرأ هشام ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى
افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فان كلا من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه
في المراء من ماريته فمريته او فتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل
معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة
اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان
الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل
تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة
الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من
فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون
في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى الجنة التي
يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير
لما يغشاها بحيث لا يكتنفها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من
الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلعم عما رآه وما طغى
وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر

بروتها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد راى الكبرى
من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى
ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات
ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام
كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطايف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم
كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب
اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كانت يلت السويق بالسمن ويطعم
الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلعم خالد بن
الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف
وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى
وقرئ مناءة مفعلة من النوء كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله
الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التاخر في
الرتبة ألكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملايكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها
جنيات هن بناته او هياكل الملايكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم تلك اذا
قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو
الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا
وقرأ ابن كثير بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسما
سميتموها الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها
لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها
بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون
اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة
لاعتقادهم انها يستحق ان تتقرب اليها بالقرابين انتم وآباؤكم سميتم بها بهواكم
ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون بها ان يتبعون وقرئ بالتاء الا
الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا او توهما باطلا وما تهوى الانفس وما
تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام

للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد
نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى
يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملايكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد
ان ياذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملايكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له
ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
ليسمون الملايكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا وما لهم به من علم اي بما
يقولون وقرئ بها اي بالملايكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني
من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له
في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل
عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة
الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه
علمهم فالجملة اعتراض مقرر لقصور همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا
تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب
ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسوّاه للجزاء او ميز الضال
من المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى
وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم
ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ
حمزة والكسائي وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش ما فحش من
الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء
منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع

المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وله ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها
وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة
من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم
من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم
حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم
فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم
بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرأيت الذي
تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم
اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر انها نزلت في الوليد
بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ
وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد
واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه
ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ
في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود
حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد
وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى
لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان
هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا بما في صحف موسى او الرفع على هو
ان لا تزر كأنه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف
ذلك قوله كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلوة والسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر
من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان
الا ما سعى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب
بفعله وما جاء في الاخبار ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب
عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى يجزي العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض

ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزي والجزاء بدله
وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في
الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة
والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل
العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم
او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى الاحياء
بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ
وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف
الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضاء له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور
وهو اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلوة
والسلم وخالف قريشا في عبادة الاوثان فلذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي
كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه
ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد
نوح عليه السلام وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة
ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وثمود عطف
على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا عطف عليه من
قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا
يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت
باهلها انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشيها ما
غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب
للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها آلاء من قبل ما
في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من
النذر الاولى اي هذا القرآن نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول
نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو
قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة

على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لو قتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية

أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ يعني القرآن تَعْجَبُونَ انكارا وَتَضْحَكُونَ استهزاء وَلَا تَبْكُونَ تحزنا على ما فرطتم وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون ليشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء

فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا اي واعبدوا الله دون الآلهة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والنجم اعطاه عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة ٥

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ روي ان الكفار سالوا رسول الله صلعم اية فانشق القمر وقيل معناه سينشق القمر يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا عن تاملها والايمان بها وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ في القرآن مِنَ الْأَنْبَاءِ انباء القرون الخالية وانباء الآخرة مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة

بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ نفي او استفهام انكار اي فاي غناء يغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فَتَوَلَّ عَنْهُمْ لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيمة وقرا ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ صعب كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ قبل قومك فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وَقَالُوا مَجْنُونٌ هو مجنون وَازْدُجِرَ وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مَغْلُوبٌ غلبني قومي فَانْتَصِرْ فانتقم لي منهم وذلك بعد ياسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرا ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا وجعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فَالْتَقَى الْمَاءُ ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ ذات اخشاب عريضة وَدُسُرٍ

ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها
من حيث انها شرح لها تؤدي مؤداها تجري بأعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا
جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمته
على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي
للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر
فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها
ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار
والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ
فهل من مدكر اي متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب
قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او
شديد الصوت في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم
او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء
آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض
فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه
ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم
وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان
عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في
الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذار
او المواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا
وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ على الرفع بالابتداء والاول اوجه للاستفهام
واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر
كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون
ومنه ناقة مسعورة أألقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو
احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا

عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن
الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات
او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة
وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا
لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء
قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر
يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى
فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول
الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرئيل
فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها
او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ
بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي
ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما
منا وهو علة لنجيناهم كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم
لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها
بسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل صفقة فاعماهم فذوقوا
عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة
وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم
حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب
واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا
يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ
للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه

اولي بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر
لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير من أولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة
او مكانة ودينا عند الله أم لكم براءة في الزبر أم نزلت لكم في الكتب السماوية أن من
كفر منكم فهو في أمان من العذاب أم يقولون نحن جميع جماعة أمرنا مجتمع منتصر
ممتنع لا نرام او منتصر من الأعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد
على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر أي الأدبار وإفراده لإرادة الجنس
او لأن كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي
انه لما نزلت قال لم أعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلعم يلبس الدرع
ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الأصلي وما يحيق بهم
في الدنيا فمن طلائعه والساعة أدهى أشد والداهية أمر فظيع لا يهتدى لدوائه
وأمر مذاقا من عذاب الدنيا إن المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر
ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر
أي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فإن مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك
لم يصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته إنا كل شيء خلقناه بقدر أي إنا
خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه
وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالأولى
أن يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهور في الدلالة على أن كل شيء مخلوق
بقدر ولعل اختيار النصب هنا مع الإضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما
أمرنا إلا واحدة إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة او إلا كلمة واحدة
وهي قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما أمر الساعة
إلا كلمح البصر ولقد أهلكنا أشياعكم أشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من
مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير
من الأعمال مستطر مسطور في اللوح إن المتقين في جنات ونهر أنهار اكتفى
باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون والهاء
وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي

وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى أمره في الملك والاقتدار بحيث
أبهمه ذوو الأفهام عن النبي صلعم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية
صدرها بالرحمن وقدم ما هو أصل النعم الدينية وأجلها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله
وتعليمه فإنه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحي وأعز الكتب إذ هو بإعجازه
واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم أتبعه قوله خلق الإنسان
علمه البيان إيماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو
التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع وإخلاء
الجمل الثلاث التي هي أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس
والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك أمور
الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب والنجم
والنبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض ولا ساق له والشجر والذي له ساق
يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان
حق النظم في الجملتين أن يقال وأجرى الشمس والقمر وأسجد النجم والشجر او الشمس والقمر
بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما
جردتا عما يدل على الاتصال إشعارا بأن وضوحه يغنيه عن البيان وإدخال العاطف
بينهما لاشتراكهما في الدلالة على أن ما يحس به من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية
بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فإنها منشأ أقضيته
ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بأن
وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما
قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والأرض او ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان او
مكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث إنها مصدر القضايا

والانذار اراد وصف الارض بمافيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به
الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لان تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا
الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية
به وزيادة حث على استعماله وقرئ لا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها
على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها
خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما
يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر جمع كم اي كل ما يكم اي يغطى من ليف
وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم وكالجذع والجمار والثمرة والحب
ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس
كالتبن وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان يعني المشموم او الرزق
من قولهم خرجت اطلب ريحان الله اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان
يراد ذو الريحان فحذف المضاف وهي فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف
وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين
المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار
الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم
من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من
تراب ونحوه وخلق الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان
من نار بيان لمارج فانه في الاصل مضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي آلاء
ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات
وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف
ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال
الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين
ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط

نصف

لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان
لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق
ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره
وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما
لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد وكان المخرج
من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ونخرج بنصب
اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف
الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي
ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها
واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها احد غيره كل من عليها من
على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى
وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها
باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام
ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما ذكرنا قبل
وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على فناء الكل
من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم
مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال
ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شأن
كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي
يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من
مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم
وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل هو مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ

لك فان التجرد للشي كان اقوي عليه واجد فيه وقرا حمزة والكسائي بالياء وقري سنفرغ
اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما علي الارض او لرزانة
رايهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان
تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا
واخرجوا لا تنفذون لا تقدرون علي النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر واني لكم ذلك
او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون
ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فباي آلاء ربكما تكذبان
اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد
العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الي ما فوق السموات العلي يرسل عليكما
شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال الشاعر تضي كضوء السراج السليط لم يجعل الله
فيه نحاسا او صفر مذاب يصب علي رؤسهم وقرا ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة
ونحاس بالجر عطفا علي نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقري ونحس
وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف
والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الالاء فاذا انشقت
السماء فكانت وردة اي حمراء كوردة وقريت بالرفع علي كان التامة فيكون من باب
التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان
مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فباي
آلاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي يوم تنشق السماء لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم
ويحشرون الي الموقف ذودا علي اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه
فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تاخر لفظا تقدم
رتبة فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما انعم علي عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف
المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام
مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخري فباي آلاء ربكما تكذبان

هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم
ماء حار آن اي بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا
من النار اغيثوا بالحميم فباي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي
يقف فيه العباد للحساب او قيامه علي احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف
عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الي الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم
للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان
جنة للخائف الانسي والاخري للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين
منكما او لكل واحد جنة لعقيدته والاخري لعمله او جنة لفعل الطاعات واخري لترك
المعاصي او جنة يثاب بها والاخري يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء
مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن
او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها
التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان
حيث شاءوا في الاعالي والاسافل قيل احدهما التسنيم والاخري السلسبيل
فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف
او رطب ويابس فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين علي فرش بطائنها من
استبرق من ديباج ثخين واذا كان البطائن كذلك فما ظنك بالظواهر ومتكئين
مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معني الجمع وجنى الجنتين دان
قريب يناله القاعد والمضطجع وجني اسم بمعنى مجني وقري بكسر الجيم فباي آلاء ربكما
تكذبان فيهن في الجنان فان الجنان يدل علي جنان هي للخائفين او فيما فيهما
من الاماكن والقصور او في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش قاصرات الطرف نساء قصرت ابصارهن علي ازواجهن لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل علي ان الجن
يطمثون وقرا الكسائي بضم الميم فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان اي في حمرة الوجه وبياض البشرة وصفائهما فباي آلاء ربكما تكذبان هل
جزاء الاحسان الا الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما
والعمل

جنتان ومن دون هاتين الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم
من اصحاب اليمين فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد
من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على تلك الجنتين النبات والرياحين المنبسط
على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباي
آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف
به الاولين وكذا ما بعده فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان
عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة
ودواء واحتج ابو حنيفة على ان من حلف ان لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لا يحنث
فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات فخفف لان خيرا الذي بمعنى اخير
لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فباي آلاء ربكما تكذبان
حور مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة
او مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان كحور الاولين وهن لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم
فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل
الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري
حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه
كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباي آلاء ربكما
تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل
الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام
وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلعم من قرأ سورة الرحمن شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وآيها سبع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة وسماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا
بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس

تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي اوليس
لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق اوليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها
باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم
اذا شجعته عليه وسولت له ان يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين
وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من حط اعداء الله
ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب
على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء
وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي
فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت
من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا
ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب
المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة
الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم واصحاب اليمن والشؤم فان
السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان
الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من
حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد
ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء
فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم
وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم
الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين
اي هم كثير من الاولين اي الامم السابقة من لدن آدم الى محمد عليه الصلوة والسلم
وقليل من الآخرين يعني امة محمد عليه الصلوة والسلم ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز
ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه الامة من تابعيهم
ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا

بيان اكثرية احدهما ورُوي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع عَلَى سُرُرٍ
مَوْضُونَةٍ خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت
او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ حالان من الضمير
في على يَطُوفُ عَلَيْهِمْ للخدمة وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم
بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة وللاخرطوم له والابريق اناء
له ذلك وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ من خمر لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا بخمار وَلَا يُنْزِفُونَ ولا ينزف
عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وَفَاكِهَةٍ
مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ اي يختارون وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يتمنون وَحُورٌ عِينٌ عطف على
ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي فيها او ولهم حور عين واسعات العيون وقرأ حمزة
والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور
او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا
بالنصب على ويؤتون حورا كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ المصون عما يضربه في الصفاء
والنقاء جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي يفعل ذلك كله بهم جزاء لاعمالهم لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا
لَغْوًا باطلا وَلَا تَأْثِيمًا ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم إِلَّا قِيلًا قولا سَلَامًا
سَلَامًا بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى
الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام
على الحكاية وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ لا شوك له من خضد
الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا اثناه وَطَلْحٍ
وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين مَنْضُودٍ
نضد حمله من اسفله الى اعلاه وَظِلٍّ مَمْدُودٍ منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وَمَاءٍ
مَسْكُوبٍ يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل كانه لما
شبه حال السابقين في التنعم على ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين
باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ الاجناس
لَا مَقْطُوعَةٍ لا ينقطع في وقت وَلَا مَمْنُوعَةٍ لا تمنع عن متناولها بوجه وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ
رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك

ويدل عليه قوله إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء
واعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله
بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فَجَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَارًا عُرُبًا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع
وعاصم مثله أَتْرَابًا كان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن لِأَصْحَابِ
الْيَمِينِ متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او
لقوله ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ وهي على الوجه الاول خبر محذوف
وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ في حر نار ينفذ في المسام وَحَمِيمٍ
وماء متناه في الحرارة وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ من دخان اسود يفعول من الحممة لَا بَارِدٍ
كسائر الظل وَلَا كَرِيمٍ ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح إِنَّهُمْ كَانُوا
قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ منهمكين في الشهوات وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ الذنب
العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب
وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا
وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ للدلالة
على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على
المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله
والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ وقرئ لمجموعون إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ الى ما وقتت به الدنيا
وحدت من يوم معين عند الله معلوم ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ اي بالبعث
والخطاب مع اهل مكة واضرابهم لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ من الاولى للابتداء
والثانية للبيان فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ من شدة الجوع فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ
الْحَمِيمِ لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر ولفظه
وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ الابل التي
بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء

لا الماء مبرد صداها ولا تنقضي عليها هيامها وقيل الرمال على انها جمع هيام بالفتح وهو
الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف فنعل به ما فعل بجمع ابيض وكل
من المعطوف والمعطوف اليه اخص من الاخر من وجه فلا اتحاد هذا نزلهم يوم
الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعدما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في
قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف
نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال
الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة أفرأيتم ما تمنون
اي ما تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى
امناها أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا أم نحن الخالقون نحن قدرنا
بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وما نحن بمسبوقين
لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا
اذا غلبته على أن نبدل أمثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما
نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم
فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون
في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون
ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص
الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس أفرأيتم ما تحرثون تبذرون
حبه أأنتم تزرعونه تنبتونه أم نحن الزارعون المنبتون لو نشاء
لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم
فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف
الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل
إنا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ
ابو بكر أإنا على الاستفهام بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون
أفرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب أأنتم أنزلتموه من المزن
من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب أم نحن المنزلون

بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمتعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه أجاجا ملحا
او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن
معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون
اهم وفقده اصعب لمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية
أفرأيتم النار التي تورون تقدحون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون يعني
الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث
كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة
للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام
من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر
اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او للرب وتعقيب
الامر بالتسبيح لما عدد من بدايع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تع عما يقول الجاحدون
لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عدها
من النعم فلا أقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد
كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه
انه قرئ فلأقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب
لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها
وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وإنه لقسم لو تعلمون عظيم لما في
المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته
ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه
ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة إنه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على
اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب
مكنون مصون وهو اللوح المحفوظ لا يمسه إلا المطهرون لا يطلع على اللوح الا
المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من
الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون
والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار

لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به
وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون متهاونون به
كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر
رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اي وتجعلون
شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به او ويكذبون اي بقولكم في صفة القرآن انه سحر
وشعر او في المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم
حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه
الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون
لا يدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اي مجزيين يوم القيمة او
مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد
ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا
الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم
غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين
في اباطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان
من المقربين اي ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم
وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق طيب
وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين
من اصحاب اليمين اي من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين
الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم
ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها
ان هذا اي الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر
اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه الفاقة ابدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي
وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه ان
يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر
مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل
شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدي بنفسه نحو نصحته وفي نصحت له اشعارا
بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا
للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استئناف
او خبر لمحذوف او حال من المجرور في له وهو على كل شيء قدير من الاحياء والاماتة وغيرهما
قديرا تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها
ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو
الاول الذي تبتدأ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول خارجا والآخر ذهنا
والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها
العقول او الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين
والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي
هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج
في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج
فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما
تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك
السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله
ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات
الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او
التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين
له على النفس فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل

الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبوهين له على النفس فالذين آمنوا منكم
وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان
والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر وما لكم لا تؤمنون
بالله اي وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم
اليه بالحجج والآيات وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل
ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ
ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه
هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات
الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم
بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم ان لا تنفقوا
واي شيء لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث
السموات والارض يرث كل شيء فيها ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه
بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف
احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد
الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه
ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلة الحاجة الى
المقاتلة والانفاق من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا
وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ
ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما
تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه فانه اول من آمن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به
على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من الذي ينفق ماله في سبيل
الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري

اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك
الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف
وقد يضاعف اضعافا مضاعفة بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى
فكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر
ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او
فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة
بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين
بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به
جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز
العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول
المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا انتظرونا
فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا
اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا
على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا
وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة
فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثمه يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا
آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب
بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون
باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب
من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر
قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم
وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت
وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ
ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا ماواكم النار هي
مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها

وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولي بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان
قول القايل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس
المصير النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته
يقال انى الامر يأني اينا واناء وانا اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون
من آن يئين بمعنى انى يأني والمايات روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة
فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق
اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر
ان يذكر الله وقرأ نافع ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء ورويس المراد
النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست
قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم او آمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم
فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون
عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد
موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات
ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون
لكي يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات
وقد قرئ بها وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله
واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلي باللام لان معناه الذين
اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص
يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في تضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه جزاء
وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم المبالغون
في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله
ولهم او على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد بهم الانبياء

من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم
مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر
والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان
الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة
تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل
به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب
يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون
به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة
وتفاخر بالانساب او تكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار
نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها
بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا
بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر
لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار
حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا
وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما
الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا
مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض
السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل
المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل
على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم
فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في
الارض ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله
من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او للانفس ان ذلك ان تثبته

في كتاب على الله يسير لاستغنائه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان
من علم ان الكل مقدر هان الامر عليه وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم
وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها
فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح
الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من
يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل
مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه
وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشيء من
نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر ان الله
الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات
بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليقوم
الناس بالقسط ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط
وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح ويجوز ان يراد به العدل
ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان
آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم
الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف
دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب
حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر
الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستحقوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا
نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم
الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم
ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن
المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم

برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير
لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى
بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه
اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية
اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او ورهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي
المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ
في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو
جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان
الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها
عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب
المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها
ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لا انهم اخترعوها من تلقاء
انفسهم فما رعوها اي فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلوة والسلم ونحوها اليه فآتينا الذين آمنوا
اتوا بالايمان الصحيح ومن ذلك الايمان بمحمد عليه الصلوة والسلم وحافظوا حقوقها
منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع
يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد
عليه السلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد عليه الصلوة والسلم وايمانكم
بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل
الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في
قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور
رحيم لئلا يعلم اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم
بادغام النون في الياء اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ان
هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا
برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه

وهو النبوة فيخص بها من اراده ويوتين قوله وَاَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وقيل لا غير مزيدة والمعنى ليلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر
النبي والمومنون به علي شي من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا علي
ان لا يعلم وقري ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون في اللام ثم ابدلت
يا، وقري ليلا علي ان الاصل في الحروف المفردة وادغمت النون في اللام ثم ابدلت
الفتح عن النبي صلعم من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

الجزء الثامن والعشرون

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني واياتها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللّٰهِ روي ان خولة بنت
ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت
الي الله فنزلت هذه الآي الاربع وقد يشعر بان الرسول او المجادلة يتوقع ان الله يسمع
مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة الها، والكسايي وابو عمرو وهشام
عن ابن عامر في السين وَاللّٰهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا تراجعكما الكلام وهو علي تغليب الخطاب
إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ للاقوال والاحوال الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ
الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به
الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان
الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرا ابن عامر وحمزة والكسايي يظاهرون
من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ اي علي الحقيقة إِنْ
أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ فلا يشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن
كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم امهاتهم بالرفع علي لغة تميم وقري بامهاتهم
وهو ايضا علي لغة من ينصب وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ اذ الشرع انكره
وَزُورًا محرفا عن الحق فان المزوجة لا يشبه الام وَإِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ لما سلف منه
مطلقا او اذا تيب عنه وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا

اي الي قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث علي ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك
عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه
يتناول حرمته لصحة استثنايها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة
استمتاعها ولو بنظر شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او
بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اوكانوا
يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او
معني بان يحلف علي ما قال وهو قول ابي مسلم او الي المقول فيها بامساكها او
استباحة استمتاعها او وطيها فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ اي فعليهم او فالواجب اعتاق
رقبة والفاء للسببية ومن فوايدها الدلالة علي تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار
والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا علي كفارة القتل مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا
ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان
يجامعا وفيه دليل علي حرمة ذلك قبل التكفير ذَلِكُمْ اي ذلكم الحكم بالكفارة
تُوعَظُونَ بِهِ لانه يدل علي ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه وَاللّٰهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ اي لا يخفى عليه خافية فَمَنْ لَمْ يَجِدْ اي الرقبة والذي غاب ماله واجد
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فان افطر لغير عذر لزم الاستيناف
وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا
خلافا لابي حنيفة ومالك فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق
مفرط فانه عليه الصلوة والسلم رخص للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فَإِطْعَامُ
سِتِّينَ مِسْكِينًا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه
اقل ما قيل في المخرج في الفطرة قال ابو حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر
او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه
في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذَلِكَ البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب
بفعل معلل بقوله لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول
شرايعه ورفض ما كنتم عليه في الجاهلية وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ لا يجوز تعديها وَلِلْكَافِرِينَ
اي الذين لا يقبلونها عَذَابٌ أَلِيمٌ وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين

ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعادين في حد غير حد الآخر
او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا كما كبت اخزوا او اهلكوا واصل
الكبت الكب الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات
يدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم
يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث
او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اي على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم
احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على
كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلاثة لا يقع من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر
مضاف او يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة
وهو ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع
عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع
عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم
وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين
او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين
يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال
باضمار يتناجون او تاويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا ادنى مما ذكر
كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم
وقرا يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى ان جعلت
لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت
باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه
من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على
سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود
والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين
فنهاهم رسول الله صلعم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية

الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرا حمزة وينتجون
ورويس عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين اصطفى
ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله بذلك
لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير
جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر
والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي
اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم
والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم
انها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين
شيئا الا باذن الله الا بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجويهم
يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم
عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل
عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلعم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا
على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح
فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة
او لما امرتم به كصلوة او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرا نافع وابن عامر
وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا
وايوائهم غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء
منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي العمل
المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدي بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث
فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد
لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي الامر تعظيم الرسول

وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والمميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة
ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءاشفقتم
وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل
بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول
بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي
انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم
من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
اي لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم ان
تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم
التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجميع المخاطبين او
لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوا وفيه
اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم ما قام مقام توبتهم فاذ
على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلا تفرطوا في
ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في
ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب
الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك
ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه
كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم
المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه عليه الصلوة والسلام كان في حجرة من
حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام له علام تشتمني انت
واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا
شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل
واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي
اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس

في خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف
آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون
لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء لان تمكن النفاق في نفوسهم
بحيث يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه
عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب بحيث يكذبون
مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى من
حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل فانسيهم ذكر الله
لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها
للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو
اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي
بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين
اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم
كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان
فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم
بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل
الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من
الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله
هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة ٥

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه علم لما قدم المدينة
صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المبعوث في التورية
بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين
راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلعم اخا كعب من الرضاعة فقتله
غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام
ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول
حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال
او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليه او في اول حشر الناس
الى الشام وآخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك
او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان
الى مكان آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر
واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في
انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم
الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي
فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي العذاب والنصر من حيث لم يحتسبوا لقوة
وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملاها
يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا
من آلاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا
لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن
نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون

بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل وترك الشيء خرابا
والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا
على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى
حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب
الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج عن اوطانهم لعذبهم في الدنيا
بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف
معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا
الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر
مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي
شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة
الكريمة وجمعها ليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على
اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى انه كرهن فباذن الله فبامره
وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او اذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم
بما غاظهم منه روي انه عليه الصلوة والسلم لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد
كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به
على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله
وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى
خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان
يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم
على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل
غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء بني النضير لان قراهم
كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلعم فانه ركب جملا او
حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة
ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء
قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله

من اهل القرى بيان للاول ولذلكم لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في سهم النبي فقيل سدس
لظاهر الاية وتصرف سهم الله في عمارة الكعبة وساير المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله
تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور
على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه
الصلوة والسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن
على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة
بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية
وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم اي اخذه غلبة يكون بينهم وقرأ
هشام دولة بالرفع على كان التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول
وما اعطاكم الرسول من الفيء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه
واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله
في مخالفة الرسول ان الله شديد العقاب في مخالفة الرسول للفقراء المهاجرين
بدل من ذي القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء
ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا
من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله
ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون في ايمانهم والذين
تبوءوا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار الذين ظهر
صدقهم بانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة
والايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام
او تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة
بالايمان لانه مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام
والذين تبوءوا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم
ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب الحزازة

والحسد

والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرين من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم
ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها
من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن
يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك
هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاءوا من
بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون
بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رءوف رحيم فحقيق بان تجيب
دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن
معكم في قتالكم او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي في رسول الله والمسلمين
وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون
ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك
فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة
واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم
لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل
ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل
المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه
نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون
عظمته حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون
جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم
بأسهم بينهم شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا
بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله
تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف

مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب توهن قواهم كمثل
الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير
او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود
مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل
الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر المامور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه
مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان
الجنس وقيل ابوجهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على انهما الخبر وان
وفي النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس
فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك
واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في
ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا
تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم
يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا
النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر هم الفائزون بالنعيم المقيم
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل
وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان
على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق
وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة

ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب
لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو
الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب
نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف
به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن
الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر
خلقه على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او
نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق
المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريا من التفاوت المصور الموجد
لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء ولطائفها فليطالع
بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له
ما في السموات والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات
باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلعم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
فانه لما علم ان رسول الله صلعم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا
حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله عليا وعمارا
وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها
ثم جحدت فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني
كنت امرا ملصقا في قريش وليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد
علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون

اليهم المودة بالمكاتبة والبار مزيدة او اخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل
لا تتخذوا او صفة لاوليا جرت علي غير من هي له فلا حاجة فيها الي ابراز الضمير لانه شروط
في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون
الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا واستيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم
بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الي الغيبة للدلالة علي ما يوجب
الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة
للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة
بدل من تلقون او استيناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب
المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة
وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل
اخطاره ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوؤكم كالقتل والشتم وودوا لو
تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شي
وان ودادتهم حاصلة وان يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين
توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر
بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة والكسائي
بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفا وقرا ابن عامر وابو عمرو يفصل علي البناء للمفعول
مع التشديد وهو بينكم وعاصم يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد
كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يقتدي به في ابرهيم والذين معه صفة
ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت
اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بري كظريف وظرفاء ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وآلهتكم وبدا
بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة
والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة
حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان تاتسوا به فانه كان قبل النهي

او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من شي من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من
استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير
متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من
قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم
علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان
كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة
تكرير لمزيد الحث على التاسي بابرهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجوا
الله واليوم الآخر بدل من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم
وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم
مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك
وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم
لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن
الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء
لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل
ان الله يحب المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت
مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت
انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين
ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاء في غير موضعه يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان
الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم
الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه
علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن

الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للطابقة والمبالغة او الاول
لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من
المهور وذلك لان صلح الحديبية جري علي ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه رد هن
لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه الصلوة والسلم كان بعد بالحديبية
اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا
لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلعم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر ولا
جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار
اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن
لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب
جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام علي نكاح المشركات وقرا البصريان
ولا تمسّكوا بالتشديد واسئلوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار
وليسئلوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر
في الآية يحكم بينكم استيناف او حال من الحكم علي حذف الضمير او جعل الحكم حاكما
علي المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم
وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير
والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن الي الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم
اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك
مهور نساء هؤلاء اخري بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا
الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر
روي انه لما نزلت الآية المتقدمة ابي المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل
معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبي وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من
الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي التقوي منه يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك علي ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح
فانه عليه الصلوة والسلم لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد واد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه

بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد
بالمعروف مع ان الرسول لا يامر الا به تنبيه علي انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق
فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب علي الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله
ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم
يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون
اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها
لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب
القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلي الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
علي ان الكفر آيسهم عن النبي صلعم من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال
الي الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر علي حذف الفها
مع حروف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة علي المستفهم عنه كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه علي التمييز للدلالة علي
ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان
مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولي والرص اتصال
بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسي لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا
قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم
بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه
ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها

عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة
معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم
كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية في
حال تصديقي لما تقدمني من التورية وتبشيري برسول ياتي من بعدي والعامل في
الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا
يعمل ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يعني محمدا صلعم والمعنى دينى التصديق
بكتب الله وانبيائه فذكر اوله الكتاب المشهورة التي حكم به النبيون والنبي الذي
هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء
به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان
الاشارة الى عيسى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام
اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى لخير الدارين فيضع
موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه نعم اثبات
المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا
يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه صلاحهم يريدون ليطفئوا اي
يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا كما زيدت لما فيها
من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره
واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون
ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة
الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما
فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو
الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر
ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون

ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه
بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل
تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وبعد جعله جواب هل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب
المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات
عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى
تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض
بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوب باضمار يعطكم او تحبون
او مبتدا خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف
وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب
عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على
تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول
الله بما وعدتهم عليها آجلا وعاجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ
الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى
ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق
قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين
الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه
باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى كونوا انصارا كما كان الحواريون حين
قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن من الحوار
وهو البياض وكانوا اثنى عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت
طائفة اي بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك
بعد رفع عيسى فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلعم من قرأ سورة
الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ
الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان
اكثرهم لا يكتبون ولا يقرأون رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم آياته
مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم
يكن له سواه معجز لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث
الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول
تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام يدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين
او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته
وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه
من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك
الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله
ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا
التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها كمثل
الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل
فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على
نبوة محمد صلعم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا والله
لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم
اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت
فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين
في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي
والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه
وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم
لاحق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم

يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها
الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي
جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوي
لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلعم انه لما قدم المدينة نزل قبا
واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم ابن عوف فاسعوا
الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل
الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير
لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون
الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها
فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله الاطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل
الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما
هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم
ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها روي انه عليه الصلوة والسلم كان يخطب للجمعة فخرج الناس اليهم الا اثني
عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي
كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض بمجرد سماع الطبل ورؤيته
او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما
كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا
راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو
ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين
فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود
وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم
انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا
ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ
ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم
ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك
القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستهزاء
بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا اذا راوا آية ثم كفروا
حينما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه
فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها
وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما
فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلعم في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم
كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولون مشبهين باخشاب
منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب
جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر
وقرا ابو عمرو والكسائي وعن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن
في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني
مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلة والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير
للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير
للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان
يدعوا عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى
يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار
وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم

لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاصلاح
لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله
حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم
ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب
الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله
حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل
رسول الله وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب
الاعز والاذل وعلى هذه القراآت مصدرا وحالا على تقدير مضاف كخروج او
اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله
والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين
آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها
عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه
النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك
هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض
اموالكم ادخارا للآخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت ان يرى دلائله فيقول رب
لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من
الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو
واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح
ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون
فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي صلعم من قرا سورة المنافقين

سورة التغابن فيها مختلف وآيها ثماني عشرة

بري من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله

الحمد تقدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الي الكل علي سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما فاحسن صوره حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصه خصايص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرايركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الي الكل واحد وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات علي قدرته اولا بالذات وعلي علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم يا ايها الكفار نبؤ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل علي المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور من العذاب والوبال بانه ان الشان كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسول بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل علي حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الي مفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزه قل بلى اي بلى يبعثون وربي لتبعثن قسم اكد الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجازيكم عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرا يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه

ثمن ثلث ربع

بعضهم

بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الاشارة الي مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع علي اقامته مقام الفاعل وبالنصب علي طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته علي محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث علي امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امر قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم بجعل لكم بالواحد عشرا الي سبعمائة واكثر وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة

لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي صلعم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر طلق امراته حائضا فامره عليه الصلوة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان يبذون على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فيخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا من الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب لقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة

واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يوعظ به يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود بذكره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والخير فيهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عن ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلوة والسلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقراها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلعم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرا حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلاف ثمه ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفات زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلعم فقال قد حللت فتزوجي

ولانه متاخر النزول فتقدم به تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول ادخل
للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه
امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله
في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات
ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم
من وجدكم من وسعكم اي مما يطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا
تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص
استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم
بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم
بمعروف وليامر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم
فسترضع له اخرى امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اي فلينفق كل من
الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا
الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر
يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت
عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي
للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا
اي لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى
المامور به في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب
استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحايف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا
الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبرئيل لكثرة ذكره او
لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمد عليه
الصلوة والسلم لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال

ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن
ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة
يتلوا عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان
والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة
الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه
تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن
الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل او
بمعنى يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال القدرة والعلم عن النبي صلعم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه الصلوة والسلم خلا بمارية في يوم
عايشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل
شرب عسلا عند حفصة فواطأت عايشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك
ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من
فاعله او استيناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم
ما احله الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء
فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من
رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين
فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلوة والسلم اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولكم

متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي
الي بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده
لابي بكر وعمر فلما نبات به اي فلما اخبرت حفصة عايشة بالحديث واظهره
الله عليه واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث اي على افشايه عرف بعضه
عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها
على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويويده قراءة الكسايي بالتخفيف فانه لا
يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب للسبب والمخفف
بالعكس ويويد الاول فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم
الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الي الله خطاب لحفصة وعايشة على الالتفات
للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل
قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا
عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرا الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المومنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملايكة وصلحاء المومنين
فان الله ناصره وجبريل رسول الكروبيين قرينه ومن صلح من المومنين فان
الله ناصره واعوانه والملايكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل
لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة
الملايكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا
منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة
وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق
بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرا نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مومنات
مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات
على الطاعة تايبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول
سايحات صايمات سمي الصايم سايحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات
ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى
مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي

وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون
انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة
نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملايكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد
غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقويا على الافعال الشديدة
لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يومرون فيما يستقبل او لا
يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويودون ما يومرون به يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم
النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين آمنوا
توبوا الي الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التايب فانه ينصح نفسه
بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها
تنصح ما خرق الذنب وقرا ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور
او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا
نصحا لانفسكم وسيل علي عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب
الندامة وللفرايض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على ان لا يعود
وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم
سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا
على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان
يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا
معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره نورهم يسعى
بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفي نور المنافقين ربنا اتمم
لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم
فيسالون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه وماويهم
جهنم وبيس المصير جهنم او ماويهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة
لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي والمومنين

من النسب بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد تعظيم نوح ولوط
فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق
الزواج اغناء ما وقيل ادخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيمة النار مع الداخلين
مع ساير الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا
للذين آمنوا امرات فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية
ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدي اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين
ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين
من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امراة فرعون تسلية
للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقري فيها اي
في مريم او الحبلة من روحنا من روح خلقناه بلا واسطة اصل وصدقت
بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحي الي انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح
او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقري بكلمة
الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين
على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم يقصر من طاعة الرجال
الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبي صلعم كمل
من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم
ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على ساير الطعام وعنه علم من قرا سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قاريها عن عذاب القبر واياتها ثلثون

الجزء التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضه قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل
شيء قدير على كل ما يشاء قديرا الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة
وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعي الي

ص

حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا
اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا او اورع عن محارم الله واسرع في طاعته
جملة واقعة موقع المفعول ثانيا للفعل البلوي المتضمن معنى العلم وليس هذا
من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا تعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا
وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن
تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر
طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا واذات
طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت وقرا حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد
وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض
ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار
بانه تع يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى
والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور
متعلق به على معنى التسبيب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متاملا
فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور
الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب
الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا من اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا
بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء
الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بالكواكب المضيئة بالليل اضاءة
السرج فيها والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في السموات
فوقها اذ التزيين باظهارها عليها وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا
لها فايدة اخرى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها
رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر
سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في

الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير
وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير اذا
القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان
المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها
بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم
خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير
اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا
وبالغنا في نسبتهم الى الضلال والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر
بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله
على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت
الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون
الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا
عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله
جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر
في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن
جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم
يجمع لانه في الاصل مصدر والمراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله
سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي
بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم
يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي عنهم وهو قلوبهم لهم
مغفرة لذنوبهم واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به
انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق
الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير
المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه

المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون بعلم منقول ليفيد روي ان المشركين كانوا
يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه
الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا
في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير ينبو عن
ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق
شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم
عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا
العالم او الله على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه
تعالى في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وامنتم بقلب
الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم
فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور
التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان
يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن
لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم
بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها
ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على
التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل في الطيران والطارئ
عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان
خلقهن على اشكال وخصائص هيأهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف
يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن
عديل لقوله اولم يروا على معنى الم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على
تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عذابه
فهو كقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم
اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم

وصف الجند محمول على لفظه إن الكافرون إلا في غرور لا معتمد لهم أمن هذا الذي يرزقكم
ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بامساك المطر وساير
الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور شراد
عن الحق لتنفر طباعهم عنه أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى يقال كببته فاكب وهو من
الغرايب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب
وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل
ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله أمن يمشي
سويا قايما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل
المشرك والموحد بالسالكين والمذهبين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من
الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي
المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب
وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا
الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا
المواعظ والأبصار لتنظروا صنايعه والأفئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون
باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون اي الحشر
او الى ما وعدوا من الخسف والحاصب ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين
يعنون النبي والمؤمنين قل إنما العلم عند الله لا يطلع عليه غيره وإنما أنا نذير مبين
اي علم وقته
والانذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما رأوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود
زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان عليها الكآبة وساءتها
رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من
الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل أرأيتم إن أهلكني الله اماتني ومن
معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم لا ينجيهم
احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو
الرحمن الذي ادعوكم اليه مولي النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق
عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار

فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل أرأيتم
إن أصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم
بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلعم من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم ن
من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض
او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد
الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به
اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل
مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روي
ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم
بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة
واجرائه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة
ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة
الراي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها زايدة
وفيه نظر من حيث المعنى وإن لك لأجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع او
ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وإنك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من
قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عايشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه
القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون
ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول
والمجلود او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين او بفريق الكافرين اي في
ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين
على الحقيقة وهو أعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين
تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن بان تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او

توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي ودوا
التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا
على انه جواب للتمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراي
من المهانة وهي الحقارة همّاز عياب مشاء بنميم نقال للحديث علي وجه السعاية
مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز
في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك
اي بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان
من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده .
وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين
اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا
بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله
ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن
عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أان كان علي الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة
الثانية بين بين اي الان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان
كان بالكسر علي ان شرط الغني في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي
عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يسارا لانه اذا اطاع للغني
فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي علي الخرطوم علي الانف وقد اصاب انف
الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع
انفه ورغم انفه لان السمة علي الوجه سيما علي الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم
القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان
دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم
ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم
شي كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت
الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين

في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج
غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لاخرجن ان شاء الله
ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم
فطاف عليها علي الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدا منه وهم نائمون
فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شي فعيل بمعنى مفعول
او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم
لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا علي حرثكم
اي اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال
او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو لتضمنه معنى الاستيلاء ان كنتم صارمين
قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت
وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
ان مفسرة وقرئ بطرحها علي اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة
في النهي عن تمكينه من الدخول لقوله لا ارينك ههنا وغدوا علي حرد قادرين
وغدوا قادرين علي نكد لا غير من حردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل
اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان ينكدوا علي المساكين فنكد عليهم وقيل الحرد
بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا علي حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون
وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا
الي جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم علي صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول
ما راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اي بعد ما تاملوا
او عرفوا انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا علي انفسنا قال اوسطهم رايا او
سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون من خبث نيتكم وقد قال
حينما عزموا علي ذلك ويدل علي هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه
عن ان يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم علي بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا
فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره .

اي لو ايا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها
ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا
بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة
او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة
العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم
الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم
جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول
الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون
احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من
حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راي ام لكم
كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما
تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئت باللام كسرت
ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره
ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت
بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في
لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك
اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان
معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه
ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين
في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع
ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل ونقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد
على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء
يعني الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله
نفى بهذا ان يكون ما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب
الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب

قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف
عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان
وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ بالياء على بناء الفاعل او المفعول والفعل للساعة
او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون
الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او
زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون
الى السجود في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحوا العلل فيه
فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم
من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون
انه استدراج وهو الانعام عليه لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم
ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته ام
تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون
عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون
به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب
الحوت يونس اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملو غيظا في الضجرة فتبتلى
ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني توفيق التوبة وقبولها وحسن تذكير
الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى
لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم
مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ
فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة
فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه ان يفعل ما تركه اولى
وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلعم ان يدعو على
ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم
ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا

يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي
انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله صلعم فنزلت وفي الحديث
ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصايص بعض النفوس وقرا
نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقري ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا
الذكر اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون
حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر
عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي يحق فيها الامور اي يعرف
حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدا
خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع
الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي
انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدا وادريك خبره
كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار
والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة
او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما
عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية
شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا
على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جيء به لنفي ما
يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كان لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال
وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الداء اذا تابعت بكيها

او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا
منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر اي تحسمهم حسوما ويؤيده
القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى الآخر وانما سميت لانها عجز
الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها
فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع
كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية
من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرا البصريان ومن
قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط
والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء فعصوا رسول
ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زايدة في الشدة زيادة اعمالهم
في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو
يؤيد من قبله حملناكم اي آباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم
لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة
الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين
تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك
اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه
والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء
الجم الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
لما بالغ في تهويل القيمة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد
الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل
وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى
عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة
او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض
ضربة واحدة فيصير الكل هباء او بسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها
ولا امتا لان الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء

للنفخة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة
فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على أرجائها
جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب الدنيا بخراب البنيان وانضرام أهلها إلى
أطرافها وحواليها وإن كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة إثر ذلك ويحمل عرش ربك
فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء أو فوق الثمانية لأنها في نية التقديم يومئذ
ثمانية ثمانية أملاك لما روي مرفوعا أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة
أخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله ولعله أيضا تمثيل لعظمته
بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا
قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف أحوالهم
وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه
النفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل
النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله حتى يكون
العرض للاطلاع عليها وإنما المراد إفشاء الحال والمبالغة في العدل أو على الناس
كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فأما من أوتي
كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ
وفيه لغات أجودها ها يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان أو امرأتان
وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لأنه
أقرب العاملين ولأنه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه إذ الأولى إضماره حيث
أمكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط
في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الإمام ولذلك قرئ بإثباتها في الوصل
إني ظننت أني ملاق حسابيه أي علمت ولعله عبر عنه بالظن إشعارا بأنه
لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم
النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة أو جعل
الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في
جنة عالية مرتفعة المكان لأنها في السماء أو الدرجات أو الأبنية والأشجار

قطوفها جمع قطف وما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد
كلوا واشربوا هنيئا بإضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا أكلا وشربا هنيئا أو
هنئتم هنيئا بما أسلفتم بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية الماضية
من أيام الدنيا وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من سوء العمل وسوء
العاقبة يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة
التي متها كانت القاضية القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها أو يا ليت هذه الحالة
كانت الموتة التي قضت علي كأنه صادفها أمر من الموت فتمناه عندها أو يا ليت
حياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حيا ما أغنى عني ماليه مالي من المال والتبع
وما نفي والمفعول محذوف أو استفهام إنكار مفعول لأغنى هلك عني سلطانيه
ملكي وتسلطي على الناس أو حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا خذوه يقوله
الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى لأنه
كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا أي طويلة
فاسلكوه فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر
على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر
أنواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة إنه كان لا يؤمن بالله العظيم
تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للإشعار بأنه هو المستحق
للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث
على بذل طعامه أو على إطعامه فضلا أن يبذل من ماله ويجوز أن يكون ذكر الحض
للإشعار بأن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف
الكفار بالفروع ولعل تخصيص الأمرين بالذكر لأن أقبح العقائد الكفر وأشنع
الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام
إلا من غسلين غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله
إلا الخاطئون أصحاب الخطايا من خطئ الرجل إذا تعمد الذنب من الخطأ المضاد
للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا أقسم لظهور
الأمر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فأقسم ولا مزيدة أو فلا رد لإنكارهم البعث

وانتم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه اي القرآن لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون يصدقون لما ظهر لكم صدقه قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تدعون اخرى قليلا ما تذكرون يذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحي اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك او ابو جهل

فانه قال اسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول عليه الصلوة والسلم استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام ومن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بدافع او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان على استهزاء او تعنت وذلك مما يضجر او عن تضجر واستبطاء للنصر وبسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم يكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي

الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا
بست وطيرت في الهواء اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما
ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اي لا يطلب من
حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استيناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال
هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده
وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته
واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث
يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ
بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم
التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين
او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد
كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او
مبهم تفسيره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهي
اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب
على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى
الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه
الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرّ عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك
من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى
وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص
قليل الصبر اذا مسه الشر الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا
يبالغ في الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل
الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين
بالصفات المذكورة بعدهم من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات
لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان
بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك

في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل
والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل للذي يسأل
والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا
باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير
مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ في طاعته
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
سبق في سورة المؤمنين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم والذين هم بشهاداتهم قائمون يعني
لا يخفون ولا ينكرون ولا يغفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب
وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون
شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين
للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى اولئك
في جنات مكرمون بثواب الله فما للذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين
عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة
تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله حلقا حلقا
ويستهزئون بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار
لقولهم لو صح ما يقول لنكونن فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا
الطمع انا خلقناهم مما يعلمون وما بعده الى آخر السورة تعليل له والمعنى انكم مخلوقون
من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق باخلاق
الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم
والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان
النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه
فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي
نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن

بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
مر في آخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كأنهم الى نصب
منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص نصب بالضم على انه
تخفيف نصب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي
كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلعم من قرا سورة المعارج اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم راعون

سورة نوح مكية وآيها تسع او ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز
ان يكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول
قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الآخرة او الطوفان قال يا قوم اني
لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعرا نظيره وفي ان يحتمل
الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجب فلا يؤاخذكم
به في الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان
اجل الله ان الاجل الذي قدره الله اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء
الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم
من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الدنيا كانهم شاكون
في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي
الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم
ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم
سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة
النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب
للمبالغة واصروا واكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه
واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم
اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي

وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد
او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر
محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا
ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان
كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم
بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طال دعوتهم
وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على
الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء
يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد
بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده
واطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة
للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع
لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء
فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا
ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن
ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك
ما يؤيده من آيات الآفاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل
القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من
الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما
يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم منها فاستعير الانبات
للانشاء للدلالة على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا
فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا
بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون
لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة

جمع نجر وبن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم واتبعوا
من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم
بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت
لهم بالاموال والاولاد ادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان
وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن والحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على
لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من
كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم
اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي لا تذرن هؤلاء
خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم
فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب
ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن
اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب
هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله
ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد
والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب
القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال
او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير
النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا
تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا يقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار
او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان
تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم
الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن
متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي

مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن
النبي صلعم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلم

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمها ووحي على
الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام
عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس
بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلوة والسلم ما رآهم ولم يقرأ عليهم
وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا
سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه مصدر وصف به
للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا
احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قرأ ابن كثير
والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا
وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه
لما قام على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان
من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قال صدقناه وصدقنا انه تعالى
جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من
الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه
او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر
اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطا ما اعتقدوه من الشرك
واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله
شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو
نسبة الصاحبة والولد الى الله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله
كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب

على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه ومن قرا لن
تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد
هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا
كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل
غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والايتان
من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما
من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء
طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه
والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم
جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب
وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن
الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد
فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن
الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك
في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم
ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي
قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهو المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق
اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا
متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض
كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه
في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن
آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل
على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان
ترهقه ذلة او جزاء بخس لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان

بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق
الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا
اي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه
اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه
وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن
لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن
يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا
شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء
وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة
المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة او السجدات
على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه
واقع موقع كلامه على نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد
الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا
من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة
وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة
وهي لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا
اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا
عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا
نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين
قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا
منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع
وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله

ودليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا
عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار
جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا
ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى
الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم قل ان ادري ما ادري اقريب ام
بعيد ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية بطول مدتها كانه لما سمع المشركون
حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن
لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا
اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من
رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك
والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا
عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين
يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من
اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى
اليه ان قد ابلغ جبرئيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبيا
بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم
بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء
وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي
به النبي صلعم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في

قطيفة او تحسينا له اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او
تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل
الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم
الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه
الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام
النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء
منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل
منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت
وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام
والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا
اقراه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل
اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف
الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها امته والجملة
اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشاق مضاد للطبع مخالف
للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره
الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او
ثقيل تلقيه لقول عائشة رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذين الاخيرين
لتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل
ان النفس التي تنشا من مضجعها الى العبادة من نشا من مكانه اذا نهض قال
نشانا الى حوض بري نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل
على ان الناشئة له او العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها
تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشات اذا ابتدات هي اشد وطاء
اي كلفة او ثبات قدم وقرئ ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطاة القلب اللسان
لها او فيها او موافقة لما يراد منها من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا

اي اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا
في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ
سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه
واذكر اسم ربك ودم علي ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل
وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة
وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب
المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون
غير حفص ويعقوب بالجر علي البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب من التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي
ان يوكل اليه الامور واصبر علي ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا
بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكلهم الي الله كما قال وذرني والمكذبين دعني
واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم
يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا وجحيما
تعليل للامهال والنكل القيد الثقيل وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق
كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله
ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية
المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الي عالم المجردات
متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس
فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب
وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا
مجتمعا كانه فعيل بمعنى المفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل
هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم
يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الي فرعون رسولا يعني موسى ولم
نعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه
اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم

فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم علي الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا
من شدة هوله وهذا علي الفرض او التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع
بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر منشق به والتذكير علي
تاويل السقف او اضمار شيء به بشدة ذلك اليوم علي عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء
للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او لليوم علي اضافة المصدر الي المفعول ان هذه
الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الي ربه سبيلا اي يتقرب
اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
استعار الادنى للاقل لان الاقرب الي الشيء اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون
ونصفه وثلثه بالنصب عطفا علي ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة
من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان
تقديم مبتدا مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اي
لن تحصوا تقدير الاوقات ولم تستطيعوا ضبطها فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام
المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة
الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا علي
التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن
بعينه كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى
مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال وآخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء الفضل المسافرة
للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه
واقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد
به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخيرات او باداء الزكوة علي احسن وجه والترغيب فيه
بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو
خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الي الوصية عند الموت او من متاع الدنيا
وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من
حرف التعريف وقرئ هو خير علي الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم

فان الانسان لايخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلعم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه

سورة المدثر مكية وايها ست وخمسون

العسر في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عليه الصلوة والسلم قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السما والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل تاذي من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نايما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يامر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها وبحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرا يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه الصلوة والسلم المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من

الحرص والطمع او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من منه بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا او بالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي واحضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على اذيهم فبين ايديهم على زمان صعب يلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العايد المحذوف اي من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد فانه كان ملقبا به فسماه الله تهكما او اراده انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج الى ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والانديه لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستيناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه

عقبة شاقة المصعد وهو تمثيل لما يلقى من الشدايد وعنه عليه الصلوة والسلام الصعود
جبل من النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل
للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول
فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء انه او لانه اصاب فضى ما يمكن ان
يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو
عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي صلعم وهو يقرا حم السجدة فاتى قومه وقال لقد
سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال
ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا فكلمه بما احماه فقام وناداهم فقال
تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا
فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان
الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن مرة بعد اخرى
ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله وقطب
في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال
ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة
بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر وقوله ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة
الاولى ولذلك لم يعطف ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادريك
ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها
معنى التعظيم ولا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى يهلكه لواحة للبشر مسودة
لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئ بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر
ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية
في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان لجهنم
سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار
والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحد لعصاة

الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات اربعة وعشرون
خمسة منها مصروفة في الصلوة بقي تسعة عشر وقرئ بسكون العين كراهة توالي الحركات
فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني
نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا
جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم
غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة
منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما
جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر
تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان
يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن
تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد
وصدق القرآن لما راوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان
او بتصديق اهل الكتاب ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي في ذلك
وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة
وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون
بالمدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي
شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا
انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من
الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه
على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها
وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر
او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار
لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع وحمزة
ويعقوب وحفص اذا ادبر على المضي والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر
اي لاحدى البلايا الكبر اي البلايا الكبيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها

بنعله شريلا للالف كالنا، كالحمت ماصعا، بقاصعة فجمعت على قواطع والجملة جواب القسم وتعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر تمييز لاحدى الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف لمن شاء منكم أن يتقدم او يتأخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر ان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين اي يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي دعوناه. وقوله ما سلككم في سقر على الحكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين اجابوا قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اي معرضين عن التذكير يعني القرآن او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم في اعراضهم ونفارهم من استماع الذكر بحمر نافرة من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرء منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ، وذلك انهم قالوا للنبي صلعم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء، وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم

عن النبي صلعم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وآيها تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شائع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني قصرت او نفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سأل رسول الله صلعم عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبل من الزمان يسأل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق الباب اي انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر

والجم باستتباع الروح الحساسة في الذهاب او بوصوله الى من كان تقتبس منه نور العقل
من سكان القدس وتذكيرا لفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين
المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المفر وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع
عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى
ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرارهم او الى مشيته
موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم
واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سيئة
عمل بها بعده او بما قدم من مال يصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان
على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز
او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان
يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر
فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك يا محمد به بالقرآن لسانك قبل
ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك
وقرآنه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان جبريل
عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما
اشكل عليك من معانيه وهو دليل جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض
بما هو تاكيد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور
واصل الدين فكيف بها في غيره او تذكير ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات وقيل
الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته
خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك
وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار او بالتامل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء
عليه كلا ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله
بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون
على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده
قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة

الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول
وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان
الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا
يعدى بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال
فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل
ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل
بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي
اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من
راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى
بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان
الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه
فلا يقدر تحريكهما او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق
سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى
ما يجب تصديقه او فلا صدق ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان
ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط
فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك
فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما يكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى
لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من ادون او فعلى من آل يؤول
بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب
الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره
للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف
لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة الم يك نطفة من
مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين
الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما قرره مرارا ولذلك
رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وعن النبي صلعم انه كان اذا قرأها

قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبرئيل يوم القيمة انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل كقوله اهل
رأونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير
المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة
والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله
انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط
جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها
مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك
يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل
ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرّا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم
مضغة ثم تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره
او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من
مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء
على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب الدلائل
وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه
في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفورا
بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف
الجواب ولعله لم يقل كفورا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان
الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين
سلاسلا بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم
وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين
احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب

او بار كاشهاد يشربون من كأس من خمر وهي في الاصل القدح يكون فيه كان مزاجها
ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور
في رائحته وبياضه وقيل تخلق فيها كيفيات الكافور فيكون كالممزوجة به عينا
بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف اي ماء عين
او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله
اي ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشراب مبتدأ منها
كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف
ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ من وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله
عليه ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار
من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم
عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام
مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عليه الصلوة والسلم كان
يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن
ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك
انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم
المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة انها بعثت بالصدقة الى
اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب
الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف
من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب
يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه العبوس في ضراوته قمطريرا شديد
العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت
قطريها مشتق من القطر والميم زائدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب
خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم
بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة

بستانا يأكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن و الحسين
مرضا فعادهما رسول الله صلعم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك
فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا
وما معهم من شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت
فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم
مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا
الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك
فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك متكئين
فيها على الارائك حال من هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا
زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم
فيها هواء معتدل لا حار محمي ولا بارد موذي وقيل الزمهرير القمر في لغة طي
قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء
بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوف
على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال او صفة
وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف
ان تجعل سهل التناول لا يمتنع على قطافها كيف شاؤا ويطاف عليهم بآنية
من فضة واكواب واباريق بلا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اي تكونت
جامعة بين صفاء الزجاج وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا
من نون سلاسلا وابن كثير الاول لانها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على
هي قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها
كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها
المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا
قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا
كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون

الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة
مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد
به ان ينفي عنه لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط
شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون
دائمون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس
شعاع بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه
ان بصرك اينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر
في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان تنتقش
نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب
سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على
الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم
وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس
بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأهما ابن عامر وابو عمرو
والكسائي بالرفع وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق
جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم
ولا يخالف قوله اساور من ذهب لامكان الجمع بينهما ومن فيه للتبعيض فان حلي اهل الجنة
يختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوا بايديهم حليا وانوارا تتفاوت
تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون
هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق
على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر
شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله متلذذا
بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار
ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم
مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما
لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير

نصرك علي كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي
لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه او للدلالة علي انهما سيان في استحقاق العصيان
والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي علي الوصفين مشعر
بانه لهما وذلك يستدعي ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر محظورا فان مطاوعتهما
فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم علي ذكره اودم
علي صلوتي الصبح والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له
وبعض الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طايفة
طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم وخلف
ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل
لما امر به ونهي عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا
شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة
الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جي باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق
القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الي السورة او الآيات القريبة فمن
شاء اتخذ الي ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما
تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن
بالياء ان الله كان عليما بما يستاهل كل واحد حكيما لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته
يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا
اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجملة المعطوف
عليها وقرئ بالرفع علي الابتداء عن النبي صلعم من قرا سورة هل اتي كان جزاؤه علي الله جنة وحريرا

سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة
فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرايع في الارض او نشرن النفوس
الموتي بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الي الانبياء ذكرا
عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الي محمد صلعم فعصفن
ساير الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدي والحكم في الشرق والغرب وفرقن
بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة
الي الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوي الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء
ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شي هالكا الا وجهه فالقين
ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن
ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل
اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تع وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه
علي العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعني المتابعة من عرف الفرس وانتصابه
علي الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير
بمعني المعذرة ونذير بمعني الانذار او بمعني العاذر والمنذر ونصبهما علي الاولين بالعلية
اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا علي ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد
والشرك والايمان والكفر وعلي الثالث بالحالية وقراهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص
بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجي الساعة
كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت
واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها
الذي يحضرون فيه للشهادة علي الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها
الذي كانت ينتظرونه وقرا ابو عمرو وقتت علي الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي
يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني
مفعولي اقتت علي انه بمعني اعلمت ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك
ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل
في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الي الرفع للدلالة علي ثبات الهلك للمدعو
عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه
بمعني اهلكه ثم نتبعهم الآخرين اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم

عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى
كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين
بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين
لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن
شايع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه في
قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة
فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد
فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة
الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم
ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على
الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما
للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف
للعلم به وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحالية فيكون المعنى
بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا
ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لا يعرف ولا يرى واسقيناكم ماء
فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا
اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا من
يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان
جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان
العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس من انوار القدس
الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة
في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل
شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم
بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها
ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو

جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصر كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة
كحاجة وحوج والهاء للشعب كانه جمالات جمع جمالة او جمال جمع جمل صفر فان
الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة
والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة
الحركة وقرأ حمزة والكسائي جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ
بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه ويل
يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق
او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي
هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين
عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو
جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن
لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير
وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا
واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب
ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه
مما يشتهون مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي
مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين
يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا
لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم
ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا
قيل لهم اركعوا لا يركعون اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة اذ روي
انه نزل حين امر رسول الله صلعم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل هو
يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل
به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين

نبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذلم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل
على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عليه الصلوة والسلم من قرأ سورة المرسلات
كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وآيها اربعون

الجزء الثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان
ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا
يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم
يتداعونهم ويترائونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبأ العظيم بيان للشأن
المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر وبدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي
هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع
عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد
الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاولى للبعث والثاني
للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض
مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجايب صنعه الدالة على كمال
قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لهم
كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد للتنوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى
وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية
وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع
ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا
النهار معاشا وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به او حيوة
تبعثون بها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات
لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا من وهجت النار
اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من
المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد

اليه

الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي
حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال
لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا
بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية
وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا
ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها
ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف جمع
لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان
في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون
اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتأتون افواجا جماعات من
القبور الى المحشر روي انه عليه الصلوة والسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف
من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون
على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على
صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم
وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل
السحت واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف
قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين
للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشققت وقرأ
الكوفيون بالتشديد فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب
او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال اي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل
سراب اي ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها
ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة
المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر
فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة لكيلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان

بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرئ
حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على
خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما
يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى
حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على
خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها
احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز
ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل
مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد
بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل
من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤوس
الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك
جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من
وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا
كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف
وهو بمعنى الكذب كقوله صدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه فانما اقيم مقام
التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين
كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين
في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى
كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون
للمبالغة فيكون صفة المصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه
وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر احصيناه فان الاحصاء والكتبة
يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح
او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب

عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي
الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا
او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا
بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا لدات وكأسا دهاقا
ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف
اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء
تفضلا منه اذ لا يجب على الله شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول
به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم
وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما
بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفة له
الا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وحن على انه خبر محذوف او مبتدا خبره
لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه
والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون
عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان
هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون
صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف لا يملكون
او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرئيل او خلق اعظم
من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه الى ثوابه
مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه
لتحققه فان كل ما هو آت قريب لا محالة ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير وشر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم
فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر
او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل

يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم يرد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية واٰيها خمس او ست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البير اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الي النار وبارواح المؤمنين الي الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان هيؤها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات او الاوليات لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الي ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الي المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الي برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الي بلد وتسبح في الفلك فتسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الي المغرب قسرية وحركاتها من برج الي برج ملائمة سمي الاول نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الي عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق الي حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع من الشهوات فتنشط الي عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الي الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون

الي حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الي دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الي العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها علي قيام الساعة والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي يشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولي تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موضع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الي القلوب يقولون أئنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولي يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه علي النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعني المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة أئذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا علي الخبر عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعني انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء علي وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها لا ينام خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسي اليس قد اتاك حديثه فيسليك علي تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوي قد مر بيانه في سورة طه اذهب الي فرعون انه طغي علي ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من معني القول فقل هل لك الي ان تزكي هل لك ميل الي ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان

ويعقوب تزكي بالتشديد واهديك الي ربك وارشدك الي معرفته فتخشي باداء
الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما يكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله
فقولا له قولا لينا فاراه الآية الكبري اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبري وهي
قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها
كالآية الواحدة فكذب وعصي فكذب موسي وعصي الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر
ثم ادبر عن الطاعة يسعي ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما رأي الثعبان
مرعوبا مسرعا في مشيته فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادي في المجمع بنفسه
او بمناد فقال انا ربكم الاعلي اعلي من كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الآخرة
والاولي اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق
او علي كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولي هي قوله ما علمت لكم من اله غيري
او للتنكيل فيهما او لهما كليهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان
في ذلك لعبرة لمن يخشي لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا
ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها
اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسواها
فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من التداوير والكواكب وغيرها
من قولهم سوي فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل
اذا اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها
لقوله والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها
للسكني اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو في الاصل لموضع
الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال
ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع علي الابتداء وهو مرجوح لان
العطف علي فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة
الداهية التي تطم اي تعلو علي سائر الدواهي الكبري التي هي اكبر الطامات وهي
القيمة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الي الجنة واهل
النار الي النار يوم يتذكر الانسان ما سعي بان يراه مدونا في صحيفته وكان

قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من فاذا جاءت وما موصولة او مصدرية
وبرزت الجحيم فاظهرت لمن يري لكل راء بحيث لا يخفي علي احد وقرئ وبرزت ولمن رأي
ولمن تري علي ان فيه ضمير الجحيم لقوله اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول
اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من
التفصيل فاما من طغي حتي كفر وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة
بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هي المأوي هي مأواه واللام فيه سادّ مسدّ الاضافة
للعلم بان صاحب المأوي هو الطاغي وهي فصل او مبتدا واما من خاف مقام ربه
مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ونهي النفس عن الهوي لعلمه بانه مرد فان
الجنة هي المأوي ليس له سواها مأوي يسألونك عن الساعة ايان مرسيها
متي ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسي السفينة وهو
حيث ينتهي اليه ويستقر فيه فيم انت من ذكريها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم
اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها
مما استأثر الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستانف معناه انت
ذكر من ذكريها اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها
وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الي ربك منتهيها اي منتهي علمها انما انت منذر
من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص
من يخشي لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال علي الاصل لانه بمعني
الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اي
عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحي الي العشية لانهما
من يوم واحد عن النبي صلعم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله يوم القيمة حتي يدخل الجنة

سورة عبس مكية وآيها احدي واربعون

قدر صلوة مكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولي ان جاءه الاعمي روي ان ابن ام مكتوم اتي رسول الله صلعم وعنده صناديد
قريش يدعوهم الي الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله

بالقوم فكره رسول الله صلعم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله يكرمه
ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس
بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آان
بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار
بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة على انه احق بالرافة والرفق
او لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى
اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان
اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتذكر فتنفعه الذكرى موعظتك وقيل
الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت
عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما من
استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع
تصّدى بالادغام وقرئ تُصدى اي تعرض وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى
وليس عليك باس في ان لا يزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض
عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او
اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل
يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على
اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب
عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران
للقرآن او العتاب المذكور وتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة
لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة
عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب
من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله وبين رسله او الامة جمع سافر
من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المراة اذا كشفت وجهها كرام
اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء
قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران

وموضع تقرير يدل على تخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من
مبدا حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه
لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره
ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل
الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون
الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد
غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره جعله ذا قبر ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة
والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة
والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين
في نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما
امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما
فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا
الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل
منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات او بالكراب واسند الشق
الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا
وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا
ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها
ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام
لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب
للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف
فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه
بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة
كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة

من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة بما يرى من النعم ووجوه يومئذ عليها غبرة
عليها غبار وكدورة ترهقها قترة تغشاها سواد وظلمة أولئك هم الكفرة الفجرة
الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عليه السلام من قرأ عبس جاء يوم القيمة

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

ووجهه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا
اريد رفعه لف او لف ضوءها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره او القيت عن
فلكها من طعنته فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل
يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت
قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت
عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر
جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف
واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا
او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا
البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر
التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس
زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين
بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب
تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت
تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله لعيسى أانت قلت للناس وقرئ سألت
اي خاصمت عن نفسها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني
صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب وقيل نشرت فرقت
بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر
او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط

الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم
سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد
واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما
صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل
فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها
ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع
من خنس اذا تأخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار
الكنس السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه
وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر
وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع الليل اذا ادبر والصبح اذا
تنفس اي اضاء غبرته عند اقباله روح ونسيم انه ان القرآن لقول رسول يعني
جبريل فانه قاله عن الله كريم ذي قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين
عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله
وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم
بمجنون كما بهتته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما السلام حيث
عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلعم وهو ضعيف اذ المقصود منه
نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما
ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو
وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من
الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل
اي لا يبخل في التبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس
من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو
بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه لكهانة وسحر فاين
تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه من امر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة
اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم

بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاءها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال عليه الصلوة والسلم من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته صدق رسول الله

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة وما اخرت من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه يستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم

والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال عليه الصلوة والسلم من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه

وفيه انكار وتعجب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب
بيبعثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا
الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه
برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف
والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم
لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين كتاب
مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن
لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش
وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف
ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة
او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر
قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته
عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير
الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه
دلايل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما
قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه
حتى صار ذلك صداء في قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال
سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلوة والسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل
في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصداء وقرا حفص بل ران باظهار
اللام كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف
المومنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك
او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون
بها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون يقول لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب
بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع
عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم

الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه
يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم
من النعم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرا
يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص
مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته
او الذي له ختام اي مقطع رائحته المسك وقرا الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم
به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون
ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا
يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل
الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء في يشرب بها ما في
يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا
يضحكون كانوا يستهزئون بفقراء المومنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا
ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين متلذذين بالسخرية
وقرا حفص فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا راوا المومنين نسبوهم
الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المومنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء
مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه اغلق
دونهم فيضحك المومنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب
الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرا حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء
قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت بالغمام لقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضه تنشق
من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها

انقياد المطواع الذي ياذن للامر ويذعن له وحقت اي وجعلت حقيقة بالاستماع
والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان
تزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت
في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية
وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه
محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او بدلالة
قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى
الانسان كدحه اي جهد يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان
انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله
مسرورا الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من
اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تغل يمناه الى
عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو
الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى كقوله وتصلية
جحيم وقرئ ويصلى لقوله ونصليه جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا
بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله بلى
ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه
فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة
انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه
وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو
يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا
لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق
غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن
القيامة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى

لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق
ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبق او
حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون يوم القيامة واذا
قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه
الصلوة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق
رؤوسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجدة فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد
وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدتها الا بعد ان رايت رسول الله يسجد فيها
بل الذين كفروا يكذبون اي بالقرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم
من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير
ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلعم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه
كتابه من وراء ظهره

سجدة

سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات
ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها
او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم
القيامة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه
من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما
او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته
او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على
خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج
او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه
جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون
يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على

اذ ايمم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما
ومعنى الحق والاحقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه
وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست
الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها
فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك
فابرأه فسأله عن ابرائه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على
الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف
فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا
ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي
وتقول باسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن
الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى
جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق
فاقتحمت وعن علي رضه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله
احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما
تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد **النار**
بدل من الاخدود بدل الاشتمال **ذات الوقود** صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به
لهبها واللام في الوقود للجنس **اذ هم عليها** على حافة النار **قعود** قاعدون
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم
يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين يشهد عليهم السنتهم
وايديهم **وما نقموا** وما انكروا **منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد** استثناء على
طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه
عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله **الذي له ملك السموات**
والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد **ان**
الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى **ثم لم يتوبوا فلهم عذاب**
جهنم بكفرهم **ولهم عذاب الحريق** العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل

المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم
فاحرقتهم **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار**
ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه **ان بطش ربك لشديد** مضاعف عنفه
فان البطش اخذ بعنف **انه هو يبدئ ويعيد** يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش
بالكفرة في الدنيا ثم يعيده في الآخرة **وهو الغفور** لمن تاب **الودود** المحب لمن اطاع
ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك **المجيد**
العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي
صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته **فعال لما يريد** لا يمتنع عليه مراد من افعاله
وافعال غيره **هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود** ابدلهما من الجنود لان المراد
بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب
قومك وحذرهم مثل ما اصابهم **بل الذين كفروا في تكذيب** لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب
ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من
تكذيبهم **والله من ورائهم محيط** لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط **بل هو قرآن**
مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد
بالاضافة اي قرآن رب مجيد **في لوح محفوظ** من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة
للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله
صلعم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص
عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه **وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب**
المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او في الافلاك والمراد الجنس او معهود
بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه **ان كل**
نفس لما عليها اي ان الشان كل نفس لعليها **حافظ** رقيب فان هي المخففة

والللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية
والجملة على الوجهين جواب القسم **فلينظر الانسان مم خلق** لما ذكر ان كل نفس عليها
حافظ اتبعه بوصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه
الا ما يسره في عاقبته **خلق من ماء دافق** جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذو دفق
وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من المائين في الرحم لقوله **يخرج من بين الصلب**
والترائب بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة يتولد
من فضل الهضم الرابع وينفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد لان يتولد منها مثل تلك
الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك ان الدماغ
اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف
فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب نازلة الى الترائب وهما اقرب الى
اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه
لغة رابعة وهي صالب **انه على رجعه لقادر** والضمير للخالق ويدل عليه خلق **يوم**
تبلى السرائر يتعرف ويتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث
منها وهو ظرف لرجعه **فما له** فما للانسان **من قوة** من منعة في نفسه يمنع به
ولا ناصر يمنعه **والسماء ذات الرجع** ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل
الرجع المطر سمي به كما سمي به اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب
يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب
والارض ذات الصدع ما يتصدع به الارض من النبات او الشق بالنبات
او العيون **انه** ان القرآن **لقول فصل** فاصل بين الحق والباطل **وما هو بالهزل**
فانه جد كله **انهم** يعني اهل مكة **يكيدون كيدا** في ابطاله واطفاء نوره **واكيد كيدا**
واقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون **فمهل الكافرين**
فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم **امهلهم رويدا** امهالا رويدا والتكرير
وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي صلعم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في

سورة سبح مكية وآيها تسع عشرة

السماء عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره
زاعما انهما فيه سواء وذكره الاعلى وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث
لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى
قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك
سجدت **الذي خلق فسوى** خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم
معاشه **والذي قدر** اي قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها
وافعالها وآجالها **فهدى** فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات
ونصب الدلائل وانزال الآيات **والذي اخرج المرعى** انبت ما ترعاه الدواب **فجعله**
بعد خضرته **غثاء احوى** يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى
من شدة خضرته **سنقرئك** على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة
فلا تنسى اصلا لقوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به
عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله
السبيلا **الا ما شاء الله** نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما
روي انه صلعم اسقط آية من قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها
او نفي النسيان رأسا فان القلة تستعمل للنفي **انه يعلم الجهر وما يخفى** ما ظهر
من احوالكم وما بطن او جهرك بالقرآن مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان
فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء **ونيسرك لليسرى** ونعدك للطريقة اليسرى في
حفظ الوحي او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك
وانه يعلم اعتراض **فذكر** بعد ما استتب لك الامر **ان نفعت الذكرى** لعل هذه الشرطية
انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف
عليهم لقوله وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار
بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عن من تولى **سيذكر من**
يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول
العارف والمتردد **ويتجنبها** ويتجنب الذكرى **الاشقى** الكافر فانه اشقى من الفاسق

او الاسقي من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلي النار الكبري نار جهنم فانه عليه الصلوة
والسلم قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها
ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيي حيوة تنفعه قد افلح من تزكي تطهر من الكفر والمعصية
او تكثر من التقوي من الزكاة او تطهر للصلوة او ادي الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه
فصلي لقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكي تصدق
للفطر وذكر اسم ربه كبر يوم العيد فصلي صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون
ما يسعدهم في الآخرة والخطاب للاشقين علي الالتفات او علي اضمار قل او للكل
فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرا ابو عمرو بالياء والآخرة خير وابقي فان نعيمها
ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولي الاشارة
الي ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابرهيم وموسي
بدل من الصحف الاولي قال عليه الصلوة والسلم من قرا سورة الاعلي اعطاه الله عشر
حسنات بعدد كل حرف انزله الله علي ابرهيم وموسي وعيسي ومحمد عليهم السلم

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشي الناس بشدايدها يعني يوم القيمة
او النار من قوله وتغشي وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة
تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود
والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلي نارا
تدخلها وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلي من اصلاه الله وقرا ابو عمرو ويعقوب
وابو بكر يصلي بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقي من عين آنية
بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه
الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين
طعام غيرهم والمراد طعامهم مما يتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن
ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة

نصف

او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ثوابه في جنة عالية علية المحل او القدر لا
تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرا علي بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء
نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم
فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او
القدر واكواب جمع كوب وهي آنية لا عروة لها موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد
جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الي بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية
مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الي الابل كيف خلقت خلقا دالا علي
كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الي البلاد النائية فجعلها عظيمة
باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعي كل
نابت وتحتمل العطش الي عشر فصاعدا ليتأتي لها قطع البوادي والمفاوز مع ما لها
من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات
واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب علي
الاستعارة والي السماء كيف رفعت بلا عمد والي الجبال كيف نصبت فهي راسخة
لا تميل والي الارض كيف سطحت بسطت حتي صارت مهادا وقرئ الافعال الثلاثة
علي بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعني افلا ينظرون الي انواع المخلوقات
من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره علي البعث
ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك
ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن الكسائي
بالسين علي الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولي وكفر لكن من تولي وكفر فيعذبه الله
العذاب الاكبر يعني عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط
وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله
فذكر اي فذكر الا من تولي واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول
انه قرئ الا علي التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد علي انه فيعال
مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولي قلبها في ديوان ثم
الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة

في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالصبح او فلقه لقوله والصبح اذا تنفس او بصلوته وليال عشر عشر ذي
الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ
وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها
شفعها ووترها او بالخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن
فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومي
النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر
دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر
وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي لقوله
والليل اذا ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة
ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا
وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب
اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم
به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل
سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط
والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني
اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم ارم عطف
بيان لعاد على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل
سمي اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد
ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان
شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت
له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها ارم

فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في
البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين
جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادي
القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا
او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم
منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب
ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب
به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا
اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى
السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات
من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله ان
ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد في الآخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان
فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه
بالمال والجاه فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدا الذي هو
الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه
قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا
ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه اي بالفقر والتقتير
ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي
الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا
ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل
فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون
اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن
ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على

تهالكم بالمال وحوانهم لايكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولايحثون اهلهم على طعام
المسكين فضلا عن غيرهم وتأكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم
اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لايورثون النساء والصبيان وياكلون انصبائهم
او ياكلون ماجمعه المورث من حرام وحلال عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما
كثيرا مع حرص وشره كلا ردع لهم عن ذلك وانكار وما بعده وعيد عليه اذا دكت
الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا
وجاء ربك اي ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند ظهور السلطان
من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ
بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها الف زمام
مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر
الانسان اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له
الذكرى اي منفعة الذكرى وليلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول
التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبول له يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي
لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على
استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا عنه فيومئذ
لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه
يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما
يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة
على ارادة القول وهي التي اطمانت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب
من المسببات الى الواجب فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى
الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ
بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعره لك قول يقول من قال
كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية بما
اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي
جنتي معهم او في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرآة ٭

المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعددت لك
عن النبي صلعم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول
الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل
تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من
النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابرهيم
عليهما السلم وما ولد ذريته او محمد عليه والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما
في قوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل
كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في الشدائد مبدأه ظلمة
الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية الرسول عليه الصلوة والسلم بما
كان يكابده من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر
او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظي ويجذبه
عشرة فينقطع ولا يزل قدماه او لكل واحد منهم او الانسان الانسان ان لن يقدر
عليه احد فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد
الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول ايحسب ان لم يره
احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه
عليه ثم بين ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمايره وشفتين
يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين
طريقي الخير والشر والتدين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر
تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل
استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله وما ادريك ما العقبة فك رقبة
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من

مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا يكاد يقع في الماضي الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا او يتيما والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انكم لم تدركه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا ابه وتواصوا بالصبر اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبنا دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشئمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز من آصدته عن النبي صلعم من قرا لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه

سورة الشمس مكية يوم القيمة وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها وضوءها اذا اشرقت وقيل الضحى ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلى طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها جلى الشمس فانها تجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشيها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمروا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بنيها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحيها ونفس وما سويها وجعل الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما سويها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكن من الاتيان بهما قد افلح من زكيها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تولى عقر الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقيها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرا نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وآيها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الي يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج والالجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الي العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل من الردي او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الي الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها مقاساة شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باتيانه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة يؤذيهم المشركون

فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل وعدك ومن الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت

بك لترد ك على جدك فازال الضلال عنك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلعم من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات بكتبها الله

سورة الم نشرح مكية وايها ثمان

لد بعدد كل يتيم وسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبرئيل اتى رسول الله صلعم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف ووضعنا عنك وزرك عبارك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حملك على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تياس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او استيناف وعده بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة اي فرحة عند الافطار

وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلوة والسلم لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلعم من قرا الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مختلف فيها وايها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجد دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المامون فيه يامن من دخله والمراد مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظاير ساير الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل هو ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا

الكذب أليس الله بأحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق
والرد بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء
على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله تعالى
العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات أعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة :

سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك أي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق أي الذي
له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة
المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه
ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات
معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة او الاول
مطلق والثاني للتبليغ او في الصلوة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ
فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم
من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم أي الخط بالقلم وقد
قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب
الدلايل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قاريا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان
ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا
لاكرميته واشارة اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل عليها كلا ردع لمن كفر نعمة
الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى
أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين
لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة
الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل
قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك قال ان بيني
وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي

والدلالة على كمال عبوديته المنهي أرأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى تكرير للاول
وكذا الذي في قوله أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى والشرطية مفعوله
الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى
اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى
عنه او امر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق
والتولي عن الصواب كما يقول ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل
المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول
فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان
يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى
الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في
النهي لان النهي كان عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل
اولان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل
نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية
لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة
وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبه في المصحف بالالف على حكم الوقف
والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة
بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم
ووصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع
ناديه أي اهل ناديه ليعينه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر
برسول الله صلعم وهو يصلي فقال ألم انهك فاغلظ له رسول الله فقال اتهددني وانا اكثر
اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط
واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء
معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم
على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه
اذا سجد عن رسول الله صلعم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

اسجد

سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة
المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله
وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدا بانزاله
فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله الى رسول
الله صلعم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر
الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها
ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله فيها يفرق كل امر حكيم
وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه الصلوة والسلم ذكر اسرائيليا لبس السلاح
في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير
من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت
على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر
من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام
هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء
اي ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه
اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق
عن النبي صلعم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في
صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه
من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تأتيهم البينة الرسول او

القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول
من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدا يتلو صحفا مطهرة
صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي
لها وقيل المراد جبرئيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها وانها لا يمسها
الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر
الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة
على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم
بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن
العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوا وعصوا وذلك دين
القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار
جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك
الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت
كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز على الاصل ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح
وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم
وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزدادها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد
رضي الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى اماني‍هم
ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر
والباعث على كل خير عن النبي صلعم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مسيا ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللايق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفاين او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح اليا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكباير تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة والهباء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله ۝

سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا قسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات تغير اهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه

عليه الصلوة والسلم بعث خيلا فمضى شهر لم ياته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مبداء انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال لخبير قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات المزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة راضية ذات رضا اي مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبا بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار حامية ذات حمى عن النبي صلعم من قرا القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

ألهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهي اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطأ رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا او يتنبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسال عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار وعن النبي صلعم من قرا سورة الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية

سورة العصر مكية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر في مساعيهم وصرف اعمالهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يودي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلعم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلعم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويويده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه في الدنيا خالدا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر ان يطفئه غيره

التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لانها
الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقايد الزايغة ومنشا الاعمال القبيحة
انها عليهم موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال
مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة **في عمد ممددة** اي موثقين في اعمدة ممددة
مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرا الكوفيون غير حفص بضمتين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الوقعة
لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان
المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله
فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه الصلوة
والسلم وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي
بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل
من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه
فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيا للدخول وعبا جيشه وقدم الفيل وكلما
وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل
الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة
فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم ترْ جدا في اظهار
اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام **الم يجعل كيدهم** في تعطيل
الكعبة وتخريبها **في تضليل** في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها **وارسل
عليهم طيرا ابابيل** جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة
من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط **ترميهم بحجارة** وقرئ
يرميهم بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك **من سجيل** من

طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او
من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون **فجعلهم كعصف ماكول**
كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته
الدواب وراثته عن النبي صلعم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى
الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لاجل
ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف
الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر
اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة
وقرئ ليالف قريش ايلافهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من
تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا
بها لانها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف
ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم **فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع** اي
بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام **وآمنهم
من خوف** خوف اصحاب الفيل والتخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا
يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلعم من قرا سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف
بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل
تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارايتك بزيادة الكاف **الذي يكذب بالدين**
بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله **فذلك الذي يدع اليتيم**

يدفعه دفعا عنيفا هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يساله من مال نفسه فدفعه
او ابو سفين نحر جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او
منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك **ولا يحض** اهله وغيرهم **على طعام المسكين**
لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة علي يكذب بالفاء **فويل للمصلين الذين**
هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها **الذين هم يراؤن** يرون الناس
اعمالهم ليروهم الثناء عليها **ويمنعون الماعون** الزكوة او ما يتعاور في العادة
والفاء جزائيه والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب
للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من
الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل
او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم
مع الخالق والخلق عن النبي صلعم من قرا سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك وقرئ انطيناك **الكوثر** الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف
الدارين وروي عنه عليه الصلوة والسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير
احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه
الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده
او اتباعه او علماء امته او القرآن **فصل لربك** فدم على الصلوة خالصا لوجه الله
خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام
الشكر **وانحر** البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا
لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت
الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحيه **ان شانئك** ان من ابغضك لبغضه لك
هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى عنه نسل ولا حسن ذكر واما انت فيبقى
ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل

تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له
في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يومنون روي
ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت **لا اعبد**
ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا يدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما
ان ما لا يدخل الا على مضارع بمعنى الحال **ولا انتم عابدون ما اعبد** اي فيما يستقبل
لانه في قران لا اعبد **ولا انا عابد ما عبدتم** اي في الحال او فيما سلف **ولا انتم**
عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين
على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل
المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون
من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل
انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان **لكم دينكم**
الذي انتم عليه لا تتركونه **ولي دين** ديني الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في
الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة
وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء
والعادة عن النبي صلعم من قرا الكافرون فكانما قرا ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين

سورة النصر مدنية وآيها ثلث

وبرئ من الشرك

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك **والفتح** فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله
للمومنين وفتح مكة وساير البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار
بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فيقرب منها شيئا فشيئا

ونفد قرب البصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا للشكر **وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا** جماعات كثيفة كاهل مكة والطايف واليمن وهوازن وساير قبايل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ** فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام **وَاسْتَغْفِرْهُ** هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلوة والسلم اني استغفر الله في اليوم والليلة ماية مرة وقيل استغفر لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيا الا ورايت الله قبله **إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس فقال عليه الصلوة والسلم ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما يقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه الصلوة والسلم من قرا سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك **يَدَا أَبِي لَهَبٍ** نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه الصلوة والسلم لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذلك ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله وليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي ابن ابي طالب **وَتَبَّ** اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاديات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه **مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ** نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار ومحلها النصب **وَمَا كَسَبَ** وكسبه او مكسوبه بماله من النتايج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ميتا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه **سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا **وَامْرَأَتُهُ** عطف على المستكن في سيصلى بالضم مخففا او مبتدا وهي ام جميل اخت ابي سفيان **حَمَّالَةَ الْحَطَبِ** يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم بالنصب على الشتم **فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ** اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدول وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلعم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العايد لانها هو او لما سيل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه

الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول او موادعة لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى **الله الصمد** السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانه كالنتيجة للاولى او الدليل عليها **لم يلد** لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله **ولم يولد** وذلك لانه لم يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم **ولم يكن له كفوا احد** اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعطف لان المراد بها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو

يعم جميع الممكنات فان الله تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية **من شر ما خلق** خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم **ومن شر غاسق** ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه **اذا وقب** دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه يكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف **ومن شر النفاثات في العقد** ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه الصلوة والسلم ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا رضي الله عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد **ومن شر حاسد اذا حسد** اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده

ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لقد انزلت سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وايها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ. قرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس
لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان
وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها
عمم الاضافة ثم خصصها بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى
الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس
عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم
دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر
في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم
يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره
منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه
الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا
بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار
بشرف الانسان من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما
المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة الخناس
الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في
صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد
العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه
وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة
والناس بيان للوسواس او للذي او يتعلق بيوسوس اي يوسوس في
صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين

وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم
الثقلين عن النبي صلعم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى

تم التفسير المسمى بانوار التنزيل واسرار التاويل المنسوب
الى الامام الهمام مقتدي الانام قدوة المفسرين اسوة
المحدثين افضل المحققين اكمل المدققين حاوي
المشروع والمعقول مبين الفروع والاصول
اقضى قضاة المسلمين ابو القاسم ناصر الملة والدين
معين الاسلام والمسلمين عمر البيضاوي رضي
الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه وماويه
يوم الثلثاء حادي عشر من شهر الله الاصب
رجب المرجب سنه تسع وثمانين وثمنمائة
بيد العبد الفقير الى الله الغني
محمد بن محمد بن احمد الانصاري
اصلح الله تعالى حاله
ونور بمعرفته باله